Mngool.com

المملكة العربية السعودية
الأمانة العامة للاحتفال
بمرور مائة عام على تأسيس المملكة

تاريخ الكعبة المعظمة

عمارتها وكسوتها وسدانتها

تأليف

حسين بن عبدالله باسلامة

تعليق

أ. د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي

أعيد طبع هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ⓒ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

باسلامة، حسين بن عبدالله

تاريخ الكعبة المعظمة. - الرياض.

٥٠٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٠-٧١-٦٦٠-٩٩٦٠

١- الكعبة - تاريخ ٢- سدانة الكعبة - تاريخ أ- العنوان.

ديوي ٢١٥,١ ١٩/٤٢٩٢

رقم الإيداع: ١٩/٤٢٩٢
ردمك ٠-٧١-٦٦٠-٩٩٦٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة للأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ويمثلها فيما بعد دارة الملك عبدالعزيز ، ولا يجوز طبع أي جزء من الكتاب أو نقله على أي هيئة دون موافقة كتابية من الناشر أو من يمثله فيما بعد إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر .

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ للّه الذي أمرنا بشكر النِّعم، ووعدَ الشاكرين بمزيد من فضله العميم، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

أمَّا بعدُ، فإنَّ اللّه - جلَّ وعلا - قد أكرمَنا في هذه البلاد الطيِّبة بجمع كلمتنا تحت راية الإسلام الخالدة «لا إلهَ إلا اللّه محمدٌ رسولُ اللّه»؛ فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد، واتخذتْها شعاراً لها، ومنهجاً لحياتها، وأساساً لنظامها؛ أكَّد ذلك الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ؛ استمراراً للمنهج الذي سار عليه آباؤه وأجداده، المستمَدِّ من كتاب اللّه وسنَّة رسوله ﷺ.

وقد جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز مدينةَ الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية، والمبادئ السَّامية التي قامت عليها، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسِّس الملك عبدالعزيز -رحمه الله - في سبيل توحيد المملكة عرفاناً لفضله، ووفاءً بحقِّه، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام، والتعريف بها للأجيال القادمة.

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظلِّ دوحةِ علمٍ، أصولها ثابتة وفروعها نابتة، تولَّى غرسَها الملكُ المؤسِّس، وتعهَّدها من بَعده بنوه؛ فواصلوا رعايتها حتى امتد ظلها، وزاد ثمرها؛ فعمَّ البلادَ خيرُها، وانتفع بها الجميع.

وهذا الكتاب يُعنى بجانب من جوانب تاريخ هذه البلاد المباركة، ويبرز من خلاله رصد لتاريخ الكعبة المشرفة مهوى أفئدة المسلمين وقبلتهم.

ولما في نشر هذا الكتاب من تيسير للباحثين بتوفير المصادر التاريخية الموثقة، وربط للأجيال بماضي الآباء والأجداد، وبيان لمآثر المؤسِّس الموحِّد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- فقد أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- بطبع هذا الكتاب ونشره بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

اللهم إنا نشكرك، ونتحدث بعظيم نعمتك علينا، وقد وعدت الشاكرين بالمزيد، فأدمْها نعمةً، واحفظها من الزوال.

وصلى اللّه وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمير منطقة الرياض
رئيس اللجنة العليا ورئيس اللجنة التحضيرية
للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة
سلمان بن عبدالعزيز

القسم الأول

التقديم

تقديم المُعلِّق .

المبحث الأول : حياة المؤلف :

أ - اسمه ونشأته العلمية وصفاته.

ب - أعماله .

جـ - مؤلفاته .

المبحث الثاني: الكتاب:

أ - وصفه ومنهج المؤلف فيه .

ب - مصادره .

تقديم المعلِّق :

بسم اللّه الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، محمد ابن عبداللّه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: عندما يقوم رجال العلم بالتأليف عن الكعبة الشريفة فإن ما يقدِّمونه من عمل يُعدُّ من أجلّ الأعمال وأفضلها، خاصّة وأنهم يكتبون عمّا تهفو إليها أفئدة الملايين من المسلمين من كل أنحاء الدنيا.

والمعروف أن فضل الكعبة على سائر الأمكنة قدّره اللّه سبحانه وتعالى، فهي أول بيت وضع للناس كما تقول الآية: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[(1)]؛ وهي التي يتجه الناس إليها في صلواتهم خمس مرّات في اليوم والليلة وأكثر من ذلك، يقول جلّ وعلا: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[(2)] وقال العلماء: إن المراد بالمسجد الحرام هو الكعبة المعظمة[(3)].

والكعبة المعظمة جعل اللّه صلاة المسلم عندها بمائة ألف صلاة، ففي حديث عن أبي هُريرة -رضي اللّه عنه- أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام»[(4)]. وهي التي جعلها اللّه مكان أمن وطهّرها لعباده الذين يأتون إليها ويطوفون بها سبعة أشواط ويؤدون الصلاة أمامها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا

(١) سورة آل عمران، آية رقم ٩٦.

(٢) سورة البقرة، آية رقم ١٤٤.

(٣) تفسير ابن كثير، جـ١، ص ١٩٢.

(٤) صحيح البخاري، جـ١، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ص ٢٠٦.

وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1] .

ولهذا فإن معرفة تاريخ الكعبة أمر يهم جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فجزى اللّه خيراً من كتب عنها من رجال الإسلام ، فهي خير مكان يستحق الكتابة والبيان ، وما قام به المؤرخ حسين بن عبداللّه باسلامة في كتابه «تاريخ الكعبة المعظمة» عمل يستحق كل تقدير وثناء ، لا سيما وأنّه في كتابه أوضح بجلاء اهتمامات المسلمين وتقديرهم ورعايتهم للكعبة الشريفة ، وتعهداتهم لها بالإصلاح والتعمير على مرّ العصور .

ولقد سعدتُ كثيراً أن أقوم بتقديم هذا الكتاب والتعليق عليه في المواطن التي تحتاج إلى ذلك ، بعد أن تقرّر إعادة طباعته ، وأرجو من اللّه العلي القدير أن أكون قد وُفِّقتُ فيما أوكل إليّ من عمل .

ولتحقيق الفائدة العلمية فقد تمّ تقسيم العمل إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول يتضمن التقديم، ويشتمل على مبحثين اختص الأول منهما بنُبذة مُختصرة عن حياة المُؤلِّف وتشتمل على : اسمه، نشأته العلميّة ، صفاته ، أعماله ، مؤلفاته . أمّا المبحث الثاني فهو عن الكتاب من حيث وصفه ، ومنهج المؤلف فيه ، وتوضيح مصادره التي اعتمد عليها .

أما القسم الثاني فهو خاص بنصّ الكتاب ، وقد أبقيته كما وضعه مؤلفه ، مع مراعاة توثيق المعلومات من مصادرها الأصلية، وتخريج الآيات والأحاديث، والتعليق على الموضوعات التي تحتاج إلى توضيح في الهوامش . كما روعي تصحيح الأخطاء النحوية والإملائية ، ووضع علامات الترقيم .

---

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١٢٥ .

زد على ذلك التعريف بأهم الأعلام والمدن، وغير ذلك مما يجب عمله وفق الأسلوب العلمي المتبع .

والقسم الثالث يشتمل على ملحقين ، والمصادر والمراجع ، وفهرسَيْ أسماء الصور الواردة في الكتاب الأصل والمحتويات . وقد اقتضت خدمة الكتاب أن يكون الملحق الأول عن تغيير سقف الكعبة وترميمها في سنة ١٣٧٧هـ ، والملحق الثاني عن « عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز -حفظه الله- بالكعبة في سنة ١٤١٧هـ » .

وأختم مقدمتي هذه بتقديم الشكر للّه عز وجلّ، فهو الميسِّر والمُعين، وإليه نلجأ ونستعين ، ثم إلى كل من كان له الفضل في إخراج هذا العمل ، وألتمس العذر في حالة النقص أو الخطأ ، فجلّ من لا يُخطئ ، واللّه من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

أ. د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي

المبحث الأول

حياة المؤلف

أ - اسمه ونشأته العلمية وصفاته .

ب - أعماله .

جـ - مؤلفاته .

أ - اسمه ونشأته العلمية وصفاته :

هو حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عُمر بن عوض باسلامة، من آل باداس الكندي الحضرمي المكي[1]. وولد بمكة المكرمة عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، وكان منذ صغره مولعاً بقراءة القرآن الكريم، وساعده على القراءة الشيخ فرج بن عبدالله أحد الفقهاء السودانيين المقيمين في مكة. واهتم باسلامة أيضاً بتجويد القرآن بمساعدة الشيخ علي المنصوري. أما الكتابة والخط والإملاء والحساب فاعتمد في تعلمها على الشيخ سليمان بن محمد فرج الغزاوي. وتلقى علوم الجغرافيا والتاريخ والحساب والفلك عن محمد عبيدالله أفندي أحد أعضاء المجلس الملي التركي وذلك بين عامي ١٣٢٠ - ١٣٢٣هـ. والتقى في سنة ١٣٢٢هـ بالعالم المغربي محمد شعيب، في مكة المكرمة، ودرس عليه مصطلح الحديث، وعلم الحديث والتفسير. وتعلّم فن الحديث والتراجم من المحدِّث الشيخ محمد ألفا هاشم فلاتة. وممّا زاد في ثقافته الأدبية تردّده على أستاذ وإمام الأدب في الحجاز الشيخ عبد الجليل أفندي برادَة المدني. وسمع الحديث والفقه والتفسير من مُفتي الشافعية بمكة، المحدث حسن بن محمد الحِبْشي بعد أن لازمه حوالي عشر سنين[2].

وحيث إن الرحلة في طلب العلم كان ديدن العلماء المسلمين قديماً وحديثاً، فقد رحل باسلامة إلى أماكن مختلفة، بهدف التزود بالعلوم والمعارف النافعة، وكانت أولى رحلاته وهو صغير السنّ إلى الطائف، وهُناك درس في المكتب الرشدي لمدة عامين، ثم بعد ذلك درس الفقه والتفسير على

---

(١) أورد نسبه في كتابه « الإسلام في نظر أعلام الغرب » ص ١١٤ . كما تحدّث المؤلف عن نسبه في آخر كتابه هذا ص ٤٥٦ .

(٢) أورد هذه الترجمة محمد بن حسين نصيف في كتاب باسلامة « تاريخ عمارة المسجد الحرام » ص ص : (أ) ، (ب) .

يد أمام مسجد الهادي بالطائف ، يوسف اليماني [١] .

وبعد أن اشتد عوده سافر إلى مصر وسوريا عدّة مرّات ، وهناك اجتمع بالعديد من رجال العلم والمعرفة ، وتعرّف على رؤساء الصحف والمجلات وشاركهم في الكتابة . وكان أثناء إقامته في مصر وسوريا ينهل من مراكز العلم الموجودة فيهما ، وركَّز على دراسة التاريخ قديماً وحديثاً، وأعطاه أكثر وقته، مما ساعده في آخر المطاف على إصدار عدة مؤلفات تاريخية[٢] .

أما عن صفات باسلامة، فقد حدثني ابنُهُ عنه بقوله : كان -رحمه اللّه- يحب عمل الخير ، ومساعدة المحتاج ، وكان يرى أن المال ليس هو المقياس في حياة الإنسان ، فالغنى غنى الروح بالعلم والإيمان .

وعُرف عنه حبّه للعلم وبذل العطاء في سبيله ، ومما يثبت هذا التوجّه المميّز عنده تلك الكلمات التي تفوّه بها أثناء الاحتفال بمناسبة إنشاء المدرسة الخيرية بمكة المكرمة سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ، حيث قال : « إن أعظم نور أضاء على الكائنات هو نورُ العلم ، وأشرف ما تتفاخر به الأمم على بعضها هو شرف العلم؛ لأن صفات الكمال والقدرة والإرادة كلها ترجع إليه ، فحاجة البلاد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء، حيث إنَّ الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرّة أو مرّتين ، والعقل يحتاج إلى العلم بعدد التنفس[٣] .

وفي مناسبة أخرى، كان باسلامة يحث الناس على بذل المال في خدمة العلم، حين قال : أيها الأفاضل ، هل قولي : فليحيا العلم هو كافل حياته ،

---

(١) المصدر السابق ص (ب) ، وكذلك من مقابلة مع ابنه الدكتور عبداللّه بن حسين باسلامة .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) الشامخ، محمد عبدالرحمن ، مصدر سابق ، ص ١٥٣ .

أو قولي : وَلْيَمُت الجهل كافل بموته ، كلا ثم كلا ، لـن يحيا العلمُ ولن يموت الجهـل بمجرد القول ، فـإن أعـظم حياة للعلم هـو التعـاون، والتعـاضـد، والسعي وراءه بالـمال والجاه والعـزم والثـبات[١] .

ب - أعماله :

اشتغل باسلامة في بداية حياته في مهنة التجارة، خاصّة بعد وفاة والده في مـدينة الطائف سنة ١٣١٥هـ ، كـمـا قام بالتـدريس في المدرسـة الخيرية بمكة، والتي أسّسها وأدارها محمد حسين الخياط، أحد رجال العلم في مكة المكرمة، وعمل باسلامة مساعداً لمؤسسها إلى جانب التدريس فيها[٢] .

وفي الفـترة الأخيـرة من حياته عـمل باسلامـة في الوظائف الحكومـيـة ، حيث عُيّن في سكرتارية مجلس الشيوخ في عهد الشريف الحسين بن علي سنة ١٣٣٥هـ ، كما انتُخب في سنة ١٣٤٤هـ عضواً في المجلس التأسيسي لوضع النظام الأساسي لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، ورُشح لعضوية المجلس التشكيلي الذي شُكل بجدة لترتيب الدوائر الحكومية الرئيسية . وفي سنة ١٣٤٥هـ تم ترشيحه عضواً في مجلس الشورى ، وكذلك في عضـوية لجنة الحج لفترتين ، ثـم أعيد ترشيحه في مجلس الشـورى سنة ١٣٥٠هـ ، إضافة إلى تعيينه عضواً في مجلس المعارف . وفي عام ١٣٥٤هـ تمَّ ترشيحه عضواً في هيئة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين[٣] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) حسين باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص (و). أيضاً بعض المعلومات مأخوذة مشافهة من ابنه د/ عبدالله حسين باسلامة .

جـ - مؤلفاته :

رغم أنّ باسلامة عمل في التجارة في بداية حياته ، وانشغل بعدد من الوظائف الحكومية ، إلاّ أنه لم يُهمل جانب التأليف وكان له دوره المميّز في هذا المجال . وأول عملٍ قام به كان في سنة ١٣٢٦هـ عندما ألّف كتابه «الجوهر اللّماع» وفيه جمعٌ أحكام الإمام محمد بن إدريس الشافعي المنظوم منها والمنثور، وطبعه بمصر(١) .

وفي عام ١٣٤٩ هـ بدأ التأليف في كتابه «حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية» ، وقسّمه إلى خمسة أقسام ، الأول منها عن حياة الرسول ﷺ وهو في ١٣٦٠ صفحة ، والقسم الثاني مختصٌّ بتاريخ الخلفاء الراشدين وهو في أربعة أجزاء، كل جزء خاص بخليفة واحد، وفي هذا القسم ركّز باسلامة على سير الفتوحات الإسلامية وسرعة إنجازها . وفي القسم الثالث المكوّن من أربعة أجزاء أيضاً عالج المؤلف في الثلاثة أجزاء الأولى تاريخ بني أميّة ، وجعل الجزء الرابع خاصاً بخلافة عبداللّه بن الزبير، واحتوى القسم الرابع بأجزائه الأربعة على تاريخ خلفاء بني العباس، والعوامل التي أدت إلى انهيار دولتهم . أما القسم الخامس فاشتمل على معلومات خاصّة بملوك الطوائف وانقسام الدولة الإسلامية في الأندلس إلى عدة أقسام بسبب التفكك والنزاع السياسي بين الحكام(٢) .

والأقسام الثاني والثالث والرابع لم تُطبع ، لعدم العثور عليها ، ثم حدث أن عثر الشيخ عبداللّه بن عبدالجبار على مخطوط خاص بحياة وتاريخ أبي بكر الصديق ، وكم كانت مفاجأة عظيمة لطلاب العلم وبالأخص لأسرته، فقامت مؤسّسة تهامة بطبعه في جدة عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(١) المصدر السابق ، ص (جـ).
(٢) المصدر السابق ، ص (د) .

والكتاب يقع في ٢٥٦ صفحة، ويشتمل على تاريخ حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وما قام به من أعمال عظيمة في محاربة المرتدين .

ومن مؤلفاته كذلك كتاب : « الإسلام في نظر أعلام الغرب » وقد انتهى من تأليفه سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، وطبع بالمطبعة السلفية في مائة وثماني عشرة صفحة ، وهو يشتمل على ما ذكره أعلام الغرب من الأوربيين والأمريكان عن رسول اللّه ﷺ وما جاء به من الشرع الحنيف، وإثباتهم لكل ذلك . كما يتضمن في كثير من صفحاته الردّ على نظريات المستشرقين المغالطَة، ويبين في الوقت نفسه ما قام به المسلمون من أعمال عظيمة ، أنقذت البشَرية من الجهل والضلال، وقادتهم نحو الإيمان والاستقامة والعمل الجاد .

وله كتاب « تاريخ عمارة المسجد الحرام » وفيه تحدث المؤلف عن عمارة المسجد الحرام، والزيادات التي حدثت فيه منذ عهد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، حتى عهد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه اللّه، كما تطرق إلى ذكر قصّة بئر زمزم وفَضلَها ، والمقامات الأربعة ، ومنائر المسجد الحرام ، ومنبره ومصابيحه . وزيّن كتابه بعدد من الرسوم والصور التوضيحية الثمينة . وقد طُبع هذا الكتاب بالمطبعة الشرقية بجدة سنة ١٣٥٤هـ ، ثم أعيد طبعه في سنة ١٣٧٤هـ بتحقيق الأستاذ عمر عبدالجبار، ثم قامت شركة تهامة في عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م بطبعه للمرة الثالثة دون تغيير[١] .

---

(١) حسين باسلامة ، تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ط ٣ ، ١٤٠٠ هـ .

كما أن له كتاب « تاريخ الكعبة المعظمة » الذي نحن بصدد تقديمه والتعليق عليه .

وله من المؤلفات التي لم تطبع الكتب التالية :

- كتاب يتضمن ما وقع بين الأئمة الأربعة من الخلاف في الأوقات التي تُكره فيها الصلاة .

- كتاب في الناسخ والمنسوخ من القرآن .

- كتاب في وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير .

- كتاب في تحريم المتعة والردّ على من أباحها .

- كتاب في معنى كرامة الأولياء .

وذكر محمد نصيف أن باسلامة أمسك عن تأليف الكتب من سنة ١٣٣٢هـ حتى ١٣٤٩هـ ولم يورد أسباباً لذلك[١] ، ولكن عندما ناقشتُ هذا الموضوع مع ابنه ، أفادني بأن الوظائف التي تقلدها بعد عام ١٣٣٢هـ قد تكون من أهم أسباب إمساكه عن التأليف[٢] ، ويبدو أن هذا الرأي أقرب إلى الصحة ، حيث إنه لم يكن قد شغل أي وظيفة قبل عام ١٣٣٢هـ .

(١) ذكر ذلك في مقدمته لكتاب «تاريخ عمارة المسجد الحرام» لحسين باسلامة ص (د) .

(٢) مقابلة مع ابن المؤلِّف د. عبدالله باسلامة.

المبحث الثاني

الكتاب

أ - وصفه ومنهج المؤلف فيه .

ب - مصادره .

أ - وصفه ومنهج المؤلف فيه :

يقع الكتاب في أربعمائة صفحة ، وفي كل صفحة ثمانية عشر سطراً، ومقاس الصفحة ١٩٫٥ × ١٣٫٥ ، ونشرته مؤسسة تهامة عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م على نفس الشكل والطباعة التي طُبع بها في سنة ١٣٥٤هـ بالمطبعة الشرقية بمدينة جدة ، وهذا ما يكشف عن أشكال الطباعة في تلك الأيام ، وقد أشار إلى ذلك ابن المؤلف في تقديمه للكتاب بقوله : عندما أنهى والدي حسين عبدالله باسلامة المكيّ - رحمه الله - تأليفه لهذا الكتاب أصرّ على أن يُطبع داخل المملكة العربية السعودية ، وفي جدّة ، وعلى بُعد أميال من (الكعبة) . . . ولقد كانت فكرة صائبة وطباعة جيدة وإخراجاً جميلاً . . . لذا وجدنا أنه من الأنسب أن نُجسِّد تاريخ تلك الطباعة في المملكة ومُنذ حوالي خمسين عاماً ، فكانت هذه الطبعة صورة حيّة للطبعة الأولى[1] .

والكتاب غير مُقسّم على أبواب أو فصول، ولكن على أساس العناوين حيث تضمن فهرسه واحداً وأربعين عنواناً، تعالج موضوعات مختلفة للكعبة المشرفة، مُنذ أن خلق الله تعالى السموات والأرض إلى الوقت الحاضر . وتشتمل موضوعات الكتاب على : أسماء الكعبة وعمارتها على مرّ العصور ، كسوتها وسدانتها، وصفاتها الداخلية والخارجية ، كذلك تحدث المؤلف عن موضوعات أخرى مثل: الحجر الأسود ، شاذروان الكعبة ، حجْر إسماعيل ، ميزاب الكعبة ، حُليتها ، حزامها، دخول الكعبة ، غسيلها ، والهدايا التي تُهدى إليها .

---

(١) حسين عبدالله باسلامة ، تاريخ الكعبة المعظمة ، الصفحة الثانية من التقديم .

واشتمل الكتاب على خمس وعشرين[1] صورة شمسية لبعض الأعلام والمعالم الإسلامية ، ومع أنها قديمة إلاّ أنها ذات مدلول حضاري، فهي تُعبّر عن الماضي كيف كان وماذا أصبح عليه .

والكتاب دُوّن بأسلوب واضح ، وكلمات مألوفة ، إلاّ أنّه قلّل من النُّقط والفواصل الضرورية ويكادُ يخلو من تشكيل الكلمات الهامة ، والتعريف بالمصطلحات التاريخية، والتعليق على بعض القضايا الهامة التي تحتاج لذلك .

كما نقل في كتابه نصوصاً كثيرة أخذت صفحات كثيرة وتكرّرت في مواضع عدّة من الكتاب .

ومما يجدر ذكره أن المؤلف أجاد وأفاد في الحكم على الأحاديث والآثار التي أوردها من حيث الصحة والضعف ، بأن أشار إلى ما فيها من إسرائيليات أو أحاديث ضعيفة ، واعتمد في ذلك على عُلماء الجرح والتعديل .

ب - مصادره :

أما عن مصادر الكتاب ، فقد اعتمد المؤلف على أمهات الكتب الإسلامية ، وأولها القرآن الكريم، ثم الحديث النبوي الشريف، وكتب التفسير والفقه، والتاريخ ، والمعاجم واللغة . وعندما اعتمد على المصادر اقتصر على ذكرها في المتن ، مثل قوله : قال الفاسي ، أو قال الفاكهي ، ولكنه لم يوثّق معلوماته بذكر المجلد والصفحة ، وكثيراً ما أدّى ذلك إلى بعض الأخطاء في نسبة المعلومات إلى مصادرها الأصلية .

---

(١) في جدول الرسوم والصور أشار المؤلف إلى ٢٧ من الرسوم والصور بينما الصور الموجودة في الكتاب ٢٥ صورة فقط .

ويبدو أن باسلامة بذل جُهداً عظيماً في جمع المعلومات ، فقد ذكر بأن الكتب التي اطلع عليها تربو على مائتي كتاب [1] ، وهذا ما جعله يأخذ المعلومات من أهم المصادر وأجودها ، وقد أورد في نهاية كتابه أسماء مصادره وعددها ثمانية وستون مصدراً .

ويبدو أن هناك مصادر أخرى استقى المؤلف منها بعض المعلومات، ولكنّه لم يذكرها ضمن مصادره ، ومثل ذلك كتاب « إعلام الأنام بتاريخ بيت اللّه الحرام » لمؤلفه محمد صالح بن أحمد بن زين العابدين الشيبي ، حيث أخذ المؤلف عنه كثيراً من المعلومات، ويوجد تشابه كبير بين محتويات فهرس كتاب باسلامة وكتاب الشيبي ، وأشار المؤلف إلى ترجمة الشيبي في ص ٣٤٢ ولم يذكر شيئاً عن مخطوطه الذي تم تأليفه سنة ١٢٩٩هـ، وهو العام الذي وُلِدَ فيه المؤلف حسين باسلامة .

(١) حسين باسلامة ، تاريخ الكعبة المعظمة ، ص ٣٨٤ .

القسم الثاني

أ - منهج المراجعة والتعليق .

ب - نص الكتاب .

أ- منهج المراجعة والتعليق

للحصول على الفائدة العلميّة من التحقيق قُمت باتباع الخطوات التالية :

- قمت بعمل دراسة مختصرة للمؤلّف والكتاب .
- تم نسخ الكتاب وإخراج نصّه سليماً .
- قسمت الكتاب إلى خمسة فصول رئيسة بدلاً من واحد وأربعين عنواناً، وجعلت العناوين الجانبية التي وضعها المؤلف تدخل تحت مُسمَّيات الفصول حسب موضوعاتها .
- توثيق معلومات الكتاب من مصادرها الأصلية التي ذكرها المؤلف بالاسم فقط .
- تخريج الآيات ونسبتها إلى سورها وترقيمها .
- تخريج الأحاديث ونسبتها إلى مصادرها .
- وضع النقاط والفواصل التي لم يسبق أن قام بعملها المؤلف .
- تشكيل ما أمكن تشكيله من الكلمات .
- قمت بالتعليقات على عدة أوجه، منها ما يتعلق بإضافة أشياء جديدة، ومنها ما يتعلق بمعلومات غامضة، ومنها تصحيح إحالات لمصادر وهم فيها المؤلف .
- تصحيح بعض الأخطاء اللغوية والمطبعية .
- تقسيم النصوص إلى فقرات عند الحاجة إلى ذلك .
- التعريف بالأماكن والأعلام الواردة في النص .
- أبقيت على الصور الشمسية المثبتة في الكتاب لأهميتها، حيث بذل المؤلف في إثباتها جهداً مشكوراً ، وأشرت في فهرس الموضوعات الخاص بالصور إلى أماكنها بالصفحة المقابلة للصورة في الكتاب .

ـ استخدمت الخط المائل / للإشارة إلى نهاية وبداية صفحات الكتاب الأصلية .

ـ استخدمت الحاصرتين [ ] لإثبات ما سقط من كلمات من النصوص الأصلية التي رجعت إليها .

ـ استخدمت المزدوجتين « » لإثبات النصوص التي نُقلت بنصِّها من مصادرها .

ـ أضفت ملحقاً خاصاً عن تغيير سقف الكعبة وترميمها في سنة ١٣٧٧هـ، واعتمدت في ذلك على المعلومات التي سجّلها محمد طاهر الكردي في كتابه « التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم »، وهو مصدرٌ مُعاصر للأحداث، حيث شارك الكردي في العمل ، وكان شاهد عيان لجميع مراحله . واخترت من معلومات الكردي أهمها ، ثم قمت بتصحيح الأخطاء الإملائية والمطبعية وما دعت الحاجة إليه .

ـ أشرت إلى الإصلاحات التي تمّ عملها في الكعبة في عهد الملك خالد بن عبد العزيز -رحمه اللّه- في عام ١٣٩٧هـ كما في الصفحات ٢٤٣/ ٢٤٤ .

ـ ذكرت بعض الإصلاحات التي تمت في الكعبة في سنة ١٤٠٣هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه اللّه [انظر ص ص ٢٦٧، ٢٦٨] .

ـ أفردت ملحقاً خاصاً للإصلاحات والترميمات التي نُفّذت في الكعبة في سنة ١٤١٧هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين حفظه اللّه .

ـ ذيّلت الكتاب بفهارس تفصيلية إتماماً للفائدة العلمية .

ـ رتّبت المصادر والمراجع وفقاً للمنهج العلمي المتبع .

ب- نص الكتاب

تقديم :

الذي يدقق النظر في اللوحات الجغرافية التي وُضعت لتبين ما كانت عليه الأرض أو اليابس من الكرة الأرضية قبل انفصال القارات وتباعدها، وخاصة تلك اللوحات المتحركة والموجودة في متحف الفضاء الأمريكي بـ(واشنطن)، يخرج بالانطباع الذي خرجتُ به، وهو أن الجزيرة العربية . . مكة المكرمة . . وبدقة أكبر الكعبة بيت اللّه تقع في مركز الأرض، أو مركز اليابس من الكرة الأرضية، وذلك قبل تشقُّق اليابس وتكوُّن القارات .

فالكعبة هي المركز -أو المقر- الرئيسي للوحدة الإسلامية، ففي كل لحظة ليلاً أو نهاراً، وعلى مدار السنين والأعوام، وإلى ما شاء اللّه تتجه نحوها أفئدة المسلمين في شتى بقاع المعمورة .

لا تكاد تمر لحظة أو ثانية دون أن تكون هناك مئات الملايين من القلوب تهفو إلى البناء الأسود المعظم في البقعة المباركة . ومن العجيب أنه كلما بعدت المسافات بينها وبين تلك القلوب ازداد الشوق والحنين .

سل ابن الجزيرة . . وساكن مكة ينبئك بالطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود . ولم ولن يقف التفاف القلوب والأجساد حول هذا البيت، ناهيك عن الملائكة وسائر عباد اللّه ومخلوقاته التي تطوف بهذا البيت العتيق .

لذا كان (تاريخ الكعبة . . عمارتها . . كسوتها . . سدانتها) جزءاً من حياة وتاريخ المسلم الموحد . إنه تاريخ الإسلام .

فلقد بناها على هيئتها المعروفة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وهو أيضاً الذي سمانا (المسلمون) .

عندما أنهى والدي حسين عبدالله باسلامة المكي ـ رحمه اللّه ـ تأليفه لهذا الكتاب أصر على أن يُطبع داخل المملكة العربية السعودية وفي جدة وعلى بعد أميال من الكعبة . ولقد كانت فكرة صائبة وطباعة جيدة وإخراجاً جميلاً ؛ لذا وجدنا أنه من الأنسب أن نجسد تاريخ تلك الطباعة في المملكة ومنذ حوالي خمسين عاماً، فكانت هذه الطبعة صورة حيّة للطبعة الأولى .

رحم اللّه حسين باسلامة وكل من اشترك في إخراج الطبعة الأولى من تاريخنا . . تاريخ الكعبة .

جدة في ٢٦ محرم ١٤٠٢هـ

ابن المؤلف

د . عبدالله حسين عبدالله باسلامة المكي

/ إهداء الكتاب [٢]

إلى حضرة صاحب الجلالة ، ملك المملكة العربية السعودية ، جلالة مولاي الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود ، خلَّد اللّه مُلْكه ، آمين .

يا جلالة الملك المعظم، إني أتشرف بأن أقدم إلى جلالتكم تاريخ الكعبةالمعظمة . وتاريخ عمارة المسجد الحرام (١) هدية ، وألتمس من جلالتكم التكرم بقبولهما .

يامولاي، إن الذي دعاني إلى تقديمهما لجلالتكم هدية هو لأن اللّه تعالى قد خصَّكم بخدمة الحرمين الشريفين ، وجعلكم حامين حمَى بلده الأمين ومدينة نبيه سيد المرسلين محمد ﷺ ، فقد حميتوهما من تَعدِّي المعتدين ، وقطعتم دابر المفسدين ، ونظَّمتم الدوائر ، وأمَّنتم السبل ، وأصلحتم الطرق ، حتى أصبح وفود بيت اللّه الحرام يؤدون مناسكهم في أمان واطمئنان، تحت رعاية اللّه تعالى ثم رعايتكم . وكنتم أول من أسس دار معمل الكسوة بأم القرى، وكسوتم الكعبة المعظمة بكسوة محاكة بمكة، على أحسن منوال وأبدع تطريز . ولأنكم قمتم بعمارة كل ما وَهَى وتداعى إلى الخراب بالمسجد الحرام مرات عديدة . وعملتم المظلات / بالمسجد الحرام وقاية لوفود بيت اللّه [٣] الحرام، الآوين إليه من كل فج عميق، من حر الظهيرة. وأنشأتم السبيلين، الذين هما خارج زمزم، وجعلتموهما سقاية الحاج . وكنتم أول من رصف شارع المسعى بالحجر الصوان، بعد أن كان يتلوَّث من وحله وغباره كل من يتطوف بين الصفا والمروة، من حاج ومعتمر . وأتيتم بأعظم ساعة ضخمة منبهة للمسجدالحرام، ولم يأت بمثلها أحد قبلكم أو بما يضاهيها . وقد قام

(١) طبع عدة طبعات منها طبعة : جدة - تهامة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .



حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل السعود المعظم

حفظه الله تعالى وأبقاه

صورة رقم (١)

جلالتكم بطبع ونشر كثير من كتب السنة من تفسير ، وحديث ، وتوحيد، وفقه، ومناسك حج ، وتاريخ، وغير ذلك . وشجَّعتم المصنِّفين، وأعنتموهم ببدر المال، على طبع ونشر مؤلفاتهم، بما جعلتموهم مدينين لإحسانكم مدى الزمان .

هذا بعض ما لجلالتكم من المزايا العظيمة ، والمآثر الشريفة ، والإصلاحات القيِّمة ، وما يرجى من جلالتكم في المستقبل أعظم مما مضى . فأسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يثيبكم على حسن أعمالكم ويمدَّكم بروح منه ، ويديم سعدكم ، ويخلِّد ملككم ، ويعلي مجدكم، ويرفع ذكركم ، ويجعلكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . آمين .

الخادم المخلص

حسين عبداللّه باسلامة

/ مُقدِّمة [٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . مدبر الكائنات بحكمته الباهرة ، ومسيِّر الأمور بنظامه العادل . القائل في كتابه المجيد : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ ﴾ (١) والقائل : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) والقائل : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٣) والقائل : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) ، سبحانه من إله عظيم قادر جل وعلا ، قد تفضل على الأمة الإسلامية ، بأن جعلها توحِّده ، وتنزِّهه عن الشبيه والنظير ، وخصَّها بأول بيت وضع في الأرض ، تستقبله في صلاتها ، وتحجّه من كل فج عميق لتشهد منافع لها عنده ، ولذلك صارت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد ، الذي جاءَ بالحكمة وفصل الخطاب ، داعياً إلى اللّه بإذنه ، وسراجاً منيراً ، المنزل عليه ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ/ [٥]
وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (٥) تمييزاً له ولأمته بهذا الفضل العظيم عن سائر أهل الكتاب . وعلى آله وصحبه ، الذين استجابوا لربهم وأحسنوا للحسنى وقاموا بالأمر

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

(٣) سورة الحج الآية ٢٦ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٤٤ . وفي أصل الكتاب الآية ١٤٣ ، والتصحيح من المحقق .



حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة العربية السعودية

الأمير/ سعود ابن جلالة الملك عبدالعزيز حفظه الله تعالى

صورة رقم (٢)



حضرة صاحب السمو الملكي النائب العام ورئيس مجلس الوكلاء

الأمير/ فيصل ابن جلالة الملك عبدالعزيز حفظه الله تعالى

صورة رقم (٣)

بعده على طريقته، التي هي سبيل الهدى والرشاد .

أما بعد: فإني قد ذكرت في الجزء الأول من كتاب «حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية»[1] جملة مختصرة، عن تاريخ الكعبة المعظمة[2]، ولـمّا اطلع عليها بعض القراء، الذين يهمهم شأن الإسلام وشعائره، طلبوا مني المزيد في ذلك، بأن أصدر كتابا خاصا، يشتمل على عمارة الكعبة المعظمة من يوم خلق اللّه تعالى السموات والأرض، إلى العصر الحاضر، وما جرى عليها من حرق، وهدم، وبناء، وما طرأ على كسوتها من تغيير وتبديل، وعلى تبادل سدنتها جاهلية وإسلاما، ويكون ذلك بإسهاب وتوضيح. فاستعنت اللّه تعالى على ذلك، وأخذت أبحث في كتب التفسير، والحديث، والفقه، والمناسك، والتاريخ، والمعاجم، واللغة، وكل مصنَّف يظن فيه شيئا يتعلق بالكعبة المعظمة، وذلك لأمرين:

الأول: أن الكعبة المعظمة مذكورة في عموم كتب الإسلام، **والثاني**: لأنه لم يؤلف كتاب خاص في تاريخ الكعبة منذ الخليقة إلى اليوم. حتى وفقني
[٦] اللّه سبحانه / وتعالى بالوقوف على كل ما يتعلق بشؤون الكعبة المعظمة منذ الخليقة إلى العصر الحاضر، فدونت هذا الكتاب من أصح الأخبار، وأوثق المصادر، ولم أعتمد على الأخبار المروية عن بني إسرائيل في ذلك، وقد نبهت على ما جاءَ في هذا الكتاب من تلك الأخبار، ولم أترك شيئاً[3] يختص بشؤون[4] الكعبة المعظمة قد محّصه جهابذة الحفاظ. وحققه أكابر العلماء، إلا أثبته فيه، وكل ذلك بحسب المستطاع، حيث قد ذهب الدهر

---

(١) طبع الكتاب عدة طبعات من بينها: ط ٢ مكة المكرمة - عمر عبد الجبار، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
(٢) ج١ ص ص ٧٣ - ٧٩ من كتاب حياة «سيد العرب».
(٣) في الأصل «شيأ».
(٤) في الأصل «بشؤن».

بأكثر كتب الإسلام، ولا أشك في أنه قد فاتني كثير من الأخبار، التي تتعلق بالكعبة المعظمة، وإني ألتمس من القارئ المنصف، أن يعذرني فيما لم تنله يدي، ويتيسر لي الوقوف عليه، وأسأله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبني عليه، وأن يمدني بروح منه، ويهديني في كل أعمالي إلى صراطه المستقيم، إنه بالإجابة جدير، وعلى كل شيء قدير .

أول بيت وضع للناس :

قد ورد في معنى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[1] جملة روايات ذكرها المفسرون، والمحدّثون، من أهل العلم في مصنفاتهم، كونه: هو أول بيت وضع في الأرض مطلقاً قبل أن يُبْنى أي بيت قبله على الإطلاق، أو أنه أول بيت وضع في الأرض ليكون قبلة للناس ويعبد اللّه تعالى عنده.

[٧] وأما كونه أول بيت وضع للناس بمكة، المراد منه الكعبة المعظمة / فهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم مطلقاً، وإليك ما قاله أهل الغلم في ذلك:

قال ابن جرير الطبري في تفسيره[2] : « اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [3] يعبد اللّه فيه مباركا وهدى للعالمين للذي ببكة، وليس هو أول بيت وضع في الأرض؛ لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة». وأسند هذا القول إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي اللّه عنه- بقوله: « قال خالد بن عروة[4] : قام رجل إلى علي فقال: ألا تخبرني عن البيت، أهو أول بيت وُضع في الأرض ؟ قال: لا، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم وَمَنْ دخله كان آمناً. وروي عن الحسن[5] أنه قال: هو أول مسجد عُبِدَ اللّه فيه في الأرض. وفي رواية عنه: أنه أول بيت وضع للناس يعبد اللّه فيه للذي ببكة ».

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

(٢) الطبري - محمد بن جرير - تفسير الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر ج ٧ ص ١٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

(٤) خالد بن عروة - الصحيح خالد بن عرعرة التَّيْمي ، سمع علي بن أبي طالب .
البخاري - أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري ت سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م - التاريخ الكبير - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - بدون تاريخ مجلد ٣ ص ١٦٢ .

(٥) أي الحسن البصري الإمام المشهور .



رسم المسجد الحرام في وسط مكة المكرمة . وفي وسطه الكعبة المعظمة وتظهر فيه السبع المنائر

صورة رقم (٤)

ثم قال ابن جرير(١) : « فقال بعضهم : خلق قبل جميع الأرضين ثم دُحيت الأرض من تحته » . وأسند هذا القول إلى عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه قال : «خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة ، وكان إذ كان عرشه على الماء على زبدة بيضاء ، فدُحيت الأرض من تحته» . وروي(٢) عن مجاهد(٣) أنه قال : « إن أول ما خلق الله الكعبة ، ثم دُحيت الأرض من تحتها» . وروي عن السّدي(٤) أنه قال : «أما أول بيت فإنه يوم كانت الأرض زبدة كان على الأرض ، فلما خلق الله الأرض خلق البيت معها ، فهو أول بيت وضع في الأرض» . ثم قال ابن جرير(٥) : «وقال آخرون : موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض» ./ وأسند هذا القول إلى قتادة(٦) ، «قال قتادة : [٨] ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط ، وقال : أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، فطاف حوله آدم ومَنْ كان بعده من المؤمنين» .

قال ابن جرير(٧) : « والصواب من الأقوال في ذلك ، أن أول بيت وضع للناس ، أي لعبادة الله فيه» . واستدل بحديث أبي ذر الغفاري(٨) رضي الله عنه ، وهو : قال أبو ذر : « قلت : يا رسول اللهَ ، أي مسجد وُضع أوّل؟ قال :

---

(١) الطبري - المصدر السابق ج ٧ ص ١٩ .

(٢) في الأصل « ورى » .

(٣) مجاهد بن جبر بن الحجاج المكي المحدث المشهور ت سنة ١٠٣ هـ .
البخاري - التاريخ الكبير المجلد ٧ ص ٢٠ - ٢١ .

(٤) السّدي : هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الأعور المفسر المشهور ت سنة ١٢٧ هـ .
الذهبي - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٧٤ م . سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ج ٥ ص ٢٦٤ .

(٥) الطبري - المصدر السابق ج ٧ ص ٢٠ .

(٦) قتادة بن دعامة السدوسي - المفسّر المحدث المشهور ت سنة ١١٧هـ . انظر : الذهبي - سير أعلام النبلاء - مصدر سبق ذكره ج ٥ ص ص ٢٦٩ - ٢٨٣ .

(٧) الطبري - المصدر السابق ج ٧ ص ٢٢ .

(٨) أبو ذر الغفاري : الصحابي المشهور جندب بن جنادة رضي الله عنه ٠ انظر : الذهبي - مصدر سبق ذكره ج ٢ ص ص ٤٦ - ٧٨ .

«المسجد الحرام». قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما؟ قال : « أربعون سنة » . قال ابن جرير[1] : « فقد بيَّن هذا الخبر عن رسول الله ﷺ أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الأرض على ما قلنا ، فأما في وضعه بيتاً ، بغير معنى بيت للعبادة والهدى والبركة ، ففيه خلاف » . انتهى .

هذا ما ذكره ابن جرير ، في كونه أول بيت وضع للعبادة ، وقد ورد حديث أبي ذر المتقدم في صحيح البخاري ، وعلق عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري[2] ، بما قاله العلماء ، في أن المراد من قول النبي ﷺ : « إن بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى أربعون سنة » قال : « قال ابن الجوزي[3] : فيه إشكال ؛ لأن إبراهيم بنى الكعبة ، وسليمان بنى بيت المقدس ، وبينهما أكثر من ألف سنة» . قال الحافظ ابن حجر[4] : وجوابه - يعني ابن الجوزي - أن الإشارة إلى أوّل البناء ووضع أساس المسجد ، وليس إبراهيم أول مَنْ بنى الكعبة ، ولا سليمان أول مَنْ بنى بيت المقدس ، ثم قال الحافظ ابن / حجر[5] : [9]
«وكذلك قال القرطبي[6] : إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما ، بل ذلك تجديد لما أسّسَهُ غيرهما» .

---

(١) الطبري - مصدر سابق ج ٧ ص ٢٢ .

(٢) ابن حجر - شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ / ١٣٧٣ - ١٤٤٩ م - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ج ٧ ص ٢٥٥ . وطبع دار الفكر - بيروت ج ٧ ص ٦٢ .

(٣) ابن الجوزي - أبو الفرج عبدالرحمن ت سنة ٥٩٧ هـ . انظر ما نقله عنه ابن حجر في كتابه : مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن - دار الراية - الرياض وجدة ط ١ ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م ج١ ص٣٤٧ وما بعد .

(٤) ابن حجر - المصدر السابق ج ٧ ص ٢٥٥ .

(٥) ابن حجر - المصدر السابق ج ٧ ص ٢٥٦ .

(٦) القرطبي - أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ج ٤ ص ١٣٨ .

قال الحافظ[1] : «وقد رأيت لغيره، أن أول مَنْ أسس المسجد الأقصى آدم عليه السلام . وقيل: الملائكة ، وقيل: سام بن نوح عليه السلام ، وقيل: يعقوب عليه السلام، فعلى الأولين يكون ما وقع ممن بعدهما تجديداً، كما وقع في الكعبة ، وعلى الأخيرين يكون الواقع من إبراهيم ، ويعقوب أصلاً وتأسيساً ، ومن داود تجديداً لذلك وابتداء بناء، فلم[2] يكمل على يده، حتى أكمله سليمان، عليهما السلام، لكن الاحتمال الذي ذكره ابن الجوزي أَوْجَه ، وقد وجدت ما يشهد له، ويؤيد قول مَنْ قال إن آدم هو الذي أَسَّس كُلاً من المسجدين ، فذكر ابن هشام -أي الكلبي- في كتاب (التيجان) أن آدم لما بنى الكعبة، أمره الله بالسير إلى البيت المقدس وأن يبنيه ، فبناه ونسك فيه» . انتهى .

فتحصّل مما تقدم، أن أول بيت وضع للناس هي الكعبة، وأنها أول بيت وضع للعبادة ، وأن آدم هو الواضع لأساس بناء الكعبة ، والمسجد الأقصى ، على رواية[3] ، أو الملائكة على ما جاء في بعض الروايات[4] . ولم يَكن إبراهيم وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ هما الواضعين لأساسهما ، بل إنهما قد جدّدا عمارتهما بعد أن اعتراهما الخراب، بتداول القرون والأعوام .

وقال ابن جرير[5] : «ومعنى (بكة) أنه محل ازدحام الناس ، فإذا كانت
[١٠] بكة / ما وصفنا، وكان موضع ازدحام الناس حول البيت ، وكان لا طواف

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص٢٥٦ .
(٢) في الأصل « فسلم » وهو خطأ .
(٣) القرطبي - المصدر السابق ج ٤ ص ١٣٨ .
(٤) نفسه ج ٤ ص ١٣٨ وجاء فيه : « ويجوز أن تكون الملائكة أيضاً بنته بعد بنائها البيت بإذن الله ، وكل محتمل، والله أعلم . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض وأن يطوفوا به . وكان هذا قبل خلق آدم ، ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به ، ثم الأنبياء بعده ، ثم استتمّ بناءه إبراهيم عليه السلام » .
(٥) الطبري - تفسير ج ٧ ص ٢٣ . وانظر : القرطبي - الجامع - ج ٤ ص ص١٣٨-١٣٩ .

يجوز خارج المسجد، كان معلوماً بذلك أن يكون ما حول الكعبة من داخل المسجد بكة لا مكة، حيث بكة مزدحم الناس للطواف». واستدل على ذلك بقول أبي مالك الغفاري: «إن بكة موضع البيت، ومكة ما سوى ذلك. وبه قال عطية العوفي، وابن شهاب، وضمرة بن ربيعة وغيرهم». انتهى.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره(١)، بعد أن ذكر شيئاً مما أورده ابن جرير الطبري فيما تقدم: «وزعم أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقاً، والصحيح قول علي رضي الله عنه»، وقال في موضع آخر(٢): «وقد اختلف الناس في أول مَنْ بنى الكعبة، فقيل: الملائكة قبل آدم، وروي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين، ذكره القرطبي(٣)، وحكى لفظه، وفيه غرابة؛ وقيل: آدم عليه السلام، رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم، أن آدم بناه من خمسة أجبل من حراء(٤)، وطور سيناء(٥)، وطور زيتاءَ(٦)، وجبل

---

(١) ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت سنة ٧٧٤ هـ - تفسير القرآن العظيم - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م ج ١ ص ٣٨٣.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ص ١٧٢ - ١٧٣ في تفسير الآية ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ سورة البقرة الآية ١٢٥.

(٣) القرطبي - المصدر السابق ج ٤ ص ١٣٨.

(٤) حراء هو: جبل النور من جبال مكة المشرفة، أتى فيه الوحي لرسول الله ﷺ. انظر عنه:
ياقوت - شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي - معجم البلدان - دار صادر ودار بيروت - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ج ٤ ص ٤٦٥.
الفاكهي - أبو عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه - دراسة وتحقيق د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش - دار خضر - بيروت ط٢ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ج٤ ص ص ٨٥ - ٩٦.

(٥) طور سيناء: جبل بقرب أيلة بالشام. انظر: ياقوت - المصدر السابق - ج ٤ ص ٤٨.

(٦) طور زيتا: جبل بالقدس يشرف على المسجد الأقصى. العليمي - مجير الدين العليمي الحنبلي - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - مكتبة المحتسب - عمان ١٩٧٣م ج ٢ ص ٦. وانظر ياقوت - مصدر سبق ذكره ج ٤ ص ص ٤٥ - ٤٧.

لبنان[١] ، والجودي[٢] ، وهذا غريب أيضاً. وروي عن ابن عباس، وكعب الأحبار، وقتادة، وعن وهب بن منبه أن أول مَنْ بناه شيث عليه السلام[٣].

وغالب مَنْ يذكر هذا، إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب وهي مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجردها ؛ وأما إذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين».

[١١] وقال في معنى / بكة [٤] ، بعد أن أورد ما ذكره ابن جرير : « بكة من أسماء مكة على المشهور ، قيل: سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة ، بمعنى أنّهم يذلون بها ويخضعون عندها . وقيل لأن الناس يتباركون فيها، أي: يزدحمون . وروي عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- أنه قال : مكة من الفج إلى التنعيم ، وبكة من البيت إلى البطحاء . وقال إبراهيم: بكة البيت، ومكة المسجد. وكذا قال الزهري . وقال أبو مالك، وأبو صالح ، وإبراهيم النخعي، وعطية العوفي ، ومقاتل بن حيان : بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة».

وقال[٥] : وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون ، وأم رُحْم ، وأم القرى ، وصلاحِ[٦]، والقرش[٧] ، على وزن برد . والقادس؛ لأنها تطهِّر من

(١) جبل لبنان: من جبال الشام المشهورة . انظر : ياقوت - المصدر السابق ج ٥ ص ١١ .

(٢) الجودي : جبل بالجزيرة الفراتية من أعمال الموصل ، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام . انظر : ياقوت - المصدر السابق ج ٢ ص ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) في الأصل « السلا » سقطت الميم .

(٤) ابن كثير - المصدر السابق ج ١ ص ٣٨٣ .

(٥) نفسه ج ١ ص ٣٨٣ ، وعن أسماء مكة انظر :
الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ٧٥ - ٨٤ ، ياقوت - معجم البلدان ج ٥ ص ص ١٨١ - ١٨٣ - السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ١١ .

(٦) مبنية على الكسر « صلاحِ » .

(٧) الصحيح « العُرُش » .

الذنوب، والمقدَّسَة، والناسة، بالنون والباء أيضاً، والحاطمة، والرأس، وكوثاء [1]، والبلدة، والبنية، والكعبة». انتهى .

وقال البغوي في تفسيره [2] : «قال بعضهم: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحته، وهذا قول عبدالله بن عمر، ومجاهد، وقتادة، والسدي. وقال بعضهم: هو أول بيت بُني في الأرض، وقيل: هو أول بيت جعل قبلة للناس، وقال الحسن والكلبي: معناه أن أول مسجد ومتعبد وضع للناس، يروى ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله/ [١٢]
عنه، وقيل: أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه كما قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [3] يعني المساجد». انتهى .

وقال الفخر الرازي في تفسيره [4]: «إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [5] لا يدل على أنه أول بيت خلقه الله تعالى، ولا أول بيت ظهر في الأرض، بل ظاهر الآية يدل على أنه أول بيت وضع للناس، وكونه موضوعاً للناس يقتضي كونه مشتركاً فيه جميع الناس، فأما سائر البيوت، فيكون كل واحد منها مختصاً بواحد من الناس، فلا يكون شيءٌ من البيوت موضوعاً للناس، وكون البيت مشتركاً فيه بين كل الناس، لا يحصل إلاّ إذا كان البيت موضوعاً للطاعات والعبادات وقبْلة للخلق، فدلّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [5] على أنّ هذا البيت وضعه الله موضعاً

---

(١) الصحيح «كوثى».

(٢) البغوي - الإمام أبو محمد الحسين الفراء البغوي الشافعي ت سنة ٥١٦ هـ - تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل - بهامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل - المكتبة التجارية الكبرى - توزيع دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ - ج ١ ص ٤٥٧ .

(٣) سورة النور الآية ٣٦ .

(٤) الفخر الرازي - محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري - تفسير الرازي - دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ - ج ٨ ص ١٤٣ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

للطاعات، والخيرات، والعبادات، فيدخل فيه كون هذا البيت قبلة للصلوات، وموضعاً للحج، ومكانا يزداد ثواب العبادات والطاعات فيه». ثم قال[1]: «ويحتمل أن يكون المراد، كونه أولاً في الوضع والبناء، وأن يكون المراد كونه أولا، في كونه مباركاً وهدى».

فحصل للمفسرين في تفسير هذه الآية قولان: «**الأول**: أنه أول في البناء والوضع، والذاهبون إلى هذا المذهب لهم أقوال. وذكر عن مجاهد، وابن عمر، والسدي أنه أول بيت وضع على وجه الماء، عند خلق الأرض والسماء، وقد خلقه الله تعالى قبل الأرض بألفي عام»، ثم قال[2]: «والقول **الثاني**:
[١٣] أن المراد من هذه الأولية، كون هذا البيت / أولاً في كونه مباركاً وهدى للخلق، رُوي أن النبي ﷺ سُئل عن أول مسجد وضع للناس، فقال ﷺ: «المسجد الحرام ثم بيت المقدس». انتهى ملخصاً.

وذكر ياقوت في معجمه[3] رواية عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات، بعث ريحاً فصفقت الماء، فأبرزت عن خسفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا الأرض من تحتها، فمادت فأوتدها بالجبال. والخسفة هي نبت في البحر». ثم قال ياقوت[4]: «وقد جاء في الأخبار، أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها، فهي سرة الأرض، ووسط الدنيا، وأم القرى». انتهى.

فحاصل ما تقدم أن كل ما ورد في أن ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[5] كونه

(١) الفخر الرازي - المصدر السابق ج ٨ ص ١٤٣.

(٢) أي الفخر الرازي - المصدر السابق ج ٨ ص ١٤٣.

(٣) ياقوت الحموي - معجم البلدان - دار صادر وبيروت - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ج ٤ ص ٤٦٣.

(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ٤٦٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

خلق قبل الأرض بألفي عام، هو خبر موقوف، من قول بعض الصحابة، والتابعين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولم يكن في ذلك خبر مرفوع عن النبي ﷺ ولم يرد عنه ﷺ في ذلك إلاّ حديث الصحيحين[1]، وهو: «عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة». وهذا الحديث يدل على قدَم حرمته، من يوم خلق الله السموات والأرض، ولا يدل على أن البيت خلق قبل خلق السموات والأرض، وقوله تعالى: ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ في الآية، يدل على أن/ المراد [١٤] بالكعبة المشرفة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[2] يدل على أن الكعبة أول بيت بُني لعبادة الله تعالى. وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين، والمحدثين، والمؤرخين، وإنما اختلفت الروايات في أول مَنْ بنى الكعبة، وكم مرة بُنيت.

قال النووي في شرح مسلم[3]: «قال العلماء: بني البيت خمس مرات، بنته الملائكة، ثم إبراهيم ﷺ، ثم قريش في الجاهلية، وحضر النبي ﷺ هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة، وقيل خمس وعشرون، ثم بناه ابن الزبير، ثم الحجاج بن يوسف، وقيل بُني مرتين أخريين أو ثلاثا». انتهى.

وقال التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[4]: «إن الكعبة المعظمة بنيت مرات،

---

(١) النووي - صحيح مسلم بشرح النووي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م ج ٩ ص ص ١٢٣ - ١٢٤. وصحيح البخاري ج ١ ص ٢٠٥، ابن حجر - فتح الباري ج ٥ ص ٣٧٢، ورواه أبو داود ج ٢ ص ٢٨٥، والترمذي ج ١ ص ١٣٥، والبيهقي ج ٥ ص ص ١٧٧، ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٦.

(٣) النووي - صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٨٩.

(٤) الفاسي - تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي ت سنة ٨٣٢ هـ. - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - البابي الحلبي - مصر - ١٩٥٦م ج ١ ص ٩١.

وقد اختلف في عدد بنائها، ويتحصَّل من مجموع ما قيل في ذلك: أنها بنيت عشر مرات، منها بناء الملائكة، ومنها بناء آدم، ومنها بناء أولاده، ومنها بناء الخليل إبراهيم ﷺ وعليهم أجمعين، ومنها بناء العمالقة، ومنها بناء جرهم، ومنها بناء قُصي، ومنها بناء قريش، ومنها بناء عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي رضي الله عنهما، ومنها بناء الحجاج بن يوسف الثقفي، وإطلاق العبارة بأنه بنى - يعني الحجاج - الكعبة تجوُّز؛ لأنه لم يبنِ إلا بعضها كما سيأتي». انتهى.

وقال السهيلي في «روض الأنف»[1]: «وكان بناؤها في الدهر خمس مرات، الأولى حين بناها شيث بن آدم، والثانية حين بناها إبراهيم على القواعد / الأولى، والثالثة حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، [١٥]
والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير، فلما قام عبدالملك بن مروان قال: لسنا من تخليط أبي خبيب بشيء. فهدمها، وبناها على ما كانت عليه». انتهى.

ومن عبارة السهيلي، يظهر أنه جعل أول مَنْ بنى الكعبة المشرفة شيث عليه السلام، وهذا خلاف ما ذكره أكثر العلماء المتصدِّين لهذا البحث، ثم ذكر العمارة الأخيرة لعبد الملك، مع أن الأكثر يسندها إلى الحجاج[2]، وإن وقع بناء الكعبة في خلافة عبدالملك وبأمره. وقال السنجاري في كتابه «منائح الكرم»[3]: «والمشهور أنها بنيت خمس مرات، الأولى بناء الملائكة، والثاني بناء آدم، والثالث بناء إبراهيم، والرابع بناء قريش، والخامس بناء ابن الزبير؛ ثم هدم الحجاج بعضه، وفي إطلاق البناية تجوز». وقال جمال الدين محمد

---

(١) السهيلي - الروض الأنف - مكتبة الكليات الأزهرية - تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعيد - مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة والنشر - مصر - بدون تاريخ - ج ١ ص ٢٢١.

(٢) وهذا ليس خلافاً، حيث إن البناء قام به الحجاج بأمر عبدالملك بن مروان الخليفة، وفي عهده سنة ٧٤هـ.

(٣) السنجاري - تقي الدين علي السنجاري - منائح الكرم - مخطوط - ج ١ ورقة ٢٧.

جار الله ابن ظهيرة القرشي في «الجامع اللطيف»[١]: «وفي مناسك الجدّ[٢]: بنيت الكعبة الشريفة خمس مرات، الأول بناء الملائكة، الثاني بناء آدم عليه السلام، الثالث بناء إبراهيم عليه السلام، الرابع بناء قريش في الجاهلية، الخامس بناء ابن الزبير رضي الله عنهما، ثم هدم الحجاج بعضه وبناه». ثم قال[٣]: «قال الجد رحمه الله: وهذا هو المشهور والمعروف». وأخرج الفاكهي[٤] عن علي كرم الله وجهه: «أن أول مَنْ بنى البيت الخليلُ عليه السلام»، وجزم به ابن كثير في تفسيره[٥] وقال: «لم يجئ خبر عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبله»، وقال في تاريخه[٦] عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ/ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[٧] الآية: «يذكر تعالى عن عبده [١٦]
وخليله، أنه بنى البيت العتيق، الذي هو أول مسجد وُضع لعموم الناس يعبدون الله فيه، وبوأه مكانه، أي أرشده إليه ودلّه عليه. وعن عليّ وغيره، أنه أرشده إليه بوحي من الله، ولم يجئ خبر صحيح عن معصوم». وذكر ما تقدم. ثم قال ابن كثير[٨]: «ومَنْ تمسك في هذا بقول الله تعالى: ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر؛ لأن المراد مكانه، المكان في علم الله المعظم

---

(١) ابن ظهيرة – جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القرشي المخزومي ت سنة ٩٨٦ هـ – الجامع اللطيف – المكتبة الشعبية – بيروت ط ٥ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٤٥.

(٢) أي جد محمد جار الله بن ظهيرة وهو أبو بكر بن علي بن ظهيرة القرشي المخزومي فخر الدين ت سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤ م. انظر: محمد الحبيب الهيلة – التاريخ والمؤرخون بمكة – مؤسسة الفرقان – فرع مكة – ط١ ١٩٩٤م ص ١٦١.

(٣) ابن ظهيرة – المصدر السابق ص ٤٨.

(٤) الفاكهي – أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ج ٥ ص ٢٢٥.

(٥) ابن كثير – التفسير ج ١ ص ٣٨٤.

(٦) ابن كثير – البداية والنهاية – دار الفكر العربي – دار نهر النيل للطباعة الجيزة – بدون تاريخ ج ١ ص ١٦٣.

(٧) سورة آل عمران الآية ٩٦.

(٨) ابن كثير – البداية والنهاية ج ١ ص ١٦٣.

عند الأنبياء، موضعه من لدن آدم إلى زمن إبراهيم ، وقد ذكر أن أدم نصب عليه قبة، وأنّ الملائكة قالوا له : قد طفنا قبلك بهذا البيت، وأن السفينة طافت به أربعين يوماً، أو نحو ذلك، وكل هذه أخبار عن بني إسرائيل، وهي لا تصدق ولا تكذب، فلا يحتج بها» . ا.هـ .

قال ابن ظهيرة [1] بعد أن ذكر ما تقدم: « فعلى هذا يكون بناء البيت ثلاث مرات : الأول بناء الخليل عليه السلام ، الثاني بناء قريش ، الثالث بناء ابن الزبير ؛ لأن بناء الخليل ثابت بنصّ الكتاب ، وبناء قريش ثابت في صحيح البخاري وغيره ، وبناء ابن الزبير والحجاج ذكره عامة المفسرين وأهل التواريخ وغيرهم من العلماء. ويحتمل أن يقال أيضا: إن الكعبة بنيت أربع مرات، الأول بناء الملائكة وآدم معاً في آن واحد، ويشهد له ما سيأتي عن ابن عباس، عند ذكر السبب في بناء آدم عليه السلام، وهو مجرد تأسيس، الثاني بناء الخليل ، الثالث بناء قريش ، الرابع بناء ابن الزبير والحجاج ، ويكون البناء
[١٧] الأول والرابع مشتركاً ، ثم القول / بأن ذلك في آنَيْن فهو تأسيس أيضاً، كما ذكره الفاسي في «شفاء الغرام» [2] ، لا بناءٌ مرتفع كغيره من الأبنية الآتي وصفها؛ لأنه حينئذ يحتاج إلى معرفة السبب في نقض بناء الملائكة، على تقدير أوليته، حتى بناه آدم ، ولم يذكر أحد شيئاً في نقض بناء آدم، أن لو كان أولاً، حتى بنته الملائكة كما ستعلمه عند ذكر أسباب الأبنية الآتية ، ولم أرَ أحداً ذكر ذلك، فيما وقفت عليه، ولا تعرض لمقدار ارتفاع بناء الملائكة وآدم في السماء كَمْ هو ، فيحتمل أنه كان مرتفعاً، وحفظ من الهدم والتغير، إلى أن بنى عليه آدم، أو الملائكة ، على الخلاف ، أيهما كان أولاً ، أو أنه انهدم

(١) ابن ظهيرة – الجامع اللطيف – ص ص ٤٥-٤٦ .

(٢) الفاسي – شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٧ وعبارته : « وإطلاق العبارة بأن « بنى الكعبة » تجوز ؛ لأنه لم يَبْنِ إلاّ بعضها » .

لتناسخ القرون ، فبني ثانياً على ما وجد من الأساس ، أوْ لم يكن هناك ارتفاع أصلاً ، بل مجرد تأسيس فبنى عليه ، ويحتمل غيـر ذلك » . ا . هـ .

فقد لاحظ ابن ظهيرة ملاحظات وجيهـة ، وسنأتي عليها في تقسيمات البناء، إن شاء اللّه تعالى .

وقال نور الدين علي بن عبد القادرالطبري في «الأرج المسكي»(١) : «وبنيت الكعبة الشريفة إحدى عشرة مرة، أولها بناء الملائكة، ثم بناء آدم ، ثم بناءُ ابن آدم وهو شيث وصي أبيه ، ثم بناء إبراهيم الخليل ، ثم بناء العمالقة ، ثم بناء جرهم ، ثم بناءُ قصي ، ثم بناءُ قريش، ثم بناءُ ابن الزبير ، ثم بناء الحجاج الثقفي ، وفي عدّه تجوز لأنه لم يبن إلا الجهة الشمالية، ثم بناء السلطان مراد خان » .

وروى السنجاري في «منائح الكرم»(٢) : «أن علي بن عبد القادر الطبري المكي جمع الأحد عشر في قوله :

/ بنى البيتَ خلقٌ وبيتُ الإله — مدى الدهر من سابق يُكرمُ [١٨]
ملائكة ، آدم ، ولده ، — خليل ، عمالقة ، جرهم
قصي ، قريش ، ونجل الزبير — وحجاج بعدهم يُعلم
وسلطاننا الملك المرتجى — مرادُ هو الماجد الأعظم

وقال الفاسي في «شفاء الغرام»(٣) : « ووجدت بخط عبداللّه بن عبد الملك

---

(١) الطبري – محيي الدين علي بن عبد القادر بن يحيى بن مجد الدين الطبري الحسيني المكي ت سنة ١٠٧٠ هـ – الأرج المسْكي في التاريخ المكي – مخطوط بمكتبة الحرم المكي ٣/ تاريخ دهلوي . –والمطبوع بتحقيق أشرف أحمد الجمال كثيرة أخطاؤه – ص ص ١٤٢ – ١٤٣ .

(٢) السنجاري – منائح الكرم ج ١ ص ٢٩ .

(٣) الفاسي – شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٧ .

المرجاني[1] : أن عبد المطلب جد النبي ﷺ بنى الكعبة بعد قصي، وقبل بناء قريش، ولم أرَ ذلك لغيره، وأخشى أن يكون وهماً، والله أعلم ».

فتحصل من عموم ما تقدم، أن البيت الحرام بني اثنتي عشرة مرة ١-بناءُ الملائكة ٢-بناءُ آدم ٣-بناءُ شيث ٤-بناءُ إبراهيم ٥-بناءُ العمالقة ٦-بناءُ جرهم ٧-بناءُ قصي ٨-بناءُ عبدالمطلب ٩-بناءُ قريش ١٠-بناءُ عبدالله بن الزبير ١١-بناءُ الحجاج ١٢-بناءُ السلطان مراد خان العثماني، وسيأتي تفصيل كل بناء على حدته، مع ذكر كل ما ورد في ذلك، وبيان رأي العلماء من مفسرين، ومحدثين، ومؤرخين، مع ما يتبع ذلك من إصلاحات، وترميمات، إلى العصر الحاضر، وبالله التوفيق.

وأما تسمية البيت المعظم بـ(الكعبة)، فقد ورد في ذلك عدة روايات منها ما ذكره الحافظ البغوي في تفسيره[2] عن مجاهد أنه قال: « سميت كعبة لتربيعها، والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة، وقال مقاتل[3] : سميت كعبة
[١٩] لانفرادها من البناء، وقيل: سميت كعبة لارتفاعها من الأرض، وأصلها/ من الخروج والارتفاع». ا.هـ.

وقال ابن الأثير في النهاية[4]: « كل شيء علا وارتفع فهو كعب، ومنه سميت الكعبة للبيت الحرام، وقيل سميت به لتكعيبها، أي تربيعها».

---

(١) عبدالله بن عبدالملك المرجاني البكري التونسي، المكي، كان حياً سنة ٧٧٠ هـ. من تصانيفه: أئمة العلم والأعيان من النبي ﷺ إلى زمنه. وبهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار. وتاريخ بني آدم إلى زمنه.

انظر: الفاسي - العقد الثمين ج ٥ ص ٢٠٣ - ٢٠٤، الحبيب الهيلة - التاريخ والمؤرخون ص ٧٠ - ٧٢.

(٢) البغوي - معالم التنزيل ج ١ ص ٤٥٧.

(٣) هو مُقاتل بن حيان النبطي مولى بكر بن وائل، كان ببلخ. البخاري - التاريخ الكبير- ج ٨، ص ١٣ رقم ١٩٧٢.

(٤) ابن الأثير - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت سنة ٦٠٦ هـ - النهاية في غريب الحديث والأثر - تحقيق محمود محمد الطناحي - دار إحياء التراث - لبنان - بدون تاريخ ج ٤ ص ١٧٩.

الأول : بناء الملائكة للكعبة المعظمة :

قال أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن الوليد الأزرقي في تاريخه[1] : «حدثنا علي بن هارون بن مسلم العجلي عن أبيه ، حدثنا القاسم بن عبدالرحمن الأنصاري ، حدثنا الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن زين العابدين بن الحسين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، قال : كنت مع أبي علي بن الحسين بمكة ، فبينما هو يطوف وأنا وراءَه ، إذ جاءَه رجل طويل ، فوضع يده على ظهر أبي ، فالتفتَ أبي إليه فقال الرجل : السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ﷺ ، إني أريد أن أسألك ، فرد عليه السلام ، وسكت أبي ، وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحِجْر ، فقام تحت الميزاب ، فقمت أنا والرجل خلفه ، فصلى ركعتي أسبوعه ، ثم استوى قاعداً ، فالتفتَ إليَّ ، فقمت فجلستُ إلى جانبه ، فقال : يا محمد ، أين هذا السائل؟ فأوْمأتُ إلى الرجل ، فجاء فجلس بين يدي أبي ، فقال له أبي : عمّ تسأل؟ فقال : إني أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت ، لِمَ كان ، وأنّى كان ، وحيث كان ، وكيف كان؟ فقال/ له أبي : نعم ، من أينَ أنت؟ قال : من أهل [٢٠]
الشام ، قال : أين مسكنك؟ قال : بيت المقدس ، قال : هل قرأت الكتابين؟ -يعني التوراة والإنجيل- قال الرجل : نعم ، فقال له أبي : يا أخا أهل الشام ، احفظ عني ولا تَرْوِ عنّي إلاّ حقاً ، أما بدء هذا الطواف بهذا البيت ، فإن الله تعالى قال للملائكة : إنّي جاعل في الأرض خليفة ، فقالت الملائكة : أي ربّ ، أخليفة من غيرنا ، ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ، ويتحاسدون ، ويتباغضون ، ويتباغون ، أي رَبّ ، اجعل ذلك الخليفة منا ، فنحن لا نفسد فيها ، ولا نسفك

(١) الأزرقي - أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - تحقيق رشدي الصالح ملحس - مكتبة الثقافة - مكة المكرمة - ط٧ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ج ١ ص ٣٢ - ٣٣ .

الدماء ، ولا نتباغض ، ولا نتحاسد ، ولا نتباغى ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدّس لك ، ونطيعك ، ولا نعصيك . فقال اللّه تعالى : إنّي أعلم ما لا تعلمون . قال : فظنت الملائكة أن ما قالوا رَدٌّ على ربهم عز وجل ، وأنه قد غضب عليهم من قولهم ، فلاذوا بالعرش ، ورفعوا رؤوسهم[1] ، وأشاروا بالأصابع يتضرَّعون ويبكون ، إشفاقا من غضبه ، وطافوا بالعرش ثلاث ساعات ، فنظر اللّه إليهم ، ونزلت الرحمة عليهم ، ووضع اللّه سبحانه وتعالى تحت العرش بيتًا ، وهو البيت المعمور ، على أربع أساطين من زبرجد ، فغشاهن ياقوتة حمراء ، وسمي ذلك البيت الضَّرَّاح . ثم قال اللّه تعالى للملائكة : طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش ، فطافت الملائكة بهذا البيت ، وتركوا العرش ، وصار أهون عليهم من العرش ، وهو البيت المعمور الذي ذكره اللّه عز وجل ، يدخله كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً . ثم إن
[٢١] اللّه تعالى بعث ملائكة ، وقال لهم : ابنوا لي في الأرض بيتاً / بمثاله وقدره ، وأمر اللّه تعالى مَنْ في الأرض من خلقه أن يطوفوا[2] بهذا البيت ، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور . فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول اللّه ﷺ ، هكذا كان »[3] .

وروى هذا الخبر ياقوت الحموي[4] ، بغير سند الأزرقي ، قال : « وحدث أبو العباس القاضي أحمد بن أبي أحمد الطبري ، حدثني المفضل بن محمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن علي الحُلْواني ، حدثنا الحسين بن إبراهيم ومحمد ابن جبير الهاشمي قال : حدثني حمزة بن عتبة عن جعفر بن محمد بن علي بن

---

(١) في الأصل « رؤسهم » .
(٢) في الأصل « يوفوا » خطأ .
(٣) إسناد الأثر منقطع .
(٤) ياقوت - معجم البلدان ج ٤ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ان أول خلق هذا البيت ، أن الله عز وجل قال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [1] . قالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [2] ثم غضب عليهم فأعرض عنهم ، فطافوا بعرش الله سبعاً ، كما يطوف الناس بالبيت الحرام ، وبقوا يسترضونه من غضبه ، يقولون : لبيك اللهم لبيك ، ربنا معذرة إليك ، نستغفرك ونتوب إليك . فرضي عنهم ، وأوحى إليهم أن ابنوا لي في الأرض بيتاً ، يطوف به من عبادي ، مَنْ أغضب عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم » . اهـ

وروى البغوي في تفسيره [3] : « عن علي بن الحسين ، أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً ، وهو البيت المعمور ، فأمر الملائكة أن يطوفوا به ، ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الأرض أن يبنوا في الأرض بيتاً على مثاله وقدره ، فبنوه ، / واسمه (الضَّرَّاح) وأمر مَنْ في الأرض أن يطوفوا به ، كما يطوف [٢٢]
أهل السماء بالبيت المعمور ، وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام ، فكانوا يحجونه ، فلما حجه آدم قالت له الملائكة : بَرَّ حجُّكَ يا آدم ، حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام » . اهـ

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره [4] : «وقد اختلف الناس في أول مَنْ بنى الكعبة ، فقيل الملائكة قبل آدم . روي هذا عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي ابن الحسين ، ذكره القرطبي ، وحكى لفظه ، وفيه غرابة » . اهـ

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٣) البغوي - تفسير ج ١ ص ٤٥٧ .

(٤) ابن كثير - تفسير ج ١ ص ١٧٣ - ١٧٤ في تفسير الآية ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ البقرة الآية ١٢٥ .

ولم يصرح ابن كثير وجه الغرابة، أهي من جهة الإسناد، أو من المعنى؟!
وهذا الخبر الذي أشار إليه ابن كثير، هو الخبر الذي رويناه في هذا الباب عن الأزرقي، وياقوت الحموي، والظاهر أن الحافظ ابن كثير عدَّ هذا الخبر من ضمن الإسرائيليات، وهي مما لا تصدق ولا تكذب، كما صرح بذلك في أمثاله هذا الخبر، واللّه أعلم.

وقال الفاسي[1] : «ذكر النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»[2] : بناء الملائكة للكعبة، وعدّ ذلك أول بنائها، ولم يذكر بناء آدم للكعبة، وذلك عجيب منه، لأن بناءَ آدم في الشهرة كبناء الملائكة أو أشهر، وإن كانا غير ثابتين، وكلا البناءين على تقدير صحتهما تأسيس، واللّه أعلم».

وروى الحافظ ابن كثير[3] في تفسيره، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[4] عن ابن أبي حاتم[5] بسنده أن رسول اللّه ﷺ قال:
[٢٣] «دُحيت / الأرض من مكة، وأَول مَنْ طاف بالبيت الملائكة، فقال اللّه: إني جاعل في الأرض خليفة- يعني مكة-» قال ابن كثير[6] : «وهذا مرسل، في سنده ضعف، وفيه مدرج، وهو أن المراد بالأرض مكة، واللّه أعلم، فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك». اهـ.

هذا حاصل ما ذكره العلماءُ في بناء الملائكة للكعبة المشرفة، واللّه أعلم.

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩١.
(٢) النووي - يحيى بن شرف - تهذيب الأسماء واللغات - القاهرة - دون تاريخ ج ١ ص.
(٣) ابن كثير - تفسير ج١ ص ٧١.
(٤) سورة البقرة - الآية ٣٠.
(٥) وسند الحديث كما يلي: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا أبو سلمة، حدثنا حماد بن عطاء ابن السائب عن عبدالرحمن بن سابط أن رسول الله ﷺ قال: «دُحيت الأرض من مكة...» ابن كثير - تفسير ج ١ ص ٧١.
(٦) ابن كثير - تفسير ج ١ ص ٧١.

الثاني : بناء آدم للكعبة المعظمة :

روى أبو الوليد الأزرقي في تاريخه[١] قال: « حدثني جدي[٢]، عن سعيد ابن سالم[٣]، عن طلحة بن عمرو الحضرمي[٤]، عن عطاء بن أبي رباح[٥]، عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- قال : لما أهبط اللّه آدم إلى الأرض من الجنة، قال: يا ربّ، ما لي لا أسمع أصوات الملائكة، ولا أحسهم ؟ قال : بخطيئتك يا آدم ولكن اذهب فابنِ لي بيتاً ، فطفْ به، واذكرْني حوله، كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي . قال: فأقبل آدم يتخطى الأرض، فطُويت له، وقُبضت له المفاوز، فصارت كلّ مفازة يمرّ بها خطوة، وقُبض له ما كان من مخاض ماء أو بحر، فجعل له خطوة، ولم تقع قدمه على شيء من الأرض إلاّ صار عمراناً وبركة، حتى انتهى إلى مكة، فبنى البيت الحرام ، وأن جبريل -عليه السلام- ضرب بجناحه الأرض، فكشف عن أسٍّ ثابت في الأرض السفلى، فقذفت / فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق حمل الصخرة ثلاثون رجلاً، وأنه بناه من خمسة أجبل من لبنان ، وطور سيناءَ ، وطور زيتاء ، والجودي، وحراء، حتى استوى على وجه الأرض. قال ابن عباس رضي اللّه عنهما : فكان أول مَنْ أسس البيت، وصلى فيه، وطاف به ، آدم عليه السلام » . اهـ . [٢٤]

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣٦ .

(٢) جد الأزرقي هو أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو الغساني أبو محمد أو أبو الوليد ، ثقة ، من العاشرة .

ابن حجر العسقلاني - تقريب التهذيب - تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف - دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ ج ١ ص ٢٥ .

(٣) سعيد بن سالم القداح أبو عثمان المكي - صدوق يهم رُمي بالإرجاء ، وكان فقيهاً ، من كبار الطبقة التاسعة . ابن حجر - تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٩٦ .

(٤) طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي - متروك ، من الطبقة السابعة . المصدر السابق ج ١ ص ٣٧٩ .

(٥) عطاء بن أبي رباح - ثقة فقيه فاضل ، لكنه كثير الإرسال ، من الطبقة الثالثة ، المصدر السابق ج٢ ص٢٢ .

قال قطب الدين في «الإعلام»[١] ، بعد ذكر شيء مما تقدم : « ولعل ذلك بعد دثور ما بنته الملائكة بأمر اللّه تعالى» .

وروى الحافظ ابن [حجر][٢] العسقلاني في «فتح الباري»[٣] ، عن طريق عطاء قال : قال آدم : إني لا أسمع أصوات الملائكة . قال : ابنِ لي بيتاً، ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحفف بيتي الذي في السماء » . اهـ.

وقال ابن جرير في تفسيره[٤] في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾[٥] : « قواعد البيت أساسه . قال : ثم اختلف أهل التأويل في القواعد الذي رفعهاإبراهيم وإسماعيل ،أهما أَحْدثا ذلك ، أم هي قواعد كانت له قبلهما؟!

فقال قوم : هي قواعد البيت ، كان بناه آدم أبو البشر بأمر اللّه إياه بذلك ثم درس مكانه ، وتعفَّى أثره بعده ، حتى بوأه اللّه إبراهيم -عليه السلام- فبناها ، فروي عن عطاء قال : « قال آدم : يا ربِّ إني لا أسمع أصوات الملائكة . قال : بخطيئتك . ولكن اهبط إلى الأرض ، وابن لي بيتاً ، ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحفف ببيتي الذي في السماء . فزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل» ، وذكر الجبال المتقدمة في رواية الأزرقي .

/ وروى التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[٦] ، عن البيهقي في [٢٥]

---

(١) قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد النهروالي - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . حققه هشام عبد العزيز عطا بإشراف سعيد عبد الفتاح - وأخطاؤه، كثيرة جداً وفاحشة - المكتبة التجارية - مكة المكرمة ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ص ٥٨ .

(٢) سقطت [حجر] من الأصل .

(٣) ابن حجر - فتح الباري ج٧ ص ٥٩ .

(٤) الطبري - تفسير ج١ ص ٥٤٦ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٦) الفاسي - شفاء الغرام ج١ ص ٩١ .

«دلائـل النبـوة»[1]، بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: « قال رسول الله ﷺ: بعث الله جبريل إلى آدم وحواء، فقال لهما: ابنيا لي بيتاً. فخط لهما جبريل، فجعل آدم يحفر، وحواء تنقل التراب، حتى أجابه الماءَ، فنودي من تحته: حسبك يا آدم. فلما بناه، أوحى الله إليه أن تطوف به، وقيل له أنت أول الناس، وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون، حتى حجه نوح عليه السلام، ثم تناسخت القرون، حتى رفع إبراهيم القواعد منه». قال البيهقي: « تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً». قال الفاسي[2]: «وروى الأزرقي بناء آدم للكعبة، واستدل له بخبرين، رواهما عن ابن عباس رضي الله عنهما، أحدهما: أنه بناه من خمسة أجبل، والآخر: كان آدم -عليه السلام- أول مَنْ أسس البيت وصلّى فيه. وفي مصنف عبدالرزاق: أن آدم بنى الكعبة من هذه الخمسة الجبال، وأن مربضه كان من حراءَ. قال المحب الطبري: والمربض ههنا، هو الأساس المستدير بالبيت». اهـ.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره[3]: «قد اختلف الناس في أول مَنْ بنى الكعبة، فقيل: الملائكة، وتقدم ذكره في ذلك. وقيل: آدم عليه السلام، رواه عبدالرزاق عن ابن جريج عن عطاء وسعيد بن المسيب وغيرهم، أن آدم بناها من خمسة أجبل - وذكر ما تقدم - قال: وهذا غريب أيضاً».

ولم يذكر وجه الغرابة، والظاهر أنه لا يقبل من هذه الأخبار إلا ما كان مرفوعاً بسند صحيح إلى النبي ﷺ، وقد صرح برأيه فيما تقدم بذلك. / ثم [٢٦]

(١) البيهقي - أحمد بن الحسين ت سنة ٤٥٨ هـ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - تحقيق السيد أحمد صقر - لجنة إحياء امهات كتب السنة بمصر ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م ج١ ص٣٩٤. ونقله السيوطي في الدر المنثور ج١ ص ١٢٩.

(٢) الفاسي - المصدر السابق ج١ ص ٩١.

(٣) ابن كثير - التفسير - ج١ ص ١٧٤.

روى في تاريخ« البداية والنهاية»[1] ، من طريق البيهقي، عن عبدالله بن عمرو ابن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء، فقال لهما: ابنيا لي بيتاً. فخطّ لهما جبريل، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل، حتى أجابه الماءَ، نودي من تحته: حسبك يا آدم، فلما بنيا، أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت. ثم تناسخت القرون، حتى رفع إبراهيم القواعد منه » قال البيهقي[2]: «تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً». قال الحافظ ابن كثير: «وهو ضعيف، ووقفه على عبدالله بن عمرو أقوى وأثبت. والله أعلم».

ثم روى من طريق الإمام الشافعي[3]، عن محمد بن كعب القرظي، أو غيره، قال: «حج آدم، فلقيته الملائكة، فقالوا: برّ نسكك يا آدم، لقد حججنا قبلك بألفي عام»، وقال: « رَوَى يونس بن بكير عن عروة بن الزبير أنه قال: ما من نبي إلاّ وقد حج البيت، إلا ما كان من هود وصالح». قال الحافظ ابن كثير: «والمقصود الحج إلى محله وبقعته، وان لم يكن ثم بناءٌ. والله أعلم».

وقال الفخر الرازي في تفسيره[4]: «أن آدم -عليه السلام-، لما أُهبط إلى الأرض، شكا الوحشة، فأمره الله تعالى ببناء الكعبة، وطاف بها، وبقي ذلك إلى زمان نوح عليه السلام، فلما أرسل الله الطوفان رفع البيت إلى السماء السابعة حيال الكعبة، يتعبد عنده الملائكة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك
[٢٧] سوى مَنْ دخل من قبل فيه. ثم بعد الطوفان اندرس موضع الكعبة، / وبقي

---

(١) لم أجده في المطبوع من البداية والنهاية. وجاء عند الفاسي في شفاء الغرام ج ١ ص ٩١ « هذا ما رواه البيهقي في دلائل النبوة وقال عنه تفرد به من أبي لهيعة هكذا مرفوعاً ».

(٢) البيهقي - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - ج ١ ص ٣٩٤.

(٣) الحلبي - علي بن برهان الدين الحلبي ت سنة ١٠٤٤ هـ - السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون - إنسان العيون - دار المعرفة - بدون تاريخ ج ١ ص ٢٤٦.

(٤) الفخر الرازي - تفسير ج ٣ ص ١٤٥.

مختفياً إلى أن بعث اللّه تعالى جبريل -صلوات اللّه عليه- إلى إبراهيم ﷺ، ودله على مكان البيت، وأمره بعمارته ، فكان المهندس جبريل ، والبنَّاء إبراهيم ، والمعين إسماعيل عليهم السلام ، واعلم أن هذين القولين يشتركان في أن الكعبة كانت موجودة في زمان آدم عليه السلام، وهذا هو الأصوب، ويدل عليه وجوه :

الأول : أن تكليف الصلاة كان لازماً في دين جميع الأنبياء عليهم السلام، بدليل قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** ﴾ (١) فدلت الآية على أن جميع الأنبياء -عليهم السلام- كانوا يسجدون للّه ، والسجدة لا بد لها من قبلة، فلو كانت قبلة شيث وإدريس ونوح -عليهم السلام- موضعاً آخر سوى القبلة، لبطل قوله : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ** ﴾ (٢) فوجب أن يقال: إن قبلة أولئك الأنبياء المتقدمين هي الكعبة، فدل هذا على أن هذه الجهة كانت أبداً مشرّفة مكرّمة .

الثاني : أن اللّه تعالى سمى مكة أم القرى ، وظاهر هذا يقتضي أنها كانت سابقة على سائر البقاع في الفضل والشرف منذ كانت موجودة .

الثالث : روي أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم فتح مكة : « إن اللّه قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر » وتحريم مكة لا يمكن إلا بعد وجود مكة .

---

(١) سورة مريم الآية ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

[٢٨] **الرابع** : أن الآثار التي حكيناها عن الصحابة والتابعين دالّة على أنها / كانت موجودة قبل زمان إبراهيم عليه السلام .

ثم قال الفخر الرازي(١) : «قال القاضي : إن الذي يقال من أنه رفع زمان الطوفان إلى السماء بعيد، وذلك لأن الموضع الشريف هو تلك الجهة المعينة، والجهة لا يمكن رفعها إلى السماء ، ألا ترى أن الكعبة -والعياذ باللّه تعالى- لو انهدمت، ونقل الأحجار والخشب والتراب ، إلى موضع آخر، لم يكن له شرف ألبتة ، ويكون شرف تلك الجهة باقياً بعد الانهدام، ويجب على كل مسلم أن يصلي إلى تلك الجهة بعينها ، وإذا كان كذلك فلا فائدة في نقل تلك الجدران إلى السماء » . اهـ.

هذا حاصل ما ذكره أهل العلم في بناء آدم -عليه السلام- للكعبة المشرفة، وكلها يقوي بعضها بعضاً. واللّه أعلم .

الثالث : بناء شيث للكعبة المعظمة :

أما بناء شيث بن آدم -عليهما السلام- فقد أتى عن طريق وهب بن منبِّه ، فروى الأزرقي(٢) بسنده إلى وهب بن منبه(٣) قال: « لما رُفعت الخيمة التي منح اللّه بها آدم -عليه السلام- من حلية الجنة حين وضعت له بمكة في موضع البيت، ومات آدم -عليه السلام- فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتاً بالطين والحجارة، فلم يزل معموراً ، يعمرونه هم ومَنْ بعدهم ، حتى كان زمن نوح عليه السلام، فنسفه الغرق ، وغير مكانه . حتى بوأ لإبراهيم » . انتهى .

---

(١) الفخر الرازي - تفسير ج ٣ ص ١٤٨ .

(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٥١ .

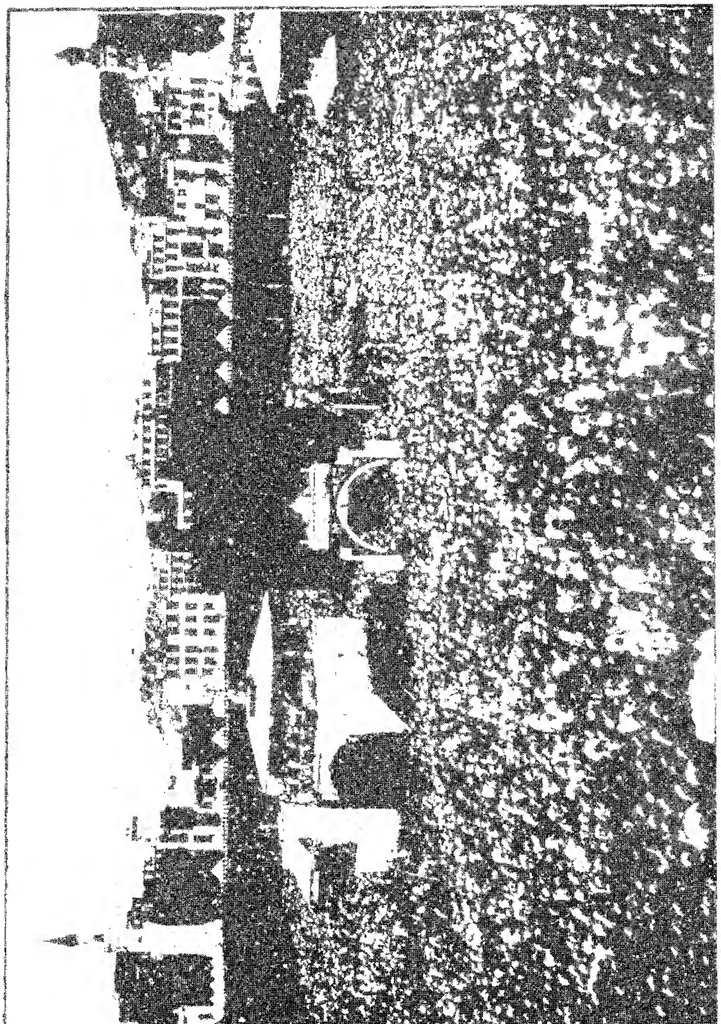
(٣) وهب بن منبه الأسوار، الإخباري القصصي اليماني ، اشتهر برواية الإسرائيليات . انظر : الذهبي -سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ص ٥٤٤ - ٥٥٧ .

/ فوهب بن منبه كان من أحبار اليهود، ثم أسلم، وأخذ عنه بعض الصحابة [٢٩]
أخبار مَنْ سلف من الأمم، وهو يرويها عن بني إسرائيل وعن التوراة، وهذه الأخبار مما لا تُصدق ولا تُكذب، حيث إن بني إسرائيل قد خلطوا في كتبهم الصدق مع الكذب، غير أنه قد ورد ما يؤيد هذه الرواية، منها: ما ذكره السهيلي في «روض الأنف»(١) : «أن أول مَنْ بنى البيت شيث». وكذلك ذكر كثير من مؤرخي مكة وغيرهم «أن ولد آدم بنوا الكعبة بعد آدم عليه السلام»، وبعضهم صرح أنه شيث، غير أنهم لم يرفعوا هذه الروايات إلى النبي ﷺ، ولم يذكروا مصدرها، ولا يبعد أن يكون شيث قد بنى الكعبة المعظمة؛ لأن بعض الروايات دلّت على أن بناءَ آدم كان رضماً، وبعضها أنه بناها بالحجر والطين، فإن صح أن آدم بناها بالحجر والطين، فلا بد أنه بمضيّ السنين قد اعتراها الخراب، وعلى رواية وهب بن منبه أنه لم يبنه آدم، وإنما وضعت له خيمة في موضع(٢) البيت المعظم، ولهذا قال السهيلي(٣) : «إن أول مَنْ بناه شيث عليه السلام»، ولكن أكثر المفسرين ذكروا بناءَ آدم للكعبة المعظمة، وبناؤه أشهر وأكثر ذكراً في كتب التفسير والسير والتاريخ من بناء شيث. وقد أورد البيهقي(٤) حديثاً مرفوعاً عن النبي ﷺ «أن آدم عليه السلام بنى الكعبة المعظمة»، إلا أن في سنده ابن لهيعة، وهو ضعيف(٥)، كما تقدم تفصيله في بناء آدم.

فتحصل مما تقدم، أن بناءَ الملائكة، وبناء آدم، وشيث، قد ورد فيها عدة روايات عن كثير من الصحابة، والتابعين من أهل العلم، / وكلها تثبت [٣٠]
ذلك، إلا أنهم لم يرفعوها إلى النبي ﷺ، ولم يصرحوا أنهم أخذوها عن بني

---

(١) السهيلي - الروض الأنف ج ١ ص ٢٢٢.
(٢) في الأصل «موضوع».
(٣) السهيلي - المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٢.
(٤) البيهقي - دلائل النبوة ج١ ص ٣٩٤، وانظر: الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩١.
(٥) في الأصل «ضيف» وهو خطأ.



صلاة الجمعة حول الكعبة في موسم الحج

صورة رقم (٥)

إسرائيل ، ولذلك تجد كثيراً من المفسرين قد اعتمدوا عليها ، وذكروها في تفاسيرهم ، غير الحافظ عماد الدين بن كثير[1] ، فإنه قد صرح بعدم قبولها ، وجزم أنها من الإسرائيليات التي لا تُصدق ولا تُكذب ، كما تقدم ذلك ، والذي جعل بعض المحققين من أهل العلم لا يعتمد عليها ، لكونها لم تأت عن طريق الوحي ، ولم يرد فيها حديث صحيح عن النبي ﷺ صريحَ في كيفية البناء ، ولا إشارة ، غير بعض الأحاديث المتقدمة التي أغلبها موقوف على بعض الصحابة ، وفيها ما هو مرفوع إلى النبي ﷺ بسند ضعيف . وأما الأخبار الواردة في كثير من كتب التفسير ، والحديث ، والتاريخ ، عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، فقد قبلها منهما بعض الصحابة مثل عبداللّه بن عباس ، وعبداللّه بن عمرو بن العاص ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم رضي اللّه عنهم ، ورفضها بعض الصحابة وعدّها من الإسرائيليات .

وقد أتيتُ بما تقدم من الأخبار والروايات في العمارات الثلاث للكعبة المعظمة ، وهي بناءُ الملائكة ، وآدم ، وشيث ، لأجل أن يقف القارئ على معظم ما ورد في ذلك من الأخبار ، التي تناقلها كثير من الرواة ، وأثبتها العلماء في مصنفاتهم من تفاسير ، ومتون الحديث ، والتاريخ ، وغير ذلك ، ويعلم درجة ثبوتها ، وما ورد فيها من الخلاف ، وعلى كلّ فهي من الأخبار التاريخية ، التي إن ثبتت وصحت لا تخلّ بشيء من أصول الدين / الحنيف ، [٣١]
ولا فروعه ، وإن لم تصحّ ، فلا يتوقف على صحتها عدم وجود الكعبة المعظمة من يوم خلق اللّه السموات والأرض ، فقد ورد في الحديث الصحيح[2] أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم فتح مكة : « إن اللّه حرم مكة يوم

(١) ابن كثير – التفسير ج ١ ص ١٧٤ .
(٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٤٩ ، ج ٤ ص ٤٦ .
صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ١٢٦ .

خلق السموات والأرض » . ولم تحرم مكة إلا لوجود الكعبة المعظمة فيها ، ولا شك أن الكعبة المعظمة موجودة من بدء[1] الخلق ، وإنما الخلاف بين العلماء في أول مَنْ بناها . والله أعلم .

الرابع : بناء إبراهيم للكعبة المعظمة :

قد ورد بناءُ إبراهيم مع ابنه إسماعيل -عليهما الصلاة والسلام- للكعبة المعظمة في القرآن المجيد ، والسنة النبوية ، المقطوع بصحتها ، في الصحيحين ، وغيرهما من كتب السنة ، وإليك ما ورد في ذلك : قال الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [2] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [3] ﴿ وَإِذْ
يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ/ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [4] . [٣٢]
وقال تعالى في سورة الحج : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [5] .

وأما ما ورد في كتب السنة ، وما نقله الخلف عن السلف في معنى ذلك ، وتفسير الآيات الواردة في القرآن المجيد ، وما دوَّنه المؤرخون في ذلك ، فإليك بيانه :

---

(١) في الأصل « بدأ » والتصحيح من المعلق .
(٢) سورة البقرة الآية ١٢٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٢٦ .
(٤) سورة البقرة الآية ١٢٧ .
(٥) سورة الحج الآية ٢٦ .

أخرج البخاري في صحيحه[1] ، عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال : «أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل - وذكر قصة مجيء إبراهيم بهاجر وابنها إسماعيل إلى مكة- إلى أن قال[2] : وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك ، حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم ، مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً[3] فقالوا : انّ هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ ، فأرسلوا جرياً أو جريين -رسلاً- فإذا هم بالماءَ، فرجعوا، فأخبروهم بالماء فأقبلوا ، قال : وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لا حقّ لكم في الماء . قالوا : نعم ، قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحبُّ الأنس » فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام - يعني إسماعيل - وتعلم العربية منهم / أنفسهم، وأعجبهم حين شبَّ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم . [٣٣]

قال المسعودي[4] : «وتزوج إسماعيل بالجواءَ بنت سعد العملاقي»، وماتت أم إسماعيل. قال المسعودي : ولها من السن تسعون سنة[4] - فجاءَ إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل، يطالع تركته: فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن في

---

(١) صحيح البخاري - المكتبة الإسلامية إستانبول - ١٩٨١م ، ج ٤ ص ١١٣ وفيه : « أول ما اتخذ النساء المنْطق من قبَل أم أسماعيل ، اتخذت منْطقاً لتُعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسَماعيل وهيَ ترضعه حتى وضعهما عندَ البيت . . . » .

(٢) نفسه ج ٤ ص ص ١١٤ - ١١٦ .

(٣) عائفاً - أي حائماً - حاشية صحيح البخاري ج ٤ ص ١١٤ .

(٤) المسعودي - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت سنة ٣٤٦ هـ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية بمصر - ط ٤ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ج ١ ص ٣٢٠ .

ضيق وشدة . فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغيّر عتبة(١) بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً(٢) فقال : هل جاء كم من أحد ؟ قالت : نعم جاء نا شيخ كذا وكذا، فسألني عنك فأخبرْته . وسألني : كيف عيشنا؟ فأخبرْته أننا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول : غيّر عتبة بابك . قال ذاك أبي، أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك . فطلقها، وتزوج منهم امرأة أخرى . قال المسعودي(٣) : «وتزوّج إسماعيل زوجة ثانية وهي شامة بنت مهلهل بن سعد عوف »(٤) .

فلبث(٥)عنهم إبراهيم ما شاء اللّه ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألهاعنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بخير وسعة . وأثنت على اللّه عز وجل . فقال ما طعامكم؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء . قال النبي ﷺ : « ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ، ولو كان لهم لدعى لهم فيه » قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، ومعنى ذلك انه لم يداوم أحد على اللحم والماء بغير مكة إلا
[٣٤] ضرّه / في بطنه . قال إبراهيم : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ وسألني عنك فأخبرته . فسألني : كيف

(١) في الأصل « عتبت » .
(٢) في الأصل « شيأ » .
(٣) المسعودي – مروج الذهب – ج ٢ ص ٤٧ .
(٤) في المطبوع من مروج الذهب « سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هيني بن نبت » ج ٢ ص ٤٧ .
(٥) عاد المؤلف إلى النقل عن البخاري ج ١ ص ١١٥ دون أن يشير إلى ذلك .

عيشنا فأخبرته أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء اللّه . ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن اللّه أمرني بأمر . قال : فاصنع ما أمر ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن اللّه أمرني أن أبني ههنا بيتاً ، وأشار إلى أَكَمَة مرتفعة على ما حولها . قال : فعند ذلك رفع القواعد من البيت . فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاءَ بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه ، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1] قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1] .

هذا ما رواه البخاري في صحيحه[2] ، من حديث بناء إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- الكعبة المعظمة .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[3] : وفي رواية إبراهيم بن نافع في البخاري[4] : «حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام . زاد في حديث عثمان ونزل عليه الركن / والمقام ، فكان إبراهيم [٣٥] يقوم على المقام يبني عليه ، ويرفعه له إسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذي فيه الركن وضعه يومئذ موضعه ، وأخذ المقام فجعله لاصقاً بالبيت » . اهـ .

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ .
(٢) صحيح البخاري - كتاب الأنبياء ج ٤ ص ص ١١٤ - ١١٦ .
(٣) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٥٩ .
(٤) صحيح البخاري ج ٤ ص ١١٧ .

وروى غير البخاري من المفسرين، وأصحاب السنن، جملة أخبار عن بناء إبراهيم وإسماعيل البيت المعظم ، فروى ابن جرير الطبري في تفسيره [1] عن مجاهد، وغيره من أهل العلم ، «أن اللّه لما بوّأ لإبراهيم مكان البيت، خرج إليه من الشام، وخرج معه إسماعيل وأمه هاجر ، وإسماعيل طفل صغير يرضع، وحملوه فيما حدثني على البراق، ومعه جبريل يدلّه على موضع البيت ومعالم الحرم . فخرج معه جبريل، فقال: كان لا يمرّ بقرية إلا قال : أفي هذه أمرت يا جبريل ؟ فيقول جبريل: امضِ . حتى قدم به مكة، وهي إذ ذاك عضاة سَلَمَ وسمر ، يرى بها أناس يقال لهم العمالقة خارج مكة وما حولها، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة ، فقال إبراهيم لجبريل: أههنا أُمرْتُ أن أضعهما ؟ قال: نعم. فعمد بهما إلى موضع الحجْر، فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [2] إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [3] قال ابن حميد، قال سلمة، قال ابن إسحاق: ويزعمون -واللّه أعلم- أن ملكاً من الملائكة أتى هاجر أم إسماعيل، حين أنزلهما إبراهيم مكة قبل أن يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فأشار لهما إلى البيت. وهو ربوة حمراء مدرة ،/ فقال لهما : هذا أول بيت وضع في الأرض، وهو بيت اللّه العتيق، واعلمي أن إبراهيم وإسماعيل يرفعانه» . فاللّه أعلم . [٣٦]

قال ابن جرير [4] : « والصواب من القول في ذلك عندنا، أن يقال: إن اللّه تعالى ذكره، أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل رفع القواعد من البيت الحرام ، وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت ، كان أهبطه مع آدم فجعله مكان

---

(١) الطبري - تفسير ج ٧ ص ١٩ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٧ . وفي الأصل « ربّي » .

(٣) في الأصل ﴿ لعلهم يشكرن﴾ .

(٤) الطبري - تفسير ج ٧ ص ١٩ .

البيت الحرام الذي بمكة ، وجائز أن يكون ذلك هو القبة ، التي ذكرها عطاء ، مما أنشأه اللّه من زبد الماء ، وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء ، وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل ، ولا علم عندنا بأي ذلك كان من أي ؛ لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن اللّه تعالى وعن رسوله ﷺ بالنقل المستفيض ، ولا خبر بذلك تقوم به الحجة ، فيجب التسليم لها . ولا هو إذا لم يكن به خبر على ما وصفنا ، مما يدل عليه بالاستدلال والمقايس ، فيمثل بغيره ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد ، فلا قول في ذلك هو أوْلى بالصواب مما قلناه ، واللّه تعالى أعلم » .

ومما يؤيد قول ابن جرير ، من جواز أن يكون لقواعد البيت وجود قبل بناء إبراهيم ، ما تقدم ذكره في بناء الملائكة ، وآدم ، وشيث ، وقد جاءَ في «فتح الباري» ، مما رواه الحافظ ابن حجر[1] عن كثير من أهل العلم ، ما يؤيد ذلك ، فقال الحافظ : « وفي رواية أحمد عن عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن سعيد عن ابن عباس رضي اللّه عنهما : القواعد التي رفعها إبراهيم كانت قواعد / [٣٧] البيت قبل ذلك . وفي رواية مجاهد عند أبي حاتم : أن القواعد كانت في الأرض السابعة . ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- رفع القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك . ومن طريق عطاء قال : قال آدم : يا ربِّ ، إني لا أسمع أصوات الملائكة ، قال : ابن لي بيتاً ، ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحفّ بيتي الذي في السماء . وفي حديث عثمان وابن جهم : فبلغ إبراهيم من الأساس أساس آدم ، وجعل طوله في السماء تسعة أذرع ، وعرضه في الأرض -يعني دوره- ثلاثين ذراعاً- ذلك بذراعهم- زاد أبو جهم : وأدخل الحِجْر في البيت ، وكان قبل ذلك زرباً لغنم إسماعيل ، وإنما بناه

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٥٩ .

بحجارة بعضها على بعض، ولم يجعل له سقفاً، وجعل له باباً، وحفر له بئراً عند بابه -خزانة للبيت- يلقي فيها ما يهدى للبيت. وفي حديثه أيضاً: أن اللّه أوحى إلى إبراهيم: أن اتبع السكينة. فحلَّقت على موضع البيت كأنها سحابة، فحفرا يريدان أساس آدم الأول. وفي حديث عليّ عند الطبري، والحاكم: رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة، فيه مثل الرأس، فكلّمه، فقال: يا إبراهيم، ابنِ على ظلّي، أوْ على قدري، ولا تزد ولا تنقص، وذلك حين يقول اللّه تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾[1] الآية.

وأما **مقام إبراهيم** ﷺ المعلوم: فهو الحجر الذي أتى به إسماعيل لأبيه إبراهيم -عليهما السلام- حينما ارتفع البناء، فقام عليه إبراهيم، وإسماعيل يناوله الحجارة إلى أن تم بناء الكعبة، كما دلت عليه الروايات التي نقلها

[٣٨] الحافظ / ابن حجر في الفتح، قال الحافظ[2] في شرح قوله: (جاءَ بهذا الحجر) يعني المقام. فلما فرغ إبراهيم من بناء الكعبة جاءَه جبريل فأراه المناسك كلها، ثم قام إبراهيم على المقام فقال: يا أيها الناس، أجيبوا ربكم. فوقف إبراهيم وإسماعيل تلك المواقف؛ وحجَّه إبراهيم، وإسحاق، وسارة، من بيت المقدس، ثم رجع إبراهيم إلى الشام فمات بالشام، قال الحافظ ابن حجر[3]: «وروى الفاكهي[4] بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- قال: قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس، كتب عليكم الحج. فأسمعَ مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه مَنْ آمن ومَنْ كان سبق في علم اللّه تعالى أنه يحج، إلى يوم القيامة، لبَّيك اللهم

(١) سورة الحج الآية ٢٦. وفي الأصل المطبوع «الإبراهيم».

(٢) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٥٩.

(٣) نفسه ج ٧ ص ٥٩.

(٤) لم أجده في المطبوع من كتاب الفاكهي.

لبيك . وفي حديث أبي جهم : « ذهب إسماعيل إلى الوادي يطلب حجراً ، فنزل جبريل بالحجر الأسود، وقد كان رفع إلى السماء حين غرقت الأرض، فلما جاءَ إسماعيل فرأى الحجر الأسود قال: من أين هذا؟ مَنْ جاء ك به ؟ قال إبراهيم : مَنْ لَمْ يكلْني إليك ولا إلى حجرك . وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي نحوه وأنه كان بالهند، وكان ياقوتة بيضاء مثل الثغامة. وهي بالمثلثة والمعجمة طير أبيض كبير . وروى الفاكهي[1] من طريق أبي بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- قال : واللّه ما بنياه بقصَّة ولا مدر، ولا كان لهما من السعة والأعوان ما يسقفانه ، ومن حديث عليّ: كان إبراهيم يبني كل يوم سافاً. انتهى . والساف كل عرق من الحائط .

وروى الحافظ ابن كثير[2]، في تفسيره حديث البخاري المتقدم ؛ « وروي/ [٣٩]
عن ابن جرير[3] بسنده عن خالد بن عروة أن رجلاً قام إلى علي -رضي اللّه عنه- فقال: ألا تخبرني عن أول بيت وُضع في الأرض ؟ فقال : لا ؛ ولكن أول بيت وضع فيه[4] البركة، مقام إبراهيم وَمَنْ دخله كان آمنا ؛ وإن شئت أنبأتك كيف بني ؛ إن اللّه أوحى إلى إبراهيم أن ابْنِ لي بيتاً في الأرض، فضاق إبراهيم بذلك ذرعاً، فأرسل اللّه السكينة -وهي ريح خجوج ولها رأسان- فَاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة، فتطوّت على موضع البيت كطيّ الجحفة، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فبنى إبراهيم، وبقي الحجر، فذهب الغلام [يبغي][5] شيئاً، فقال إبراهيم: أبغي حجراً كما آمرك . قال: فانطلق الغلام يلتمس له حجراً فأتاه به ، فوجده قد ركّب الحجر الأسود

(١) انظر : الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٣ . السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ٣٨ .
(٢) ابن كثير - التفسير ج ١ ص ص ١٧٩ ، ٣٨٤ .
(٣) الطبري - تفسير ج ٧ ص ١٩ .
(٤) في الأصل « في » ، والتصحيح من تفسير الطبري وتفسير ابن كثير .
(٥) سقطت « يبغي » من الأصل ، والإثبات من المصادر .

في مكانه . فقال : يا أبتي، مَنْ أتاك بهذا الحجر ؟ قال : أتاني به مَنْ لم يتّكل على بنائك، جاء به جبريل - عليه السلام- من السماء فأتمّاه .

وروي[1] من طريق ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب، قال: « حدثنا علي ابن أبي طالب -رضي اللّه عنه- أن إبراهيم أقبل من أرض أرمينية، ومعه السكينة تدله على تبويء البيت كما تتبوأ[2] العنكبوت بيتاً ؛ قال: فكشفت عن أحجار لا يطيق الحجر إلا ثلاثون رجلاً ؛ فقلت: يا أبا محمد، فإنّ اللّه -عز وجل- يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [3] قال: كان ذلك بعد . وقال السدي : إن اللّه -عزَّ وجل- أمر إبراهيم أن يبني البيت هو وإسماعيل ﴿ابنيا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ ؛ فانطلق إبراهيم حتى أتى مكة، فقام هو وإسماعيل وأخذا[4] المعاول لا يدريان / أين البيت ؛ فبعث اللّه ريحاً يقال لها الريح الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشّفت[5] لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول، وأتبعاها بالمعاول يحفران، حتى وضعا الأساس، فذلك حين يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [6] ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [7] فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن، قال إبراهيم لإسماعيل: يا بني، اطلب لي حجراً حسناً أضعه ههنا ، قال: يا أبت، إني كسلان لغب ، قال: علي ذلك، فانطلق يطلب له حجراً، وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند، وكان أبيض ياقوتة [٤٠]

(١) أي ابن كثير - تفسير ج١ ص ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) في الأصل « تبؤ » .

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٤) في الأصل « وأخذ » .

(٥) في الأصل « تكشت » والتصحيح من المصادر .

(٦) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٧) سورة الحج الآية ٢٦ .

بيضاء مثل الثغامة . وكان آدم هبط به من الجنة فاسْوَدَّ من خطايا الناس ، فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن ، فقال : يا أبت مَنْ جاءك بهذا ؟ قال : جاء به مَنْ هو أنشط منك . فبنيا وهما يَدعُوان الكلمات التي ابتلى إبراهيمَ ربُّه ، فقال : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1] قال ابن كثير[2] : «وفي هذا السياق ما يدلّ على أن قواعد البيت كانت مبنية قبل إبراهيم، وإنما هدي إبراهيم إليها وبوّئ لها ، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون » . وذكر عن الإمام عبدالرزاق[3] جملة روايات عن ابن عباس ، وعطاء ، وقتادة المتقدمة في بناء الملائكة وآدم ، ولم يعلق عليها بشيء .

وجاءَ في صحيح مسلم[4] ، عن عائشة ، أم المؤمنين -رضي الله عنها- عدة أحاديث مرفوعة منها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « لولا حداثة عهد قومك بالكفر / لنقضت الكعبة ، ولجعلتها على أساس إبراهيم ، فإن قريشاً [٤١] حين بنت البيت استقصرت ، ولجعلت لها خلفاً » .

ومنها قالت : قال لي النبي ﷺ : « يا عائشة ، لولا أن قومك حديثو عهد بشرك ، لهدمتُ الكعبة فألزقتها بالأرض ، وجعلتُ لها بابين ، باباً شرقياً وباباً غربياً ، وزدتُ فيها ستة أذرع من الحِجْر ، فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة» . وقد أورده البخاري في صحيحه[5] عنها . قال النووي في شرح مسلم[6] : «وفي رواية وزدت فيها ستة أذرع من الحِجْر ، وفي رواية خمسة أذرع . وفي رواية :

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ .
(٢) ابن كثير - تفسير - ج ١ ص ١٧٨ .
(٣) في الأصل « عبد الرزق » . وهو أبو بكر عبدالرّزاق بن همام الصنعاني صاحب « المصنّف » حققه حبيب الرحمن الأعظمي ط١ / منشورات المجلس العلمي ١٣٩٠ هـ . وانظر ابن كثير - تفسير ج١ ص ١٧٩ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٩١ ، وانظر : ابن كثير - تفسير ج١ ص ١٨٠ .
(٥) ابن حجر - فتح الباري في صحيح البخاري حديث رقم ١٥٨٥ ج ٧ ص ٢٣١ .
(٦) النووي - صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة المصرية ج ٩ ص ٨٩ .

قريباً: من سبع أذرع . وفي رواية: قالت عائشة : سألت رسول اللّه ﷺ عن الجدار: أمِنَ البيت هو ؟ قال: « نعم ». وفي رواية: « لولا أنّ قومك حديث عهدهم في الجاهلية، فأخاف أن تنكره قلوبهم، لنظرتُ أنْ أُدخل الجدار في البيت » - الجدر هو حجْر إسماعيل- قال النووي: قال أصحابنا: ست أذرع[1] من الحِجْر مما يَلي البيت محسوبة من البيت بلا خلاف، وفي الزّايد خلاف» . انتهى .

قال الأزرقي في تاريخه[2] ، عن ابن إسحاق : «أن الخليل -عليه السلام- لما بنى البيت، جعل طوله في السماء تسعة أذرع ، وجعل طوله في الأرض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الأسود إلى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعاً ، وجعل عرضه من قبل الميزاب من الركن الشامي إلى الركن الغربي اثنين وعشرين ذراعاً ، وجعل طوله في الأرض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربي المذكور إلى الركن اليماني إحدى وثلاثين ذراعاً ، وطول[3] / عرضه في الأرض من الركن اليماني إلى الحجر الأسود عشرين ذراعاً ، وجعل الباب لاصقاً بالأرض غير مرتفع عنها ولا مبوب ، حتى جعل لها تبّع الحميري باباً وغلق بعد ذلك ، وحفر إبراهيم -عليه السلام- في بطن البيت على يمين مَنْ دخله حفرة، لتكون خزانة للبيت، يوضع فيها ما يهدى إلى البيت وكان إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يبني، وإسماعيل -عليه السلام- ينقل له الأحجار على عاتقه، فلما ارتفع البنيان قرّب له المقام، فكان يقوم عليه ويبني، ويحوّله له إسماعيل -عليه السلام- في نواحي البيت، حتى انتهى على موضع الحجر الأسود ، فقال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: يا إسماعيل [٤٢]

(١) في الأصل « أزرع » .
(٢) الأزرقي أخبار مكة ، ج١ ص ص ٦٤ - ٦٥ .
(٣) في الأصل « وطو » .

ائتني بحجر أضعه هنا يكون علماً للناس يبتدؤون منه الطواف ، فذهب إسماعيل في طلبه، فجاءَ جبريل -عليه السلام- إلى إبراهيم - عليه السلام- بالحجر الأسود ، وكان اللّه -عز وجل- استودعه جبل أبي قبيس حين طوفان نوح فوضعه جبريل -عليه السلام- في مكانه، وبنى عليه إبراهيم، وهو حينئذ يتلألأ نوراً، فأضاءَ بنوره شرقاً وغرباً وشاماً ويمناً إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية، وإنما سودته أنجاس الجاهلية وأرجاسها . قال: ولم يكن إبراهيم -عليه السلام-سقَّف البيت ولا بناه بمدر ، وإنما رصَّه رصاً. انتهى.

وقال التقي الفاسي في «شفاء الغرام»(١) : «وذكر ابن الحاج في مناسكه شيئاً من خبر بناء إبراهيم ﷺ للكعبة، فقال : وكان صفة بناء إبراهيم ﷺ للبيت، أنه كان مدوّراً من ورائه ؛ وكان له ركنان وهما اليمانيان، فجعلت / قريش [٤٣]
حين بنوه أربعة أركان». انتهى.

وحاصل ذلك: أن إبراهيم ﷺ لما بنى البيت المعظم، جعل له ركنين، أحدهما الركن الأسود ، والثاني الركن اليماني ؛ وأما مما يلي الحجْر فلم يجعل له أركاناً، بل جعله على شكل نصف دائرة، بما يشبه الحجْر في حالته الحاضرة. قال الفاسي(٢) : وروينا عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- أنه قال: «أما واللّه ما بنياه بقصة ولا مدر ، ولا كان معهما من الأموال والأعوان ما يسقفانه، ولكنهما أعلاه وطافا به». ثم قال(٣) : « وروينا عن قتادة قال: ذكر لنا أنه -يعني الخليل- بناه من خمسة أجبل، من طور سيناء ، وطور زيتاء، ولبنان ، والجودي ، وحراء » . ثم قال (٤) : « ويروى أنه أسس البيت من ستة

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٣ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٩٣ .
(٣) نفسه ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ .
(٤) نفسه ج ١ ص ٩٤ .

أجبل، من أبي قبيس، ومن الطور ، ومن القدس ، ومن (ورقان) - وهو جبل بين المدينة ومكة وبينه وبين المدينة نحو مرحلتين وهو جبل شامخ مشهور - ومن (رضوى) وهو أعلى جبل في الحجاز واقع بين المدينة وينبع ، ووادي ينبع قريب منه -ومن (أحد) وهو بالمدينة » اهـ .

وقد تقدم في بناء آدم -عليه السلام- أنه بنى البيت المعظم من خمسة أجبل، وجاء هنا أن الخليل بناه أيضاً من تلك الجبال وغيرها ، والظاهر أن بناء الكعبة من هذه الجبال هو من الأخبار الإسرائيلية التي علمها عند اللّه ، إذ ليس في الأحاديث المرفوعة الصحيحة ما يؤيدها، واللّه أعلم بالصواب .

فتحصَّل من عموم ما رويناه في هذا الباب، عن صفة بناء إبراهيم
[٤٤] الخليل ﷺ وابنه إسماعيل -عليه السلام- للكعبة المعظمة : أنه بناه بأمر / اللّه سبحانه وتعالى، وكان الباني إبراهيم، والمساعد له إسماعيل ؛ وأنه بناه بالحجارة ، وجعل ارتفاعه إلى السماء تسعة أذرع ، وطوله من الشمال إلى الجنوب مما يلي الجهة الشرقية اثنين وثلاثين ذراعاً ، ومن الشمال إلى الجنوب مما يلي الجهة الغربية أيضاً إحدى وثلاثين ذراعاً ، ومن الشرق إلى الغرب مما يلي الجهة الجنوبية أي من الحجر الأسود إلى الركن اليماني عشرين ذراعاً، ومن الشرق إلى الغرب أيضاً مما يلي الجهة الشمالية أي من جهة حِجْر إسماعيل اثنين وعشرين ذراعاً ، وجعل له بابين ملاصقين للأرض أحدهما من الجهة الشرقية مما يلي الحجر الأسود، والثاني من الجهة الغربية مما يلي الركن اليماني على سمت الباب الشرقي، وحفر في داخله بئراً يكون خزانة له، ولم يجعل عليه سقفاً، ولا وضع على بابيه أبواباً تفتح وتغلق . واللّه أعلم .

الخامس : بناء العمالقة للبيت المعظم :

روى الأزرقي [1] عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي اللّه عنه- أنه قال في خبر بناء إبراهيم ﷺ للكعبة : «ثم انهدم - يعني البيت المعظم - فبنته العمالقة، ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم» . قال الفاسي[2] : «وذكر الفاكهي[3] بسنده عن عليّ قال : أول مَنْ بنى البيت إبراهيم ثم انهدم ، فبنته جرهم / ثم هدم البيت فبنته العمالقة ، ثم هدم فبنته قريش » . قال الفاسي[4] : « هذا يقتضي أن جرهما بَنَت البيت قبل العمالقة، والخبر الأول يقتضي أن العمالقة بنته قبل جرهم، وبه جزم المحب الطبري في القرى، واللّه أعلم » . انتهى **[٤٥]**

وعليه يكون خبر الأزرقي مرجحاً على خبر الفاكهي في هذه الرواية . قال السنجاري في تاريخ «منائح الكرم»[5] : «ذكر الفاكهي ما يقتضي بناء جرهم قبل العمالقة ، وفي هذا نظر، فإن العمالقة قبل جرهم ولم يَلِها - يعني مكة - بعد جرهم إلا خزاعة » . انتهى . والذي جعل أصحاب التاريخ يختلفون فيمن تقدم في عمارة الكعبة المعظمة من القبيلين أهم جرهم ، أم العمالقة ، كون القبيلين سكنا مكة في آن واحد، وكانت بينهما حروب -كما يأتي بيانها- فكانت الغلبة أولاً للعمالقة فبنت الكعبة المعظمة ، ثم لما صارت الغلبة ثانياً لجرهم بنت الكعبة المعظمة، واللّه أعلم .

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٦٢ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٤ .

(٣) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ١٢٨ .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٤ .

(٥) السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ٤٨ .

السادس : بناء جرهم للكعبة المعظمة :

روى الفاسي[1] عن الفاكهي أن الواقدي قال : «كان البيت قد دخله السيل من أعلى مكة فانهدم، فأعادتْهُ جرهم على بناء إبراهيم عليه السلام، وجعلوا له مصراعين وقُفْلاً ، فاستخفَّت جرهم بأمر البيت، وعملوا أموراً وأحدثوا أحداثاً لم تكن ». انتهى .

[٤٦] / وقال المسعودي في «مروج الذهب»[2] : «إنه لما قبض إسماعيل -عليه السلام- قام بالبيت بعده نابت[3] بن إسماعيل، ثم قام بعده أناس من جرهم، لغلبة جرهم على ولد إسماعيل ، وكان ملك جرهم يومئذ الحارث بن مضاض، وهو أول مَنْ ولي البيت وكان ينزل (بقعيقعان) - هو جبل شهير بمكة واقع في الجهة الغربية الشمالية من المسجد الحرام ، ومقابل لجبل أبي قبيس، وهو مطل على المسجد الحرام -وكان كلّ مَنْ دخل مكة بتجارة عشَّرها عليه، وذلك في أعلى مكة ، وملك العماليق السميدع بن هود بن حدر بن مازن، كان ينزل أجياداً ، من أسفل مكة، وكان يعشّر مَنْ دخل مكة من ناحيته، وكانت بينهم حروب ، وصارت ولاية البيت إلى العماليق ، ثم كانت لجرهم عليهم، وأقاموا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة، وكان آخر ملوكهم الحارث بن مضاض الأصغر ابن عمرو بن الحارث بن مضاض الأكبر، وزادوا في بناء البيت، ورفعته على ما كان عليه من بناء إبراهيم عليه السلام ». اهـ .

وقد أتيت بهذه الجملة التاريخية، لأجل أن يتضح للقارئ جلياً السبب الذي

---

(١) الفاسي - المصدر السابق ج ١ ص ٣٦١ .

(٢) المسعودي - مروج الذهب ج ٢ ص ٤٩ .

(٣) في الأصل « ثابت » .

جعل المؤرخين تارة يقدمون جرهماً على العمالقة، وتارة يقدمون العمالقة على جرهم . واللّه أعلم .

وقال السهيلي في «روض الأنف»[1] : «إنَّ سارقاً سرق من مال الكعبة في زمن جرهم، وإنه دخل البئر التي فيها كنزها، فسقط عليه حجر فحبسه فيها، حتى أخرج منها وانتزع المال منه، ثم بعث اللّه حية لها رأس كرأس الجَدْي بيضاء / البطن، سوداء المتن، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين ». اهـ . [٤٧]

هذا حاصل ما وقفت عليه من بناء جرهم للكعبة المعظمة، ولم أرَ أحداً من المؤرخين أوضح عن البناء المذكور أكثر مما ذكرته . واللّه أعلم .

السابع : بناء قُصَيّ للكعبة المعظمة :

ذكر الزبير بن بكار[2] قاضي مكة في كتاب النسب : «أن قصي بن كلاب لما ولي أمر البيت، جمع نفقته، ثم هدم الكعبة فبناها بنياناً لم يبن أحد ممن بناها قبله مثله» ، قال الفاسي[3] : «روى الزبير بن بكار في كتاب النسب عن أبي عبيدة من قريش بن عبد العزيز بن عمران العباسي العنبسي أنه قال : جَدَّ قصي في بناء البيت، وجمع نفقته، ثم هدمه فبناه بنياناً لم يبن أحد مِمَّن بناه مثله، وجعل وهو يبنيه يقول :

أبني لقومي بيتَ رفعتها ... ولْيَبْنِ أهل وراثها بعدي
بنيانها وتمامها وحجابها ... بيد الإله وليس بالعبد

فبناها، وسقفها بخشب الدوم الجيد وبجريد النخل ، وبناها على خمسة

(١) السهيلي - الروض الأنف ج ١ ص ٢٢٤ .
(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٥٣ .
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٥٣ .

وعشرين ذراعاً ، فلذلك يقول أعشى بكر بن وائل[١] :

إلـيَّ ونـدبي راهب الشـام والذي ... بناها قـصي وحـده وبنى جـرهم
لئن شبَّ نيران العداوة بيننـا ... ليـرتحلَنْ مني على ظهـر شـيـهم

[٤٨] / وذكر أبو عبدالله محمد بن عايد الدمشقي في مغازيه[٢] : «أن قصي بن كلاب بنى البيت الشريف»، وجزم به الإمام الماوردي في «الأحكام السلطانية»[٣] فإنه قال : « فيها أول مَنْ جدّد بناءَ الكعبة من قريش بعد إبراهيم قصي بن كلاب ، وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل» . انتهى . قال الفاسي[٤] : «وما رواه القاضي الزبير بن بكار أن قصياً بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعاً ، ففيه نظر ، لما اشتهر في الأحكام أن إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- بنى طول الكعبة تسعة أذرع ، وأن قصياً أراد أن يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعاً ، فالمعروف أنه من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص من ثلاثين ذراعاً في بناء الخليل ، بل يزيد من الثلاثين مقداراً قليلاً ، وإن أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها من هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعاً ثلاثة أذرع أو أزيد ، وكل من بنى الكعبة بعد إبراهيم -عليه السلام- لم يبنها إلا على قواعد إبراهيم ، غير أن قريشاً اقتصرت من عرضها في جهة الحجْر الشريف لأمر اقتضاه الحال ؛ وصنع ذلك الحجاج بعد عبدالله بن الزبير عناداً له ، والله أعلم » .

---

(١) أعشى بكر بن وائل - شاعر جاهلي - انظر : أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني - دار الفكر - بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ج ٤ ص ١٧٢ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٤ .
وأبو عبدالله محمد بن عايد الدمشقي - الصحيح ابن عائذ - وهو محمد بن عائذ بن أحمد القرشي الدمشقي ، من حفاظ الحديث ، كان ثقة ، ولي خراج الغوطة بدمشق للمأمون . من كتبه : الصوائف ، السير ، والمغازي . الزركلي - الأعلام ج ٦ ص ١٧٩ .

(٣) الماوردي - أبو الحسن علي بن محمد البصري - الأحكام السلطانية والولايات الدينية - مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط ٢ ١٩٦٦م ص ١٨٠ .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج١ ص ٩٤ .

الثامن : / بناء عبد المطلب للكعبة المعظمة : [٤٩]

قال التقي الفاسي في «شفاء الغرام» [١] : «ووجدت بخط عبداللّه بن عبدالملك المرجاني، أن عبدالمطلب جد النبي ﷺ بنى الكعبة بعد قصي وقبل بناء قريش، ولم أرَ ذلك لغيره، وأخشى أن يكون وَهْم، والله أعلم». اهـ .

هذا ما ذكره الفاسي عن بناء عبدالمطلب للبيت المعظم ؛ ولم أجد في الكتب التي راجعتها في تأليف هذا الكتاب لا صراحة ولا تلميحاً أن عبدالمطلب بنى الكعبة المعظمة ، والظاهر أن بناءَ عبدالمطلب لو فرض صحّته لم يشتهر ولم يتداول كغيره ، مثل بناء الملائكة، وآدم، وابنه شيث، فإنه لشهرته قد تداول رغماً عن بعد الزمن؛ ومَن حيث قد ذكر التقي الفاسي بناء عبدالمطلب، فقد ذكرته، ليقف القارئ عليه ويعلم أنّي قد أتيتُ بكل ما ورد، مع التنبيه على الصحيح، والضعيف، والثابت، والمردود، واللّه أعلم.

التاسع : بناء قريش للكعبة المعظمة :

قد ذكر أصحاب الحديث والسير ، والتاريخ ، عدة روايات في بناء قريش للكعبة المعظمة، بعضها مطوّل ، وبعضها مختصر، فروى البخاري [٢] ومسلم [٣] / عن عائشة أم المؤمنين -رضي اللّه عنها- قالت: « سألت رسول [٥٠] اللّه ﷺ عن الجَدْر أمنَ البيت هو ؟ قال: « نعم ». قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال : « ألَم تري قومك قصرت بهم النفقة » . قلت: فما شأن بابه

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩١ . وقد سبق ذلك .

(٢) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٢٩ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ص ٩٦ - ٩٧ .

مرتفعاً ؟ قال : « فعل ذلك قومك ليدخلوا مَنْ شاؤوا ويمنعوا مَنْ شاؤوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بجاهلية ، فأخاف أن تنكر قلوبهم أنْ أُدخل الجَدْر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض » . وروى البخاري عن عمرو بن دينار قال : «سمعت جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- يقول : لما بنت قريش الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك ، فخرَّ إلى الأرض، فطمحت عيناه إلى السماء فقال : « أرني إزاري » فشدّه عليه» . قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»(١) : «وروى الطبراني أيضاً ، والبيهقي في «الدلائل» من طريق عمرو ابن أبي قيس(٢) ، والطبراني في «التهذيب» من طريق هارون بن المغيرة(٣) ، وأبو نعيم في «المعرفة» من طريق قيس بن الربيع(٤) ، وفي «الدلائل» من طريق شعيب بن خالد(٥) كلهم عن سماك بن حرب(٦) عن عكرمة(٧) عن ابن عباس حدثني العباس بن عبد المطلب قال : لما بنت قريش الكعبة انفردت رجلين رجلين، ينقلون الحجارة، فكنت أنا وابن أخي، فجعلنا نأخذ أُزُرَنا فنضعها

---

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٢٧ .

(٢) عمرو بن أبي قيس - الرازي الأزرق ، كوفي نزل الري ، صدوق له أوهام من الثامنة . ابن حجر- تقريب التهذيب ج ٢ ص ٧٧ .

(٣) هارون بن المغيرة بن حكيم البجلي - أبو حمزة المروزي ثقة من التاسعة . ابن حجر - المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٣ .

(٤) قيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي ، صدوق ، تغيّر لما كبر ، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به . من السابعة - ابن حجر - المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٨ .

(٥) شعيب بن خالد البجلي الرازي القاضي ، ليس به بأس من السابعة . ابن حجر - المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٢ .

(٦) سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري الكوفي ، أبو المغيرة، صدوق . وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغير بآخرة فكان ربما يلقن . من الرابعة - المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٢.

(٧) عكرمة بن عبدالله مولى ابن عباس، أصله بربري ثقة ، ثبت . عالم بالتفسير ، من الثالثة مات سنة ١٠٧ هـ ، المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠ .

على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة، فإذا دنونا من الناس لبسنا أزرنا، فبينما هو أمامي إذ صرع، فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء. قال: فقلت لابن أخي: ما شأنك؟ قال: «نُهيت أن أمشي عرياناً». قال: فكتمته حتى أظهر اللّه نبوته». وروى الحافظ ابن حجر[1] من طريق الحاكم والطبراني «أنه كانت
الكعبة / في الجاهلية مبنية بالرضم، ليس فيها مدر، وكانت قدر ما يقتحمها [٥١]
العناق، وكانت ثيابها توضع عليها تسدل سدلاً، وكانت ذات ركنين كهيئة هذه الحلقة  فأقبلت[2] سفينة من الروم، حتى إذا كانوا قريباً من جدة انكسرت، فخرجت قريش لتأخذ خشبها، فوجدوا الرومي الذي فيها نجاراً، فقدموا به وبالخشب ليبنوا به البيت. فكانوا كلما أرادوا القرب منه لهدمه، بدت لهم حية فاتحة فاها، فبعث اللّه طيراً أعظم من النسر، فغرز مخالبه فيها فألقاها نحو أجياد. فهدمت قريش الكعبة، وبنوها بحجارة الوادي، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً، فبينما النبي ﷺ يحمل الحجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة، فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته من صغرها، فنودي «يا محمد، خمر عورتك» فلم يُرَ عرياناً بعد ذلك، وكان بين ذلك وبين المبعث خمس سنين. قال معمر[3]: وأما الزهري فقال: «لما بلغ رسول اللّه ﷺ الحلم أجمرت امرأة الكعبة، فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت، فتشاورت قريش في هدمها وهابوه، فقال الوليد: إن اللّه لا يُهلك من يريد الإصلاح. فارتقى على ظهر[4] البيت ومعه العباس، فقال: اللهم لا نريد إلا الإصلاح. ثم هدم، فلما رأوه سالماً تابعوه. قال عبدالرزاق:

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
(٢) في الأصل «فأقبلة».
(٣) معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي مولاهم، النحوي اللغوي صدوق، إخباري، وقد رُمي برأي الخوارج - من السابعة. ابن حجر - تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٦٦ .
(٤) في الأصل «ظاهر».

«وأخبرنا ابن جريج قال: قال مجاهد كان ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة»، وكذا رواه ابن عبد البر من طريق جبير بن مطعم[1] بإسناد له، وبه جزم موسى بن عقبة في مغازيه» ، قال الحافظ ابن حجر[2] : « والأول أشهر، وبه جزم ابن إسحاق » ، يعني أن الكعبة بنيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين [٥٢] / وأن سنّه إذ ذاك خمس وثلاثون سنة ، قال الحافظ ابن حجر[3] : «ويمكن الجمع بينهما بأن يكون الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء». قال:[4] وذكر ابن إسحاق : « أن السيل كان يأتي فيصيب الكعبة فيتساقط من بنائها، وكان رضماً فوق القامة ، فأرادت قريش رفعها وتسقيفها وذلك أن نفراً سرقوا كنز الكعبة» . وفي اختلافهم فيمن يضع الحجر الأسود حتى رضوا بأول داخل، فدخل النبي ﷺ فحكّموه في ذلك فوضعه بيده ، وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانية عشر ذراعاً ، ووقع عند الطبراني عن أبي الطفيل أن اسم النجار (باقوم) . وللفاكهي[5] من طريق ابن جريج مثله ، قال: وكان يتّجر إلى بندر ، وراء ساحل عدن، فانكسرت سفينته (بالشعيبة)[6] فقال لقريش: إن أجريتم عيري مع عيركم إلى الشام

---

(١) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي . صحابي عارف بالأنساب . تقريب التهذيب ج ١ ص ١٢٦ .

(٢) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٢٨ .

(٣) ابن حجر - المصدر السابق ج ٧ ص ٢٢٨ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢٢٨ .

(٥) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٢٧ .

(٦) في الأصل « بالشعبية » . تصحيف .

والشُّعَيْبة : كانت مرفأ السفن على بحر الحجاز (البحر الأحمر) لمكة قبل جده . انظر : ياقوت - معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥١ .

أعطيتكم الخشب، ففعلوا. وروى سفيان بن عُيَيْنة[1] في جامعه عن عمرو بن دينار[2] أنه سمع عبيد بن عمير يقول: اسم الذي بنى الكعبة لقريش (باقوم) وكان رومياً. وقال الأزرقي: كان طولها سبعة وعشرين ذراعاً فاقتصرت قريش منها على ثمانية عشر، ونقصوا من عرضها أذرعاً أدخلوها في الحِجْر» . هذا ما رواه الحافظ ابن حجر في «الفتح» عن بناء قريش للكعبة المشَرفة، ونقل السنجاري[3] في تاريخه عن الحلبي[4] أن بين بناء إبراهيم وإسماعيل -عليهما الصلاة والسلام-، وبين بناء قريش الكعبة ألفا سنة وستمائة وخمس وأربعون سنة ٢٦٤٥» . اهـ.

وروى ابن هشام في سيرته[5] عن ابن إسحاق أنه قال: «فلما بلغ رسول اللّه / ﷺ خمساً وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا **[٥٣]**
يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رضماً فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وجد عنده الكنز دويكاً، مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة». قال ابن هشام: «فقطعت قريش يده، وتَزعم قريش أن الذي سرقوه وضعوه عند دويك، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل

---

(١) في الأصل «عينة».
وهو سفيان بن عُيَيْنة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة، حافظ، إمام، حجة، إلا أنه تغير حفظه في آخر حياته، وكان ربما دلّس لكن من الثقات، من رؤوس الطبقة الثامنة. ابن حجر - تقريب التهذيب ج ١ ص ٣١٢.

(٢) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم، ثقة، ثبت، من الرابعة. المصدر السابق ج ٢ ص ٦٩.

(٣) السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ٣٨.

(٤) الحلبي - علي برهان الدين الشافعي ت سنة ١٠٤٤ هـ - السيرة الحلبية - إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون - المكتبة التجارية - مصر ١٩٦٢م ج ١ ص ٢٧٩.

(٥) ابن هشام - أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري - السيرة النبوية - حققها مصطفى السقا ورفاقه - تراث الإسلام ج ١ ص ١٩٨.

من تجار الروم فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدُّوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما يُهدى لها كل يوم، فتتشرَّق على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت (رفعت ذنبها) وكشَّت (صوتت) وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبينما هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث اللّه إليها طائراً فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون اللّه قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا اللّه الحية. فلماأجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تُدْخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيه مَهر بغي، ولا بيع رباً، ولا مظلَمة أحد من الناس. قال ابن إسحاق: أبو وهب خال أبي النبي ﷺ وكان شريفاً، ثم إن قريشاً تجزأت

[٥٤] / الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، وكان شق الحجر لبني عبدالدار بن قصي ولبني أسد بن عبدالعزى بن قصي، ولبني عدي بن كعب بن لؤي، وهو الحطيم. ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربَّص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإنْ أصيب لم نهدم منها شيئاً، ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء، فقد رضي اللّه صنعنا فهدمنا، فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله فهدم، وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس -أساس إبراهيم- أفضوا إلى حجارة خُضر كالأسنمة آخذ بعضها

بعضا ، ثم إن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس . قال ابن اسحاق : حُدِّثْتُ أنَّ قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : (أنا اللّه ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاءَ ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها في الماء واللبن) . ووجدوا في المقام كتاباً فيه : (مكة اللّه الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة / سبل ، لا يحلها أول من أهلها) . قال ابن إسحاق : وزعم [٥٥]
ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بأربعين سنة مكتوب فيه : (من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، تعملون السيئات وتجزون الحسنات؟! أجل كما لا يجتني من الشوك العنب) .

قال السهيلي(١) : « روى معمر بن راشد في «الجامع» عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجراً فيه ثلاثة صفوح ، في الصفح الأول : (أنا اللّه ذو بكة ، صنعتها يوم صنعت الشمس القمر) إلى آخر كلام ابن إسحاق ، وفي الصفح الثاني : (أنا اللّه ذو بكة ، خلقت الرحم واشتققت لها اسماً من اسمي ، فَمَنْ وصلها وصلته وَمَنْ قطعها بتتُّهُ) ، وفي الصفح الثالث : (أنا اللّه ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه)» انتهى . قال ابن إسحاق(٢) : «ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن . فاختصموا فيه ، كل قبيلة تُريد(٣) أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتخالفوا ، وأعدّوا للقتال ،

(١) السهيلي - الروض الأنف ج ١ ص ٢٢٧ .
(٢) ابن هشام - السيرة ج ١ ص ١٩٩ .
(٣) في الأصل « يُريد » وهو خطأ .

فقرّبت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فَسمُّوا «لعقة الدم». فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً، ثم أنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية أنّ أبا أمية بن المغيرة بن عبداللّه ابن عمرو بن مخزوم / -وكان عامئذ أسَنَّ قريش كلها- فقال: يا معشر
[٥٦] قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول مَنْ يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أول داخل رسول اللّه ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: «هلم إلي ثوباً» فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً» ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه بيده ثم بنى عليه، وكانت قريش تسمي رسول اللّه ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين، فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا، قال الزبير بن عبدالمطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

عجبتُ لما تصوّبت العقابُ ... إلى الثعبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحياناً يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدّت ... تهيبنا البناء وقد نهاب
فلما أن خشينا الزّجر[1] جاءَت ... عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها إليها ثم خلّت ... لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والتراب

(١) في الأصل «الرجز» والصحيح ما أثبتناه «الزّجر».

غداة ترفع التأسيس منه — وليس على مساوينا ثياب
أعزَّ به المليك بني لؤيٍّ — فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدي — ومرة قد تقدمها كلاب
فبوَّأنا[1] المليك بذاك عزاً — وعند اللّه يُلتمس الثواب

[٥٧] قال ابن إسحاق[2] : « وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانية عشر ذراعاً، وكانت تُكسى القباطي ، ثم كُسيت بعد البرود ، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف » . اهـ.

هذا ما قاله ابن إسحاق في عمارة قريش للكعبة المشرفة ، وقد نقل هذه الرواية الحافظ ابن كثير في تفسيره[3] ، ولم يعلّق عليها شيئاً ، ولم يزد عليها رواية أخرى ، وكأنه اكتفى بها . واللّه أعلم .

وروى التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[4] الخلاف الواقع في سن النبي ﷺ ، والخلاف الواقع في ذرع الكعبة التي بنتها عليها قريش ، فقال : «ثبت في السنة الصحيحة أن النبي ﷺ حضر بناءَ قريش وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، كما جزم به موسى بن عقبة في مغازيه[5] ، وابن جماعة في منسكه ، ونقله مغلطاي[1] عن تاريخ يعقوب بن يوسف ، قال : « وجعلوا ارتفاعها من

---

(١) في الأصل « فبؤنا » - والصحيح ما أثبتناه .
(٢) ابن هشام - السيرة ج ١ ص ٢٠٠ .
(٣) ابن كثير - تفسيرو - ج ١ ص ١٨٢ .
(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٥ .
(٥) موسى بن عقبة بن أبي عياش أبو محمد القرشي - صاحب المغازي ، وثقه الشيخان وابن سعد وغيرهم . انظر : البخاري - التاريخ الكبير ج ٧ ص ٢٩٢ . الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ١١٤ - ١١٨ .

خارجها من أعلاها إلى الأرض ثمانية عشر ذراعاً ، منها تسعة أذرع زائدة على طولها حين عمرها الخليل عليه السلام ، واقتصروا من عرضها أذرعاً جعلوها في الحِجْر ، ورفعوا بابها وكبسوها بالحجارة ، وجعلوا في داخلها ست دعائم في صفين، ثلاث في كل صف من الشق الذي يلي الحجر إلى الشق اليماني ، وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها إلى سطحها ، وجعلوه سطحاً وجعلوا فيه ميزاب يصب في الحجر»، ثم قال[1] : «هذا ملخص بالمعنى مختصر مما ذكره / الأزرقي ، وقد ذكر الأزرقي[2]
[٥٨] والفاكهي[3] في القدر الذي زادته قريش في طول الكعبة على بناء الخليل -عليه السلام- أمراً يستغرب ، ومن ذلك رواية الفاكهي في الحجر الأسود ووضعه في موضعه حين بنتها قريش عن حسان بن ثابت قال : رأيت عبدالمطلب بن هاشم جالساً على سور الكعبة وهو شيخ كبير قد ربط له حاجباه، وهم يختصمون في الركن ليرفعوه إليه، فلما قضى فيه رسول اللّه ﷺ ما قضى، ورفعته قريش في الثوب حتى وضعه رسول اللّه ﷺ بيده الشريفة، فرفعه إلى عبدالمطلب، وكان هو الذي وضعه بيده.

وقد روى الفاسي غير ذلك من الروايات التي لا تنطبق على الحقيقة، ثم ردها وأبان الصواب في ذلك . ولو أردت أن أنقل كلّ ما قيل في ذلك لاحتاج الأمر إلى وضع جزء خاص لبناء قريش للكعبة المشرفة فقط، ولكن سأكتفي بما

---

(١) مغلطاي بن قليج بن عبدالله البكجري المصري أبو عبدالله ، مؤرخ ، من حفاظ الحديث ، عارف بالأنساب له كثير من المؤلفات أشهرها : الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم، وهذا الكتاب يُحقّق الآن في قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى . انظر : الزركلي- الأعلام ج ٧ ص ٢٧٥ .

(١) أي الفاسي في شفاء الغرام ج ١ ص ٩٦ .

(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١٧١ .

(٣) الفاكهي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٢٦ .

تقدم، وبما ذكره الحافظ نجم الدين بن فهد القرشي الهاشمي في كتابه «إتحاف الورى»، حيث قد استوعب كل ما ذكره الأزرقي والفاكهي وغيرهما، ولخصه ونظمه في عبارة واحدة، وإليك حاصلها بعد حذف المتكرر والمترادف فيها :

قال الحافظ نجم الدين بن فهد[1] في حوادث سنة خمس وثلاثين من ولادة النبي ﷺ : «هدمت قريش الكعبة وجددت عمارتها، وذلك أن الكعبة كانت مبنية رضم يابس ليس بمدر، تنزوه[2] العناق، وكان بابها بالأرض ولم يكن لها سقف، وإنما تدلى الكسوة على الجدار من الخارج، وتربط من / أعلى الجدر من بطنها، وكان في بطن الكعبة عن يمين الداخل جُب، يكون فيه ما يُهدى إلى [٥٩]
الكعبة من مال وحلية، كهيئة الخزانة، وكان يكون على ذلك الجب حية تحرسه، بعثهااللّه منذ زمن جرهم، وذلك أنه عدا على ذلك الجب قوم من جرهم، فسرقوا مالها وحلْيتها مرة بعد مرة، فبعث اللّه تلك الحية، فحرُسَت الكعبة وما فيها خمسمائة سنة، فلم يزل كذلك حتى بنت قريش الكعبَة ، وكان قرنا الكبش الذي ذبحه إبراهيم ﷺ معلقين في بطنها بالجدر ، وكان فيها معاليق من حلية كانت تُهدى للكعبة، وكانت على ذلك ، ثم إن امرأة من قريش ذهبت تجمر الكعبة - تبخِّرها - فطارت من مجمرتها شرارة فاحترقت كسوتها، وكانت الكسوة عليها ركاماً بعضها فوق بعض، فلما احترقت الكعبة وهنت جدرانها من كل جانب وتصدَّعت ، ولمكة سيول عوارم، فجاءَ سيل على تلك الحال فدخل الكعبة وصدع جدرانها، ففزعت من ذلك قريش فزعاً شديداً، وخافوا أن تنهدم، وهابوا هدمها وخشوا إن مسوها أن ينزل عليهم العذاب، وسرق من الكعبة حلة وغزال من ذهب كان عليه درٌّ ، وجوهر ، فبينما هم على

(١) ابن فهد النجم - عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد ت سنة ٨٨٥هـ - إتحاف الورى بأخبار أم القرى - مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - من التراث الإسلامي الكتاب العشرون - دار المدني - جدة ج ١ ص ص ١٤٤ - ١٦٠ .
(٢) في الأصل « تتروه » وهو خطأ .

ذلك ينتظرون ويتشاورون، إذ أقبلت سفينة من الروم، حتى إذا كانت بالشعيبة[1] -وهي يومئذ ساحل مكة- انكسرت، فسمعت بها قريش، فركب الوليد بن المغيرة في نفر من قريش فاشتروا خشبها وأعدّوه لسقف الكعبة، وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعون ما معهم من متاعهم، على أن لا يعشروهم، وكانوا يعشرون مَنْ دخلها من / تجار الروم، كما كانت الروم تعشّر مَنْ دخل منهم بلادها، فكان في السفينة رومي نجار يسمى (باقوم)، [٦٠]
وكان بانياً، فكلموه بأن يقدم معهم ويبني لهم الكعبة بنيان الشام، فلما قدموا بالخشب مكة قالوا: [لو][2] بنينا بيت ربنا. فأجمعوا لذلك وتعاونوا وترافدوا في النفقة، واختلفوا في بنيان مقدم البيت، فقال أبو أمية بن المغيرة: يا معشر قريش، لا تنافسوا ولا تباغضوا، فيطمع فيكم غيركم، ولكن جزّئوا[3] البيت أربعة أجزاء، ثم ربعوا القبائل فليكن أرباعاً، ثم اقترعوا عند هُبَل في بطن الكعبة على جوانبها، فطار قدْح بني عبدمناف وبنى زهرة على الوجه الذي فيه الباب وهو الشرقي، وقدح بني عبدالدار، وبني أسد بن عبد العزى، وبنو عدي على الشق الذي يلي الحِجْر وهو الشق الشامي، وطار قدح بني سهم، وبني جمح، وبني عامر بن لؤي، على ظهر الكعبة وهو الشق الغربي، وطار قدح تَيْم، وبني مخزوم، وقبائل من قريش على الشق اليماني التي لبني الصيفي. وأمروا بالحجارة أن تجمع بين أجياد والضواحي، وكانت قريش تنقل بنفسها الحجارة تبركاً بالكعبة، وكان النبي ﷺ ينقل معهم الحجارة على رقبته. قال العباس: إنّا كنا لننقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت، وأفردت قريش رَجلَيْن، أي قسمين: الرجال ينقلون الحجارة والنساء ينقلن

(١) في الأصل «بالشعبية» وهو خطأ.
(٢) سقطت من الأصل والإثبات من ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج١ ص ١٤٦.
(٣) في الأصل «جزّؤا».

(الشـيـد) - هو كل شيء يطلى به الحـائط من جص أو بلاط ، وكنت أنا وابن أخي، وكنا نحمل على رقـابنا وأزرنا[1] تحت الحجـارة، فـإذا غـشـينا الناس إتزرنا ، فبينا أنا أمشي ومحمد قدامي ليس عليه شيء ، فخرّ محمد فانبطح على وجهه، فجئتُ أسعى / وألقيت حجري، وهو ينظر إلى السماء فقلت: ما شأنك ؟ فقام فأخذ إزاره، ثم قال: « نُهيتُ أن أمشي عرياناً » قلت: أكتمه للناس مخافة أن يقولوا مجنون . ولما أن أجمعت قريش على هدم الكعبة أخرجوا ما كان فيها من حلية ، ومال ، وقرني الكبش ، وجعلوه عند أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي ، وأخرجوا (هبل)، وكان على الجب الذي فيه ، نصبه عمرو بن لحي هناك، ونُصب عند المقام . [٦١]

ولما اجتمع لهم ما يريدون من الحجارة والخشب وما يحتاجون إليه، غدوا على هدمها ، فخرجت الحية التي كانت في بطنها تحرسها ، سوداءَ الظهر بيضاءَ البطن ، رأسها مثل رأس الجدي ، تمنعهم كلما أرادوا هدمها فلما رأوا ذلك اعتزلوا عند مقام إبراهيم ، وهو يومئذ في مكانه الذي هو فيه اليوم ، فقال لهم الوليد بن المغيرة -ويقال أبو أُحيحة سعيد بن العاص- : يا قوم، ألستم تريدون بهدمها الإصلاح ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن اللّه لا يهلك المصلحين ، ولا تدخلوا في عمارة بيت ربكم إلاّ من طيب أموالكم، ولا تدخلوا فيه مالاً من رباً، ولا من مال ميسر، ولا مهر بغي، وجنبوه الخبث من أموالكم ، وما لم تقاطعوا فيه رحماً، ولم تظلموا فيه أحداً من الناس، فإن اللّه لا يقبل إلا طيباً .

ففعلوا، ثم وقفوا عند المقام ، فقاموا يدعون ربهم ويقولون : اللهم إن كان لك في هدمها رضاً فأتمه ، وأشغل عنا هذا الثعبان ؛ فأقبل طائر من جوّ السماء كهيئة العقاب ، ظهره أسود، وبطنه أبيض، ورجلاه صفراء ، وإن الحية على جدر البيت فاغرٌ فاها ، فأخذ برأسها ثم طار بها حتى أدخلها / أجياد

(١) في الأصل « وأوزرنا » .

[٦٢] الصغير، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون اللّه سبحانه قد رضي عملكم وقبل نفقتكم، فاهدموه . ثم إن قريشاً هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال لهم الوليد بن المغيرة: أتريدون بهدمها الإصلاح ، أم تريدون الإساءَة ؟ فقالوا: بل نريد الإصلاح . قال: فإنّ اللّه لا يُهلك المصلح . فقالوا: فَمَنْ الذي يعلوها فيبدأ بهدمها ؟ فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها، أنا شيخ كبير فإن أصابني أمر كان قد دنا أجلي، وإن كان غير ذلك لم يرزأني(١) . فعلا البيت وفي يده عتلة ، أو معول ، أو فأس ، يهدم بها، فتزعزع من تحت رجله حجر، فقال : اللهم لم ترع(٢) ، إنما أردنا إلا الإصلاح، وإنا لا نريد إلا الخير . وجعل يهدمها حجراً حجراً بالعتلة، فهدم يومه ذلك من ناحية الركنين، فقالت قريش : نخاف أنْ ينزل به العذاب إذا أمسى. فتربّص الناس به تلك الليلة وقالوا: ننظر فإن أصيب، لم نهدم شيئاً ورددناه كما كان ، وإن لم يصبه شيءٌ فقد رضي اللّه ما صنعنا . فأصبح الوليد غادياً على عمله ، فلما رأته قريش ولم يأتهم ما يخافون من العذاب فهدمت قريش معه، حتى بلغوا الأساس الذي رفع عليه إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فأفضوا إلى حجارة خضر، كأنها الإبل الخلف، لا يطيق الحجر منها ثلاثون رجلاً ، يُحرِّك الحجر منها فَتَرْتَجّ(٣) جوانبها، قد تشبك بعضها ببعض، فأدخل الوليد بن المغيرة عتلته بين حجرين منها فانقلعت منه فلقة، فأخذها أبو وهب بن عمرو المخزومي، فنزت من يده حتى عادت في مكانها، وطارت من تحتها بَرْقَةٌ كادت أن تخطف / أبصارهم، ورجّت مكة بأسرها ، فلما رأوا ذلك أمسكوا

(١) في الأصل « يزرني » وهو خطأ والإثبات من ابن فهد - إتحاف الورى ج١ ص ١٥١ .

(١) الصحيح « لا ترع » كما عند ابن فهد - إتحاف الورى ج١ ص ١٥ .

(٣) في الأصل « فدنح » وهو خطأ والإثبات من ابن فهد - إتحاف الورى ج ١ ص ١٥٢ .

عن أن ينظروا ما تحت ذلك، ووجدوا في أساس ركن البيت حجر مكتوب [٦٣]
-وذكر ما كتب عليه مما تقدم- ووجدوا في بئر الكعبة في نقضها كتابين من صفر مثل بيض النعامة مكتوب في أحدهما: (هذا بيت اللّه الحرام، ورزق أهله العبادة لا يحله أول من أهله) والآخر: (براءة لبني فلان - حي من العرب من حجّة حجوها)[١] ووجدوا في الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود، فإذا هو: (أنا اللّه ذو بكة)[٢] حسب ما تقدم نصه. فلما جمعوا ما أخرجوه من النفقة قلّت النفقة على أن تبلغ بهم عمارة البيت كله، فتشاوروا في ذلك، فأجمع رأيهم على أن يقصروا عن القواعد، ويحجزوا ما يقدرون عليه من بناء البيت، ويتركوا بقيته في الحِجْر عليه جدار مُدار، يطوفوا الناس من ورائه، ففعلوا ذلك وبنوا في بطن الكعبة أساساً يبنون عليه من شق الحِجْر، وتركوا من ورائه في الحجر ستة أذرع وشبراً، فبنوا على ذلك فلما وضعوا أيديهم في بنائها، قال أبو حذيفة بن المغيرة: يا معشر قريش ارفعوا باب الكعبة عن الأرض، واكبسوها حتى لا يدخلها السيول، ولا تُرْقى إلا بسلم، ولا يدخلها إلا مَنْ أردتم، ثم إن جاءَ أحد ممن تكرهون رميتم به فيسقط، فكان نكالاً لمن رآه. ففعلوا ذلك، وبنوها ساف من حجارة وساف من خشب، فبنوا الحجارة حتى انتهوا إلى موضع الركن، فاختلفوا في وضعه، وكثر الكلام فيه، وتنافسوا في ذلك، فقالت بنو عبد مناف وزهرة / :
هو في الشق الذي وقع لنا. وقالت تَيْم ومخزوم: هو في الشّقّ الذي لنا، [٦٤]
وقالت سائر القبائل: لم يكن الركن مما استَهَمْنا عليه، وقالت كل قبيلة:

---

(١) نقل المؤلف العبارة خطأً هكذا: «براة لبني فلاحي من العرب من حجه حجوها».
والصحيح: براءة لبني فلان - حيّ من العرب من حجّة حجوها». ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ١ ص ١٥٤.

(٢) تقدم نصه فيما سبق من الكتاب - انظر النصوص كاملة - ابن فهد النجم ج ١ ص ١٥٥ - ١٥٦.

نحن أحقّ بوضعه ، واختلفوا حتى تواعدوا للقتال، وقربت بنو عبدالدار جفنة مملوءةَ دَماً، وأدخلوا أيديهم في الدم، وتعاقدوا على الموت، فَسُمُّوا «لَعقة الدّم» . فمكثوا أربع ليال كذلك، ثم تشاوروا، فقال أبو أمية حذيفة بن المغيرة المخزومي - وكان أسَنَّ قريش يومئذ - : يا قوم، إنما أردنا البرّ ، ولم نرد الشرّ، فلا تحاسدوا ، ولا تنافسوا ، فإنكم إذا اختلفتم شُتّتت أموركم ، وطمع فيكم غيركم ، ولكن حكّموا بينكم أول مَنْ يطلع عليكم من هذا الفج ، وقيل: أول مَنْ يدخل من هذه السكة ، ويقال : أول مَنْ يدخل من باب هذا المسجد -يريد باب بني شيبة- فقالوا : رضينا وسلمنا ، فطلع رسول اللّه ﷺ ، فكان أول مَنْ دخل من باب بني شيبة ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضينا بما قضى بيننا . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال: « هلموا إلي ثوباً » فأتي بثوب، يقال إنه كساء[1] أبيض من متاع الشام للوليد بن المغيرة ، ويروى أنه وضع رسول اللّه ﷺ رداءه ، وبسطه في الأرض، ثم وضع فيه الركن بيده الشريفة، ثم قال: « ليأت من كل ربع من أرباع قريش رجل » . فكان في ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وفي الربع الثاني أبو زمعة بن الأسود بن المطلب وكان أسن القوم ، وفي الربع الثالث العاص بن وائل وقيل قيس بن عدي السهمي ، وفي الربع الرابع أبو حذيفة بن المغيرة. ثم قال / رسول اللّه ﷺ : «ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب، ثم ارفعوه جميعاً»، وفي رواية [٦٥]
فقال النبي ﷺ : «لتأخذ كل قبيلة بناحية [من][2] الثوب». ثم قال: «ارفعوه جميعاً» ، ثم ارتقى النبي ﷺ على الجدر ، ورفع القوم إليه الركن، حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه رسول اللّه ﷺ بيده في موضعه ذلك . فبنوا حتى

---

(١) في الأصل « كساً » .

(٢) سقطت من الأصل . والإثبات من ابن فهد- إتحاف الورى ، ج ١ ص ١٥٨ .

رفعوا أربعة أذرع وشبراً ، ثم كبسوها ، ووضعوا بابها مرتفعاً على هذا الذرع ، ورفعوها مدماك من خشب ومدماك من حجارة ، وكان طولها تسعة أذرع ، فاستقصروا طولها ، وأرادوا الزيادة فيها ، فبنوها وزادوا في طولها تسعة أذرع ، وكرهوا أن تكون[1] بغير سقف ، فلما بلغوا السقف قال لهم (باقوم) الرومي : أتحبّون[2] أن تجعلوا سقفها مكبساً أو مسطحاً ؟ فقالوا : بل ابن بيت ربنا سطحاً. فبنوه سطحاً، وجعلوا فيه ست دعائم في صفين ، كل صف ثلاث دعائم من الشق الشامي الذي يلي الحجر إلى الشق اليماني ، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذراعاً ، وكانت قبل ذلك تسعة أذرع ، وبنوها من أعلاها إلى أسفلها فكانت خمسة عشر مدماكاً من الخشب وستة عشر مدماكاً من الحجارة ، وجعلوا ميزابها يسكب في الحِجْر ، وجعلوا درجة من خشب في بطنها في الركن الشامي يصعد فيها إلى ظَهرها ، وزوّقوا سقفها وجدرانها من باطنها ودعائمها ، وجعلوا في دعائمها صُورَ الأنبياء ، فكانت صورة إبراهيم -خليل الرحمن- شيخ يستقسم بالأزلام ، وصور الملائكة عليهم السلام أجمعين ، وصورة / الشجر ، وصورة مريم مزوّقة[3]
[٦٦] في حجرها عيسى ابنها قاعداً مزوقاً ، وكان مثال عيسى وأمه في العمود الذي يلي الباب ، ويقال في الوسطى من اللاتي تلي الباب - والظاهر أن ذلك من اختراع (باقوم) الرومي الباني ، لأنه مسيحي[4] - وجعلوا لها باباً واحداً ، وكان يغلق ويفتح .

فلما فرغوا من بناء البيت ردوا المال في الجب، وعلقوا فيه الحلية وقرنا

---

(١) في الأصل « يكون » والإثبات من ابن فهد - إتحاف الورى ج ١ ص ١٥٨ .

(٢) في الأصل « أن تحبون » والإثبات من ابن فهد ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) في الأصل « مزوقاً » والإثبات من ابن فهد ج ١ ص ١٥٩ .

(٤) هذا تعليق من المؤلف ، والأفضل استخدام المصطلح الإسلامي « نصراني » .

الكبش، وردّوا الجبّ في مكانه فيما يلي الشق الشامي . ونصبوا هُبَل على الجب كما كان قبل ذلك، وكسوها حين فرغوا من بنائها حبرات يمانية، ويقال كسوها الوصايل ، وردموا الردم الأعلى، وصرفوا السيل عن الكعبة .

وكانوا يفتحون الكعبة يوم الإثنين والخميس، وكان الحُجّاب يجلسون عند الباب ، فيرتقي الرجل[1] ، فإذا كانوا لا يريدون دخوله يرفع ويطرح، فربما عطب، وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء، يعظمون ذلك، ويضعون نعالهم تحت الدرج ؛ وأول من خلع الخف والنعل فلم يدخل بهما الوليد بن المغيرة إعظاماً لها، فجرى ذلك سُنَّة» . اهـ.

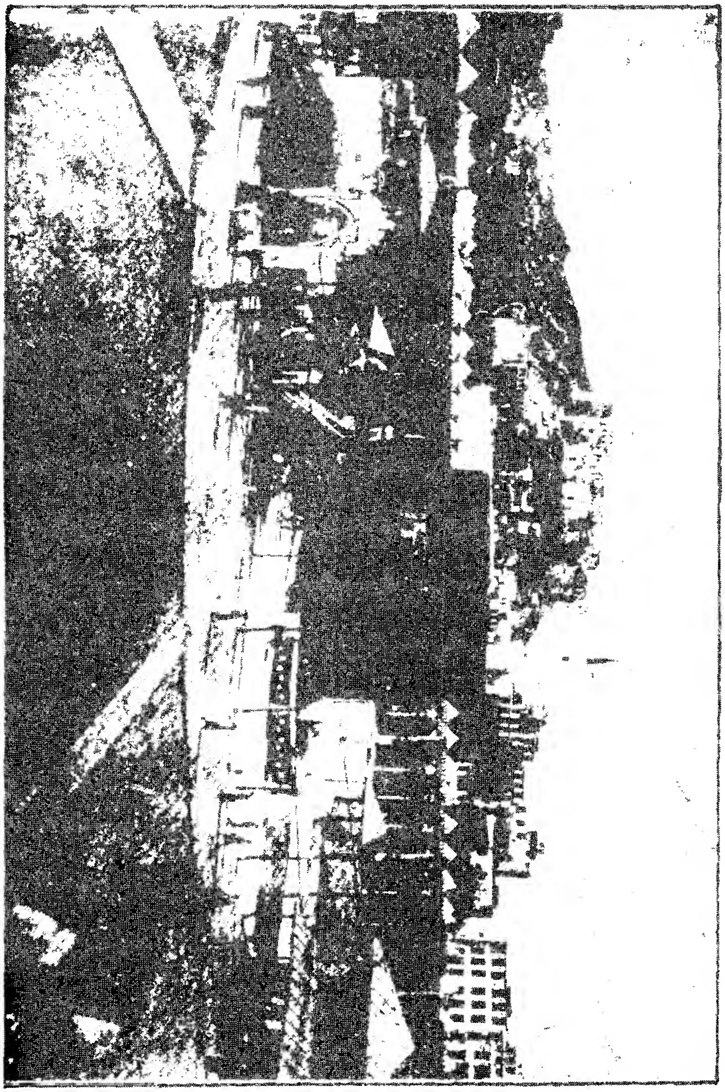
هذا ما ذكره الحافظ نجم الدين بن فهد القرشي الهاشمي في تاريخه «إتحاف الورى بأخبار أم القرى»[2] ، وقدجمع عموم الروايات التي وردت في ذلك، وقد راجعت عموم ما وقع في يدي من تواريخ مكة، مثل الأزرقي، والفاسي، وابن ظهيرة، وقطب الدين، والمحب الطبري، وعلي بن عبد القادر الطبري، والسنجاري، وغيرهم فلم أجد عند أحدهم شيئاً زائداً / عن ابن فهد، بل
[٦٧] معظمهم لخص القصة وبعضهم جاء بطرف منها ، وأما الفاكهي فلم أعثر على تاريخه، وكل ما ذكرته عن الفاكهي هو مأخوذ عن المؤرخين ، وأما ما ورد في الصحيحين وشروحهما وما ذكر عن ابن إسحاق فقد أتيت به ، والله أعلم .

---

(١) في الأصل «الرجال» والإثبات من ابن فهد ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ١ ص ص ١٤٤ - ١٦٠ .

جهة الكعبة المعظمة الشرقية وبها الباب



ويظهر أيضا المنبر ومقام إبراهيم وباب شيبة وبئر زمزم والمقامات الأربعة

والجهة الشمالية وبها حجر إسماعيل وميزاب الكعبة، وقد فتح باب الكعبة والناس يصعدون لزيارتها

صورة رقم (٦)

العاشر : بناء عبدالله بن الزبير للكعبة المعظمة :

(سنة ٦٤ هجرية يوافق سنة ٦٨٣ ميلادية) .

قد ورد خبر بناء عبدالله بن الزبير(١) -رضي الله عنهما- في البخاري، ومسلم، وكتب السِّير، والتاريخ، وغيرهم. فروى البخاري في صحيحه(٢) قال: « حدثنا بيان بن عمرو، حدثنا يزيد، حدثنا جرير بن حازم قال: حدثنا يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال لها: « يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين شرقياً وغربياً، فبلغت به أساس إبراهيم ». فذلك الذي حمل ابن الزبير على هدمه، قال يزيد: وشهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه، وأدخل فيه من الحِجْر، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنمة الإبل، قال جرير: فقلت له: أين موضعه؟ قال: أريكه الآن. فدخلت معه الحِجْر، فأشار إلى مكان فقال:
[٦٨] ههنا. قال جرير: فحزرت من / الحجر ستة أذرع ونحوها ». اهـ .

وروى مسلم في صحيحه(٣) قال: « حدثنا هناد بن السري، حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرنا ابن أبي سليمان عن عطاء قال: لما احترق البيت في زمن يزيد بن معاوية، حين غزاها أهل الشام فكان منْ أمره ما كان، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم، يريد أن يجرّئهم ويحزبهم على أهل الشام، فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس، أشيروا عليَّ في الكعبة، أنقضها ثم أبني بناءها ؟ أو أصلح ما وهى منها ؟ قال ابن عباس: فإني قد فرق لي رأي فيها، أرى أن تصلح ما وهى منها، وتدع بيتاً أسلم الناس عليه، وأحجاراً أسلم الناس عليها، وبعث

(١) في الأصل « زبير » .
(٢) البخاري - صحيح - باب فضل مكة وبنائها ج ٢ ص ص ١٥٦ - ١٥٧ .
وانظر فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٢٣٢ الحديث رقم ١٥٨٦ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٩٢ .

عليها النبي ﷺ. فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدد، فكيف بيت ربكم ، إني مستخير ربي ثلاثاً، ثم عازم على أمري . فلما مضت الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها ، فتحاماه الناس أنْ ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء ، حتى صعده رجل ، فألقى منه حجارة ، فلما لم يره الناس أصابه شيءٌ ، تتابعوا فنقضوه ، حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور ، حتى ارتفع بناؤه وقال ابن الزبير : إني سمعت عائشة تقول : إن النبي ﷺ قال : « لولا الناس حديث عهدهم بكفر ، وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحِجْر خمسة أذرع ، ولجعلت فيه من الحِجْر خمسة أذرع ، ولجعلت لها باباً يدخَل الناس منه وباباً يخرجون منه» . قالَ: فأنا اليوم أجد ما أنفق ، ولست أخاف / الناس ، [٦٩]
قال : فزاد فيه خمس أذرع من الحِجْر حتى أبدى أسّاً نظر الناس إليه ، فبنى عليه البناءَ ، وكان طول الكعبة ثمانية عَشر ذراعاً ، فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشرة أذرع ، وجعل له بابين ، أحدهما يدخل منه ، والآخر يخرج منه» . انتهى .

إلى هنا انتهت رواية مسلم في سبب بناء ابن الزبير للكعبة المعظمة ، ثم تابع الرواية ببناء الحجاج ، فتركتُ ذلك إلى أن يأتي ذكر بناء الحجاج .

وروى الحافظ ابن حجر في «الفتح»(١) عدة روايات ، في حرق أهل الشام الكعبة المعظمة ورميهم بالمجانيق عليها ، وهذا الذي دعا عبدالله بن الزبير إلى بنائها على قواعد إبراهيم . قال الحافظ(٢) : « وللفاكهي في كتاب مكة ، من طريق أبي أويس عن يزيد بن رومان وغيره قالوا : لما أحرق أهل الشام الكعبة ورموها بالمنجنيق وهدمت الكعبة .

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٣ .
(٢) نفسه ج ٧ ص ٢٣٣ .

ولابن سعد في «الطبقات»، من طريق أبي الحارث بن زمعة قال: ارتحل الحصين بن نمير -يعني الأمير الذي كان يقاتل ابن الزبير من قبل يزيد بن معاوية- لما أتاهم موت يزيد بن معاوية، في ربيع الآخر سنة ٦٤ قال: فأمر ابن الزبير بالخصاص التي كانت حول الكعبة فهدمت، فإذا الكعبة تنفض -أي تتحرك متوهنة- ترتجّ من أعلاها إلى أسفلها، فيها أمثال جيوب النساء من حجارة المنجنيق.

وللفاكهي من طريق عثمان بن ساج: بلغني أنه لما قدم جيش الحصين بن نمير، أحرق بعض أهل الشام على باب بني جمح وفي المسجد يومئذ خيام، [٧٠] فمشى / الحريق حتى أخذ في البيت، فظن الفريقان أنهم هالكون، وضعف بناء البيت حتى إن الطير ليقع عليه فتتناثر حجارته.

ولعبدالرزاق عن أبيه عن مرثد بن شرحبيل أنه حضر ذلك قال: كانت الكعبة قد وهت من حريق أهل الشام، قال: فهدمها ابن الزبير، وتركه حتى قدم الناس الموسم، يريد أن يحزّبهم على أهل الشام، فلما صدر الناس قال: أشيروا عليّ في الكعبة... الحديث.

ولابن سعد من طريق ابن أبي مليكة قال: لم يَبْنِ ابن الزبير الكعبة حتى حج الناس سنة ٦٤، ثم بناها حين استقبل سنة ٦٥، وحكى الواقدي أنه رد ذلك. وقال: الأثبت عندي أنه ابتدأ بناءها بعد رحيل الجيش بسبعين يوماً.

وجزم الأزرقي[١] بأن ذلك كان في نصف جمادى الآخرة سنة ٦٤ وزاد المحب الطبري أنه كان في شهر رجب».

قال الحافظ ابن حجر[٢]: «فالذي في الصحيح مقدم على غيره، ثم

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٠٤.
(٢) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٣.

قال[1] : «قال ابن عيينة في جامعه عن داود بن سابور[2] عن مجاهد قال : خرجنا إلى منى ، فأقمنا بها ثلاثاً ننتظر العذاب ، وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه فهدم . وفي رواية أبي أويس المذكورة ثم عزل - يعني ابن الزبير - ما كان يصلح أن يعاد في البيت ، فبنوا به ، فنظروا إلى ما كان لا يصلح منها أن يبنى به فأمر به أن يحفر له في جوف الكعبة فيدفن ، واتبعوا قواعد إبراهيم من نحو الحِجْر ، فلم يصيبوا شيئاً حتى شقّ على ابن الزبير ، ثم أدركوها بعد ما أمعنوا ، فنزل عبدالله بن الزبير ، فكشفوا له عن قواعد إبراهيم ، وهي صخر أمثال / الخلف من الإبل ، فانفضوا له -أي حركوا تلك [٧١]
القواعد بالعتل- فنفضت قواعد البيت ، وأروه بنياناً مربوطاً بعضه ببعض ، فحمد الله وكبّر ، ثم أحضر الناس ، فأمر بوجوههم وأشرافهم فنزلوا حتى شاهدوا ما شاهده ، ورأوا بنياناً متصلاً ، فأشهدهم على ذلك . وفي رواية عطاء : وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعاً ، فزاد ابن الزبير في طولها عشرة أذرع . وجزم الأزرقي[3] بأن الزيادة تسعة أذرع » . قال الحافظ ابن حجر[4] : ولعل عطاء جبر الكسر . وروى عبدالرزاق من طريق ابن سابط عن زيد ، أنهم كشفوا عن القواعد ، فإذا الحجر مثل الخلفة ، والحجارة مشبكة بعضها ببعض . وللفاكهي[5] من وجه آخر عن عطاء قال : كنت في الأمناء الذين جُمعوا على حفره ، فحفروا قامة ونصفاً ، فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزرد

(١) أي ابن حجر - المصدر السابق ج ٧ ص ٢٣٣ .
(٢) داود بن سابور أو شابور أبو سليمان المكي . وقيل : إن اسم أبيه عبدالرحمن وشابور جده . ثقة من السادسة - ابن حجر - تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٣٢ .
(٣) الأزرقي - أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٠٥ .
(٤) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٤ .
(٥) الفاكهي - أخبار مكة ج ٢ ص ٢٢٩ .

عروق المروة ، فضربوه، فارتجت قواعد البيت، فكبر الناس، فبنى عليه . وفي رواية مرثد[1] عند عبدالرزاق : فكشف عن ربض في الحجر آخذ بعضه ببعض، فتركه مكشوفاً ثمانية أيام ليشهدوا عليه، فرأيت ذلك الربض مثل خلف الإبل وجه حجر ، ووجه حجران ، ورأيت الرجل يأخذ العتلة فيضرب بها من ناحية الركن فيهتز الركن الآخر . وللفاكهي من طريق أبي أويس عن موسى بن ميسرة : أنه دخل الكعبة بعد ما بناها ابن الزبير فكان الناس لا يزدحمون فيها، يدخلون من باب ويخرجون من آخر» . اهـ.

هذا ما أورده الحافظ ابن حجر[2]، من الروايات في عمارة عبدالله
[٧٢] ابن/ الزبير الكعبة المشرفة ، وسبب احتراقها، وخرابها، وما زاد فيها في الطول والارتفاع.

وذكر ابن عبد ربه الأندلسي[3] في «العقد الفريد» خبر بناء ابن الزبير للكعبة المعظمة وسبب ذلك فقال : «وكان حصين بن نمير قد نصب المجانيق على أبي قبيس، وعلى قعيقعان، فلم يكن أحد يقدر أن يطوف بالبيت ، فأسند ابن الزبير ألواحاً من ساج على البيت، وألقى عليها الفرش والقطايف، فكان إذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت، فكانوا يطوفون تحت تلك الألواح، فإذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطايف كبروا وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطاً في ناحية، فكلما جرح رجل من أصحابه أدخله ذلك

---

(١) مَرْثد : المقصود به مَرْثد بن عبدالله اليَزَني أبو الخير ثقة فقيه ، من الثالثة . ابن حجر - تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت سنة ٣٢٨ هـ - العقد الفريد - تحقيق د. مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت ط ١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ج١ ص١٤١ .

الفسطاط؛ فجاء رجل من أهل الشام بنار في طرف سنانه فأشعلها في الفسطاط، وكان يوماً شديد الحر، فتمزق الفسطاط، فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب، والسقف، وانصدع الركن، واحترقت الأستار وتساقطت إلى الأرض. قال أبو عبيد: احترقت الكعبة يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة ٦٤ » اهـ.

هذا ما ذكره ابن عبد ربه في سبب احتراق الكعبة؛ وإليك ما ذكره الفاسي في ذلك.

قال التقي الفاسي في «شفاء الغرام» [١] : «وأما بناء عبدالله بن الزبير للكعبة فهو ثابت مشهور، وسبب ذلك توهُّن الكعبة من حجارة المنجنيق التي أصابتها، حين حوصر ابن الزبير بمكة في أوائل سنة ٦٤ لمعاندته يزيد بن / [٧٣]
معاوية، وما أصابها مع ذلك من الحريق، بسبب النار التي أوقدها بعض أصحاب ابن الزبير في خيمة له، فطارت الرياح بلهب تلك النار فأحرقت كسوة الكعبة، والساج الذي بني في الكعبة حين عمرتها قريش، فضعفت جدران الكعبة، حتى إنها لينقض من أعلاها إلى أسفلها، ويقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها. ولما زال الحصار عن ابن الزبير، رأى أن يهدم الكعبة ويبنيها على قواعد إبراهيم، فوافقه على ذلك نفر قليل، وكره ذلك نفر كثير، منهم ابن عباس. ولما أجمع على هدمها، خرج كثير من أهل مكة إلى منى، مخافة أن يصيبهم عذاب، وأمر ابن الزبير جماعة من الحبشة فهدمتها، رجاء[٢] أن

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج١ ص ص ٩٧ - ٩٨.
(٢) في الأصل « وجاء ».

يكون فيهم الحبشي، الذي أخبر النبي ﷺ أن يهدمها[1] . فهدمت الكعبة أجمع حتى بلغت الأرض .

وكان هدم ابن الزبير لها يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ٦٤ ، وبناها على قواعد إبراهيم عليه السلام، وأدخل فيها ما أخرجته قريش منها في الحِجْر، وزاد في طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش في طولها على بناء الخَليل، وذلك تسعة أذرع، فصار طولها سبعة وعشرين ذراعاً، وهي سبعة وعشرون مدماكاً ؛ وجعل لها بابين لاصقين بالأرض، أحدهما الموجود بها اليوم، والآخر المقابل له المسدود، واعتمد في ذلك وفي إدخاله في الكعبة ما أخرجته قريش منها في الحِجْر، حين أخبرته به خالته عائشة ، وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد، وجعل لها درجة في ركنها الشامي، يصعد منها
[٧٤] إلى سطحها، وجعل فيها / ميزاباً يصب في الحِجْر ، وجعل فيه روازن للضوء » .

هذا مختصر مما ذكره الأزرقي[2] في خبر بناء ابن الزبير للكعبة، وما ذكره من زيادة ابن الزبير تسعة أذرع من طول الكعبة هو المشهور، وصرح ابن الأثير في كامله[3] بأن عمارة ابن الزبير للكعبة كانت سنة ٦٥ ، ثم قال :«وقيل كانت

---

(١) والحديث بلفظ البخاري : « حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبيدالله بن الأخنس حدثني ابن أبي مليكة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ : قال : كأنّي به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً » .

وفي حديث آخر : « أن أبا هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » . صحيح البخاري ج ٢ ص ١٥٩ باب ٤٩ (هدم الكعبة) . وأفحج أي متباعد ما بين الساقين . وانظر ما رواه الفاكهي بصفة الجيش الذي يهدم الكعبة - أخبار مكة ج١ ص ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) الأزرقي - أخبار مكة ، ج ١ ص ص ٢٠٠ - ٢١٢ .

(٣) ابن الأثير - عز الدين أبو الحسن علي الشيباني ت سنة ٦٣٠ هـ . الكامل في التاريخ ج ٣ ص ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

عمارتها في سنة ٦٤»، وهذا يوافق ما ذكره الأزرقي، والقول الأول موافق لما ذكره مسلم. وذكر حديث مسلم المتقدم؛ ثم قال[١]: «وجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقي، أنه يقتضي أن ابن الزبير لم يهدم البيت حتى صدر الناس من الموسم، وصدورهم منه كان بعد حجهم، وزمن الحج غير الزمن الذي ذكره الأزرقي، ولم أرَ في تاريخ الأزرقي ذكر الوقت الذي فرغ فيه ابن الزبير من بناء الكعبة وهو سنة ٦٥، على ما ذكره المسبحي في تاريخه على ما وجدته بخط الحافظ رشيد الدين ابن الحافظ زكي الدين المنذري في اختصاره لتاريخ المسبحي، وقد اختلفت الأخبار فيمن وضع الحجر الأسود بيده في موضعه من الكعبة حين بناها ابن الزبير، فقيل: وضعه عبدالله بن الزبير بنفسه، ذكر ذلك الأزرقي[٢] في خبر واهٍ عن الواقدي بسنده لأن فيه: «فلما بلغ البناء موضع الركن جاء ابن الزبير حتى وضعه وشده بالفضة. وقيل: وضعه عباد بن عبدالله بن الزبير، وهذا في خبر رواه الأزرقي[٣] ذكر فيه أن عبدالله ابن الزبير أمر ابنه عباداً، وجبير بن شيبة، أن يجعلا الركن في ثوب، ويخرجانه وهو يصلي بالناس في صلاة الظهر، في يوم / شديد الحر، لئلا [٧٥] يعلم الناس بذلك فيتنافسون في وضعه؛ ففعلا ذلك، وفيه: فكان الذي وضعه في موضعه هذا عباداً بن عبدالله بن الزبير بأمر أبيه، نقل ذلك السهيلي عن الزبير بن بكار، ورأيت في تاريخ الأزرقي[٤] وكتاب الفاكهي[٥] ما يقتضي أن الحجبة - آل الشيبي - وضعوه في موضعه ومعهم حمزة بن عبدالله بن الزبير». انتهى.

(١) المصدر السابق ج٣ ص ٣٥٥.
(٢) الأزرقي - أخبار مكة، ج١ ص ٢١٩.
(٣) نفسه ج١ ص ص ٢١٨ - ٢١٩.
(٤) نفسه ج١ ص ٣٥٥.
(٥) الفاكهي - أخبار مكة، ج ٥ ص ٢٢٧.

هذا حاصل ما ذكره التقي الفاسي[1] من خبر بناء عبدالله بن الزبير للكعبة . وإليك القصة مفصلة من ابتدائها إلى انتهائها عن الحافظ نجم الدين بن فهد القرشي الهاشمي، فإنه قد استوعب كل ما ذكره الأزرقي، والفاكهي، وغيرهما، من خبر بناء عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، في كتابه «إتحاف الورى بأخبار أم القرى»، في حوادث سنة ٦٤ بعد ترك المترادف :

قال الحافظ نجم الدين بن فهد[2] : «لما غلب الحصين بن نمير على مكة كلها، إلا المسجد الحرام، فلجأ ابن الزبير وأصحابه إلى المسجد، فبنوا حول الكعبة خصاصاً - بيوتاً من القصب - ورفافاً من الخشب يَكْتَنّون فيها من حجارة المنجنيق، ويستظلّون بها من الشمس ، وكان الحصين بن نمير قد نصب المنجنيق على أخشبي مكة أبي قبيس ، والأحمر - وهو قعيقعان - فكانوا يرمون ويرتجزون. وقدّر الحصين على أصحابه عشرة آلاف حجر يرمون بها الكعبة ، وكانت الحجارة تصيب الكعبة، حتى تخرقت كسوتها عليها، [٧٦] فصارت كأنها جيوب النساء، ترتجّ من أعلاها إلى أسفلها ، فكان / الحجر يمر فيهوي، والآخر على إثره فيسلك طريقه ، وأول حجر من المنجنيق وقع في الكعبة سُمِع لها أنين، واستمر الحال على ذلك أياماً. ثم لما كان ليلة السبت لثلاث خلونَ من ربيع الأول، سنة ٦٤ ذهب رجل من أصحاب ابن الزبير يوقد ناراً في بعض تلك الخيام، مما يلي الصفا بين الركن الأسود ، والركن اليماني، والمسجد يومئذ ضيق، فطارت شرارة في الخيمة، فاحترقت الخيام والتهب المسجد، حتى تعلقت النار بالبيت فاحترق ، وكان في ذلك اليوم رياح شديدة- والكعبة يومئذ مبنية ببناء قريش مدماك من ساج ومدماك من حجارة، من أسفلها إلى أعلاها وعليها الكسوة - فطارت الرياح بلهب تلك النار، واحترقت كسوة الكعبة، واحترق الساج الذي بين البناء .

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ص ٦١ - ٧٧ .

وقيل: سبب الحريق أن أصحاب الحصين بن نمير رموها بالنفط، فاحترقت، واحترق مع الكعبة الحجر الأسود، حتى اسودَّ لونه -لأن لونه كان مثل لون المقام- وتصدع الحجر ثلاث فرق، فانشظت منه شظية كانت عند بعض آل شيبة بعد ذلك بدهر طويل، فشدَّه ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية، من أعلاه بين موضعها في أعلا المكان، وضعفت جدران[1] الكعبة حتى إنها لتنفض من أعلاها إلى أسفلها، ويقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها، وهي مجردة متوهية من كل جانب، ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعاً، وتركها ابن الزبير ليراها الناس، ليحرِّضهم على أهل الشام.

ولم يزل الحصين بن نمير محاصراً ابن الزبير، حتى وصل الخبر إلى مكة بنعي يزيد / بن معاوية ليلة الثلاثاء هلال ربيع الآخر، وبلغ ذلك عبدالله بن **[٧٧]**
الزبير قبل الحصين بن نمير، فعند ذلك أرسل ابن الزبير رجالاً من أهل مكة من قريش وغيرهم، وفيهم عبدالله بن خالد بن أسيد[2]، ورجال من بني أمية، إلى الحصين بن نمير، فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة، وقالوا: إن ذلك منكم رميتموها بالنفط. فأنكروا، وقالوا: وقد توفي أمير المؤمنين فعلى ماذا تقاتل؟! ارجع إلى الشام حتى ينظر ماذا يجتمع عليه رأي صاحبك - يعنون معاوية[3] بن يزيد -، فلم يزالوا به حتى لان لهم، ثم ارتحل الحصين بن نمير إلى المدينة لخمس ليال خلون من ربيع الآخر.

ولما أدبر جيش الحصين إلى الشام، دخل عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي

---

(١) في الأصل «جدار» والإثبات من ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج٢ ص ٦٣.

(٢) عبدالله بن خالد بن أسيد ابن أبي العاص الأموي ابن أخي عتاب بن أسيد أمير مكة زمن النبي ﷺ. السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ١٢٢.

(٣) في الأصل «معاية» وهو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي. بويع بالخلافة بعد أبيه وتوفي سنة ٦٤ هـ ولم يعقب. انظر: ابن قتيبة - المعارف ص ٣٥٢. السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٢١١، الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٣٩.

الله عنهما- المسجد الحرام، والكعبة محترقة، تتناثر حجارتها، فوقف ومعه ناس غير قليل، فبكى حتى إن دموعه تحدر كحلاً في عينيه من إثمد كأنه رؤوس الذباب على وجنته، وقال: يا أيها الناس، والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلو ابن نبيكم بعد نبيكم، ومحرقو بيت ربكم، لقلتم: ما من أحد أكذب من أبي هريرة، أنحن نقتل ابن نبينا ونحرق بيت ربنا؟! فقد والله فعلتم، لقد قتلتم ابن نبيكم[1]، وحرقتم بيت الله، فانتظروا النقمة، فوالذي نفس عبدالله بن عمرو بيده ليلبسنكم الله شيعاً وليذيقن بعضكم بأس بعض - يقولها ثلاثاً - [ثم][2]، رفع صوته في المسجد، فما في المسجد أحد إلا وهو يفهم ما يقول، فإن لم يكن يفهم فإنه يسمع رفع[3] صوته فقال: أين الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر؟ فوالذي نفس عبدالله بن عمرو بيده [٧٨] لَوْ قَدْ ألبسكم الله / شيعاً، وأذاق بعضكم بأس بعض، لبطن الأرض خير لمن عليها لم يأمر بالمعروف ولم يَنْهَ عن المنكر.

وأمر عبدالله بن الزبير بالخصاص التي كانت حول الكعبة، فهدمت، وبالمسجد فكنس، مما فيه من الحجارة والدمار، فإذا الكعبة حيطانها قد مالت من حجارة المنجنيق، وهي متوهنة[4] ترتج من أعلاها إلى أسفلها، فيها أمثال جيوب النساء من حجارة المنجنيق، وإذا الركن قد اسودّ واحترق وتفارق من الحريق ثلاث فرق، ودعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم، فشاورهم في هدم الكعبة، فأشار عليه ناس كثير بهدمها، منهم جابر بن عبدالله وكان جاء معتمراً، وعبيد بن عمير، وعبدالله بن صفوان بن أمية، وأبى أكثر الناس

---

(١) يعني الحسين بن علي بن أبي طالب الذي استشهد في وقعة كربلاء زمن الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦١ هـ.

(٢) سقطت من الأصل والإثبات من ابن فهد النجم ج ٢ ص ٦٥.

(٣) في المطبوع في ابن فهد - «رجْع» ج ٢ ص ٦٥.

(٤) في الأصل «موهية» والإثبات من ابن فهد ج ٢ ص ٦٧.

هدمها، وكان أشدهم عبدالله بن عباس، وقال : دعها على ما أقرها رسول الله ﷺ، فإني أخشى أن يأتي بعدك مَنْ يهدمها، ثم يأتي بعد ذلك آخر فلا تزال أبداً تُهدم وتُبنى[1] فتذهب حرمة هذا البيت من قلوبهم، ويتهاون الناس بحرمتها، ولا أحب ذلك ولكن ارقعها . فقال ابن الزبير : والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه، فكيف أرقع بيت الله سبحانه، وأنا أنظر إليه ينفض من أعلاه إلى أسفله، حتى إن الحمام ليقع فيتناثر حجارته . فأقام[2] أياما يشاور وينظر، ثم أجمع على هدمه ، وكان يحب أن يكون هو الذي يردُّه على ما قال رسول الله ﷺ على قواعد إبراهيم ، وعلى ما وصفه رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها؛ فأراد أن يَبْنِيهَا[3] بالورس ويرسل إلى اليمن في ورس/ يشترى، فقيل له: إن الورس يرفتُّ[4] ويذهب ولا يقيم، ولا [٧٩] يستمسك البنيان به كالجص، ولكن ابنها بالقصة. فسأل عن القصة، فأُخبر أن قصة صنعاء هي أجود القصة، فأرسل إلى صنعاء بأربعمائة دينار يشتري له قصة ويكتري عليها ، ثم سأل رجلاً من أهل العلم بمكة من أين كانت قريش أخذت حجارة الكعبة حين بنتها ؟ فأخبروه أنهم بنوها من حراء . ومن ثبير ، والمقطع ، وهو الجبل المشرف على الطريق ، ومن قافية الخندمة . ومن جبل حلحلة المشرف على ذي طوى، وهو عند الثنية البيضاء في طريق جدة ، ومن جبل بأسفل مكة على يسار ما انحدر من ثنية بني عضل، ويقال له مقطع الكعبة، والظاهر أن هذا الجبل هو المسمى في العصر الحاضر (جبل الكعبة)

---

(١) في الأصل « وتبنا » .

(٢) في الأصل « فاقامه » والتصحيح من ابن فهد ج ٢ ص ٦٨ .

(٣) في الأصل « ينها » .

(٤) في الأصل « يزفت » والتصحيح من ابن فهد ج ٢ ص ٦٩ ومعنى « يرفت » ينكسر ويتحطم ويصير رفاتاً . والرفات الحطام والفتات من كل ما تكسر واندق . المعجم الوسيط . مادة « كسر » ج٢ ص٢٠١ .

وهو واقع على يمين الداخل إلى مكة من جرول عند منتهى حارة جرول ومبتدأ حارة الباب، والله أعلم. ومن مردلة من حجرها يقال له الملجوى ، فنقل له من الحجارة قدر ما يحتاج إليه ، فلما اجتمع له ما يحتاج إليه من آلات العمارة، وأراد هدم الكعبة، عمد إلى ما كان في الكعبة من حلية وثياب وطيب، فوضعه في خزانة الكعبة في دار شيبة بن عثمان حتى أعاد بناءها .

ولما أراد ابن الزبير هدم الكعبة، خرج أهل مكة منها بعضهم إلى الطائف، وبعضهم إلى منى ، فَرَقاً أن ينزل عليهم عذاب لهدمها، ولم يرجعوا إلى مكة حتى أخذ في بنائها[1] ، وبعضهم منهم ابن عباس بقي حتى أكمل بناءها .
فأمر ابن الزبير بهدمها، فتلكأ العمال عن نقضها، وما اجترأ أحد على
[٨٠] ذلك ، / فعلاها بنفسه في يوم السبت نصف جمادى الآخرة، فأخذ المعول، وجعل يهدمها ويرمي بحجارتها ، فلما رأى الناس أنه لم يصبه شيء اجترؤوا، فصعدوا يهدمون ، وأرقى ابن الزبير فوق الكعبة عبيداً من الحبش يهدمونها، رجاء أن يكون فيهم الحبشي الذي قال رسول الله ﷺ : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة »[2] فهدم الناس فما ترجّلت الشمس حتى ألصقها بالأرض من جوانبها جميعاً .

وجعل ابن الزبير الحجر الأسود في ديباجة، وأدخله في تابوت وقفل عليه، ووضعه عنده في دار الندوة . وكان في بعض جدار الكعبة قرنا الكبش الذي فدى به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فلما هدمها ابن الزبير وكشفها وجدهما مطليين بمشق، فتناولهما، فلما مسهما همدا من الأيدي ، وقيل إن قرني الكبش احترقا لما احترقت الكعبة .

---

(١) في الأصل « في بناءها » .

(٢) سبق ذكر الحديث من صحيح البخاري .

وأرسل عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- إلى ابن الزبير : لا تدع الناس بغير قبلة ، انصب لهم حول الكعبة الخشب ، واجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها ويصلون إليها . ففعل ذلك ابن الزبير وقال : أشهد ، لسمعت عائشة -رضي الله عنها- تقول ، وذكر حديثها المتقدم .

فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسواها بالأرض ، كشف أساس إبراهيم فوجده داخلاً في الحجر نحواً من ستة أذرع وشبر ، كأنها أعناق الإبل آخذ[١] بعضها ببعض ، فإذا تحرك الحجر من القواعد تحرك الأركان كلها ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم وأشهدهم على ذلك
الأساس ، / فأدخل رجل من القوم يقال له عبدالله بن مطيع العدوي عتلة [٨١]
كانت في يده في ركن من أركان البيت ، فتزعزعت الأركان كلها جميعاً ، فقال لهم ابن الزبير : اشهدوا . ثم وضع البناء على ذلك الأساس ، ووضع حدات[٢] باب الكعبة على مدماك على الشاذروان الملاصق بالأرض ، وجعل الباب الآخر بإزائه في ظهر الكعبة مقابله ، وجعل عتبته على الحجر الأخضر الطويل الذي في الشاذروان الذي في ظهر الكعبة قريباً من الركن اليماني .

ويقال ان ابن الزبير -رضي الله عنهما- أمر العمال أن يبلغوا في الأرض ، فبلغوا حجراً أمثال الإبل الخلف ، فقالوا : أنا بلغنا صخراً معمولاً أمثال الإبل الخلف . وقال : زيدوا فاحفروا . فلما زادوا بلغوا هواً من نار تلقاهم فقال : مالكم ؟ قالوا لسنا نستطيع أن نزيد ، رأينا أمراً عظيماً فلا نستطيع ؛ فقال لهم : ابنوا عليه ؛ وقيل : إن ذلك الصخر من بناء آدم .

---

(١) في الأصل « أخذ » . وفي المطبوع من ابن فهد ج ٢ ص ٧١ ، والأصح ما أثبتناه .

(٢) في الأصل « حداث » والتصحيح من ابن فهد ج ٢ ص ٧٢ .

وكان البناة يبنون من وراء الستر والناس يطوفون من خارج ، فلما ارتفع البنيان إلى موضع الركن أمر ابن الزبير بموضعه فنقر في حجرين حجر من المدماك الذي تحته ، وحجر من المدماك الذي فوقه بقدر الركن وطوبق[1] بينهما ، فكان الركن أحد عرض الضفير - ضفير البيت - ، فلما فرغوا منه أمر ابن الزبير ابنه عباد بن عبداللّه بن الزبير ، وجبير بن شيبة بن عثمان ، أن يجعلوا الركن في ثوب ، وقال لهم ابن الزبير : إذا دخلت في صلاة الظهر فاحملوه واجعلوه في موضعه ، فأنا أطوّل الصلاة ، فإذا فرغتم فكبروا حتى أخفف صلاتي ، / وكان ذلك في حر شديد . فلما أقيمت الصلاة كبّر ابن الزبير وصلى بهم ركعة ، خرج عباد بالركن من دار الندوة وهو يحمله ، ومعه جبير بن شيبة -ودار الندوة يومئذ قريبة من الكعبة - فخرقا به الصفوف حتى أدخلاه في الستر الذي دون البناء ، وكان الذي وضعه في موضعه هذا عباد بن عبداللّه بن الزبير ، وأعانه عليه جبير بن شيبة ، فلما أقرّاه في موضعه وطوّقا عليه الحجرين كَبَّرًا ، فخفّف ابن الزبير صلاته . وقيل وضعه ابن الزبير هو بنفسه وحده ؛ وتسامع الناس وغضبت فيه رجال من قريش حين لم يحضرهم ابن الزبير ، وقالوا : واللّه لقد رُفع في الجاهلية حين بنته قريش ، فحكموا فيه أول مَنْ يدخل عليهم من باب المسجد ، فطلع رسول اللّه ﷺ فجعله في ردائه ، ودعا رسول اللّه ﷺ من كل قبيلة من قريش رجلاً ، فأخذوا بأركان الثوب ، ثم وضعه رسول اللّه ﷺ في موضعه . [٨٢]

وكان الركن قد تصدع من الحريق ثلاث فرق ، فاشتظت منه شظية ، كانت عند بعض آل شيبة بعد[2] ذلك بدهر طويل ، فشده ابن الزبير بالفضة إلا تلك

(١) في الأصل « وطريق » وهو خطأ . والتصحيح من ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) في الأصل « بقدر » والصحيح « بعد » .

الشظية من أعلى الركن ، وطول الركن ذراعان قد أخذ عرض جدار الكعبة ، ومؤخر الركن داخله في الجدر مضرس على ثلاثة أرؤس[(١)] ، فقال بعضهم : صفة لون مؤخره الذي فيه الجدر مورّد ، وقال بعضهم : هو أبيض .

فلما أن بلغ ابن الزبير بالبناء[(٢)] ثمانية عشرة ذراعاً في السماء، وكان هذا / طولها يوم هدمها فقصرت لأجل الزيادة التي زادها من الحجر فيها، [٨٣]
فقال ابن الزبير : قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولاً في السماء ، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع أخرى ، فبناها سبعة وعشرين ذراعاً في السماء وهي سبعة وعشرون مدماكاً ، وعرض جدارها ذراعان ، وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد ، وكانت قريش في الجاهلية جعلت فيها ست دعائم في صفّين ، وأرسل ابن الزبير إلى صنعاء فأتى منها برخام ، يقال له البلق ، فجعله في الروزن التي في سقفها للضوء ، وبناها بالرصاص المخلوط بالورس ، وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعاً واحداً ، فجعل لها ابن الزبير مصراعين ، طولهما أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاها اليوم ، وجعل الباب الآخر الذي في ظهرها بإزائه على الشاذروان الذي على الأساس مثله ، وجعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب معرجة ، تصعد فيها إلى ظهرها ، وجعل في سطحها ميزاباً يسكب في الحِجْر .

فلما فرغ ابن الزبير من بناءِ الكعبة خَلَّقَ[(٣)] جوفها بالعنبر ، والمسك ،

---

(١) في الأصل « رؤس » .

(٢) في الأصل « بلبناء » .

(٣) خلّق : أي طيّبها بالزعفران وغيره من أنواع الطيب الذي تغلب عليه الحمرة والصّفرة .
ابن منظور – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم – ابن منظور الإفريقي المصري – لسان العرب – دار صادر – بيروت – بدون تاريخ ج ١ ص ٩١ .

ولطخ جدارها بالمسك من الخارج من أعلاها إلى أسفلها، وسترها بالديباج، وقيل بالقُباطي . وبقيت من الحجارة بقية فرش بها حول البيت - كما يدور البيت - نحواً من عشرة أذرع .

[٨٤] وكان الفراغ من عمارة البيت في سابع عشر من رجب ، وقال ابن / الزبير : مَنْ كانت لي عليه طاعة فليعتمر من التنعيم[١] ، شكراً لله عزَّ وجل ، وَمَنْ قدر أن ينحر بدنة فليفعل ، ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة ، فمن لم يقدر فليصدق بقدر طَوْله . وخرج ماشياً حافياً ، وخرج معه رجال من قريش مشاة، منهم عبدالله بن صفوان ، وعبيد بن عمير ، فأحرم ابن الزبير من أكمة أمام مسجد عائشة بمقدار غلوة ، وهو على مقربة من المسجد المنسوب لعلي ، وجعل طريقه على ثنية الحجون[٢] المفيضة إلى المعلاة، ولَبّى حتى نظر البيت، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة جميعاً ، وقال : إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامي والغربي لأن البيت لم يكن تاماً . وبقيت هذه العمرة سنَّة عند أهل مكة في هذا اليوم ، يعتمرون في كل سنة من هذه الأكمة ، ويقصد من الينبوع[٣] فما دونها . وكان ذلك يوماً مشهوراً ، أهدى فيه ابن الزبير مائة بدنة، نَحَرَ ذلك في جهة التنعيم ، وطرف الحل الذي يحرم منه للعمرة ، ولم يبق من أشراف مكة وذوي الاستطاعة فيها إلا مَنْ أهدى، ولم يُرَ يوم أكثر عتيقاً، ولا أكثر بدنة منحورة ، ولا شاة مذبوحة ، ولا صدقة ، من

---

(١) التنعيم : ميقات لمن أراد العمرة من المكيين ، أقرب الحلّ إلى المسجد الحرام على قرابة ٦ كم شمال المسجد الحرام على طريق المدينة . انظر : عاتق غيث البلادي - معالم مكة التاريخية والأثرية - دار مكة ط١ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٥١ .

(٢) الحجون هي التي كانت تسمى كَداء كما ذكر البلادي - معالم مكة ، ص ٧٩ ، وهي غير كُدي بأسفل مكة .

(٣) أي مدينة « ينبع » .

ذلك اليوم ، وأقام أهل مكة يَطْعَمُون ويُطْعَمُون ، ويتنعمون وينعمون شكراً لله على ما أنعم من المعونة والتيسير في بناء بيته الحرام ، على الصفة التي كان عليها مدة الخليل إبراهيم عليه السلام ، وقيل : إن ابن الزبير بنى الكعبة الشريفة بالرصاص المذوب المخلوط بالورس، وجعل على الكعبة وأساطينها صفايح الذهب ، / ومفاتيحها ذهباً ، وقيل : إن ابن الزبير لم يهدم الكعبة إلا [٨٥] بعد أن حضر الناس الموسم في هذه السنة ، وفرغ من عمارتها في سابع عشر من رجب سنة ٦٥ ، والله أعلم» .

هذا ما أورده الحافظ نجم الدين بن فهد في كتابه «إتحاف الورى»[١] ، وهو لا يتخالف مع الروايات التي تقدمت في هذا الموضوع ، غير أن الذي أتى به أوضح وأجمع ، لعموم ما ورد في عمارة ابن الزبير رضي الله عنهما ، وعن أسبابها، وما وقع في خلالها، وأسماء من وافقه ، ومن خالفه ، ولم يكن أحد بنى الكعبة المشرفة قبله ولا بعده على قواعد إبراهيم ﷺ غيره ، إلا أنه جعل ارتفاعها ضعفي ما كانت عليه في عمارة الخليل ، حيث -كما علم مما تقدم- إن الخليل ﷺ جعل ارتفاعها تسعة أذرع على أصح الروايات ، وعبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- جعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً ، وكلا الذرعين هما بذراع اليد ، وزاد عن عمارة الخليل كونه سقَفَها، وجعل في ركنها الشمالي درجاً يصعد عليه إلى سطحها، وحلاّها بالذهب وغير ذلك مما تقدم ذكره، فجزاه الله على عمله خير الجزاء .

---

(١) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ص ٦١ - ٧٧ .

[٨٦] / الحادي عشر : بناء الحجاج للكعبة المعظمة :

(سنة ٧٤ هجرية ، يوافق ٦٩٣ ميلادية) .

روى مسلم في صحيحه[١] عن عطاء أنه قال : « فلما قتل ابن الزبير ، كتب الحجاج إلى عبدالملك بن مروان يخبره بذلك ، ويخبره أن الزبير قد وضع البناء على أُسّ نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبدالملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاد في طوله فأقرَّه ، وأما ما زاد فيه من الحِجْر فردّه إلى بنائه ، وسدّ الباب الذي فتحه . فَنَقَضَهُ وأعاده إلى بنائه .

ثم روى مسلم[٢] حديثاً آخر عن ابن جريج قال : «سمعت عبدالله بن عبيد ابن عمير ، والوليد بن عطاء ، يحدثان عن الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة قال عبدالله بن عبيد : وفد الحارث بن عبدالله على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبدالملك ما أظن أبا خبيب -يعني ابن الزبير- سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، قال الحارث : بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن قومك استقصروا من بنيان البيت ، ولولا حداثة عهدهم بالشرك ، أعدت ما تركوا منه ، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه ، فهلمي لأريك ما تركوا منه » فأراها قريباً من سبعة

[٨٧] أذرع . هذا حديث عبدالله بن عبيد ، وزاد عليه الوليد بن عطاء قال النبي / ﷺ : «ولجعلتُ لها بابين موضوعين في الأرض شرقياً وغربياً ، وهل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا بابها ؟ » قالت : قلت : لا ، قال : « تعززاً ألا يدخلها إلا مَنْ أَرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي ، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط » قال عبدالملك للحارث : أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال : نعم ، فنكث ساعة بعصاه ثم قال : وددتُ أنّي تركته وما تحمل » .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٩٤ .

(٢) نفسه ج ٩ ص ٩٤ .

وروى مسلم[١] أيضاً عن أبي قزعة : «أن عبدالملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال : قاتل اللّه ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول: سمعتها تقول: قال رسول اللّه ﷺ : « يا عائشة، لولا حدثان قومك بالكفر لنقضتُ البيت حتى أزيد فيه من الحجْر، فإن قومك قصروا في البناء » فقال الحارث بن عبداللّه بن أبي ربيعة[٢] : لا تقل هذا يا أمير المؤمنين ، فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال : لو كنت سمعتُ قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير ». انتهى ما ذكره مسلم في صحيحه .

قال التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[٣] : « وأما بناء الحجاج للكعبة فهو أيضاً ثابت مشهور، ذكره الأزرقي[٤] وغيره ، وملخص ذلك أن الحجاج بعد محاصرة ابن الزبير وقتله ، كتب إلى عبدالملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها باباً آخر ، واستأذنه في ردّ ذلك على ما كان عليه في الجاهلية . فكتب إليه عبدالملك أن يسد بابها الغربي، ويهدم ما زاد فيها ابن الزبير من الحجْر، ويكبسها على ما كانت / عليه . ففعل الحجاج [٨٨]
ذلك، وبناؤه في الكعبةِ في الجدار الذي من جهة[٥] الحجْر ، والباب الغربي المسدود في ظهر الكعبة عند الركن اليماني ، وما تحتَ عتبة الباب الشرقي وهو أربعة أذرع وشبر على ما ذكره الأزرقي[٦] ، وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير ، وهذا ملخص مما ذكره الأزرقي في ذلك المعنى ، وكان ذلك في

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٩٦ .

(٢) الحارث بن عبداللّه بن أبي ربيعة بن المغيرة ، المكي ، أمير الكوفة ، المعروف بالقُباع . صدوق من الثانية . ابن حجر - تقريب التهذيب ج ١ ص ١٤١ .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٩ .

(٤) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٥) في الأصل « جهت » .

(٦) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢١٤ .

سنة أربع وسبعين من الهجرة ، على ما ذكره ابن الأثير[١] ، وقيل : سنة ثلاث وسبعين على ما ذكره الذهبي[٢] في العبر ، ثم إن عبدالملك بن مروان ندم على ما وقع منه في أمر الكعبة » . وذكر القصة المتقدمة ولم يردّ شيئاً .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٣] : « لم يذكر المصنف رحمه اللّه تعالى - يعني البخاري - قصة تغيير الحجاج لما صنعه ابن الزبير ، وقد ذكرها مسلم[٤] ، ثم قال[٥] : وللفاكهي[٦] من طريق أبي أويس عن هشام بن عروة : فبادر - يعني الحجاج - فهدمها وبنى شقها الذي يلي الحِجْر ، ورفع بابها ، وسدّ الباب الغربي . قال أبو أويس : فأخبرني غير واحد من أهل العلم، أن عبدالملك ندم على إذنه للحجاج في هدمها ولعن الحجاج . ولابن عيينة عن داود بن سابور عن مجاهد : فردّ الذي كان ابن الزبير أدخل فيها من الحِجْر، قال فقال عبدالملك : وددنا أنّا تركنا أبا خبيب وما تولى من ذلك» .

قال الحافظ ابن حجر[٧] : « (تنبيه) جميع الروايات التي جمعتها في هذه القصة متفقة على أن ابن الزبير جعل الباب بالأرض ، ومقتضاه أن يكون الباب الذي زاده / على سمته ، وقد ذكر الأزرقي[٨] أن جملة ما غير الحجاج الجدار [٨٩]
الذي من جهة الحجر والباب المسدود الذي في الجانب الغربي عن يمين الركن اليماني ، وما تحت عتبة الباب الأصلي وهو أربعة أذرع وشبر ، وهذا موافق لما

---

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٩ .

(٢) الذهبي - العبر في خبر مَنْ غبر - تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ج١ ص ٦١ .

(٣) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٤ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٨٦ .

(٥) أي ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٤ .

(٦) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٧) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٥ .

(٨) الأزرقي ج ١ ص ٢١١ .

في الروايات المذكورة ، لكن المشاهد الآن في ظهر الكعبة باب مسدود يقابل الباب الأصلي ، وهو في الارتفاع مثله ، ومقتضاه أن يكون الباب الذي كان على عهد ابن الزبير لم يكن لاصقاً بالأرض ، فيحتمل أن يكون لاصقاً كما صرحت به الروايات ، لكن الحجاج لما غيره رفعه ، ورفع الباب الذي يقابله أيضاً ، ثم بدا له فسدّ الباب المجدد ، لكن لم أرَ النقل بذلك صريحاً ، وذكر الفاكهي[1] في «أخبار مكة» : أنه شاهد هذا الباب المسدود من داخل الكعبة في سنة ٢٦٣ ، فإذا هو مقابل باب الكعبة وهو بقدره في الطول والعرض ، وإذا في أعلاه كلاَليب ثلاثة كما في الباب الموجود سواء ، واللّه أعلم ». اهـ .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير[2] في تفسيره الأحاديث التي رواها مسلم في صحيحه ، عن أم المؤمنين عائشة -رضي اللّه عنها- المتقدم ذكرها ، ثم قال[3] : «فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة ؛ لأنه قَدْ رُوِيَ عنها من طرق صحيحة متعددة ، عن الأسود بن يزيد[4] ، والحارث بن عبداللّه بن أبي ربيعة ، وعبداللّه ابن الزبير ، وعبداللّه بن محمد بن أبي بكر ، وعروة بن الزبير ، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيداً ، ولكن بعد ما رجع / الأمر إلى هذا الحال ، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله ، كما ذكر [٩٠]
عن أمير المؤمنين هارون الرشيد ، أو أبيه المهدي ، أنه سأل الإمام مالكاً عن هدم الكعبة ، وردّها إلى ما فعله ابن الزبير ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ، لا تجعل كعبة اللّه ملعبة للملوك ، لا يشاء أحد أن يهدمها إلاّ هدمها . فترك ذلك الرشيد ، نقله عياض والنووي ». اهـ .

---

(١) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٣٠ .

(٢) ابن كثير - تفسير ج ١ ص ١٨٣ .

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمرو أو أبو عبدالرحمن مخضرم ، ثقة مكثر فقيه من الثانية . ابن حجر - تقريب التهذيب ج ١ ص ٧٧ .

قال النووي في شرح مسلم[1] : «وقد ذكروا أن هارون الرشيد سأل مالك ابن أنس عن هدمها وردها إلى بناء ابن الزبير، للأحاديث المذكورة في الباب، فقال مالك: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين، ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء إلا نقضه وبناه، فتذهب هيبته من صدور الناس» . ثم قال النووي[2] : «قال أصحابنا - يعني علماء الشافعية- ست أذرع من الحِجْر مما يلي البيت محسوبة من البيت بلا خلاف؛ وفي الزائد خلاف، فإن طاف في الحجر وبينه وبين البيت أكثر من ست أذرع ففيه وجهان، لأصحابنا، أحدهما: يجوز لظواهر هذه الأحاديث، وهذا هو الذي رجَّحه جماعات من أصحابنا الخراسانيين، والثاني: لا يصح طوافه في شيء من الحِجْر ولا على جداره، ولا يصح حتى يطوف خارجاً من جميع الحِجْر، وهذا هو الصحيح وهو الذي نص عليه الشافعي، وقطع به جماهير أصحابنا العراقيين ورجحه جمهور الأصحاب، وبه قال جميع علماء المسلمين سوى أبي حنيفة، فإنه قال: إن
[٩١] طاف في الحِجْر وبقي في مكة أعاده، وإن رجع من مكة بلا / إعادة أراق دماً وأجزاه طوافه، واحتج الجمهور بأن النبي ﷺ طاف من وراء الحِجْر، وقال: «لتأخذوا مناسككم» ثم أطبق المسلمون عليه من زمنه ﷺ إلى الآن، وسواء كان كله من البيت أم بعضه، فالطواف يكون من ورائه كما فعل النبي ﷺ، والله أعلم» . اهـ.

وروى الحافظ نجم الدين بن فهد القرشي، في كتابه «إتحاف الورى[3]» أنه: «في سنة أربع وسبعين، كتب الحجاج إلى عبدالملك بن مروان، أن أبا خبيب

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٨٩ .
(٢) نفسه ج ٩ ص ٩١ .
(٣) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ١٠٣ .

عبدالله بن الزبير زاد في البيت ما ليس منه ، وأحدث فيه باباً آخر . فكتب إليه عبدالملك ، أن سدّ بابها الغربي الذي كان فتح ابن الزبير ، واهدم ما كان زاد فيها من الحِجْر ، واكبس أرضها بالحجارة التي تفضل من أحجارها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ ، فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبراً مما يلي الحِجْر ، وبناها على أساس قريش الذي كانت استقصرت[1] عليه ، وكبس أرضها بالحجارة التي فضلت من أحجارها ، وسدّ الباب الغربي الذي كان في ظهرها وما تحت عتبة الباب الشرقي وهو أربعة أذرع وشبر ، وترك سائرها لم يحرك منها شيئاً ، فكل شيء فيها بناء ابن الزبير إلا الجدار الذي في الحِجْر ، فإنه بناء الحجاج وسد الباب الذي في ظهرها وما تحت عتبة الباب الشرقي الذي يدخل منه اليوم إلى الأرض كل هذا بناء الحجاج ، والدرجة التي في بطنها اليوم والبابان اللذان عليها اليوم هما أيضاً من عمل الحجاج» . انتهى .

[٩٢] / هذا كل ما أورده العلماء في بناء الحجاج للبيت المعظم ، وكان بين بناء قريش وبناء عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- ثمانون سنة ، وبين بناء ابن الزبير وعمارة الحجاج عشر سنين ، ثم بقيت الكعبة المشرفة على حالها ، من يوم أن اقتطع الحجاج منها ما أدخله ابن الزبير فيها من الحِجْر وسدّ بابها الغربي ورفع بابها الشرقي إلى سنة ١٠٣٩ أي تسعمائة وأربع وستين سنة ، لم يصبها وَهْن ولا خراب ، غير بعض مرمّات بسيطة ، سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى ، ثم قدر الله سبحانه وتعالى الذي لا رادّ لقضائه ، ولا مانع لقدره ، أن يدخل المسجد الحرام سيل عظيم في تلك السنة التي هي سنة ١٠٣٩ لم ير الراؤون[2] مثله ، فكان سبباً لسقوط معظم البيت المعظم وإليك تفصيل ذلك :

(١) في الأصل « استقرت » والتصحيح من ابن فهد - إتحاف الورى ج ٢ ص ١٠٣ .

(٢) في الأصل « الراؤن » .

الثاني عشر : بناء السلطان مراد خان للبيت المعظم :

(سنة ١٠٤٠هجرية ، يوافق سنة ١٦٣٠ميلادية) .

ذكر العلامة ابن علان[(١)] ، والعلامة علي بن عبد القادر الطبري في كتابه «الأرج المسكي»[(٢)] ، والعلامة السنجاري[(٣)] في كتابه «منائح الكرم»، ما كان من عمارة السلطان مراد خان العثماني للكعبة المعظمة سنة ١٠٤٠ هجرية، فأحدهم فصل في جانب من القصة، وبين الأسباب التي اقتضت عمارة الكعبة المعظمة ، واختصر جانباً منها ، وأحدهم أسهب في بعضها ولخص / البعض، [٩٣] فاضطررت أن أوحّد عبارة الروايات الثلاث في قصة واحدة ، وأصوغها في قالب واحد شامل لعموم تلك الروايات، ليتم للقارئ الوقوف على عموم القصة مفصلة، حيث إنها من أعظم ما وقع للكعبة المعظمة بعد الذي وقع في زمن عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- من الحصين بن نمير ، فكان ذلك من فعل البشر ، وهذه من فعل السيل والمطر ، وكلاهما بقضاء وقدر، وإليك القصة بتمامها[(٤)] :

لما كان يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان من سنة تسع وثلاثين وألف حصل بمكة المشرفة مطر عظيم ، كان ابتداؤه في الساعة الثانية صباحاً ، واشتد نزوله بين الصلاتين الظهر والعصر ، وحصل معه بَرَدٌ ، واستمر كذلك إلى أثناء ليلة الخميس ٢٠ شعبان ، وجرى منه في آخر يوم الأربعاء سيل عظيم لم ترَ العين

---

(١) ابن علان محمد بن علي بن محمد علان البكري الصديقي المكي ت سنة ١٠٥٧ هـ - إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد . تحقيق خالد عزام ص ص ١١٢ - ٢٧٨ ونقل جميع من كتب في عمارة مراد عن ابن علان .

(٢) علي بن عبد القادر الطبري ت سنة ١٠٧٠ هـ - الأرج المسكي في التاريخ المكي ورقة ٨٥ - ٨٩ .

(٣) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ص ٢٠٣ - ٢٠٨ .

(٤) جميع من ذكر البناء نقل عن ابن علان في رسالته إنباء المؤيد الجليل مراد .

مثله في هذه الأزمنة القريبة ، ودخل المسجد الحرام وملأ غالبه ، ودخل الكعبة المشرفة من بابها ، ووصل إلى نصف جدارها ، وبلغ في الحرم إلى طوق القناديل ، ودخل بيوت أهل مكة المكرمة ، وأخرج الأمتعة وذهب بها إلى أسفل مكة ، ومات بسبب ذلك داخل المسجد الحرام وخارجه خلق كثير من كبير وصغير وجليل وحقير ، قال العلامة أحمد بن علان : وخرصت مَنْ مات فيه في النهار والليل نحو ألف إنسان[1] . وبات تلك الليلة السيل بالمسجد الحرام إلى الصباح ، ثم لما كان آخر نهار يوم الخميس عشرين شعبان سنة ١٠٣٩ سقط الجدار الشامي من الكعبة / المشرفة ، وبعض الجدارين [٩٤] الشرقي والغربي ، وسقطت درجة السطح ، وكان ذلك بعد صلاة عصر ذلك اليوم ، فحينئذ وقع الضجيج العام والانزعاج في قلوب الناس ، ثم قال ابن علان : وذكر لي بعض الناس أنه ذاق ماء ذلك البرد فكان ملحاً أو مراً . ولما كان صبح اليوم الثاني وهو يوم الخميس ، نزل أمير مكة الشريف مسعود بن إدريس بن حسن [2] ، وأمر بفتح سراديب باب إبراهيم ، التي هي مجاري مياه المسجد الحرام ، وخرج الماء منها إلى أسفل مكة ، ثم لما سقط جدار الكعبة المشرفة قبيل غروب ذلك اليوم ، وكان أمير مكة قد عاد إلى داره بأجياد ، وبلغه الخبر ، خرج من داره فزعاً إلى المسجد الحرام ، وحضر معه السادة الأشراف وفاتح البيت الشيخ محمد بن أبي القاسم الشيبي والعلماء والفقهاء والصلحاء ، وأمر بإيقاد الشموع الكائنة[3] في حاصل المسجد الحرام فأوقدت ، وأمر فاتح البيت أن يدخل الكعبة ويُخرج القناديل التي بها خشية عليها من الضياع ، فعين الشيخ شخصاً من خدام الكعبة لذلك ليكون معه ، أثر مرض يمنعه من الحركة ،

(١) ذكر الطبري المكي في الإتحاف : « فضبطوا فكانوا خمسمائة شخص». ص ٢٠٢ من المخطوط .

(٢) كان قد ولي الشرافة في تلك السنة ١٠٣٩هـ بعد مقتل الشريف أحمد بن عبدالمطلب - الطبري المكي - الإتحاف ص ٢٠٢ .

(٣) في الأصل « الكالة » .

فدخل ذلك الخادم ومعه جماعة، وأخرجوا القناديل وكانت عشرين قنديلاً من الذهب أحدها مرصع باللؤلؤ، وغيرها من المعادن، والميزاب، ووضعت في بيت الشيخ جمال الدين محمد بن أبي القاسم الشيبي العبدري، بعد أن ضبط ذلك بحضرة أمير مكة، وكان منزل فاتح الكعبة المشار إليه بالصفا، من أوقاف السلطان مراد على الحجبة، فوضعه في مخزن، وختم عليه بختم أمير / مكة، [٩٥]
والقاضي، ونائب الحرم، كما ذكره الطبري المكي[١] وأجلس عليه حرساً، وكل ذلك كان قبل الغروب في ذلك اليوم، ثم انصرف الناس إلى دورهم.

فلما كان يوم الجمعة الحادي والعشرين من الشهر المذكور، وصل الشريف مسعود أمير مكة إلى المسجد الحرام، ومعه السادة، والأشرف، والأعيان، بعد النداء العام لتنظيف المسجد الحرام، فتهافت الناس من كل جانب، وشرعوا في إزالة الطين الكائن بالمطاف، فشمَّر مولانا الشريف عن ساعده وأخذ مكتلاً وحمل فيه شيئاً من الطين، وفعل الناس الآخرون معه كذلك، فما كان بأسرع من تنظيف المطاف وما حوله؛ فباشر الخطيب بخطبة الجمعة، وكان الخطيب (فائز بن ظهيرة القرشي المخزومي) وأقام شعارها، ثم صلى بالناس في المطاف، ثم بعد الفراغ من الصلاة شرعوا في رفع الحجارة التي سقطت من الكعبة المشرفة، فمنها ما جعلوه خلف المقام الحنفي، ومنها ما جعلوه عند ممشى باب السلام، بقرب المنبر، وصفّوا الصغار منها بين المقام الحنفي وحاشية المطاف، ونقل العتالون الأحجار الكبار ووضعوها في صحن المسجد، ونقلوا

---

(١) الطبري المكي: محمد بن علي بن فضل بن محمد بن يحيى بن مكرم ابن المحب محمد الحسيني الطبري الشافعي المكي الملقب بالجمال - وكتابه: إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن - مخطوط -. ص ٢٠٢ من نسخة كلكتا رقم ١٢٨١.
وتناول البناء الذي تناوله ابن علان ج ٢ ص ص ٢٠٢-٢٠٧.

الجباب إلى ما تحت مدرسة السلطان سليمان، التي هي الآن مركز المحكمة الشرعية الكبرى.

ثم في ذلك اليوم نزل صفر آغا رئيس المشدين لصاحب جدة مصطفى آغا، وأخذ منه خمسمائة دينار من مال العشور[1] المجتمع عنده للسلطنة، فوصل بها مكة يوم الإثنين ٢٤ شعبان.

[٩٦] ولما كان يوم السبت ٢٩ من شعبان نزل أمير / مكة إلى المسجد الحرام، واجتمع إليه علماء البلدة، وحضر أعيان الناس، وحضر حسين آغا الشاووش من قبل صاحب مصر محمد باشا، فسأل الشريف مسعود أمير مكة مَنْ حضره من العلماء عن عمارة ما وهى من الكعبة: هل يؤثر المبادرة إلى عمارتها وتُعَمَّر في الحال من قِبَل ولي الأمر الذابّ عن سرحها؟ ومن أي مال يكون التعمير؟ بمال قناديلها أم بمال غير ذلك؟ وكان من الحاضرين في ذلك الاجتماع الشيخ خالد المالكي البصير، والقاضي عبدالله بن أبي بكر الحنبلي، والقاضي أحمد بن عيسى المرشدي، وغيرهم من علماء مكة المكرمة، فانعقد رأي الجماعة على أن يبادر بعمارتها من مال الكعبة، ويعرض الأمر إلى الأبواب السلطانية، ولا يمنع أحد من المسلمين أن يعمرها من ماله إذا لم يكن فيه شبهة، وإن ذلك يتوقف على العرض على السلطان الذي هو صاحب الولاية العظمى.

فلما اجتمع رأي الحاضرين على ذلك، أمر الشريف أن يكتب صورة سؤال، ويضع العلماء عليه خطوطهم، بعد محض الفكر، ليبعث به إلى

---

(١) غير واضحة في الأصل.

السلطان مراد خان ، فقاموا من ذلك المجلس . قال ابن علان : وفرش لهم البساط في باب الرحمة ، وطلبوا مني كتاب الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي[1] المسمى بـ (المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة) فأحضرته لهم ، وقرأ ما يحتاج إليه القاضي تاج الدين المالكي ، وجلس يقرأه عليهم عدة أيام ، فلما وصل إلى المطلوب أجابوا على السؤال : بأن تعمر الكعبة من
[٩٧] مالها ، والمبادرة إلى العمارة ممّن له / على الحرمين الشريفين إمارة ، وأن المخاطب بهذا هو السلطان مراد خان[2] ، ثم نائبه الشريف .

فجهز أمير مكة هيئة ، معهم أحمد شاووش أحد جماعة حسين آغا ، ومعه النوري علي سنجقدار اليمن ، وكان خروجهم من مكة يوم الإثنين ٢٤ شعبان ، لعرض ذلك ، وما وقع على الكعبة المشرفة إلى وزير مصر ، ليعرضه على حضرة السلطان مرادخان ، وكتب معهم ما يقتضي لذلك وأصحبهم بمحاضر من الأعيان وفتاوى العلماء .

وفي اليوم نفسه أمر الشريف مسعود المهندسين والفعلة بتنظيف المسجد الحرام ، مع باطن الكعبة المشرفة ، مما وقع فيها من الأحجار والتراب ، فأدخلوا أضماد البقر إلى المسجد الحرام ، وشرعوا في حرث الوحول المتراكمة والمكدسة ، وقد وصل من سنجق جدة خمسمائة دينار أخرى لصرفها أجوراً للعملة . وانتهى من حرث البقر في يوم الأحد ١٠ رمضان واستمر العمل والتنظيف حتى تم تنظيف المسجد الحرام بأسرع ما يمكن .

---

(١) ابن حجر الهيتمي هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي شهاب الدين ت سنة ٩٧٤ هـ .

ورسالته : المناهل العذبة في إصلاح ما وَهَيَ وتشعّب من الكعبة ، ألفها سنة ٩٥٩ هـ - مخطوطة منها نسخة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم ٦٣٣٩ .

(٢) السلطان مراد بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم العثماني ولي السلطنة سنة ١٠٣٢هـ - ١٠٥٠هـ انظر : علي بن عبد القادر الطبري ، الأرج المسكي ص ٣٠٧ وما بعد .

وأرسل الشريف مسعود إلى جدة لإحضار خشب يجعل على الكعبة ستراً، إلى أن يشرعوا في عمارتها، كما فعل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما. فوصل الخشب من جدة في آخر شهر رمضان، وتحصلوا على خشب آخر من مكة المكرمة، فشرعوا في عمل الستارة الخشبية، وكان ذلك في يوم الخميس ٢٦ من شهر رمضان سنة ١٠٣٩ في صبح اليوم المذكور، وجاء / [٩٨] مهندس مكة علي ابن شمس الدين بأخشاب من جذوع النخل، وقطع نصف العرض من طرف الجذع، ووضع رأس كل عود منها في رأس العود الآخر، وربط عليها بالزواير ثم بالمسامير الحديد، وجعلت تحت الشاذروان، ونقر فيها لأخشاب سواحي، وسمر زنانير في هذه الأخشاب، وجعلها أطواقاً ثلاثة تطيف بالكعبة ليمسكها، وصفح ما بين أعواد السواحي من جهة الجدر الساقط إلى أعلى البيت، وستر به البيت كله؛ وتم العمل في يوم الأحد ٢٣ من شهر شوال، وجعلوا فيه باباً لطيفاً من الخشب في الجهة الشرقية. وعمل الشريف مسعود ثوباً أخضراً ألبسه الكعبة المشرفة، ثم بعد أن ألبسها ذلك الثوب دخلها وصلى فيها، ثم خرج وطاف، وكان الرئيس على قبة زمزم يدعو له، وذلك في سابع شهر شوال من السنة المذكورة. فقال العلامة علي بن عبد القادر الطبري[١] في ذلك:

قالوا لنا البيت الشريف قد غدا في ثوبه الأخضر
ذا بر فقلت بهم لا تعجبوا فإنه من حلي الجنان الخضر

---

(١) علي بن عبد القادر الطبري ت سنة ١٠٧٠ هـ - الأرج المسكي في التاريخ المكي - مخطوط نسخة بمكتبة الحرم المكي ٣ دهلوي / تاريخ، ص ٨٩، والمطبوع بتحقيق أشرف أحمد الجمال ص ١٤٥.

ولما وصل هذا النبأ إلى الخارج، أحدث هياجاً شديداً ، كما أن الموسم قد قرب ، فرأى والي مصر محمد باشا الألباني ألا ينتظر ورود الأمر السلطاني من القسطنطينية، خوفاً من ازدياد التصدع في الكعبة المشرفة ، فأرسل رضوان آغا من حاشية البلاط العثماني مندوباً من قبله إلى مكة المكرمة، وخوّله صلاحية تامة لاتخاذ التدابير المستعجلة . فلما / كان ١٥ من شهر شوال، وصل [٩٩] القاصد من مصر، وأخبر بوصول الآغا رضوان بك المعمار معيناً للعمارة ، فدخل مكة يوم ١٦ شوال ونزل (بالجوخي) -وهو سبيل بالشهداء (الزاهر)- وفي اليوم الثاني لوصوله ١٧ شوال ، دخل البلدة وصحبته نامة سلطانية، وخلعة لأمير مكة الشريف مسعود، فألبسه إياها بالمسجد الحرام من اليوم المذكور .

قال السنجاري[١] : قال العلامة الحلبي[٢]: ولما وصل الخبر إلى والي مصر جمع العلماء والفقهاء ، وعرض عليهم ذلك . فاتفق رأيهم على المبادرة لعمارته، فعين لذلك الصناجق رضوان بك المعمار ، فورد مكة صحبته السيد محمد أفندي قاضي المدينة ، وخرج للقائه السيد عبد الكريم بن إدريس بن حسن . وكان وصوله مكة ليلة الأحد السادس والعشرين من شوال سنة ١٠٣٩.

وقال العلامة علي بن عبد القادر الطبري[٣] : ثم لما كان سادس عشر من شهر ربيع الثاني عام أربعين بعد الألف، وصل إلى مكة السيد محمد أفندي متولياً قضاء المدينة المنورة، ومعيناً لعمارة الكعبة المشرفة ، وكان وصوله

(١) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٢) الحلبي - السيرة - إنسان العيون ج ١ ص ٢٧٩ .

(٣) علي بن عبدالقادر الطبري - الأرج المسكي ص ٨٨ وانظر السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ٢٠٥.

إلـى بنـدر جدة بحراً، وكان الشريف مسعود مريضاً في داره التي بالمعابدة، فتوجه السيد محمد أفندي والآغـا رضوان ؛ صحبة السيد عبد الكريم إليه، بما معهم مـن الخلعة والـهدايا السلطانية، تحفهـم الأجـناد ؛ فلبسها ببستانه، ثـم إن أمير مكة الشريف مسعود المشار إليه صار إلى رحمة الله تعالى، في ليلـة الثلاثاء ١٨ ربيع الثاني سنة ١٠٤٠، وقام بالأمر بعده الشريف عبدالله ابـن / حسن بن أبي نمي . [١٠٠]

قال ابن علان[١] : وفي يوم الثلاثاء ٢١ من ربيع الثاني سنة ١٠٤٠، وصل الخبر بدخول غراب[٢] بن سويدان جدة (اسم السفينة أو صاحبها) وفيه من آلات العمارة كما أملاه عليّ كاتب جدة، الشهاب القباني، خمسمائة لوح دبسي، ومائة زنار، وخمسة عشر كريك غشيم، وثلاثمائة لاطة، وأربعة تراكة، وتسعون شواحي مجوز، وشواحي مفرد، وقرايا واحد، ومائتا تمساح رصاص، وخمسة عشر قنطاراً حديداً خاماً، وعشرة قناطير مسامير، وثمانية سحل ليف، وألف وأربعمائة عصى شون[٣]، ومائة وأربعون قتب جمال، وخمسة قناطير صلب، وثلاثمائة طشت وسطل من النحاس .

وقال العلامة علي بن عبدالقادر الطبري[٤] : حضر بالحطيم السيد محمد أفندي، والأفندي قاضي مكة حسين أروسي، وبقية الجماعة، وشيخ الحرم عتاقي أفندي، وأخلعوا على المهندسين المعماريين بمكة بعد التزامهم بعمارة

---

(١) ابن علان - إنباء الجليل ص ٢١٠ .

(٢) الغراب : من أنواع السفن . انظر : اسماعيل سرهنك - تاريخ الدولة العثمانية، بيروت : دار الفكر، ١٤٠٨هـ ص ٨٧.

(٣) الشون : من أنواع المراكب المعدة للجهاد في الحرب . انظر : القلقشندي، صبح الأعشى ج٣ ص ٥١٩ .

(٤) علي الطبري - الأرج المسكي ص ٨٩ .

البيت المعظم ، واستفتى السيد محمد أفندي الحاضرين من العلماء في نصب ساتر حول البيت وتكون الفعلة خلفها عند البناء ، فاختلفت آراء الحاضرين ، فمن قائل بالاستحسان ومن قائل بعدمه ، قال علي الطبري : وكنت من المستحسنين .

[١٠١] وفي يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الثاني، شرع النجارون بإحاطة الكعبة / بسياج من الخشب، يطيفون به على قدر حاجتهم، ووضعوا صفايح من الخشب عليه، ما يمنع وصول الناس للعملة ، وأخذوا من مدار الطواف نحو ستة أذرع من جدار البيت إلى المطاف من جهاته كلها ، وكان ارتفاعه طول القامة . وشرع النجارون أيضاً في عمل سقالة من الخشب، يصعد عليها البناء[١] إلى جدار الكعبة ، وجعلوا مبدأها مما يسامت الباب الغربي المسدود ، وهذه الستارة هي خلاف الستارة التي وضعها الشريف مسعود المتقدم ذكرها ؛ حيث تلك كانت على قدر الكعبة المشرفة ، وهذه أوسع دائرة منها، لأجل أن يكون البناء من خلفها، حتى لا يرى الطائف شيئاً[٢] مما يصنع في عمارة الكعبة. وفي اليوم التالي، وصل مندوب السلطان إلى مكة، وباشر العمل بالاشتراك مع رضوان آغا مندوب والي مصر .

وفي يوم الإثنين ٢٧ ربيع الثاني، وقع مطر بمكة، فسقط على أثره حجران من الجدار الغربي ، وأحجار صغار أيضاً . وفي اليوم نفسه، وصلوا بأول الأحجار الكبار التي اقتطعوها للكعبة من جبل الشبيكة - وهو الجبل المسمى في العصر الحاضر بجبل الكعبة ، وهو واقع في أول مدخل حارة الباب من جهة جرول على يمين الداخل من جرول إلى حارة الباب ، وكانت حارة الباب فيما

(١) في الأصل « النبأ » .
(٢) في الأصل « شيأ » .

سبق من ضمن حارة الشبيكة - وطول الحجر نحو ذراع ونصف، وسمكه نحو ذراع، فجيء بثلاثة منها ووضعت بقرب باب العمرة، وشرع الحجارون في نحت الأحجار التي قطعوها من الجبل المذكور. / وفي يوم الأربعاء ٢٩ منه، [١٠٢] جرى الكشف على بناية الكعبة من قبل السيد محمد الناظر، ورضوان آغا، وشمس الدين عتاقي شيخ الحرم، وعلي [بن][١] شمس الدين المهندس. وفي غرة جمادى الأولى جمعت أحجار الكعبة المتناثرة في صحن الحرم، وشرع النحاتون في نحت الأحجار الجديدة، وسلمت معاليق الكعبة التي كانت وضعت في بيت السادن إلى رضوان آغا. وفي يوم السبت ٢ جمادى الأولى، رُفعت الأحجار الرخامية التي بالمطاف، ووضعت بمكان قريب من باب السدرة. وصقل النحاتون أحجار الكعبة المتقدم ذكرها. وفي ١٠ منه وضعوا النورة عند باب الوقادين وهو خلف بئر زمزم وخمروها ووضعوا عليها أخشاباً.

قال علي الطبري[٢]: فلما كان يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى سنة ١٠٤٠، حضر بالحطيم أمير مكة الشريف عبداللّه بن حسن[٣] والسادات، والعلماء، فدار الكلام بينهم في هدم بقية الجدران، فاتفقوا على الإشراف عليه أولاً، فدخل الشريف عبداللّه والجماعة إلى الكعبة، وأشرفوا على بقية الجدران، ونصب المهندسون الميزان في الجدر اليماني، فوجدوه خارجاً عن الميزان نحو ربع ذراع. ثم خرجوا من الكعبة وجلسوا بالحطيم، فاقتضى رأيهم أن يهدموا بقية الجدارين الشرقي والغربي، ثم نظروا في الجدار اليماني، فإن زاد في الميل هُدم وإلا فلا، وانفضّ الجمع على ذلك.

(١) سقطت «بن» من الأصل.
(٢) علي بن عبد القادر الطبري - الأرج المسكي ص ٨٩.
(٣) كان الشريف مسعود قد توفي فتولى شرافة مكة الشريف عبدالله بن حسن.

ثم بعد مضي يومين من الاجتماع المتقدم ذكره ، رُفع سؤال إلى
[١٠٣] علماء[١] / مكة، الذين عليهم الاعتماد، ومضمونه : (هل يجوز هدم الجدار اليماني إذا شهد المهندسون بوهنه وسقوطه إنْ لم يهدم ؟) فأجاب العلماء المذكورون بالجواز ، وكان منهم الشيخ خالد، فقال : إذا شهد أرباب الخبرة . هذا ما نقله السنجاري في تاريخه[٢] ، ثم قال : « ونقل الحلبي[٣] عن الشيخ شهاب الدين بن حجر صاحب «التحفة» ما لفظه (ومن الواضح المبين أن ما وهى وتشقق منها في حكم المتهدم أو أشرف على الانهدام فيجوز إصلاحه ، بل يندب ، بل يجب) هذا كلامه » انتهى . وكان العلامة ابن علان مخالف لهم وأفتى بعدم الجواز . وذكر السنجاري[٤] : « أن المهندسين هم المعلم علي بن شمس الدين المهندس المكي ، والمعلم محمد زين الدين، وأخوه المعلم عبدالرحمن فالتزموا بناءها على وجه الكمال فسجل القاضي عليها ذلك » . اهـ.

قال ابن علان[٥] : وعين لمباشرة البناء علي بن شمس الدين المكي مهندس مكة ، ومحمد بن زين المكي المهندس ، وأخوه المعلم عبدالرحمن والمعلم سليمان الصحراوي المصري رئيس النجارين ، ومن البنائين أيضاً فاتح عبدالسيد الطباطبي المكي ، وسالم القرشي ، والمعلم سليمان بن محمد البجع، وابن حاتم ، ونور الدين ، وهؤلاء الأربعة مصريون . وفي يوم السبت ٢٥ جمادى الأولى ، فتح مقام إبراهيم ، ووضعت فيه الكسوة الشريفة ، ووضعوا الباب في بيت السيد محمد أفندي شيخ حرم المدينة .

---

(١) في الأصل « علم » .
(٢) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ٢٠٥ .
(٣) الحلبي - السيرة - إنسان العيون ج ١ ص ٢٨٠ .
(٤) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ٢٠٥ .
(٥) المؤلف ينقل عن السنجاري والمصادر الأخرى التي نقلت عن ابن علان .

قال ابن علان : وفي يوم السبت نهاية جمادى الأولى، شرع العمال في / إخراج باقي خشب سقف الكعبة ، وفي ضحوة النهار[1] شرعوا في [١٠٤] هدم الجدار الشرقي مما يحاذي البيت . وفي يوم الأحد غرة جمادى الثانية ، شرعوا في هدم الجدار الغربي ، ونقض الأخشاب التي عملت في محل الجدر الساقط بالسيل ، وقلع الحزام الذي كان على أعلى الحجر الأسود، وكان الطوق الكبير قد سقط حين سقط الجدر ، ورفع الميزاب والصحيفة الذهبية المكتوب عليها باللازوردي تاريخ وضع الحزام . وفيه : عزم البناة على هدم الجدار اليماني[2] ، وفيه[3] : نصبوا البكرات، وأخرجوا بها عمودين من العمد الثلاثة التي عليها بساتل أخشاب السقف، ووضعوها عند باب الباسطية، وهما سالمان ، سوى يسير من رأس أحدهما الذي يلي الأرض، تآكل بالمياه عند غسيل البيت ودخول السيول ، وأما البساتل[4] التي عليها، فمنها ما رأوه منكسراً مع رثّ خشب البيت، وما وجدوه صالحاً وضعوه بحاشية المطاف . وفي يوم الإثنين ٢ : منه شرعوا في هدم الجدار اليماني. وفي يوم الثلاثاء٣: منه أخذوا في هدمه، ووصلوا إلى ما فوق عتبة الباب وعالجوها حتى قلعوها، وفيه قلعوا أحجار الشاذروان ، وهو الرخام وفيه حلق النحاس مموهة بالذهب ، ورُفع الحجر الذي فيه الركن اليماني ، الذي هو محل الاستلام، ووضعوه داخل الستار الخشبي ، وهدموا باقي أحجار الأركان وما بينهما، وما أبقوا سوى الحجر الأسود . ويوم الأربعاء ٤ منه نقض العمال سقف الكعبة، ونقلوا الرصاص / والرخام وخشب الكسوة إلى سقاية [١٠٥]

---

(١) في الأصل « النبار » .

(٢) في الأصل « الماني » .

(٣) أي في يوم الأحد غرة جمادى الثانية .

(٤) انظر تعريف البستل ضمن النص ص ١٤٠ .

العباس. وفي اليوم التالي: أتموا عملهم هذا. قال ابن علان[1]: «وفي يوم السبت ١٠ منه، دخلتُ الكعبة ونظرتُ إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود، وجاء المعلم محمد زين الدين، فوزن الحجر الأسود، والذي فوقه، فوجد الحجر الذي فوق الحجر الأسود ناقصاً قدر ثلاثة قراريط تقريباً، وباقي الجدر من أسفله في محله، ومن أعلاه مما يلي داخل البناء صحيح، فاقتضى رأي المعلم محمد بن شمس الدين هدم ذلك كله، وأنه لا يبقي من بناء ابن الزبير شيء، فمُنع من هدم الجدار اليماني، ثم اقتضى الحال أن يهدمه ما عدا[2] الحجر الأسود. وفي ضحى يوم الأحد ٢٣ جمادى الآخرة، رُمي أساس الجدار الشامي وبعض أساس الجدار الغربي مما يلي الحجر، وحضر رمي الأساس أمير مكة الشريف عبدالله ومعه أولاده، والأفندي المذكور، وغيرهم من الأعيان، منهم قاضي الشرع، وناظر الحرم، والحاكم السياسي القائد جوهر بن ياقوت الحسني، وفاتح البيت الحرام، وكان رضوان المعمار أمر بعض أتباعه أن يعدّ في عشرين مكتلاً حجارة، وفي عشرين حلة نورة؛ فلما أتم الدعاء، باشر الشريف عبدالله شيئاً من العمل، وتبعه الأعيان في ذلك. وفي هذا اليوم وضعوا عتبة الباب، ثم شرعوا في البناء. ووقع اجتماع في الحطيم بعد هذا، فألبس أمير مكة خلعة، وكذلك المعلمون، وبعض أعيان مكة، وهيئة القراءات[3] في المقامات الأربعة، وذبح ثور وكبشين عند باب السلام، / وكذلك عند باب الصفا، وعند باب الزيادة، وباب إبراهيم، صدقة. [١٠٦]

(١) ذكر ابن علان ذلك أيضاً في رسالته: العلم المفرد في تاريخ الحجر الأسود - مخطوط ضمن مجموع ص ٢٥٣. وهو في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة رقم ١٦٤٥.

(٢) في الأصل «عدى».

(٣) في الأصل «القرائان».

وهذه العتبة ، هي العتبة السفلى للشاذروان ، وتبين لهم أنه في أسفل جدار البيت الشرقي دبل صغير ، فدكوه في هذا البناء - والظاهر أن هذا الدبل عمل في عمارة ابن الزبير ، وجعل لأجل أن يتسرب منه ماء الغسيل ونحوه ؛ لأن أرضية بطن الكعبة كانت واطئة في عمارة ابن الزبير - . وفي يوم الأربعاء ٢٦ منه عمل البناة أحجار وجه المدماك الأول المنحوت ، وذرع سمكه ٢٤ قيراطاً بذراع العمل ، ونصبوا تلك الأحجار في الجدر الأربعة . وفي يوم الأحد غاية جمادى الآخرة ، شرعوا في عمل المدماك الثاني ، وسمكه ٢٢ قيراطاً ؛ وبدؤوا فيه من الجانب الشرقي ، وصبوا فيه الرصاص على وجه أسفل الجدار اليماني ، ليساوي المتآكل منه باقي الجدار في سمته .

وفي يوم الإثنين غرة شهر رجب وضع الحجر الذي يستلمه الطائف بالبيت في الركن اليماني في موضعه ، بعد صلاة العصر ؛ وذلك بعد أن ضمخه السادن بالعنبر والمسك وبخره بالعود . وكان طرف الحجر الذي تحته انكسر من أعلاه ، فوضع في محل ذلك رصاص مذاب ، ما يجعله مسامتاً لباقي الأحجار ، ووضعوا حجر الركن الغربي والشامي ، ونصبوا أحجار الجدار الشامي . وفي يوم الثلاثاء ٢ منه ، نصبوا أحجار المدماك الثاني من جوانبه الأربعة ، وشرعوا في دكّ ما وراء ذلك . وفي يوم الأربعاء ٣ منه / ، حملت [١٠٧] النورة والأحجار ، ودكّ بها الجدار اليماني ، ووضعوا حجراً في خد باب الكعبة على يمين الداخل إليها . وفي يوم الخميس ٤ منه ، وضعت عتبة الباب الشريف بمحلها . وفي الحجر ثقب مستدير لخروج الماء الذي يغسل به بطن الكعبة ونحوه ، وفي اليوم نفسه ، نقلت العمد الثلاثة ، وردف الباب العليا إلى محلّ من الكعبة . وفي يوم السبت ٦ منه ، شرعوا في المدماك الثالث ،

وجعلوا سمكه عشرين قيراطاً، وفيه الباب الشرقي، وفيه[1] : رَسَموا باب الكعبة الغربي، وهو بحذاء الباب الشرقي في الجدار الغربي . وفي يوم الأحد ٧ منه ، كمل نصب الأحجار المنحوتة في المدماك الثالث . وفيه : أصلح النجارون الأخشاب الصحيحة المخرجة من البيت، فعادت على أحسن ما ينبغي . وفيه موّه الصائغ الفضة التي صفح بها الحجر الأسود . وفي يوم الإثنين ٨ منه أصلح الرخام المحاط بجدار الكعبة من الداخل، والمفروش من الجانب اليماني ، وشرعوا في المدماك الرابع، وبدؤوا فيه من الجانب الشامي وسمكه ١٨ قيراطاً .

فلما كان يوم الثلاثاء ٩ رجب سنة ١٠٤٠ ، عند طلوع الشمس، حضر ناظر العمارة من قبل السلطان مراد خان ، السيد محمد أفندي بن محمود أفندي الأنقوري، قاضي المدينة، والأمير رضوان بك المعماري، وآغا جدة مصطفى آغا ، وجاء النجارون بأخشاب وستروا بها ما حاذى الحجر الأسود، لئلا يصل إليه أحد من الناس فيمنعهم من العمل ؛ ثم أخرجوا الحجر / [١٠٨] الأعلى، ونقلوه إلى محل آخر ، ثم حضر الشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ محمد الشيبي ، وشيخ الحرم المكي شمس الدين عتاقي زاده ، وأفندي الشرع مولانا محمد أبو المحامد حسين بن يحيى الشهير بمتولي زاده ، والشيخ العارف بالله تاج الدين النقشبندي ، ونائب الحرم السيد محمد ، والشريف عبدالله بن الحسين[2] بن أبي نمي أمير مكة، وأولاده السيد محمد ، وأحمد ، وصحبتهم السيد علي بن بركات بن حسن ، وآخرون من السادة الأشراف . فأخذ المهندس، والمعلم عبدالرحمن بن زين الدين بأصبع الحديد ما أطاف بالحجر الأسود، مما كان عليه من الفضة ، والجير ، والخارج من ذلك يتلقاه السيد

(١) أي يوم السبت السادس من شهر رجب .
(٢) الصحيح « الحسن » .

محمد -ولد أمير مكة- بمحرمة في يده ، فبينما هم كذلك كأن مَنْ بيده المعول قرص بلا تأنٍّ ، فإذا الحجر الأسود متشظٍّ ، نحو أربع شظايا من جهة ، وتفارقت منه ، وكادت أن تسقط ، فعند ذلك أحضر السيد علي بن بركات ، فلما رأى ما أهاله من الأمر الشديد ، الذي أهال ذوي الألباب وأزعج أهل الإيمان ، قال : يا أمة الإسلام ، إن أُخْرِج الحجر تفرقت أجزاؤه ، ولا والله تقدرون على ضمها وجمعها ، ويترتب على ذلك ضرر عام ، فدعوه في محله ، وأصلحوا هذا الذي انزعج منه . فقال المعلم ابن شمس الدين : الحجر الذي عليه الحجر الأسود خارج ، وفي بقائه خلل ؛ لأنه ركن البيت وعليه عتبة الباب . فقال السيد علي : إن المعلم يقدر على رتق ما هو أكبر من هذا الجرم ، ويمكن عتق الحجر الذي عليه الحجر الأسود . وما زال بهم حتى / أمر ناظر العمارة باتباع قوله ، ولا يزال ابن شمس الدين مصمم على رفع الحجر من مكانه ، ثم وافق على ذلك قهراً . ثم شرعوا في إصلاح ما انكسر منه وإلصاقه . [١٠٩]

قال ابن علان(١) : ولون ما استتر من الحجر الأسود بالعمارة في جدر الكعبة أبيض بياض المقام - يعني مقام الخليل إبراهيم ﷺ - وذرع طوله نصف ذراع بذراع العمل ، وعرضه ثلث ذراع ، ونقص منه قيراط في بعضه ، وسمكه أربعة قراريط ، وعليه سيور من الفضة ، واحد من أول ما غاب من رأسه من جهة الباب مستديراً إلى مثله مما يلي الجانب اليماني في وسط سمكه ، وعليه سيران من فضة محيطان بعرضه إلى طرف السير من الوجه الثاني ، وفي عرض الحجر ثلاثة شطوب مستطيلة واحد من جهة الباب ، وآخر من جهة الركن اليماني وسرى إلى آخر الحجر من هذا الجانب ، والثالث في وسطه سواء . ثم عملوا مركباً من عنبر ، ولادن(٢) ، وأعادوا به الفتات من

(١) ذكر ابن علان ذلك في رسالته : العلم المفرد في فضل الحجر الأسود ص ٢٥٤ من المخطوط .
(٢) في الأصل « ولاذن » .

الحجر، وغسلوه بماء الورد، وباشر في ذلك أمير مكة والأكابر، وبعد تمام الإلصاق وضعوا عليه الطوق، وفي ذلك اليوم تفكك المركب وذاب من حرارة الشمس، فأوقدوا الشموع ليلة الأربعاء ١٠ رجب، وعملوا مركباً آخر من القلفونية، والاسبيذاج، والسندروس، وأضافوا إليه مسكا وعنبراً، وقليلاً من الفحم للسواد، وألصقوا به عنه منتصف تلك الليلة، وكان هذا العمل مفيداً.

[١١٠] / قال ابن علان: وفلق الحجر ثلاثة عشر فلقة الكبار منها أربعة، وأنه علم ممَّن قام بالعمل أن لونه زيتي، وبعضهم قال فيه صفرة. إلى آخر ما ذكره الشيخ محمد بن علان في رسالته المتعلقة بالحجر الأسود.

وملخص ذلك: أنهم أصلحوا ما خرج منه بعد تعب كبير، وكان تمام عمله ليلة الجمعة بعد مضي نصفها، وأحضر السيد علي، والسيد محمد بن عبدالله، وشيخ الحرم المكي. وبعد تمام العمل، رفعوا الخشب المانع من تقبيل الحجر الأسود، وأسفر الحجر عن محياه، وقبله كلّ مَنْ كان موجوداً من المسلمين وحياه. ثم قال(١): «وفي تاسع شوال تخلخلت أحجار من آخره، وتحركت الفضة التي فيه، فجاؤوا بالمعلم محمود الدهان فنظر بعد رفع الفضة، فإذا الحجر تفككت أجزاؤه، بحيث من أراد قلع بعضه تمكن من ذلك. فصنع مُركَّباً ملأ(٢) به ما اتصل به من الخلل بين الحجارة. وعمل ذلك قبل صلاة الظهر إلى بعد الصلاة في يومين. وفي أول ذي الحجة عند الظهر دهن الحجر بدهان وطلاه بالسندروس، فصلح ما تخلخل منه». اهـ.

وسنأتي على تاريخ الحجر الأسود من يوم وضعه الخليل إبراهيم ﷺ،

(١) أي ابن علان - وهذا أيضاً في رسالته: العلم الفرد.
(٢) في الأصل «ملا».

وما اعتراه بعد ذلك من حوادث إلى العصر الحاضر، في هذا الكتاب إن شاء اللّه[1] .

وفي يوم الأربعاء ١ رجب سنة ١٠٤٠ ، حدث نتوء في بعض الأحجار حال وضعها، فصار خارجاً عن سطح الحجر. وفيه: بنى البناؤون[2] في المدماك الثالث من الجانب اليماني والجانب الغربي . وأتموا بناء المدماك / [١١١] الثاني بأعلى دكة البيت ، سوى الحجر المحاذي للحجر الأسود .

وفي يوم الخميس ١١ منه، جاؤوا[3] ليلاً بحرف لسدّ ما بين الحجر الأسود والذي فوقه ، وسمك ذلك نحو أربع أصابع، وعليها فضة، وأرادوا لحم طرف الفضة بطرف الحجر الأسود ، ولكن العامل المخصص أبى ذلك خوفاً من تفكك الأحجار، وعدم تمكنه من إعادته فيما بعد ، فتركوا ذلك ، وأخذوا في حَكِّ الفضة من أطراف الحجر، واستمر العمل في هذا اليوم أيضاً ، وأخذ البناؤون[4] في بناء الأحجار التي فوق الحجر الأسود وبجوانبه ، فأتموا به المداميك الموازية لها ، وشرع قسم من البنائين من الركن الغربي إلى اليماني، فبنوا باقي الجدار ودكّوا باطنه . وفي مساء هذا اليوم تم تمويه الحجر الأسود بصفائح من الفضة . وفي يوم الجمعة ١٢ منه حضر أمير مكة ، وجماعة من الأعيان ، والأشراف ، وتعاطى الجميع رفع باب الكعبة . وفي يوم السبت ١٣ منه شرعوا في المدماك الخامس ، وسمكه ١٨ قيراطاً ، وفيه شرع النجارون في عمل خشب الدفن ، وجعلوه وراء الحجر الشبيكي المنحوت .

---

(١) انظر ص ١٧٥ من هذا الكتاب .

(٢) في الأصل « البناؤن » .

(٣) في الأصل « جاؤ » .

(٤) في الأصل « البناؤن » .

وفي يوم الإثنين ١٥ منه ، شرعوا في المدماك السادس ، وسمكه ١٨ قيراطاً . وفي يوم الأربعاء ١٧ منه ، شرعوا في المدماك السابع ، وسمكه ١٧ قيراطاً . وفي يوم السبت ٢٠ منه ، شرعوا في عمل المدماك الثامن . وفي يوم الإثنين ٢٢ منه ، ألصقوا خدّي باب الكعبة الخشب المصفح بالفضة وهو من عمل السلطان سليمان[١] بالأخشاب التي توضع على الباب ، وشرع / [١١٢] البناؤون[٢] في بناء المدماك التاسع ، وسمكه ١٧ قيراطاً . وفي يوم الثلاثاء ٢٣ منه تم وضع الباب ، وهو من عمل السلطان بيبرس[٣] ، وكان الذي صفحه بالفضة المموهة بالذهب السلطان سليمان العثماني ، ووضعوا الرّدف التي على الباب وقفله . وفي يوم الأربعاء ٢٤ منه ، شرعوا في عمل المدماك العاشر ، وسمكه ١٦ قيراطاً ونصف . وفي يوم الخميس ٢٥ منه ، شرعوا في المدماك الحادي عشر ، وفيه نظف باطن الكعبة ، وأُزيل الخشب الساتر لوجه الكعبة فظهرت جهة الباب . وفي يوم السبت ٢٧ منه ، شرعوا في المدماك الثاني عشر ، وسمكه ١٦ قيراطاً . وفي يوم الأحد ٢٨ منه ، شرعوا في عمل أخشاب السقف ، وكان أربع فجوات ، كل فجوة ٢٢ عوداً ، ومجموعها ٨٨ عوداً ، وذلك مطابق لعدد ما كان في البناء السابق ، وعلى الأعواد صفائح أخشاب مسمرة على ظهرها . وفي يوم الإثنين ٢٩ منه ، شرعوا في المدماك الثالث عشر ، وشرعوا في توضيب خشب السقف ، وتوضيب ما يجعل عليه من أحجار الرخام .

---

(١) سليمان بن سليم أعظم سلاطين آل عثمان ت سنة ٩٧٤ هـ . أسهب في ترجمته النهروالي في كتابه «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» .

(٢) في الأصل « البناون » .

(٣) السلطان بيبرس البندقداري التركي الظاهر أعظم سلاطين المماليك . ت سنة ٦٧٦ هـ . ترجم له الكثيرون أشهرها : ابن عبد الظاهر محيي الدين - الروض المزهر في سيرة الملك الظاهر - تحقيق عبدالعزيز الخويطر - الرياض ط١ ١٩٧٦م .

وفي يوم الثلاثاء ٣٠ منه ، أتموا المدماك الثالث عشر ، ومنه كان الشروع في النصف الثاني من مداميك الكعبة .

وفي يوم الأربعاء غرة شعبان رُفعت جميع الستاير الخشبية التي نصبت حول الكعبة . وأخذ في عمل المدماك الرابع عشر ، وسمكه ١٤ قيراطاً ونصف ، والخامس عشر ، وسمكه ١٤ قيراطاً ونصف ، والسادس عشر ، وسمكه ١٤ قيراطاً ، وشرعوا في المدماك السابع عشر ، وسمكه ١٤ / [١١٣]
قيراطاً ، وجرى العمل المتقدم من غرة شعبان إلى غاية اليوم السادس منه .

وفي يوم الثلاثاء ٧ شعبان سنة ١٠٤٠ ، وصلوا إلى المدماك الذي عليه بساتل أخشاب السقف الأول ، وهي ثلاثة . وفيه : وصل البستل -وهو قطعة من دقل (مَرْكَب)- وحمل من جدة على عجل وجُرَّتْ باثني عشر جملاً ، وأدخلت من باب الصفا ، حملها اثناعشر رجلاً ؛ وهي واحدة من ثلاثة بساتل ، ولم تصل إلى مكة البستلان الآخرى إلا بعد أسبوع ، وكان المدماك الذي وضع عليه خشب السقف الأول التاسع عشر ، وسمكه ١٥ قيراطاً -هكذا وجدته في الكتب التي وقفت عليها أن المدماك التاسع عشر ، كان سمكه ١٥ قيراطاً ، وهذا يخالف القاعدة المعمارية التي جرى عليها بناء الكعبة في ذلك التاريخ ؛ لكونهم كلما ارتفعوا مدماكاً اقتصروا من سمك الأعلى عن الذي تحته ، وعلى ذلك يقتضي أن يكون هذا المدماك ١٩ سمكه ١٤ قيراطاً ، والذي يظهر لي أنه وقع غلط من النساخين ، والله أعلم . وفي يوم الأربعاء ٨ منه ، كُشف الجباب المفروش على وجه رخامة الكعبة ، وحفروا مكان الأعمدة ، ووضعوا لها قواعد من الحجر الشبيكي عوضاً عما نشر من أسفل العمد ، وبقي من مداميك البيت نحو ستة .

[١١٤] وفي يوم الخميس ٩ منه، ركّبوا أربع بكرات بأحبالها، لتطليع أخشاب / البساتل لسقف الكعبة . وفي يوم الجمعة ١٠ منه، شرع المرخمون في ترصيص رخام الوزرة من الكعبة .

وفي يوم السبت ١١ منه، أصعدوا بالدوار على البكرة الخشبة الكبيرة، التي جاءَت من جدة، ووضعوا أطرافها على الجدارين الشرقي والغربي، وشرعوا في بناء الشاذروان من تحت الحجر الأسود، وأقاموا واحداً من العمد بالدوار، وأجلسوه على قاعدة من الحجر مطوق بالحديد، وصبوا فيه الرصاص . وفي يوم الأحد ١٢ منه، أقاموا العمود الثاني والثالث، ووضعوهما كالأول، واستمروا في بناء الشاذروان . وفي يوم الثلاثاء ١٤، منه وضعوا البساتل الثلاثة للسقف الأول، وبنوا المدماك العشرين، وسمكه ٩ قراريط . وفي يوم الخميس ١٦ منه بُني المدماك الحادي والعشرون . وفي يوم السبت ١٨ منه، دهنوا عمد الكعبة الثلاثة بالجير والزعفران، وطلوا ذلك بغرا الجلود، وبني المدماك الثاني والعشرون، والمدماك الثالث والعشرون، والرابع والعشرون، وسمكها ١٤ قيراطاً. وفيه، رفعوا الستارة الخضراء . وفي يوم الثلاثاء ٢١ شعبان، وضعوا البساتل الثلاثة للسقف الثاني، وبنوا عليه المدماك الرابع والعشرين، الذي فيه البساتل العليا . وفي يوم الأربعاء ٢٢ منه أحضروا أخشاب السقف الثاني . وفي يوم الخميس ٢٣ منه شرعوا في المدماك[1] الخامس والعشرين، وسمكه ١٣ قيراطاً . وفي يوم السبت ٢٥ منه ركبوا خشب السقف الثاني، وشرعوا في توضيب درج سطح الكعبة، وهي ست
[١١٥] مراقي، تدور دوران درج / المنارة . وفي يوم الأحد ٢٦ منه، دكّوا سطح

(١) في الأصل « المدمالا » .

الكعبة بالآجر على ظهر خشب السقف ، وتم السقف الثاني . وفي يوم الثلاثاء ٢٨ منه ، بيضوا داخل الكعبة من تحت السقف ، إلى محل الوزرة ، بدل الرخام الذي كان فيه سابقاً . وفي يوم الأربعاء ٢٩ منه ، طنف بالآجر سطح الكعبة من الجوانب الأربع ، وفي وقت الضحى ، رُكِّب الميزاب ، وهو خشب طوله ثلاثة أذرع ونصف، البارز منه مُصفّح بالفضة المحلاة بالذهب، ومكتوب عليه اسم السلطان أحمد خان ، وكان وصوله مكة سنة ١٠٢٠ قبل هذه العمارة بعشرين سنة . وفي يوم الخميس ٣٠ منه صعد المبيضون سطح الكعبة ، وبيضوا الطنف .

وفي يوم الجمعة الموافق غرة شهر رمضان سنة ١٠٤٠ ، أُلبست الكعبة المشرفة ثوبها ، وكان ذلك عند شروق الشمس . قال علي بن عبدالقادر(١) الطبري المكي : « فقلت في ذلك :

قالوا لنا البيت الشريف قد بدا   في ثوبه الأسود ذي البهاء
قلت لهم بُشْراكم فإنه   دلَّ على دوام البقاء

ثم قال أيضاً(٢) : « وفيه -هذا اليوم- ألبس أمير مكة خلعة مبطنة ، وكذلك المهندسون وَمَنْ له عادة . قال ابن علان(٣) : وفي يوم السبت ٢ رمضان، فرشوا رخام سطح الكعبة . وفي يوم الأحد ٣ منه، أتموا عمل الشاذروان، وكان قد تكسّر من رخامه عشرة، فأبدلوها برخام جديد وضعوه في الجانب الغربي . قال الطبري المكي(٤) : «وفي يوم الإثنين ٤ رمضان أتموا

---

(١) علي بن عبد القادر الطبري - الأرج المسكي ورقة ٨٨ وانظر : الطبري المكي - إتحاف فضلاء الزمن ج ٢ ص ٢٠٥ .
(٢) علي بن عبد القادر الطبري ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٥ .
(٣) عود إلى نقل المؤلفين عن رسالة ابن علان إنباء الجليل مراد .
(٤) الطبري المكي - إتحاف فضلاء الزمن ج ٢ ص ٢٠٦ .

[١١٦] ترخيم / سطح الكعبة . وفي هذا اليوم، وصلت الخلع الباشوية لأمير مكة الشريف عبدالله ، وألبس الشريف القفطان الوارد ، وكذلك ألبس الأمير رضوان بك المعماري . قال ابن علان : وفي يوم الثلاثاء ٥ منه، شرع المرخمون في نصب رخام الوزرة . وفي يوم السبت ٩ منه تم نصب درجة سطح الكعبة .

وفي يوم الأحد١٠ منه، نظّفوا باطن الحجْر وجانبه، عما كان فيه وشرعوا في بناء جداره ، وابتدؤوا في عمله من الجانب العراقي ؛ فهدموا أربع تركينات إلى الأرض، وانكشف تحت الرخام حجر صوان شبيكي . وفي يوم الثلاثاء ١٢ منه ، عمل البناة في الحجْر ، وهدم جداره شيئاً فشيئاً [١] ، وكلما هدموا شيئاً بنوا ما وراءه ، وألقوا ما أخرجوه من جبابه وبعض أحجاره بباطنه ، مع أحجار الكعبة عند المقام ، وعمل المرخمون أيضاً في ترخيم الوزرة . وفي يوم الخميس ١٤ منه ، تم بناء وجه جدار الحجْر . وفي يوم السبت ١٦ منه ، وضعوا أحجار رفرف الحجْر بمكانها ، وهي منقورة ، فيها أسماء مَنْ له في الحجْر عمارة من خليفة أو ملك ، وكان الجدار الذي تم بناؤه من عمارة الملك الأشرف قانصوه الغوري[٢] ، في أوائل القرن العاشر ، وقد فُقدَ منه رخامة فأبدلت برخامة ملساء . وفي يوم الأحد ١٧ منه، شرع البناؤون[٣] في هدم وجه الجدار الباطني المحاذي للكعبة ؛ وقد تبين أن رخاماً من رخام المطاف تكسر بما سقط عليه من أحجار الكعبة، حال سقوطها من السيل .

---

(١) في الأصل « شيأ فشيأ » .

(٢) قانصوه الغوري الأشرفي الجركسي - الملك الأشرف سلطان المماليك تسلطن سنة ٩٠٦ هـ واستمر إلى أن فقد تحت سنابك الخيل في معركة مرج دابق مع السلطان سليم العثماني عام ٩٢٢هـ. انظر : ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب ج ٨ ص ١١٣ .

(٣) في الأصل « البناؤن » .

/ قال ابن علان : وفي يوم الإثنين ١٨ منه، شرعوا في بناء جدار، قدر قامة، من أسفل درجة سطح الكعبة، وتم وجه جدار الحجر الباطني . وفي يوم الأربعاء ٢٠ منه شرع المرخمون في ترخيم وزرة الجدار الشرقي وعمل الحدادون لدرجة باب السطح باباً . وفي يوم الخميس ٢١ منه، أحضر المعلم محمود الهندي إلى الحجر الأسود، وجعلت ستارة، وأقطع من الحجر فيما قيل لي ثلاثة عشر قطعة كبار وصغار، فجمع بعضها لبعض بمركّبه الذي صنعه لذلك، وجعلها في باطنه، وألصق الكبار على وجه الحجر، وكحّل المهندس ما بين سافات جدار الحِجْر . وفي يوم الجمعة ٢٢ منه، عمل المرخمون في جوف الكعبة عملهم، وعند العصر كتبوا محضراً أرسلوه إلى مصر، فيه شهادة المكيين بحسن عمارة البيت المعظم . وفي يوم السبت ٢٣ منه سدوا الباب الغربي بحجارة شبيكية، وتمت عند الغروب، وبقي من وجهه الباطن ومن دكّه قليل، وفتحوا الباب الشرقي، وقد قارب الترخيم التمام . وفي يوم الأحد ٢٤ منه، تم دكّ الباب[1] الغربي، وترخيم الوزرة، وما بقي إلا ترخيم أرضها، فإنّ رخامها وإن لم يقلع من محله إلا أنه تأثر في الجملة، فشرع فيه المرخمون . وفي يوم الأربعاء ٢٧ منه فتحوا باب الكعبة لباقي الترخيم، وأتم المرخمون عملهم، وأخرجوا قواعد العمد التحتية ومشاحب العمد القديمة من سقاية العباس[2]، ودُخل بها الكعبة لتعاد لمكانها، ثم رُؤي استبدالها بجديد منها . وفي يوم الخميس ٢٨ منه، أرسلوا إلى الأرض ثوب / الكعبة، بعد أن فكّوا منه الحبال المربوطة، وأعادوا الصفيحة الذهب التي بأعلى الباب مكتوباً فيها باللازوردي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

[١١٧] [١١٨]

---

(١) تكررت كلمة « الباب » في الأصل .

(٢) سقاية العباس : انظر عنها ما كتبه الأزرقي في أخبار مكة ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٦ .

الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[1] وتحته ثلاث أبيات ، فيها تاريخ عمل الحزام للسلطان أحمد خان[2] وهو عام عشرين وألف، وهي :

اللوح ذا لما استرمَّ فجدّدا	قد بدل السلطان أحمد عسجدا
قيداً له من جديد ذو جدا	اللّه أنعم بالمجدد وأيّدا
أُلهمت في تاريخه لما بدا	اللوح بالسلطان أحمد حددا

وفيه عمل المرخمون في سطح جدار الحِجْر، ثم تركوه وعادوا إلى باطن الكعبة .

وفي يوم السبت ٨ شوال سنة ١٠٤٠ ، رخّموا وجه جدار الحِجْر ، وشرعوا في ترميم المتكسر من رخام المطاف، بإخراج القطع المتكسرة وإبدالها بسالم من ذلك ، وشرعوا في صنع أخشاب لإبدال بعض أخشاب رثَّت ، في المقام الإبراهيمي عند بابه ، وعملوا ذلك من خشب الصنوبر . وفي يوم الأحد ٩ منه، عاد المعلم محمود الهندي، وأصلح في الحجر الأسود كما فعل في رمضان . وأصلح النجارون خلل درجة الكعبة، وأبدلوا درجة من درجها، وقلع المرخمون المتكسر من الحجارة والمنخسف من باطن الحِجْر، [١١٩] ووضعوها عند مقام المالكية، ورفعوا باب المقام الإبراهيمي ، / وستروا على محله بستارة ، وشرعوا في عملها حالاً ، وشرع المنقلون في تكحيل رصف المطاف وأبواب المسجد . وفي يوم الإثنين ١٠ منه، وُضعت الحديدات بين العمد، التي هي محل تعليق قناديل الكعبة وهداياها . وفي يوم الأربعاء ١٢ منه، قلعوا الرخام المتكسر في المعجن . وفي يوم الخميس ١٣ منه، أبدل

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦ -٩٧ .

(٢) أحمد خان بن محمد خان بن مراد خان بن سليم العثماني . تولى السلطنة سنة ١٠١٢ هـ واستمر إلى وفاته سنة ١٠٢٧ هـ . ترجم له علي بن عبدالقادر الطبري في كتاب الأرج المسكي .

المرخمون من رخام الحجْر ما تكسر منه ، وفيه نقل العملة ما اجتمع مما رثّ من خشب الكعبة إلى الدكة الموالية لبيت ميرزا مخدوم، إلى حذاء السليمانية(١) ، وفيه جدّدوا للعمد مشاحب وقواعد . وفي يوم الجمعة ١٤ منه ، تم دهان الأخشاب التي بين شبابيك المقام الإبراهيمي بالزنجفر وبالأخضر، وجلَى الذهب المكتوب فيه اسم الآمر بتجديده، السلطان مراد الرابع ابن السلطان سليم خان . وفي يوم الأحد ١٦ منه، أصلح أسفل باب الكعبة وأعلاه، وسمر ما يحتاج للإصلاح . وفي يوم الخميس ٢٠ منه، تم فرش حباب الكعبة في جميع المعدله من الدكة المارة الذكر . وفي الجمعة ٢١ منه ، جلَى المرخمون رخام الحجْر البيض والسود ، ودهنوها بالدهان الأسود والسندروس . وفي يوم الأحَد ٢٣ منه، أجرى النجارون إصلاحاً بالدرجة التي يصعد منها لباب الكعبة ، وفيه وُزنت ثمانية مثاقيل ذهب، تصفح بها مشاحب العمد الجديدة . وفي يوم الأربعاء ٢٦ منه ، أصلح المرخمون رخام باب الحِجْر الشرقي، بقلعه وإبدال الخراب بالصالح ، وقلع الرخام المتكسر في المعجن .

/ وفي يوم الأحد غرة شهر ذي القعدة سنة ١٠٤٠ ، فُتحَت الكعبة ، [١٢٠]
وصعد المرخمون لجلاء رخام الوزرة(٢) ، وركب النجارون مَشاحبها الجديدة على العمد وأخشاب القواعد من تحتها، وصفحوها بصفائح الذهب .

وفي يوم الجمعة ٦ ذي القعدة ، كتب تاريخ هذه العمارة على لوحة من

---

(١) أي جهة المدارس السليمانية ، وهي أربعة بناها إبراهيم بك الدفتردار زمن السلطان سليمان ابتدأ بها سنة ٩٧٢هـ وتمت زمن السلطان سليم الثاني ، وكانت المدارس شافعية وحنفية ومالكية وحنبلية ، وجعل لكل مدرسة مدرساً وطلبة علم وأوقاف تحمل من أرض دمشق الشام . علي عبدالقادر الطبري - الأرج المسكي في التاريخ المكي ، ص ٨ من المطبوع .

(٢) في الأصل « الوززة » .

الرخام بالنقر ، وكان واضع التاريخ المذكور السيد محمد الحسيني الأنقوري ، نائب السلطان في عمارة البيت الحرام ، وصورته :

﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١)

(تقرب بتجديد هذا البيت العتيق إلى اللّه سبحانه وتعالى ، خادم الحرمين وسائق الحجاج بين البرين والبحرين ، السلطان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان - خلد اللّه تعالى ملكه وأيد سلطنته - في أواخر شهر رمضان المبارك المنتظم في سلك شهور سنة أربعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية) .

وأُلصقت تلك اللوحة على الجدار الغربي بداخل الكعبة المشرفة .

وفي يوم الأربعاء ١١ منه ، أتموا قلع رخام السطح ، وأعادوه على ما ينبغي ، وأخذوا اللاقونة ، جعلوها تحت جدر طنف السطح ، لئلا يدخل ماء المطر فيها إلى الخشب تحتها فتعمل فيه الأرَضَةُ(٢) . وفي يوم السبت ١٤ منه ، عمل المرخمون في جلاء رخام الشاذروان(٣) ، وجعلوا معها الوزرة التي تحت زمزم / بحذاء الكعبة . وفي يوم الإثنين ٢٢ منه ، أُحضرت معاليق الكعبة ، [١٢١]
وكانت كما ذكر في السابق ، عشرون قنديلاً من الذهب العين ، واحدة منها مصطنعة باللؤلؤ ، وثلاثون قنديلاً من الفضة ، فسُلِّمت إلى سادن البيت الشيخ محمد الشيبي بحضرة الجميع ، وأُشهد عليه أنه تسلم ذلك ، ثم دعى

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٢) الأرَضَة : دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع . وهي آفة كل شيء من خشب ونبات . ابن منظور - لسان العرب ج ٧ ص ١١٣ .

(٣) في الأصل « الشاذران » .

بشيخ الوقادين فعلقها في أماكنها . وفي الأيام التالية غسلوا الكعبة بماء زمزم وبخروها ، وجلا المرخمون من وجه الحِجْر .

وفي يوم الجمعة ٢٦ منه ، جاء ابن شمس الدين والسادن فكحلوا بالنورة ما بين الفضة المصفح بها الخشب في خدّي الباب .

وفي يوم هلال ذي الحجة ، أصلحوا الحجر الأسود ودهنوه بسواد وسندروس . وفي يوم ٢ ذي الحجة سنة ١٠٤٠ ، انتهى كل عمل يتعلق بعمارة الكعبة المشرفة ، وقد استغرقت عمارتها نحو ستة أشهر ونصف ، وهذه العمارة هي الأخيرة ، ولا تزال على حكمها إلى العصر الحاضر ، ولم يعترها وهن ولا خراب ، غير بعض مرمّات بسيطة في السقف والعمد وما أشبه ذلك كما سيأتي تفصيله في محلّه من هذا الكتاب[(١)] إن شاء اللّه تعالى .

قال علي بن عبدالقادر الطبري المكي[(٢)] : وقد جعلت لهذه العمارة عدة تواريخ منها قوله :

عاد بيت الإله بعد انهدامه ... وغدا فائقاً لحسن نظامه
وأتتنا بشرى الهنا والتهاني ... إذ أتانا بشيرنا بتمامه
/ فحمدْنا الإله والحمد منّا ... لم يزل دائماً على إتمامه [١٢٢]
وشكرناه إذ رأيناه قد قا ... م وفزنا بلثمه واستلامه
وبذلنا الدعاء لخير مليك ... كان هذا البناء في أيامه
معدن المجد وارث الجد والحد ... وحامي ركن العلا ومقامه
المليك الذي يذبّ عن البـ ... يت بصمصام عزمه وحسامه

---

(١) انظر هذا الكتاب ص ٢٥٧ وما بعد .

(٢) علي بن عبد القادر الطبري - الأرج المسكي ص ٣٠٨ - ٣٠٩ من المطبوع .

قـائد الجيش والخـميس بفكـر | لم يزل صـائبـاً مـرامي مـرامـه
هــو راوي حـق الخلافـة عـن | خـير ملوك الزمـان بل وكـرامـه
المليك الذي ابتـسـم الدهـــر | وأبدى لنا لطـيف ابتـسـامـه
ملك هامة السـمـاكين أضـحت | في ازدهاء بأخـمص أقـدامـه
ومن به شـرف الممـالـك والملـ | ـك ويزهو عند العـلا بانتظامـه
حـرس اللّـه ملكـه بالمثـانـي | وحـمـاه من خلـفـه وأمـامـه
وجـزاه على القـيـام بأمـور الـ | بيـت جـزاء مـن إنعـامـه
فلقـد شـاده وبنـاه وأحـيـاه | تعظيـمـه لـه واحـتـرامـه
وبناه على التُّـقى فـهـو مـا زال | مـجـداً واللّـه فـي إكـرامـه
فلهـذا طير المسـرة أمـسـى | منشـداً عند بدئه وخـتـامـه
جـاءَ لما أتمـه « بمـراد شـيـد | بيت الإله تاريخ عـامـه »(١)

٢٤٧ ٣١٤ ٤١٢ ٦٧ سنة ١٠٤٠

[١٢٣] / وروى السنجاري في تاريخه(٢)، نقلاً عن العلامة الشيخ محمد بن علان الصديقي : «أنه قال : قلت لمولانا الشريف يعزّ صاحب مكة لو أمرتم بذرع جوانب البيت وكتبه بحضور الجماعة، لئلا يزاد في القبلة أو ينقص، فإنه يترتب عليه الخطر الكبير ، فإنه لا يجوز تغيير القبلة ولا الزيادة فيها ، ولا يجوز تغيير الكعبة عن البنية التي هي عليها بعد عمل الحجاج . فقال المعلم علي [بن](١) شمس الدين المهندس : نحن إذا بنينا لا نهدم إلى الأساس ، بل إلى المدماك الذي على وجه الأرض ، وهو باقي، وعليه يكون العمل ، نعم، يُخشى سقوط القائم من الجدار الباقية، فينطمس أثر سمكها، ولا يعلم سمك

(١) ما بين مزدوجتين هو التاريخ بحساب الجمّل ويساوي سنة ١٠٤٠ هـ .
(٢) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ٢٠٩ .

ما بين أرضها وعتبة بابها . فجيء برمحين، وجمعا بمسمار ، ووضع أسفل الأسفل منهما بأرض المطاف ، وعلى سقف الكعبة المعلم محمد بن زين وأخيه ، ووقف في أرض المطاف المعلم علي بن شمس الدين ، والفقير -يعني نفسه الشيخ محمد ابن علان - وجَمْعٌ من الأعيان، منهم العلامة الشيخ عبد العزيز الزمزمي، والقاضي أحمد بن عيسى المرشدي، والقاضي تاج الدين المالكي، وحضر لكتابة ذلك الذرع الشيخ أبو بكر الخاتوني ، فذُرع ، فكان من جهة كل من المستجاب والملتزم سبعة عشر ذراعاً بذراع العمل وسبعة عشر قيراطاً منها أربعة قراريط للسادج من الشاذروان . وذرع ما بين العتبة وأرض المطاف فكان ذراعان بذراع العمل وستة عشر قيراطاً ، منها أربعة قراريط للدوسة التي بأصل الباب إلى حدّ عمل الشاذروان(٢) .

[١٢٤] وذكر لي(٣) / المهندس لما ذرعوا داخل الكعبة أنّ عرض الكعبة من داخلها من الجدار الشرقي إلى الغربي أحد عشر ذراع عمل ونصف ، وأنّ عرض الجدار ذراع وربع عمل من سائر جهاتها ، وعرض الجدار اليماني إلى مقابله أربعة فجوات كل فجوة ثلاثة أذرع عمل ، وجملة طول البيت من داخله خمسة عشر ذراع عمل وربع » . اهـ.

ومن ذلك يتضح أنهم ذرعوا ارتفاع الكعبة فقط من الخارج من الجهة الشرقية والغربية ، ولم يذرَعوا ارتفاعها من الداخل، بل اكتفوا بذرع طولها من الشمال إلى الجنوب ، وبذرع عرضها من الشرق إلى الغرب فقط ، والظاهر أنهم اكتفوا بذلك؛ لأن الخلاف واقع في الزيادة في ارتفاعها ، والنقصان في طولها من الشمال إلى الجنوب من عهد بناء الخليل إبراهيم وابنه

(١) سقطت من الأصل .
(٢) في الأصل « الشاذران » .
(٣) أي للشيخ محمد بن علان .

إسماعيل -عليهما الصلاة والسلام- إلى العمارة الأخيرة ، حيث قد تقدم تفصيل طول الكعبة في زمن إبراهيم ﷺ أنه كان داخلاً من الحِجْر في طولها من الجهة الشمالية ستة أذرع وشبر على أشهر الروايات الصحيحة(١) ، وأنه كان ارتفاعها تسعة أذرع ، وأن قريشاً هم الذين أنقصوا من طولها من جهة حِجْر إسماعيل -عليه السلام- ستة أذرع وشبراً حين بنوها، وزادوا في ارتفاعها بتسعة(٢) أذرع ، فجعلوا ارتفاعها ثمانية عشر ذراعاً ، ولما بناها عبدالله ابن الزبير -رضي الله عنهما- أدخل ما أنقصته قريش من الحِجْر في طولها ،
[١٢٥] وزاد في ارتفاعها تسعة / أذرع ، فجعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً، ولما استولى الحجاج بن يوسف الثقفي على مكة بعد ابن الزبير ، اقتطع من طولها ما أدخله ابن الزبير فيها ، وأبقى ما زاده في ارتفاعها . ثم لما وقعت العمارة الأخيرة التي نحن بصددها ، أعادوا بناءها على ما كانت عليه بعد قطع الحجاج ما أدخله ابن الزبير فيها من جهة حِجْر إسماعيل ، من جهة الطول من الشمال إلى الجنوب ، وأما ما كان عليه من الجهة الشرقية والغربية من العرض فأبقوه على حكمه الذي كانت عليه من عهد إبراهيم الخليل ﷺ ، ولم يعتره زيادة أو نقصان في عموم العمارات التي وقعت في الكعبة المشرفة ، كما تقدم تفصيله .

وقد ذكر العلامة علي بن عبد القادر الطبري المكي في كتابه« الأرج المسكي»(٣) : «أن ذرعها اليوم -يعني بعد العمارة- موافق لما ذكر الفاسي(٤)» . ثم قال(٥) : «وأرض الكعبة وجدرانها من رخام ملون ، وفيها

---

(١) في الأصل « الصحية » .
(٢) في الأصل « بسعة » .
(٣) الأرج المسكي ص ٩٥ في المطبوع ص ١٥٧ .
(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ٢ ص ١١٠ .
(٥) أي علي بن عبدالقادر الطبري - الأرج المسكي ص ٩٦ .

أربعة دعائم ، والدرجة الصاعدة إلى السطح في بطن الجدر الشامي عليها باب صغير ، وعلى يسار الداخل كرسي من خشب يجلس عليه فاتح البيت ، وعلى جدرانها من الداخل كسوة حرير أحمر ولها سقفان ». اهـ .

هذا ما وقفت عليه في تاريخ العلامة علي بن عبد القادر الطبري المكي ، وتاريخ السنجاري ، عن عمارة الكعبة المشرفة الأخيرة التي جرت في عصر السلطان مراد خان سنة ١٠٤٠ هجرية ، ولم أقف على رسالة العلامة علي بن عبد القادر الطبري المكي المتعلقة ببناء الكعبة المعظمة في العمارة / الأخيرة [١٢٦]
التي نوّه عنها في تاريخه «الأرج المسكي»[١] ، وكذلك لم أقف على رسالة العلامة ابن علان[٢] المشتملة على عمارة الكعبة الأخيرة أيضاً ، وإنما أخذت ما تقدم من اليوميات لابن علان عن تاريخ السنجاري «منائح الكرم» وعن تاريخ «إفادة الأنام» للشيخ عبدالله غازي من المعاصرين[٣] لنا ، حيث قد وقف على الرسالة المذكورة ونقل منها شيئاً كثيراً ، فجمعت بين ما نقله عنها وما نقله السنجاري ، وما أتى به علي بن عبد القادر الطبري في «الأرج المسكي» ؛ لأنه شاهد العمارة بنفسه وكتب عنها شيئاً كثيراً . ومن ذلك يتضح للقارئ ما بذله ملوك الإسلام ، وأعلام الإسلام ، من العناية في عمارة

---

(١) وهي : تحفة الكرام بأخبار عمارة السقف والباب من البيت الحرام . بيّن فيها جواز قلع الباب وما وقع من اصلاح سقفها وتغيير بابها سنة ١٠٤٥ هـ . ذكرها في كتابه الأرج المسكي ص ١٧٩ و ص ٣٩٥.

ورسالة : « شن الغارة على مانع الستارة » - ذكرها ص ١٦٦ .

(٢) سبق تعريف ذلك ص ١٢٢ .

(٣) عبدالله بن محمد الغازي الهندي المكي ت سنة ١٣٥٠ هـ . كتابه إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ٤ مجلدات . مطبوع . وانظر : الكردي - التاريخ القويم ج ١ ص ٢٢ .

الكعبة المعظمة قديماً وحديثاً ؛ ولا يزال الخير موجوداً في الأمة الإسلامية في كل عصر إلى يوم القيامــة .

وروى الحـافظ ابن حـجـر في «الفـتح» [1] ، «عن عـيـاش بن أبي ربيعـة المخزومي عن النبي ﷺ أنه قـال : « هذه الأمة لا تزال بخير ما عظَّمـوا هذه الحرمة حق تعظيمها ، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا » أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، وعمر بن شبّة في كتاب مكة وسنده حسن » . قال الحافظ ابن حجر [2] : «قوله ما عظموا هذه الحرمة يعني : الكعبة ، وتعظيمها : احترامها وتطهيرها وتعميرها وصيانتها من كل قذارة ومكروه » . اهـ

وبهذه العمارة انتهت عمارة الكعبة المعظمة من عهد بناء الملائكة إلى العصر
[١٢٧] الحاضر ، حيث كانت عمارة السلطان مراد خان سنة ١٠٤٠ / هي الأخيرة إلى يومنا هذا .

أما ما صرف على عمارة الكعبة المعظمة الأخيرة ، فلم أقف على بيانه بالضبط ، حيث إن الذي ورد في كتب التاريخ التي وقفت عليها هو بيان الأدوات ، والآلات ، مثل الحديد ، والرصاص ، والجبس ، وما في معنى ذلك ، ولم يذكر أحد من المؤرخين قيمة ؛ وقد ذكر اللواء المصري محمد مختار باشا في كتابه «التوفيقات الإلهامية » [3] «أنه أرسل من مصر جميع ما يلزم ، وصرف زيادة على ذلك مائة ألف قرش ، أي ما يعادل ستة عشر ألف

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٧ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ٢٣٧ .

(٣) محمد مختار باشا المصري - من نوابغ الجيش المصري ، قام برحلات كشفية في الصومال وشرق السودان . ونشر أبحاثاً جغرافية مفيدة . ت سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م . له مؤلفات رياضية وفلكية منها : « التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية » - مطبوع بالمطبعة الميرية ببولاق سنة ١٣١١هـ . والخبر ص ٥٣٠ في حوادث سنة ١٠٣٩هـ .

جنيه الآن ». اهـ . ولم يذكر محمد مختار باشا قيمة اللوازم التي أرسلت من مصر، بل ذكر ١٦ ألف جنيه التي صرفت زيادة على ذلك ، والله أعلم بما صرف في سبيل ذلك، أثاب الله كل محسن على إحسانه وكل عامل على عمله .

ذرع الكعبة المعظمة :

قد ورد في ذرع الكعبة المعظمة من داخلها وخارجها وارتفاعها عدة روايات منها :

قال الأزرقي [(١)] : «ذرع الكعبة من خارجها طولاً في السماء سبعة وعشرين ذراعاً، وذرع طول وجهها من الركن الأسود إلى الركن الشامي خمس وعشرون ذراعاً ؛ وذرع ظهرها من الركن اليماني إلى الركن الغربي خمس وعشرون ذراعاً، وذرع شقها اليماني من الركن الأسود إلى الركن
[١٢٨] اليماني عشرون ذراعاً؛ وذرع شقها الذي فيه الحجر من الركن الشامي/ إلى الركن الغربي إحدى وعشرون ذراعاً، وذرع جميع الكعبة مكسراً أربعمائة ذراع وثمانية عشر ذراعاً» .

ولم يتضح ما ذكره الأزرقي في قوله مكسراً، فإن كان قصده مربعاً فهو لا ينطبق على العدد الذي ذكره حيث قال إن طول الكعبة ٢٥ ذراعاً، وعرضها من الجنوب ٢٠ ذراعاً، ومن الشمال ٢١ ذراعاً، فظهر من نتيجة التكسير أن مساحة الأرض التي بنيت عليها الكعبة بعد إخراج ما زاده ابن الزبير فيها من حجر إسماعيل ٥١٢٫٥ ذراع، والذي يظهر لي أنه وقع غلط أو سقط من الناسخ، والله أعلم .

ثم قال الأزرقي [(٢)] : « وذرع سمك جدار الكعبة ذراعان ؛ والذراع أربعة وعشرون أصبعاً » . وقال [(٣)] : «طول الكعبة في السماء من داخلها إلى السقف الأول الأسفل مما يلي الكعبة ثمانية عشر ذراعاً ونصف، وطول الكعبة في

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .
(٢) نفسه ج ١ ص ٢٩٠ .
(٣) نفسه ج ١ ص ٢٩٠ .

السماء إلى السقف الأعلى عشرون ذراعاً ، وذرع داخل الكعبة من وجهها من الركن الذي فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامي وفيه باب الكعبة تسعة عشر ذراعاً وعشر أصابع ، وذرع ما بين الركن الغربي وهو الشق الذي يلي الحجر خمسة عشر ذراعاً وثمانية عشر أصبعاً ، وذرع ما بين الركن الغربي إلى الركن اليماني وهو ظهر الكعبة عشرون ذراعاً وستة أصابع ، وذرع ما بين الركن اليماني إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود ستة عشر ذراعاً وستة أصابع».

ثم قال[1] : «وذرع ما بين الجدر الذي بين الركن الأسود والركن اليماني إلى / الأسطوانة الأولى أربعة أذرع ونصف ذراع ، وذرع ما بين الأسطوانة [١٢٩]
الأولى إلى الأسطوانة الثانية أربعة أذرع ونصف ذراع ، وذرع ما بين الأسطوانة الثانية إلى الأسطوانة الثالثة أربعة أذرع ونصف ذراع ، وما بين الأسطوانة الثالثة إلى الجدر الذي يلي الحجر ذراعان وثماني أصابع » .

هذا ما ذكره الأزرقي في تاريخه[2] عن ذرع الكعبة .

وذكر التقي الفاسي في تاريخه «شفاء الغرام»[3] ذرع الكعبة بإسهاب فقال : « وقد حرر ذرع الكعبة الفقيه أبو عبدالله محمد بن كرامة العامري في كتابه «دلائل القبلة» ، فقال : اعلم أن الكعبة البيت الحرام مربعة البنيان في وسط المسجد الحرام ، ارتفاعها من الأرض سبعة وعشرون ذراعاً ، وعرض الجدار من وجهها أربعة وعشرون ذراعاً ، وهو بناء الحجاج ، وكان ابن الزبير جعل عرضها ثلاثين ذراعاً ، يزيد على ذلك أقل من ذراع ، بعد أن كشف على قواعد إبراهيم الخليل -عليه السلام- وبنى عليها » .

---

(١) الأزرقي ج ١ ص ٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق - ج ١ ص ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٨ .

ثم قال : « وعرض وجهها وهو الذي فيه الباب أربعة وعشرون ذراعاً . وعرض مؤخرها مثل ذلك ، وعرض جدارها الذي يلي اليمن ، وهو فيما بين الركن اليماني والركن الشرقي الذي فيه الحجر الأسود ، عشرون ذراعاً ، وعرض جدارها الذي يلي الشام ، وهو الذي فيما بين الركن الشامي والعراقي ، أحد وعشرون ذراعاً » . اهـ .

وهذا الذرع يتوافق مع ذرع الأزرقي في الارتفاع والعرض . ويختلف في الطول ، حيث إن الأزرقي ذكر طول الكعبة ٢٥ ذراعاً من الشمال إلى
[١٣٠] الجنوب ، وحرره ابن كرامة ٢٤ ذراعاً فصار الفرق / بينهما ذراعاً ، وهذا الفرق ناشئ من إختلاف الأذرع .

قال الفاسي(١) : « وذرع الكعبة أيضاً القاضي عز الدين بن جماعة بذراع القماش المستعمل بمصر في زمانه ، وهو المستعمل في زماننا . وذلك سنة ٧٥٣ فقال : ارتفاعها من أعلى الملتزم إلى أرض الشاذروان ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف وثلث ذراع ، وبين الركن الذي فيه الحجر الأسود والركن الشامي من داخل الكعبة ثمانية عشر ذراعاً وثلث وربع وثمن ذراع ، ومن خارجها ثلاثة وعشرون ذراعاً وربع ذراع ، وارتفاع باب الكعبة الشريفة من داخلها ستة أذرع وقيراطان ، ومن خارجها خمسة أذرع وثلث ، وعرضه من داخلها ثلاثة أذرع وربع وثمن ، وخارجها ثلاثة أذرع وربع ، وعرض العتبة نصف وربع ذراع ، وارتفاع الباب الشريف عن أرض الشاذروان ثلاثة أذرع وثلث وثمن ، ومن الركن الشامي والغربي من داخل الكعبة خمسة عشر ذراعاً وقيراطان ، ومن خارجها ثمانية عشر ذراعاً ونصف وربع ، وبين الغربي واليماني من داخلها ثمانية عشر ذراعاً وثلثا ذراع وثمن ، ومن خارجها ثلاثة وعشرون ذراعاً ،

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٩ .

ومن الركن اليماني إلى الركن الأسود من داخلها خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع، ومن خارجها تسعة عشر ذراعاً وربع ذراع » . اهـ.

قال التقي الفاسي[1] بعد ما ذكر ما تقدم : « وقد حرره الأزرقي وابن جماعة ، من ذرع الكعبة مع أمور أخر تتعلق بها ، وفيما حررناه / مخالفة [١٣١]
لبعض ما حرّراه ، ونذكر ما حررناه لبيان معرفة الاختلاف ومعرفة أمور أخر بالكعبة حررناها لم يحررها الأزرقي ولا ابن جماعة ، وكان تحريرنا لذلك بالذراع الحديد الذي حرّر به ابن جماعة ، ومنه يظهر معرفة ما حرّره الأزرقي[2] ، لأن تحريره كان بذراع اليد، وهو ينقص عن ذراع الحديد ثمن ذراع بالحديد كما تقدم ، واتفق تحريرنا لذلك في ضحوة يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة ٨١٤ .

فذرْع الكعبة من داخلها بذراع الحديد: طول جدرها الشرقي من السقف الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعاً ونصف ذراع إلاّ قيراط ، وعرضها من الركن الذي فيه الحجر الأسود إلى جدر الدرجة التي فيها بابها خمسة عشر ذراعاً وثمن ذراع ، وذرع بقية هذا الجدر يعرف تقريباً من جدر الدرجة الغربي لكونه في محاذاة[3] بقية هذا الجدر، وذرع جدر الدرجة الغربي المشار إليه ثلاثة أذرع وقيراط ، فيكون ذرع الجدر الشرقي على التقريب ثمانية عشر ذراعاً وسدس ذراع ، وطول الجدر الشامي من سقفها الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعاً ، وعرض هذا الجدر من جدر الدرجة الغربي إلى ركن الكعبة الغربي أحد عشر ذراعاً وقيراط ، وذرع بقية هذه الدرجة يعرف تقريباً من جدار الدرجة اليماني لكونه في محاذاة[3] بقية هذا الجدر ثلاثة أذرع إلاّ ثُمنْ ،

---

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ص ١٠٩ - ١١١ .
(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٩٠ .
(٣) في الأصل « محاذات » .

فيكون ذَرْع الجدار الشامي على التقريب أربعة عشر ذراعاً إلاّ قيراطان ، وطول
[١٣٢] جدرها الغربي من سقفها / الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعاً وربع وثمن
ذراع ، وعرض هذا الجَدْر من الركن الغربي إلى الركن اليماني ثمانية عشر
ذراعاً وثلاث ذراع ، وطول جدرها اليماني من سقفها الأسفل إلى أرضها
سبعة عشر ذراعاً ونصف ذراع وقيراط ، وعرض هذا الجدر من الركن اليماني
إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود أربعة عشر ذراعاً وثلثا ذراع ، ومن وسط
جدر الكعبة الشامي إلى وسط جدرها اليماني ثمانية عشر ذراعاً وثلث ، ومن
وسط جدرها الشرقي إلى وسط جدرها الغربي أربعة عشر ذراعاً ونصف وثمن
ذراع ، وما بين الجدر الشرقي وكرسي الأسطوانة الأولى التي تلي اليمن وباب
الكعبة سبعة أذرع وثمن ، وكذلك ما بينه وبين كرسي الأسطوانة الوسطى ،
وما بينه وبين كرسي الأسطوانة التي تلي حجر إسماعيل سبعة أذرع وقيراط ؛
وبين كلّ من كراسي هذه الأسطوانات وما يقابله من الجدار الغربي سبعة أذرع
أيضا ، إلاّ انه ينقص في ذَرْع ما بين كرسي الأسطوانة الوسطى وما يحاذيها
من الجدر الغربي المذكور قيراطان ، وبين كرسي الأسطوانة الأولى التي تلي
باب الكعبة وبين جدر الكعبة اليماني أربعة أذرع وثلث ، وما بين كرسيها
وكرسي الأسطوانة الوسطى أربعة أذرع وربع وثمن ، وما بين كرسي
الأسطوانة الوسطى وكرسي الأسطوانة الثالثة التي تلي حجر إسماعيل أربعة
أذرع ونصف ، وما بين كرسي هذه الأسطوانة الثالثة والجدار الشامي الذي
[١٣٣] يليها ذراعان / وربع وثمن ، وذرع تدوير الأسطوانة الأولى التي تلي الباب
ذراعان وربع وثمن ، وذرع تدوير الأسطوانة الوسطى ذراعان ونصف ذراع
وربع ، وذرع تدوير الأسطوانة التي تلي الحِجْر ذراعان ونصف وقيراطان ،
وهي مثمنة ، وطول فتحة الباب من داخله مع الفياريز ستة أذرع ، وطوله من
خارجه بغير الفياريز ستة أذرع إلا ربع ، وذرع فتحة الباب من داخل الكعبة

مع الفياريز ثلاثة أذرع وثلث إلاّ قيراط ، وطول كل من فردتي الباب ستة أذرع إلاّ ثمن ، وعرض كلّ منهما ذراعان إلا ثلث ، وذرع عرض العتبة ذراع إلا ربع ، وسعة فتحة باب الدرجة التي يصعد منها إلى أعلى الكعبة من أسفله ذراع وقيراطان ، ومن أعلاه ذراع وثمن ، وارتفاع الباب من الأرض ذراعان ونصف ذراع وسدس وثمن ذراع .

وأما **ذرع الكعبة من خارجها** بذراع الحديد : فطول جدارها الشرقي من أعلى الشاخص على سطحها إلى أرض المطاف ثلاثة وعشرون ذراعاً وثمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن الذي فيه الحجر الأسود إلى الركن الشمالي واحد وعشرون ذراعاً وثلث ذراع ، ومن عتبة باب الكعبة إلى أرض الشاذروان تحتها ثلاثة أذرع ونصف ، وارتفاع الشاذروان تحتها ربع ذراع وقيراط ، وطول جدارها الشامي من أعلى الشاخص في سطحها إلى أرض حجر إسماعيل ثلاثة وعشرون ذراعاً إلا ثمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن الشامي إلى الركن الغربي / سبعة عشر ذراعاً ونصف ذراع وربع ، [١٣٤]
وطول جدارها الغربي من أعلى الشاخص في سطحها إلى الأرض ثلاثة وعشرون ذراعاً ، وعرض هذا الجدار من الركن الغربي إلى الركن اليماني واحد وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع ، وطول جدارها اليماني من أعلى الشاخص في سطحها إلى الأرض كالجهة الشرقية ثلاثة وعشرون ذراعاً وثمن ، وعرض هذا الجدار من الركن اليماني إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود ثمانية عشر ذراعاً وسدس ذراع .

وأما **ذرع سطح الكعبة** : فمن وسط جدارها الشرقي إلى وسط جدارها الغربي أربعة عشر ذراعاً وربع وثمن ذراع ، ومن وسط جدارها الشامي إلى وسط جدارها اليماني ثمانية عشر ذراعاً إلا ثمن ذراع ، وارتفاع الشاخص في

الجهة الشرقية ذراع وثمن ، وعرضه ذراعان إلا سدس ، وارتفاع الشاخص من الجهة الشامية ذراع وثمن ، وعرضه ذراعان إلا ثمن ، وارتفاع الشاخص من الجهة الغربية ذراع ، وعرضه ذراع ونصف وقيراط » .

قال الفاسي[1] بعد ذكر ما تقدم : « وما ذكرناه في ذرع عرض الكعبة من داخلها وخارجها ينقص عما ذكره ابن جماعة[2] في ذلك، وما ذكرناه في طولها من خارجها ينقص عما ذكره ابن جماعة في ذلك؛ لأن ما ذكرناه ينقص في طولها من خارجها ثلثي ذراع وقيراط ، وينقص في ذرع عرض جدرها
[١٣٥] الشرقي من خارجها ذراعين إلا قيراطين، وينقص في عرضه / من داخلها نصف قيراط ، وينقص في ذرع عرض جدرها الشامي من خارجها ذراعاً ، وينقص في عرضه من داخلها ذراعاً وسدس ، وينقص في ذرع عرض جدرها الغربي من خارجها ذراع وثلث ذراع ، وينقص في عرضه من داخلها ثلث ذراع وثمن ذراع ، وينقص في ذرع عرض جدرها اليماني من خارجها ذراع وقيراطان ، وينقص في عرضه من داخلها ثلثا ذراع ، وكل ذلك بذراع الحديد». اهـ .

فمن تأمل كل ما تقدم، يظهر له أن الفرق الواقع بين ذراعي ابن جماعة والفاسي ناشئ عن اختلاف الذراع ؛ لأن كلا الرجلين من ثقات العلماء المحققين وممَّن تصدى لذرع الكعبة بالدّقة، حيث لم يتغير في بناء الكعبة شيء فيما بين العصر الذي ذرع فيه ابن جماعة ، والعصر الذي ذرع فيه الفاسي ، فكانت الكعبة على حكمها بعد أن اقتطع الحجاج زيادة ابن الزبير من

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ١١١ - ١١٢ .
(٢) هو عز الدين بن عبدالعزيز الكناني الحموي الأصل عالم وقاضي القضاة . انظر الزركلي ، الأعلام، ج٤ ، ص ٢٦ .

جهة حجْر إسماعيل . وأما ذرع الأزرقي فكان بذراع اليد ، وهو لا يختلف مع ذرع التَقي الفاسي ، بل ينطبق مع ذرعه في جميع جهات الكعبة المعظمة ، وبيان ذلك أن الذراع الحديد الذي ذرع به الفاسي قدّره علماء مصر المتأخرون ، منهم إبراهيم رفعت باشا[1] ، أنه ٥٦ر٥ سنتمتراً ، وذراع اليد يتراوح بين ٤٦ إلى ٥٠ سنتمتراً، وظهر من نتيجة الحساب أنّ ذراع اليد الذي ذرع به الأزرقي يعتبر طوله ٤٨ سنتمتراً وجزء بسيط من السنتمتر .

وقد أتينا بما تقدم ذكره في ذرع الكعبة / المعظمة ليظهر للقارئ أنه لم يكن خلاف بين الأزرقي ، وابن جماعة ، والفاسي ، في ذرع الكعبة المعظمة إلا من جهة اختلاف الأذرع وأنواعها . [١٣٦]

وقد ذكر إبراهيم رفعت باشا المصري في كتابه «مرآة الحرمين»[2] ، أنه ذرع الكعبة المشرفة بالمتر فقال : « ارتفاعها ١٥ متراً ، وطول ضلعها الشمالية ٩٢ر٩ أمتار ، والغربية ١٥ر١٢ متراً ، والجنوبية ٢٥ر١٠ أمتار ، والشرقية ٨٨ر١١ متراً » .

فأما ما ذكره إبراهيم رفعت باشا، من ذرع الطول والعرض ، فهو لا يختلف عن ذرع الفاسي والأزرقي ؛ وذلك لأن الفاسي قال : « إنّ عرض الجدار اليماني ١٨ ذراعاً وسدس بذراع الحديد المصري » ، فإذا اعتبرنا أن ذراع الحديد المصري هو عبارة عن ٥٦ر٥ سنتمتراً فيكون مجموع ذلك ٢٦ر١٠ أمتار . وقال إبراهيم رفعت باشا : « إنه ٢٥ر١٠ أمتار » . فيكون الفرق بينهما سنتمتراً واحداً ، وهذا لا يعتبر فرقاً ، وإنما الفرق العظيم الذي لا ينطبق على

---

(١) إبراهيم رفعت باشا في كتابه مرآة الحرمين – أو الرحلات الحجازية ومشاعره الدينية – دار المعرفة – بيروت بدون تاريخ .

(٢) إبراهيم رفعت باشا المصري – مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٦٣ .

الحقيقة هو ذرع الارتفاع ، فقد ذكر الفاسي أن ارتفاع الكعبة ٢٣ ذراعاً وثمن بذراع الحديد ، وإذا اعتبرنا الذراع الحديد ٥٦ر٥ سنتمتراً كما اعتبرناه في ذرع عرض الجدار اليماني فتكون نتيجة التكسير أن ارتفاع الكعبة ٠٦٥ر١٣ متراً ، والذي ذكره إبراهيم رفعت باشا عن ارتفاع الكعبة أنه ١٥ متراً . فهذا فرق عظيم بين ذرع الفاسي وإبراهيم رفعت ، والظاهر أن إبراهيم رفعت لم يذرع
[١٣٧] ارتفاع الكعبة / فعلاً ، وإنما قدر ارتفاعها تقديراً . وربما يتبادر للقارئ أن ذرع الفاسي كان على بناء الكعبة في عصر ابن الزبير والحجاج ، وذرع إبراهيم رفعت باشا كان على بنائها الأخير الذي وقع سنة ١٠٤٠ هـ ، ولأجل أن أزيل الإشكال عن القارئ فأقول إنه :

أولاً : كان بناء الكعبة الأخير هو على قدر بنائها الذي كان قبله طولاً ، وعرضاً ، وارتفاعاً .

ثانياً : قد تقدم عن ابن علان أن الكعبة قد ذرعت بعد انتهاء العمارة الأخيرة بحضوره وحضور جَمْع من الوجهاء ، فكان ارتفاعها ١٧ ذراعاً معمارياً ، و ١٧ قيراطاً ، فإذا اعتبرنا الذراع المعماري ٧٥ سنتمتراً كما هو عليه إلى عصرنا الحالي فتكون نتيجة التكسير ٢٨ر١٣ متراً وهذا يوافق ذرع الفاسي ، ويختلف مع ذرع إبراهيم رفعت باشا .

ولم يذكر إبراهيم رفعت باشا أنه ذرع الكعبة من داخلها كما ذرعها من خارجها(١) .

وقد وفقني الله تعالى أن أذرع الكعبة من داخلها ، وذلك في يوم الجمعة الموافق ٢٣ من شهر القعدة سنة ١٣٥٢ بالمتر ، فكان طولها من وسط الجدار

---

(١) في الأصل « خاجها » سقطت الراء .

ألواح الرخام المكتوبة بداخل الكعبة :

أما ما هو موجود من الألواح الرخام المكتوبة الملصقة بالجدار الذي بداخل الكعبة فهي سبعة ألواح .

وقد وفقني الله تعالى إلى نقل ما هو مكتوب في تلك الألواح . وإليك بيانها :

الأولى : لوحة رخامية ملصقة في الجدار الشرقي مما يلي جهة الباب على يمين الداخل . وقد كتب عليها بالخط البارز نقراً بالحفر ما هذا نصّه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١)

أمر بتجديد ترخيم داخل البيت مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي(٢) خلد الله ملكه يا رب العالمين . بتاريخ مستهل رجب الفرد عام أربع وثمانين وثمانمائة من الهجرة .

الثانية : لوحة رخامية في الجهة الشمالية ملصقة على جدر درجة الكعبة المصعدة إلى سطحها ، كتب فيها هذه الأبيات بالخط البارز نقراً / على الرخامة : [١٣٩]

قد بدا التعمير في بيت الإلــه — قبلة الإسلام والبيت الحرام

أمُّ خاقان الورى خان مصطفى — دام بالنصر العزيز المستــدام

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٢) قايتباي - السلطان المملوكي الظاهري الأشرف الجركسي ، تسلطن سنة ٨٧٢ هـ وتوفي سنة ٩٠١هـ . انظر ترجمته بالتفصيل : العيدروس محيي الدين عبد القادر - النور السافر بأخبار القرن العاشر بغداد - المكتبة العربية ١٩٣٤م ، ص ١٤ و ١٥ .

اليماني إلى وسط الجدار الشامي ١٥ر١٠ أمتار ، ومن وسط جدارها الشرقي إلى وسط جدارها الغربي ١٠ر٨ ، وهذا يتوافق تقريباً مع ذرع التقي الفاسي ، حيث إن الفرق عبارة عن بضع سنتمترات فقط .

وذرعت الدرجة التي بداخل الكعبة الواقعة في الركن الشمالي الشرقي ، المصعدة إلى سطح الكعبة ، فكان عرض جدارها من / الشرق إلى الغرب [١٣٨] مترين وثلاثين سنتمتراً ٣٠ر٢ ، ومن الشمال إلى الجنوب متر ونصف ٥٠ر١ ، وارتفاع المبني منها بالحجر نحو مترين ونصف ٥٠ر٢ ، وباقي الدرجة التي فوق هذا البناء معمولة من الخشب القوي الغليظ ، ولم أتمكن من ذرعها حيث قد تعذر ذلك عَلَيَّ (١) .

---

(١) وفي إصلاح وترميم الكعبة سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م : تم ذرع الكعبة بذراع العصر الحديث فبلغت مساحتها عند قاعدتها ١٤٥ م٢ . وبلغت مساحة الخطين بما فيها الجدار المحيط به ٩٤ م٢ .

وأما الذراع المفصل :

فطولها من الجدار الخارجي من جهة الباب والمقام ٦٨ر١١ م .

وطولها من الداخل من الجهة نفسها ٨٩ر٩ م .

وطولها الخارجي الذي في جهة الحِجْر ٩٠ر٩ م .

وطولها الداخلي من جهة الحجر ٠٠ر٨ م .

وطولها من الجدار الخارجي في ظهر الكعبة ٤٠ر١٢م .

وطولها الداخلي من نفس الجهة ١٥ر١٠م .

وطولها من الجدار الخارجي الذي بين الركن اليماني والحجر الأسود ١٨ر١٠م .

وطولها الداخلي من الجهة نفسها ٢٤ر٨ م .

وطولها من جدار الكعبة الخارجي إلى جدار الحجْر الداخلي طولاً في وسط التدويرة ٤٦٥ر٨م .

تقرير وزارة المالية ج ٢ ص ٧٨ ، إعداد اتحاد المَهندسين الاستشاريين .

بادرت صدقاً إلى التعمــير ذا إنما كان بإلهام أمر السلام
وارْتَجَتْ مـن فضلـه سـبحانه أَن يجازيها بـه يــوم القـيام
قال تاريخــا لــه قاضي البلــد « فعمرتْه أمُّ سلطان الأنام»[1]
١٢٣ ١٥٠ ٤١ ٧٩٥

بمباشرة أحمد بيك في سنة تسع ومائة وألف شيخ الحرم المكي .

الثالثة : لوحة رخامية ملصقة في الجهة الغربية التي هي أمام الداخل من باب الكعبة المعظمة من الجهة الشمالية بالنسبة للجدار الغربي على يمين المستقبل للجهة الغربية ، قد كتب فيها بالخط البارز نقراً :

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر[2] باللّه أمير المؤمنين ، بلّغة اللّه أقصى آماله ، وتقبل منه صالح أعماله ، في شهور سنة تسع وعشرين وستمائة ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وسلم .

الرابعة : لوحة رخامية ملصقة في الجهة الغربية تلي الثالثة مكتوب فيها كغيرها بالخط البارز :

[١٤٠] / ﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾[3] وصلى اللّه على سيدنا محمّد وآله ، يا رحمان يا رحيم ، أمر

---

(١) ما بين مزدوجتين هو التاريخ ويساوي ١١٠٩ .

(٢) المستنصر بالله : الخليفة العباسي أبو جعفر منصور ابن الظاهر محمد بويع بالخلافة سنة ٦٢٣ هـ وتوفي سنة ٦٤٠ هـ صاحب المدرسة المستنصرية ببغداد . انظر : الذهبي - سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص ص ١٥٥ - ١٦٨ .

(٣) سورة النمل الآية ١٩ .

بتجديد رخام هذا البيت المعظم العبد الفقير إلى رحمة ربه وأنْعُمه، يوسف بن عمر بن علي بن رسول[1] ، اللهم أيده بعزيز نصرك واغفر له ذنوبه برحمتك يا كريم يا غفار ، بتاريخ سنة ثمانين وستمائة .

وصاحب هذه اللوحة هو الملك المظفر صاحب اليمن في ذلك العصر .

الخامسة : لوحة ملصقة في الجهة الغربية أيضاً تلي اللوحة الرابعة مكتوب فيها بالخط البارز :

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [2]

أمر بتجديد هذا البيت المعظم العتيق الفقير إلى اللّه سبحانه وتعالى ، خادم الحرمين المحترمين ، وسائق الحجاج بين البرين والبحرين، السلطان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان، خلَّد اللّه تعالى ملكه وأيد سلطنته ، في آخر شهر رمضان المنتظم في سلك شهور سنة أربعين وألف من الهجرة النبوية عليه أفضل التحية .

السادسة : لوحة رخامية ملصقة في الجهة الغربية تلي الخامسة قد كتب فيها :

/ ﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾ [١٤١]

ربنا تقبل منا ، أمر بتجديد سقف البيت الشريف وجميع داخل الحرم

---

(١) يوسف بن عمر بن علي بن رسول الملك المظفر صاحب اليمن ، ولي اليمن سنة ٦٤٧ هـ وتوفي سنة ٦٩٤ هـ . الفاسي - العقد الثمين ج ٧ ص ٤٨٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

وخارجه مولانا السلطان ابن السلطان محمد خان[1] سنة سبعين وألف .

السابعة : لوحة رخامية ملصقة في الجهة الغربية أيضاً تلي السادسة قد كتب فيها :

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [2]

تقرب إلى اللّه تعالى السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباي [3] ، خادم الحرمين الشريفين ، بلغه اللّه آماله وزين بالصالحات أعماله ، بتاريخ سنة ست وعشرون وثمانمائة .

هذا ما هو مكتوب على الألواح الرخامية بداخل الكعبة المعظمة ، قد نقلتُهُ بنفسي في ضحوة يوم الجمعة الموافق ٢٣ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٢ من الهجرة النبوية .

صفة داخل الكعبة المعظمة :

أما صفة داخل الكعبة المعظمة فإليك بيانه :

أولاً : في وسطها ثلاثة أعمد من الخشب القوي الثخين ، يقدر قطر ثخن الواحد منها بنحو نصف متر ، ولون خشبه بين الحمرة والصفرة ، وقد صدع أسفلها قبل خمسين / سنة من تاريخ تأليف هذا الكتاب ، وعُمل للثلاثة [١٤٢]

---

(١) محمد خان : السلطان العثماني محمد الرابع ولي السلطنة سنة ١٠٥٨ هـ واستمر مدة طويلة إلى سنة ١٠٩٩هـ . خلعه العلماء بعد أن حملوه مسؤولية هزائم الدولة العثمانية أمام التحالفات الصليبية الأوربية .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٣) الأشرف برسباي الجركسي أشهر سلاطين الجراكسة المماليك تسلطن سنة ٨٢٥ هـ وتوفي سنة ٨٤١هـ . انظر : ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر ج ٣ ص -٢٧ ، ابن تغري بردى - الدليل الشافي ج ١ ص ٢٨٦ .

العمد منذ أربعين سنة دوائر من خشب أشبه بالطاب ، من أسفلها محل التصديع على ارتفاع متر ونصف من أرض الكعبة المعظمة ، أو نحو ثلاثة أذرع يد وثلث ، وطُوقت بها وسمرت عليها . وهذه العمد الثلاثة هي التي وضعها عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- في عمارته منذ ثلاثة عشر قرناً ، وهي لا تزال في قوتها ومتانتها إلى العصر الحاضر ، وتعد من أعظم الآثار. والظاهر أنه لم يوجد شيء من الخشب على ما أظن باق على حكمه منذ ذلك التاريخ إلى اليوم غيرها ، فسبحان مَنْ بيده حفظ الآثار الإسلامية! .

وأما باطن أرض الكعبة المشرفة : فهو مفروش بالرخام، وأغلبه من النوع الأبيض ، وقليل منه ملون .

وأما جدار الكعبة المعظمة من داخلها : فهو مؤزر برخام ملون ومزركش بنقوش لطيفة .

وداخل الكعبة المعظمة ستارة من الحرير الأحمر الوردي مكتوبة بالنسيج الأبيض (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، الله جل جلاله) على شكل «دال» أو رقم « ٨ » ، ثم (سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) على ذلك الشكل ، ثم داخل دوائر (يا حنان) (يا سلطان) (يا منان) (يا سبحان)، وكل ذلك معمول على شكل رقم « ٨ » ، وكسي بهذه الستارة سقف الكعبة وجدارها من الجوانب الأربعة . وقد تغير لون هذه الستارة من شدة القدم حتى يكاد الرائي يجزم بأنها خضراء ، أو رمادية اللون؛ لأنها
[١٤٣] عُملت في أواخر / ولاية السلطان عبد العزيز خان[1] عام ١٢٩٠هـ ، حيث قد مضى عليها الآن ٦٣ عاماً . وعلى باب الدرجة المصعدة إلى سطح الكعبة

(١) السلطان عبد العزيز ولي السلطنة العثمانية سنة ١٢٧٨ هـ إلى أن خلع سنة ١٢٩٣ هـ . محمد فريد بك - تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٢٠ .

المعظمة ستارة من الحرير الأسود مطرزة بالقصب الفضي المطلي بالذهب ، وهي على شكل ستارة باب الكعبة .

وبين كل عامود من العمد الثلاثة التي بداخل الكعبة على ارتفاع ثلثيها دعامة من الخشب موضوعة من الشمال إلى الجنوب ، قد علق عليها قناديل الكعبة المهداة إليها من القديم ، وما أشبه ذلك ، وهي كثيرة وعلى أشكال مختلفة ، وقد تعذر عليّ إحصاؤها [(١)] .

شاذروان الكعبة :

أما شاذروان الكعبة المعظمة : فهو البناء المحاط بأسفل جدار الكعبة ، مما يلي أرض المطاف من جهاتها الثلاثة الشرقية ، والغربية ، والجنوبية . وشكل هذا الشاذروان ، هو بناء مسنم بأحجار الرخام المرمر . وأما الجهة الشمالية فليس فيها شاذروان مثل الجهات الثلاثة ، وإنما بها بناء بسيط ، ارتفاعه نحو أربعة قراريط عن حجر إسماعيل من الحَجر الصوان ، من نوع الحجر الذي بنيت به الكعبة المعظمة ، وذلك هو من أصل الكعبة وليس بشاذروان[(٢)] .

وحقيقة الشاذروان هو من أصل جدار الكعبة المعظمة حينما كانت على
قواعد إبراهيم ، وقد انتقصته قريش من عرض / أساس جدار الكعبة [١٤٤]
المعظمة ، حين ظهر على وجه الأرض ، كما هي العادة في البناء ، وهذا قول جمهور علماء الشافعية والمالكية ، كما سيأتي تفصيل ذلك في هذا الباب .

---

(١) ذكر البتنوني في الرحلة الحجازية فقال : « معلق بسقف البيت كثير مما بقي من الذخائر التي أهديت إليه ، ومن ذلك مصابيح ذهبية وفضية لا تقل عن مائة ، ومنها مصباحان ذهبيان مرصعان بالجوهر اهداهما للكعبة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٨٤ هـ . انظر : الكردي - محمد طاهر - التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ج ٤ ص ١١٤ .

(٢) في الأصل « بشاذرون » .

قال الأزرقي في تاريخه[1] بعد أن ذكر الشاذروان : « وعدد حجارة الشاذروان التي حول الكعبة ثمانية وستون حجراً في ثلاثة وجوه ، من ذلك من حدّ الركن الغربي إلى الركن اليماني خمسة وعشرون حجراً ، منها طوله ثلاثة أذرع ونصف ، وهو عتبة الباب الذي سُدَّ في ظهر الكعبة ، وبينه وبين الركن اليماني أربعة أذرع ، وفي الركن اليماني حجر مدوّر ، وبين الركن اليماني والركن الأسود تسعة عشر حجراً ، ومن حدّ الشاذروان إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود ثلاثة أذرع واثنا عشر أصبعاً ليس فيه شاذروان ، ومن حدّ الركن الشامي إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود ثلاثة وعشرون حجراً ، ومن حدّ الشاذروان الذي يلي الملتزم إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود ذراعان ليس فيها شاذروان وهو الملتزم ، وطول الشاذروان في السماء ستة عشر أصبعاً ، وعرضها ذراع » . اهـ.

وقال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»[2] : « الشاذروان هو بناء لطيف جداً ملصق بحائط الكعبة ، وارتفاعه عن الأرض في بعض المواضع نحو شبرين ، وفي بعضها نحو شبر ونصف ، وعرضها في بعضها نحو شبرين ونصف ، وفي بعضها نحو شبر ونصف » . اهـ.

[١٤٥] / قال الفاسي في «شفاء الغرام»[3] : « وقد أشار إليّ أنّ الشاذروان هو ما أنقصت قريش من عرض جدار الأساس [أشار إلى ذلك][4] الشيخ أبو حامد الإسفرائيني ، وابن الصلاح ، والنووي ، ونقل ذلك عن جماعة من الشافعية

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣٠٩ .

(٢) النووي - يحيى بن شرف ت سنة ٦٧٦ هـ . تهذيب الأسماء واللغات - القاهرة - شركة العلماء - دون تاريخ ، ج١ ، مادة شذروان .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٢ .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من الأصل والإثبات من شفاء الغرام ج ١ ص ١١٢ .

وغيرهم كالمحب الطبري ، وذكر أن الشافعي أشار إلى ذلك في الأم ، ونقل عنه أنه قال : إن طاف عليه - يعني الشاذروان - أعاد الطواف .

وقد اختلف العلماء في حكم الشاذروان ، فذهب الشافعي وأصحابه إلى وجوب الاحتراز منه وعدم إِجْزاء طواف مَنْ لم يحترز منه ، وهو مقتضى مذهب مالك على ما ذكر ابن شاش ، وابن الحاجب وشارحه الشيخ خليل ، وغيرهم من المالكية ، وأما المتأخرون من المالكية فأنكر ذلك بعضهم . ومذهب الحنابلة أن الاحتراز منه مطلوب وعدم الاحتراز لا يفسد الطواف . ومذهب أبي حنيفة أنه ليس من البيت على مقتضى ما نقل القاضي شمس الدين السروجي من الحنفية عنهم ، وهو اختيار جماعة من محققي العلماء على ما ذكر القاضي عز الدين بن جماعة » .

وقال التقي الفاسي[١] : « ينبغي الاحتراز منه ؛ لأنه إن كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب ، وإلا فلا محذور في ذلك ، والخروج من الخلاف مطلوب » .

وقد أوضح الفقهاء في كتب الفقه والمناسك عن الشاذروان الشيء الكثير وليس هنا محله .

قال الفاسي[٢] : « ولم أدرِ متى كان ابتداء البناء في الشاذروان ولم يُبْنَ مرة واحدة ، وإنما بُني دفعات ، منها في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، / [١٤٦]
ولم أدْرِ ما بُنِيَ منه في هذه السنة ، ومنها في سنة ست وثلاثين وستمائة على ما ذكره ابن خليل في منسكه ومقتضى لما بين ستة وثلاثين ، وذكر أن في هذه السنة ختم الشاذروان عند الحجر الأسْود ، ومنها في آخر عشر الستين وستمائة

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٢ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١١٣ .

أوْ في أوائل عشر السبعين وستمائة ، وهي مصطبة يطوف عليها بعض العوام، ورآه في سنة إحدى وستين وقد بني عليه ما يمنع من الطواف عليه على هيئة اليوم ، هكذا نقل عن والده القاضي عز الدين فيما أخبرني به عنه خالي » . اهـ.

وقال ابن فهد القرشي في حوادث سنة ٨٣٨[١] : « وفيها عَمَّر سودون[٢] المحمدي الشاذروان ، وهو أنه وصل إليه من مصر ستون ذراعاً من الرخام لمرمر الحِجْر والشاذروان ، فقلع جميع رخام الشاذروان وعوضه غيره » . اهـ.

وذكر في حوادث سنة ٨٤٦[٣] : « أنه في المحرم قلع عدة من رخام الشاذروان وعوض بغيره » . اهـ .

قال الفاسي[٤] : « وذكر القاضي عز الدين بن جماعة فيما أخبرني عنه خالي أيضاً ، أن ارتفاع الشاذروان عن أرض المطاف في جهة باب الكعبة ربع ذراع وثمن ذراع ، وعرضه في هذه الجهة نصف وربع .

وذكر الأزرقي[٥] أن طول الشاذروان في السماء ستة عشر أصبعا ، وعرضه ذراع ، وقد نقص عرضه كما ذكر الأزرقي في بعض الجهات . وأفتى المحب الطبري عالم الحجاز في وقته بوجوب إعادة مقداره على ما ذكره الأزرقي ، / وله في ذلك تأليف نحو نصف كراس سماه « استقصاء البيان [١٤٧] في مسألة الشاذروان » . اهـ .

---

(١) ابن فهد النجم - إتحاف الورى في أخبار أم القرى ج ٤ ص ص ٨٢ - ٨٣ .
(٢) في الأصل « سودن » .
(٣) ابن فهد - المصدر السابق ج ٤ ص ١٩٦ .
(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٣ .
(٥) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣١٠ .

وذكر إبراهيم رفعت باشا في «مرآة الحرمين»(١) : « أن ارتفاع الشاذروان في الجهة الشمالية ٥٠ سنتيماً في عرض ٣٩ ، ومن الجهة الغربية ارتفاعه ٢٧ سنتيماً في عرض ٨٠ ، ومن الجهة الجنوبية ارتفاعه ٢٤ سنتيماً في عرض ٨٧، ومن الجهة الشرقية ارتفاعه ٢٢ سنتيماً في عرض ٦٦ » . اهـ.

وروى السنجاري(٢) : « أنه في سنة ١٠٩٨هـ أصلح أحمد باشا الشاذروان، وأنه أمر بالحجر السماق فوضع تحت الركن الأسود مما يلي الأرض، ودُفن ما كان في ذلك الموضع من الرخام بعد قلعه، ونجزوا من ذلك العمل قبيل مغرب ذلك اليوم». اهـ .

أما قول التقي الفاسي(٣) : « أنه لم يدر متى بُني الشاذروان » ، بعد اطلاعه على رواية الأزرقي التي تدل على وجوده في عصره فهو يحتمل أموراً ، سنأتي على ذكرها ، حيث إنّ بين الأزرقي والفاسي نحو ستمائة سنة .

والذي يظهر لي مما تقدم أن الشاذروان بناه عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- مع الكعبة المعظمة ، ولما هدم الحجاج ما أدخله ابن الزبير من الحجْر في الكعبة زيادة على بناء قريش لم يعمل في الجهة الشمالية شاذرواناً، وأَبقى ماكان من عمل ابن الزبير على حكمه إلى زمن الأزرقي ، ولم يحدثنا التاريخ عن أي عمل وقع في الكعبة بعد ذلك العمل إلى زمن / التقي الفاسي ، [١٤٨]
ويُحتمل أن يكون الفاسي قصد بقوله أنه لم يَدْرِ متى بُنِيَ الشاذروان ، يعني أنه هل كان من عهد إبراهيم الخليل ﷺ ، أو من عهد قريش ، أو أن الذي بناه هو ابن الزبير ؛ لأنه لم يَعْتَرِ الكعبة زيادة أو نقص منذ عهد ابن الزبير والحجاج إلى

(١) إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٦٣ .
(٢) السنجاري - منائح الكرم ج ٣ ص ٢٨٠ .
(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٣ .

زمنه ، ولم يأتِ في كتب التاريخ التي تقدّمت على الفاسي اسم الذي وضع الشاذروان صراحة ، فهذا الذي جعل التقي الفاسي يصرح بعدم علمه عن الوقت الذي بني فيه الشاذروان .

وقد جاء في «تحصيل المرام»(١) : « أن ابن الزبير لما بنى الكعبة أخرج الشاذروان، وقيل أخرجته قريش لأجل استمساك البناء » .

وقال : « فعلى هذا القول يكون الشاذروان من البيت ، وهو قول جمهور الشافعية والمالكية ، وقال أبو حنيفة أنه ليس من البيت؛ لأنه لم يرد حديث صحيح أنه من البيت إلا من عموم قوله ﷺ لعائشة : « إن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم » فقال الجمهور: إن الاقتصار شامل للحِجْر والشاذروان وخص أبو حنيفة الحِجْر دون الشاذروان » . اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مناسك الحج (٢): « وليس الشاذروان من البيت ، بل جعل عماداً للبيت » . اهـ .

هذا ما ورد في الشاذروان عن العلماء ، فبعضهم جزم أنه من الكعبة ، وبعضهم أخرجه عن الكعبة ، ولكلٍّ وجهة ، واللّه أعلم(٣) .

---

(١) الصباغ - محمد بن أحمد بن سالم المكي ت سنة ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣م ، تحصيل المرام - مخطوط بمكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة رقم ١١/ تاريخ دهلوي ورقة ٢٤ .

(٢) ابن تيمية - الفتاوى ج ٢٦ ص ١٢١ .

(٣) ذكر محمد طاهر الكردي فقال : « وقد وفقنا الله لعد حجارة الشاذروان وعدّ الحلقات الموجودة بها في يوم السبت حادي عشر محرم الحرام عام ألف وثلاثمائة وستة وسبعين من الهجرة . . . موضوع على شاذروان الكعبة بأعلى الحفرة التي عند باب الكعبة رخامات صفر متقاربة الأحجام متلاصقة ببعضها كل حجر منها مستطيل الشكل ، أكبرها طوله ٣٣ سنتمتراً ، وعرضه ٢١ سنتميتراً ، وكلها مرصوصة وموضوعة بأعلى الشاذروان في محل على هيئة المربع طوله ٧٤ سنتيمتراً وعرضه كذلك . . . ولا نعتقد أن أحداً ممن كان قبلنا ولا ممن هو في عصرنا التفت إلى هذه الرخامات ، ولا توصل إلى ملاحظاتنا فيها . . .» الكردي - محمد طاهر - التاريخ القويم ج٤ ص ص ٧ - ٩ .

[١٤٩] / خبر الحجر الأسود :

قد تقدم الشيء الكثير عن الحجر الأسود من عهد إبراهيم الخليل ﷺ ، إلى عمارة السلطان مراد خان ، وما اعتراه من وهن وتكسير وإصلاح ، وهنا نأتي على شيء من خبره غير ما تقدم؛ لأن كل ما تقدم من خبره جاء ضمن بناء الكعبة المعظمة ، وهنا تفرد البحث عنه خاصة في هذا الباب .

روى التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[(١)] عن ابن إسحاق أنه قال بعد ذكر إخراج بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وغبشان بن خزاعة ، جرهماً من مكة : «فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن ، -يعني الحجر الأسود- فدفنهما في زمزم ، وانطلق هو وَمَنْ معه من جرهم إلى اليمن ، وذكر الزبير بن بكار معنى ذلك ، وقال أبو عبدالله محمد بن عابد الدمشقي في مغازيه[(٢)] عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها حدثت : أن جرهما كانت أهل البيت ، وهم العرب الذين كانوا يتكلمون بالعربية ، ونكح إليهم إسماعيل عليه السلام ، فأحلّوا حرمة البيت واقتتلوا حتى كادوا[(٣)] يتفانون ، فسلط الله عليهم العرب فخرجوا من مكة إلى اليمن ، وكان حول البيت غيضة[(٤)] والسيل يدخله ، ولم يرفع البيت حينئذ ، فإذا قدم الحاج وظنوه حتى يذهب الغيضة ، فإذا كان خرجوا بتبت[(٥)] ، فقدم قصي فقطع الغيضة وابتنى

---

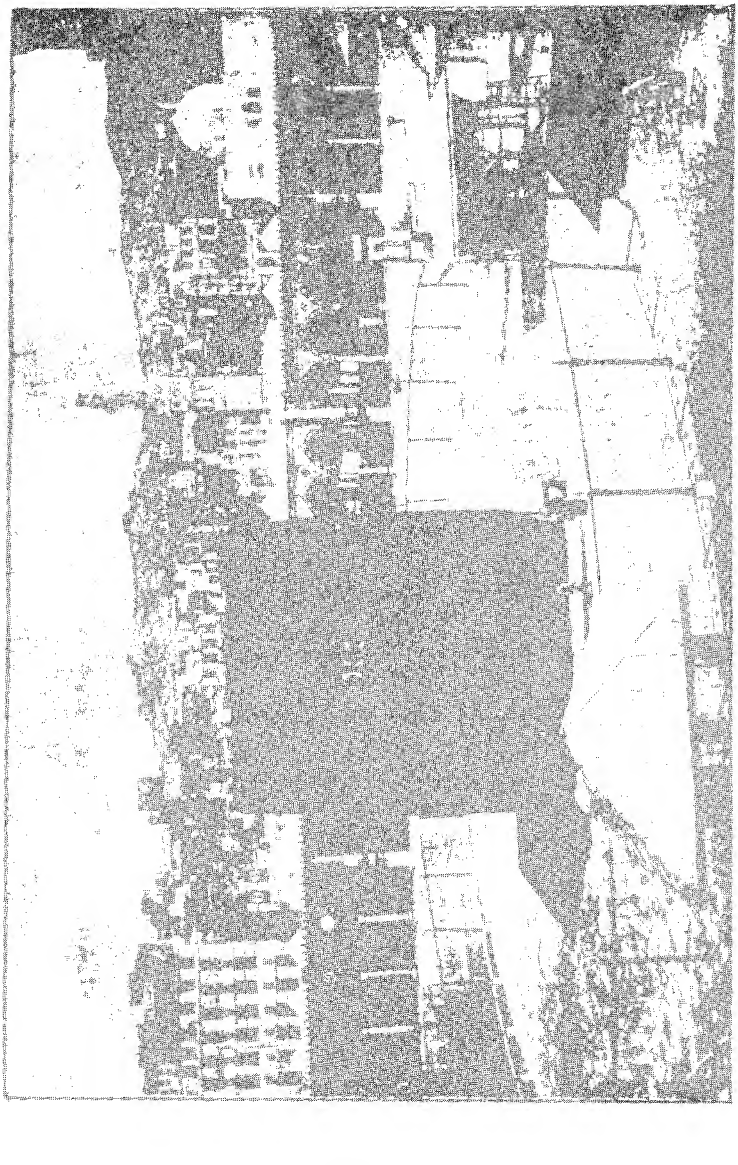
(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٣٧٠ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٧٣ ، ١٩١ .

(٣) في الأصل « كانوا » .

(٤) في الأصل « غيطة » . والغيضة : مغيض ماء يجتمع فيه فينبت فيه الشجر . ابن منظور - لسان العرب ج ٧ ص ٢٠٢ .

(٥) « يظهر من هذه الرواية أنه وقع فيها نقص أو تحريف؛ لأن العبارة غير مستقيمة ولا مفهومة ، وقد نقلتها من شفاء الغرام حرفياً ، والله أعلم » هذا تعليق المؤلف لأخذه الخبر عن الفاسي ج ٢ ص ١٩١ وأوضح منه ما جاء عند الفاسي ج ٢ ص ٧٣ .



الجهة الجنوبية من الكعبة المعظمة والحجر الأسود والشاذروان ومقام إبراهيم الخليل حوله السلالم لأجل إصلاحه

صورة رقم (٧)

[١٥٠] حول البيت داراً ، ونكح / حبّى بنت حُلَيْل ، فولدت له عبدالدار بن قصي أول ما ولدت ، فسماه عبدالدار بداره تلك ، وجعل الحجابة له لأنه أكبرهم . وعبد مناف وجعل السقاية له . والرفادة ودار الندوة لعبد العزى ، واللواء لعبدقصي ، فقال قصي لامرأته : قولي لجدتك تدلّ بنيك على الحجر - يعني الحجر الأسود - فلم يزل بها حتى قالت : إنّي أعقل - أي أظن - أنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه ونزلوا منزلاً وهو معهم، فبرك الجمل الذي عليه ، فضربوه فقام ، ثم سار فبرك ، فضربوه فقام ، فبرك الثالثة ، فقالوا : ما برك إلاّ من أجل الحجر فدفنوه . وذلك في أسفل مكة ، وإني أعرف حيث برك ، فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم ، فأرَتْهم حيث برك أولاً ، وثانياً، وثالثاً. فقالت : أحفروا ههنا . فحفروا حتى يئسوا منه ، ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه، فأتى به قصّي فوضعه في الأرض ، وكانوا يتمسحون به في الأرض حتى بنى قصّي البيت . ومات قصيّ ودفن بالحجون » . اهـ .

قال الفاسي في «شفاء الغرام» (١): « وذكر هذا الخبر الإمام الفاكهي (٢) ، ويبعد أن يكون صحيحاً؛ لأنه يقتضي أن جرهماً دفنوا الحجر في غير زمزم ، والمعروف في دفنهم له أنه في زمزم كما سبق عن ابن إسحاق وغيره ، والمعروف أن القصة التي في هذا الخبر في دفن الحجر اتفقت لبني إياد بن نزار حين أُخْرِجوا من مكة ، وأن الحجر لم يستمر مدفوناً إلى عهد قصيّ؛ لأن امرأة [١٥١] من خزاعة أبصرته حين دفن ، وأخبرت بذلك قومها ، فأعلم / قومها بذلك مضر على أن يكون ولاية البيت لخزاعة ، وهذا مذكور في خبر ذكره

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٧٤ .
(٢) الفاكهي - أخبار مكة - في الملحق ج ٥ ص ص ١٤٦ - ١٤٧ .

الفاكهي[1] عن الكلبي[2] ، والزبير بن بكار[3] ، وفيه أنهم أعادوه في مكانه ، وبقي ولاية البيت في أيدي خزاعة حتى قدم قصي بن كلاب » .

قال الفاسي[4] : « وهذا الخبر أقرب إلى الصحة » .

هذا ما كان من خبر الحجر الأسود من عهد إبراهيم ﷺ إلى عهد قصّي بن كلاب ، وما وقع عليه من جرهم وخزاعة في زمن الجاهلية ، ولم يَعْتَرِ الحجر الأسود نقل أو تغييب من عهد قصي إلى بناء عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- الكعبة المعظمة .

وأما ما كان من الحوادث التي وقعت على الحجر الأسود من عهد عبدالله ابن الزبير إلى العمارة الأخيرة التي حصلت في عصر السلطان مراد خان سنة ١٠٤٠ هجرية ، ثم إلى العصر الحاضر . قال الأزرقي[5] : « حدثني جدي قال : كان ابن الزبير أول من ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه من الحريق » .

ثم قال[6] في حديث طويل عن ابن جريج عن غير واحد من أهل العلم ممن حضر بناء ابن الزبير للكعبة ، قال : « وكان الركن قد تصدّع من الحريق بثلاث فرق ، فانشظت منه شظية كانت عند بعض آل بني شيبة بعد ذلك بدهر طويل ، فشدّه ابن الزبير بالفضة إلا تلك الشظية من أعلاه بَيِّنٌ موضعها من أعلى الركن » .

(١) الفاكهي - المصدر السابق ج ٥ ص ١٤٧ .

(٢) الكلبي - محمد بن السائب بن بشر أبو النضير النسابة شيعي - متروك الحديث ت سنة ١٤٦هـ. الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٣) الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب أبو عبدالله القرشي الأسدي المكي - قاضي مكة وعالمها صاحب كتاب نسب قريش ت سنة ٢٥٦ هـ . الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ص ٣١١ - ٣١٧ .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٧٤ .

(٥) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣٤٥ .

(٦) المصدر السابق ج ١ ص ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

وقال الأزرقي في رواية أخرى[1] : « وكان ابن الزبير ربط الركن الأسود / بالفضة لما أصابه من الحريق . ثم كانت الفضة قد تزلزلت ونزعت [١٥٤] وتفلقت حول الحجر حتى خافوا عليه أن ينقص ، فلما اعتمر هارون الرشيد وجاور في سنة تسع وثمانين ومائة أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود أن تثقب[2] بالماس ، فثقبت[3] بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة ، وكان الذي عمل ذلك ابن الطحان مولى ابن المشمعل[4] ، وهي الفضة التي هي عليه اليوم » . اهـ .

وقد ذكر هذه الرواية التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[5] ولم يعلق عليها بشيء . كما أن نجم الدين بن فهد[6] ذكرها في «إتحاف الورى» مختصرة ولم يعلق عليها أيضاً . والظاهر أنهم اعتبروا صحة الرواية واكتفوا بإيرادها لثبوتها بدون تعليق ، حيث لو كان عندهم خبر يخالفها لأتوا[7] به على قاعدتهما في التثبت من الأخبار . والله أعلم .

وأما حادثة القرامطة[8] وأخذهم الحجر الأسود وتغييبه عندهم اثنتين[9] وعشرين سنة . والفظائع التي ارتكبوها في مكة من قتل الطائفين والعاكفين والركع السجود فإليك تفصيلها :

---

(١) نفسه ج ١ ص ٣٤٥ .

(٢) في الأصل « تنقب » .

(٣) في الأصل « فنقبت » .

(٤) في الأصل « الشمعل » .

(٥) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٦) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ص ٧٤ ، ٢٤٦ .

(٧) في الأصل « لأتو » .

(٨) القرامطة : فرقة باطنية عاثت فساداً في أرض الإسلام ، واتخذت عاصمتها هجر في البحرين . انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٣٢٠ .

(٩) في الأصل « اتنين » .

قال التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[1] : « ذكر أهل التاريخ أن عدّو اللّه أبا طاهر القرمطي وافى مكة في سابع ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وفعل فيها هو وأصحابه أموراً منكرة ، منها أن بعضهم ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم قلعه ، وقيل : قلعه جعفر بن علاج البناء / بأمر أبي طاهر يوم **[١٥٣]** الإثنين بعد الصلاة لأربع عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣١٧هـ . وذهب به معه إلى بلاده هجر ، وبقي موضعه من الكعبة المعظمة خالياً ، يضع الناس فيه أيديهم للتبرك إلى حين رُدَّ إلى موضعه من الكعبة المعظمة ، وذلك يوم الثلاثاء يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة على ما ذكره المسبحي[2] . وذكر أن الذي وافى به مكة سنبر بن الحسن القرمطي[3] ، وأن سنبراً لما صار بفناء الكعبة ومعه أمير مكة أظهَرَ الحجر من سفط ، وعليه ضباب[4] فضة قد عُملَتْ من طوله وعرضه ، تضبط شقوقاً حدثت عليه بعد اقتلاعه ، وأَحضر معه جصاً يُشَدّ به ، فوضع سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجص وقال سنبر لما رده : أخذناه بقدرة اللّه ورددناه بمشيئة اللّه . ونظر الناس إلى الحجر فتبينوه وقبلوه واستلموه وحمدوا اللّه تعالى . وكان رد الحجر الأسود في موضعه قبل حضور الناس لزيارة الكعبة يوم النحر ، وكانت مدة كينونته عند القرمطي وأصحابه اثنتين[5] وعشرين سنة إلا أربعة أيام . هذا معنى كلام المسبحي » .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٣ .

(٢) المسبحي - محمد بن عبيدالله بن أحمد المختار الرافضي الرديء الاعتقاد المصنف الأمير ت سنة ٤٢٠ هـ . انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٣٦١ .

(٣) سنبر القرمطي - أبو محمد سنبر بن الحسن بن سنبر كان من خواص أبي سعيد القرمطي والمكلفين على سره . انظر القضاعي - تاريخ - تحقيق د . جميل المصري هامش رقم٨ ص٤٩٦ .

(٤) في الأصل « ضبة » .

(٥) في الأصل « اثنين » .

قال الفاسي[1] : « وكان بجكم[2] التركي مدبر الخلافة ببغداد بذل للقرامطة على رد الحجر الأسود خمسين ألف دينار ، فأبوا ، وقالوا : أخذناه بأمر ولا نرده إلا بأمر . وقيل إن المطيع[3] العباسي اشتراه بثلاثين ألف دينار من القرامطة ، وكلام القاضي عز الدين بن جماعة في منسكه صريح في أن المطيع العباسي اشتراه بهذا القدر من أبي طاهر القرمطي ، وفيه نظر ؛ لأن أبا طاهر مات قبل خلافة المطيع في سنة ٣٣٢ / على ما ذكره ابن الأثير[4] وغيره». [١٥٤]
انتهى كلام الفاسي [5].

قال الحافظ نجم الدين بن فهد القرشي[6] في «إتحاف الورى» في حوادث عام ٣١٧ : « فيها : دخل صاحب البحرين - الأحساء - أبو طاهر سليمان بن أبي ربيعة الحسن القرمطي مكة ، وحضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز لإقامة الحج خليفة لأبيه ، فلم يشعر الناس يوم الإثنين وهو يوم التروية من ذي الحجة إلا وقد وافاهم عدو اللّه أبو طاهر القرمطي في تسعمائة رجل من أصحابه ، فدخلوا المسجد الحرام ، وأبو طاهر سكران راكب فرساً له ، وبيده سيف مسلول ، فصفَّر لفرسه فبال عند البيت ، وأسرف هو وأصحابه في قتل الحجاج وأسرهم ونهبهم مع هتكه لحرمة البيت ، وكان الناس يطوفون حول البيت والسيوف تأخذهم ، وكان علي بن بابويه[7] يطوف بالبيت والسيوف

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٣ .
(٢) في الأصل « يحكم ». وبجكم : أحد الغلمان الأتراك وصل إلى منصب أمير الأمراء في عهد الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٦ هـ ، حيث قتل سنة ٣٢٩ هـ . القضاعي ، تاريخ ص ٤٩٧ .
(٣) المطيع لله أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر الخليفة العباسي بويع سنة ٣٣٤ هـ وخلع نفسه سنة ٣٦٣ هـ . القضاعي - المصدر السابق ص ص ٥٣٦ - ٥٤٤ .
(٤) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٦ ص ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
(٥) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٣ .
(٦) ابن فهد - إتحاف الورى ج ٢ ص ص ٣٧٤ - ٣٨٠ .
(٧) في الأصل « مايويه » .

تأخذه فما قطع طوافه وهو ينشد :

ترى المحبين صَرْعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون لمْ كبتوا

وقتل في المسجد الحرام ألف وسبعمائة ، وقيل ثلاثة عشر ألفاً من الرجال والنساء وهم متعلّقون[1] بالكعبة ، وردم بهم زمزم حتى ملؤوها ، وفرش بهم المسجد الحرام وما يليه ، وقيل دفن البقية في المسجد بلا غسل ولا صلاة ، وجعل الناس يصيحون : تقتل جيران اللّه في حرم اللّه ؟ فيقول : ليس بجار من خالف أوامر اللّه ونواهيه ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ [2] الآية . وصعد
[١٥٥] أبو طاهر بنفسه على باب الكعبة واستقبل الناس بوجهه / وهو يقول :

أنـا باللّه وباللّه أنـا   يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وضرب بعض أصحابه الحجر الأسود بدبوس فتكسر ، وقيل : إن الذي ضرب الحجر الأسود بالدبوس أبو طاهر بنفسه وصاح : يا حمير ، أنتم تقولون : « وَمَنْ دخل هذا البيت كان آمنا » [3] فأين الأمن وقد فعلتُ ما فعلتُ ؟! وعطف دابته ليخرج ، فأخذ بعض الحاضرين بلجام فرسه فقال ، وقد استسلم للقتل : ليس معنى الآية ما ذكرت ، وإنما معناه : مَنْ دخله فأمِّنوه . فلوى القرمطي فرسه وخرج ولم يلتفت إليه . وقتل في سكك مكة وظاهرها وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم نيفاً وثلاثين ألفاً وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك ، فكان ممن قُتل بمكة أميرها ابن محارب[4] ،

---

(١) في الأصل « معتلقون » .
(٢) سورة المائدة من الآية ٢٣ .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ سورة البقرة الآية ١٢٦ . وقوله : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ سورة آل عمران الآية ٩٧ . وقوله جلّ وعلا : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ سورة إبراهيم الآية ٣٥ .
(٤) انظر عن ابن محارب أو ابن مخلب أمير مكة – الفاسي – العقد الثمين ج ١ ص ٤١٦ ، ابن فهد عز الدين – غاية المرام ج ١ ص ص ٤٦٨ – ٤٧٠ .

والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عماد الجارودي الهروي ، وأبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي ، وأبو بكر عبدالرحمن بن عبدالله بن الزبير الرهاوي ، وعلي بن بابويه الصوفي، وأبو جعفر محمد بن خالد بن زيد البردعي نزيل مكة . ولم يقف أحد هذه السنة بعرفة ، ولا وفى نسكاً إلا قوم يسير غروراً[1]، فتموا حجهم دون إمام، وكانوا رجّالة . وأخذ أبو طاهر أموال الناس وحلي الكعبة، وهتك أستارها وقسم كسوتها بين أصحابه، ونهب دور مكة ، وقلع باب الكعبة ، وأمر بقلع الميزاب وكان من الذهب الإبريز، فطلع رجل يقلعه فأصيب من أبي قبيس / بسهم في عجزه ، [١٥٦]
فسقط فمات ، ويقال: إن الرجل وقع على رأسه فمات ، فقال : اتركوه على حاله، فإنه محروس حتى يأتي صاحبه يعني المهدي . وأراد أخذ المقام فلم يظفر به؛ لأن سدنة المسجد غيّبوه في بعض شعاب مكة ، فتألّم لفقده ، فعاد عند ذلك على الحجر الأسود فقلعه جعفر بن أبي علاج البنّا المكي، بأمر القرمطي بعد صلاة العصر من يوم الإثنين ١٤ من ذي الحجة ، وقال عند ذلك شعراً يدل على عظيم زندقته حيث يقول :

فلو كان هذا البيت لله ربنا ... لصبَّ علينا النار من فوقنا صبّا
لأنّا حججنا حجة جاهلية ... محللة لم تبْقِ شرقاً ولا غربا
وأنّا تركنا بين زمزم والصّفا ... جنايز لا تبغي سوى ربِّهَا ربَّا

وقلع القرمطي قبة زمزم ، وأقام هو وأصحابه بمكة أحد عشر يوماً ، ثم انصرف إلى بلده هجر ، وحمل معه الحجر الأسود ، يريد أن يجعل الحج عنده، فهلك تحت الحجر أربعون جملاً ، وبقي موضع الحجر من الكعبة

---

(١) هكذا عند ابن فهد - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٧٧ . وعند المسعودي - مروج الذهب ج ٤ ص ٤٠٨ « غزواً » وهو الأصح . ولعلهم من الجند الغزاة .

خالياً، يضع الناس فيه أيديهم للتبرك .

وكان القرمطي يخطب بمكة لعبدالله المهدي[1] ، صاحب (المهدية) بإفريقية، فبلغ المهدي ذلك فكتب : والمعجب من كَتْبك إلينا ممتنّاً علينا بما ارتكبت واجتريت باسمنا من حرم الله وجيرانه ، بالأماكن التي لم تزل الجاهلية تحرّم الدماء فيها ، وإهانة أهلها ، ثم تعدّيت ذلك إلى أن قلعت الحجر الذي هو يمين الله في الأرض ، يصافح بها عباده وحملته إلى أرضك ، ورجوت أن نشكرك على ذلك ، فلعنك الله ثم لعنك / الله ثم لعنك ، [١٥٧] والسلام على من يسلم المسلمون من لسانه ويده . فانحرفت القرامطة عن طاعة العبيديين[2] . وأقام الحجر بالأحساء اثنتين[3] وعشرين سنة يستميلون الناس إليهم، ثم يئسوا وردّوه » .

وقد ذكر نجم الدين بن فهد[4] « أن أبا القاسم المسناني ذكر أن المقتدر العباسي اشتراه من أبي سعيد الجنابي[5] بثلاثين ألف دينار» وردَّ هذه الرواية .

ثم قال[6] في حوادث سنة ٣٣٩ : « فلما كان يوم الثلاثاء يوم النحر ، وافى سَنْبر بن الحسن القرمطي مكة ، ومعه الحجر الأسود ، فلما صار بفناء الكعبة ومعه أمير مكة ، أظهر الحجر من سفط وعليه ضباب فضة » .

وذكر باقي القصة المتقدمة عن الفاسي .

---

(١) والصحيح عبيدالله المهدي العبيدي الذي أسس الدولة العبيدية الباطنية . انظر القضاعي - تاريخ ص ص ٥٥٥ - ٥٥٨ .

(٢) في الأصل « العبيدين » .

(٣) في الأصل « اثنين » .

(٤) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٥) في الأصل « الجناني » .

(٦) أي ابن فهد النجم في إتحاف الورى ج ص ٣٩٥ .

ولم يكن بين الفاسي وابن فهد تخالف في قصة أخذ القرامطة الحجر الأسود ، وإنما كل واحد منهما ذكر جانباً منها .

قال التقي الفاسي(١) : « وذكر المسبحي أن في سنة أربعين وثلاثمائة قلع الحجبة - آل الشيبي - الحجر الأسود الذي نصبه سنبر ، وجعلوه في الكعبة خوفاً عليه . وأحبوا أن يجعلوا له طَوْقاً من فضة يُشَدُّ به ، كما كان قديماً حين عمله ابن الزبير - وذلك بعد حادثة إرجاعه ببضعة أشهر - فعملوا له طوقاً من فضة وأحكموه . وكان قدر الفضة التي طوق بها الحجر الأسود ثلاثة آلاف وسبعة وسبعون درهماً ونصف » .

قال الفاسي(٢) : «وهذه الحلية غير حلية الحجر الآن؛ لأن داود بن عيسى ابن فليتة الحسني(٣) - أمير مكة - أخذ طَوْق الحجر الأسود قبيل عزله من مكة في سنة ٥٨٥ ، على ما ذكره / أبو شامة في «ذيل الروضتين»(٤) ، وذكر ذلك غيره، ولم أتحقق أن الحجر الأسود قلع من موضعه بعد ردّ القرامطة إلى يومنا هذا . غير أن بعض فقهاء المصريين وهو نور الدين المنوفي أخبرني أن الحجر الأسود قلع من موضعه في سنة ٧٨١ لتحليته في هذه السنة من الحلية التي أبدلها الأمير سودون باشا » . [١٥٨]

وذكر نجم الدين بن فهد القرشي(٥) في «إتحاف الورى» في حوادث

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) داود بن عيسى بن فليتة الحسني، أمير مكة . الفاسي - العقد الثمين ج ٤ ص ٣٥٤ ، ابن فهد عزالدين - غاية المرام ج ١ ص ص ٥٣٤ - ٥٣٧ .

(٤) أبو شامة - عبدالرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، مؤرخ محدث باحث، له كتاب : الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية ، وكتاب ذيل الروضتين سماه ناشره « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » وغيرهما . ت سنة ٦٦٥ هـ . انظر ابن كثير - البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥٠ . والزركلي - الأعلام ج ٣ ص ٢٩٩ .

(٥) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٤١٠ .

سنة٣٦٣ : «أنه بينما[١] الناس في وقت القيلولة وشدة الحر ، وما يطوف إلا رجل أو رجلان ، فإذا رجل عليه طمران ، مشتمل على رأسه ، يسير رُوَيْداً ، حتى دنا من الركن الأسود ، ولا يُعْلم ما يريد ، فأخذ معْولاً وضرب الركن ضربة شديدة حتى خفته الخفتة التي فيه ، ثم رفع يده ثانياً يريد ضربه ، فابتدره رجل من السكاسك من أهل اليمن حين رآه وهو يطوف ، فطعنه طعنة عظيمة بالخنجر حتى أسقطه ، فأقبل الناس من نواحي المسجد فنظروه فإذا هو رجل رومي جاء من أرض الروم ، وقد جعل له مال كثير على ذهاب الركن ، ومعه معول عظيم حُدّد ، وذكّر بالذكور ، [وقتل الذي أراد ذهاب][٢] الركن وكفى اللّه شره ، قال : فأخرج من المسجد الحرام وجمع الحطب الكثير فأحرق بالنار» . اهـ.

قال الفاسي[٣] : « ذكر أبو عبداللّه علي بن عبدالرحمن العلوي ، أن في سنة ٤١٣ يوم النفر الأول ، قام رجل ، فقصد الحجر الأسود ، فضربه ثلاث ضربات بدبوس ، وتبخش وجه الحجر من تلك الضربات ، وتساقطت منه / [١٥٩]
شظايا مثل الأظفار وتشقّق ، وخرج أسْمر يضرب إلى صفرة محبَّباً مثل الخشخاش ، فأقام الحجر على ذلك يومين ، ثم إن بني شيبة جمعوا الفتات ، وعجنوه بالمسك واللّكّ ، وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء[٤] من ذلك » . اهـ.

وذكر ابن الأثير[٥] هذه القصة في أخبار سنة ٤١٤ ، قال ابن الأثير : « في

---

(١) غير مقروءة في الأصل .

(٢) في الأصل « وذكر بالذكور الذين أرادوا ذهاب الركن » . والصحيح ما أثبتناه « وقتل الذي أراد ذهاب الركن » ومعنى « ذكر بالذكور » أي صيّر فولاذاً صلبا . المعجم الوسيط ، ج١ ، ص٣٢٥ . انظر ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ، ص ٤١١ .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٩٤ .

(٤) في الأصل « بطلا » .

(٥) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٣١٥ .

يوم الجمعة يوم النفر الأول ، ولم يكن رجع الناس بعد من منى ، عمد[1] بعض الملاحدة من المصريين الذين استغواهم الحاكم العبيدي ، وكان أحمر اللون ، أشقر الشعر ، تام القامة ، جسيماً طويلاً ، وبإحدى يديه سيف مسلول ، والأخرى دبوس ، بعدما فرغ الإمام من الصلاة ، فقصد الحجر الأسود كأنه يستلمه ، فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متوالية بالدبوس ، فتنخبش وجه الحجر في وسطه وتقشّر من تلك الضربات ، وتساقطت منه ثلاث شظايا واحدة فوق الأخرى ، فكأنه ينقب ثلاث نقب ما تدخل الأنملة في كل ثقبة ، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار ، وطارت فيه شقوق يميناً وشمالاً ، وخرج مكسره أسمر يضرب إلى صفرة محبّباً مثل الخشخاش ، وقال : إلى متى يُعْبَد هذا الحجر الأسود ؟ ولا محمد ولا عليّ يمنعني عما أفعله ، فإني أريد اليوم أهدم هذا البيت . وخافه الحاضرون ، وتراجعوا عنه ، وكاد أن يفلت ، وكان على باب المسجد عشرة من الفرسان على أن ينصروه ، فاحتسب رجل من أهل مكة ، وثار به ، فوجأه بخنجره ، واحتوشه الناس فقتله ، ثم تكاثروا عليه فقطعوه وأحرقوه بالنار ، وقُتل جماعة ممن شاركوه / [١٦٠] وعاونوه وأُحرقوا بالنار ، وكان الظاهر منهم عشرين رجلاً غير ما خفي منهم ، فثارت الفتنة . ثم ركب أبو الفتوح أمير مكة فأطفأ الفتنة ، وردّهم عن المصريين .

فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا ، وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل ، فقالوا : نحن مائة رجل . فضربت أعناق هؤلاء الأربعة . وأقام الحجر الأسود على ذلك يومين ، ثم إن بعض بني شيبة جمعوا ما وجدوا مما سقط منه وعجنوه بالمسك واللّكّ وحشيت الشقوق وطليت من ذلك » . اهـ .

---

(١) في الأصل « عهد » وهو خطأ .

وجاء في «منائح الكرم»[١] أنه : « قال الشيخ محمد بن علان المكي[٢] : أخبرني شيخ الفراشين بمكة محمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن ، عن والده ، أنه في عشر التسعين وتسعمائة ، جاء رجل أعجمي بدبوس في يده فضرب الحجر الأسود ، وكان حاضراً الأمير ناصر جاوش ، فوجأ ذلك الأعجمي بالخنجر فقتله ، فأراد العجم المجاورون بمكة أن يقتادوا منه ، وزعموا أن ذلك الأعجمي شريف ، فحال بينه وبينهم القاضي حسين المالكي ومنعهم » . اهـ .

وروى السنجاري في تاريخه[٣] : « أنه في أوائل ربيع من سنة ١٠٩٧هـ جعل شيخ الحرم طوقاً من فضة للحجر الأسود ، وله جرم ظاهر وهو الباقي إلى الآن » . اهـ.

ومما هو جدير بالذكر ما وقع في عصرنا الحاضر : في آخر شهر محرم سنة ١٣٥١ ، وذلك أنه جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان ، فاقتلع قطعة من [١٦١] / الحجر الأسود ، وسرق قطعة من ستارة الكعبة وقطعة فضة من مدرج الكعبة - الذي هو بين بئر زمزم وباب بني شيبة - فشعر به حرس المسجد الحرام فاعتقلوه . ثم أعدم عقوبة له ، كما أُعدم مَنْ تجرأ قبله على الحجر الأسود بقلع أو تكسير أو سرقة ، حيث أصبح حكم الإعدام على أمثال هؤلاء سنة متبعة كما تقدم تفصيله .

ثم لـمّا كان يوم ٢٨ من ربيع الثاني من سنة ١٣٥١ ، حضر جلالة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود من مصيفه بالطائف ، قبل توجهه إلى الرياض ، إلى المسجد الحرام ، وحضر معه رئيس هيئة القضاء

(١) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ١٧٧ .

(٢) ابن علان - العلم المفرد في فضل الحجر الأسود - مخطوط - رسالة ضمن مجموع برقم ١٦٤٥ بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ورقة ٢٥٧ .

(٣) السنجاري - منائح الكرم ج ٣ ص ٢٧٥ .

الشرعي حضرة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ ، وحضر أيضاً حضرة الشيخ عبدالله الشيبي نيابة عن والده رئيس السدنة المرحوم الشيخ عبد القادر ابن علي الشيبي ، وحضر بعض الأعيان ، ثم أحضر مدير الشرطة العام محمد مهدي بك تلك القطعة التي اقتلعها ذلك الفارسي التعيس ، وعمل الأخصائيون مركّباً كيماوياً مضافاً إليه المسك والعنبر ، وبعد أن تمّ تركيب المركّب المذكور الذي استُحضر خصيصاً لأجل تثبيت تلك القطعة التي قلعت من الحجر الأسود، وضعه الأخصائيون في الموضع الذي قلعت منه تلك القطعة ، ثم أخذ جلالة الملك عبد العزيز آل السعود حفظه الله قطعة الحجر الأسود بيده ووضعها في محلها تيمّناً وأثبتها الأخصائيون إثباتاً محكماً .

فهذا حاصل ما وقفتُ عليه من حوادث الحجر الأسود ، وما جرى / عليه [١٦٢]
من تعدي الأيدي الأثيمة من قلع وتكسير . وسيأتي قريباً بحث تحليته بالذهب والفضة مفصلاً .

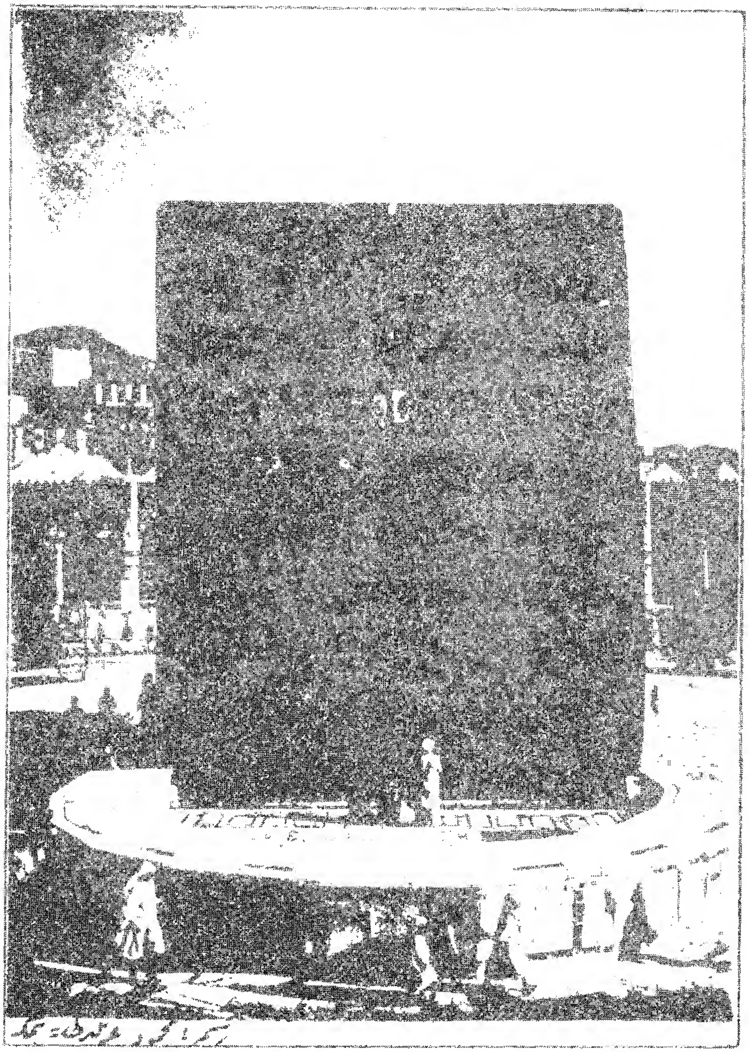
حِجْر إسماعيل :

أما حجْر إسماعيل عليه السلام ، فهو الحائط الواقع شمال الكعبة المعظمة ، وهو علَى شكل نصف دائرة . وقد جعله إبراهيم الخليل ﷺ عريشاً إلى جانب الكعبة ، وكان زرباً لغنم إسماعيل كما جاء ذلك في تاريخ الأزرقي(١) .

قال الأزرقي(٢) في أثناء خبر بناء الخليل ﷺ للكعبة المعظمة : « وجعل إبراهيم الحجْر إلى جنب البيت ، عريشاً من أراك تَقْتَحِمْهُ العنز ، وكان زرباً لغنم إسماعَيل » .

وهذه الرواية تدلّ على أن الحِجْر لم يكن من البيت المعظم ، وإنما كان زرباً

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٦٥ .
(٢) نفسه ج ١ ص ص ٦٤ - ٦٥ .



رسم الجهة الشمالية من الكعبة المعظمة وميزاب الكعبة وحجر إسماعيل

صورة رقم (٨)

خارجاً عنه ، غير أنه لما بنت قريش الكعبة أنقصت من جانبها الشمالي ستة أذرع وشبر ، على أشهر الروايات الصحيحة ، وأدخلته في حجر إسماعيل ، ثم لـمّا بناها عبداللّه بن الزبير -رضي الله عنهما- أدخل فيها ما أنقصته قريش منها . فلما كان عصر الحجاج بن يوسف الثقفي اقتطع من الكعبة الستة الأذرع وشبر وأدخلها في حجر إسماعيل ، وبذلك صار حِجْر إسماعيل مشتملاً على ستة أذرع وشبر من الكعبة المعظمة ، كما كان عليه في زمن بناء قريش للكعبة المعظمة ، وهو لا يزال على حكمه إلى العصر الحاضر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] في مناسك الحج : « والحِجْر أكثره
من / البيت من حيث ينحني ، وأما حائطه فَمَنْ دخله فهو كَمَنْ دخل [١٦٣]
الكعبة » . اهـ .

فيستدلّ من قول شيخ الإسلام ابن تيمية أن ما سامت من جدار حِجْر إسماعيل جدار الكعبة المعظمة ، فهو الذي استقطعه الحجاج بن يوسف من الكعبة ، وما انحنى منه على شكل نصف دائرة فهو الحِجر الذي كان بناء إبراهيم الخليل ﷺ عريشاً .

وهذا القياس أقرب إلى الاستدلال في معرفة ما كان من الحِجْر داخلاً في الكعبة المعظمة ، وما كان خارجاً عنها ، وبما أنّ حِجْر إسماعيلَ قد هُدم عدة مرات ، وعُمّر عمارات مختلفة - كما سيأتي تفصيل ذلك - فَبَدَر لي أن أَذْرَعَهُ لأقف على ذَرْع ما سامت منه جدار الكعبة المعظمة ، هل هو ستة أذرع وشبر . أم أقل . أو أكثر ؟ ! . فذهبت إلى الحِجْر في ليلة الثلاثاء الموافق ٢٥ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ بين المغرب والعشاء ، وذرعت القسم

(١) ابن تيمية - الفتاوى ج ٢٦ ص ١٢٢ .

المستقيم من حجر إسماعيل المسامت لاستقامة جدار الكعبة المعظمة من الحد المنحني منه إلى جدار الكعبة التي تلي الحجْر ، فكان طول ذلك تسعة أذرع بذراع اليد ، وهذا فيه زيادة كثيرة عن الستَة الأذرع والشبر ، فَعُلمَ من ذلك أن بناء الحجْر قد تغيّر عما كان عليه في عصر ابن تيمية ، وقد هدم وبني في المرةَ الأخيرة في عصر السلطان عبد المجيد خان العثماني[(١)] سنة ١٢٦٠هـ، وربما زادوا في طول المستقيم من الحجْر في هذا البناء الأخير أو الذي قبله؛ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية من جهابذة المحققين، ومن أعلم [١٦٤] الناس بالأحاديث / الواردة فيما أدخل من الكعبة المعظمة في حجر إسماعيل، فلو كان بناء الحجْر الذي عليه في العصر الحاضر هو عينه الذي كان في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية لما قال شيخ الإسلام ذلك .

هذا ما أردت بيانه للقارئ؛ كي يعلم أن كل ما جاء عن بناء الحجْر ومقاسه في كتب الفقهاء والمؤرخين إنما هو على ما كان في عصر ذلك الفقيه أو المؤرخ، ثم إذا وقع بعد ذلك العصر تغيير أو تبديل وذكره مَنْ شاهده من المؤرخين أو الفقهاء أصبح ما وصفه به مخالفاً لمن وصفه من المتقدمين ، وعليه فلا يُعتبر ذلك خلافاً لمن سبقه لوقوع التغيير والتبديل في البناء ، هذا ما ظهر لي في ذلك، والله أعلم بالصواب .

ويُسمّى حجْر إسماعيل أيضاً (بالحطيم) . وقد ذكر ابن الأثير في «النهاية»[(٢)] أنَ موضعين سُمّيا بالحطيم، قال : « سُمّي حطيم مكة وهو ما بين

(١) السلطان عبد المجيد تولى السلطنة العثمانية من ١٢٥٥-١٢٧٨هـ/ ١٨٣٩ - ١٨٦١ م . محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٣٧ .

(٢) ابن الأثير - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤-٦٠٦هـ) - النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق محمود محمد الطناحي - دار إحياء التراث الإسلامي - لبنان ج ٤ ص ١٧٩ .

الركن والباب - أي الملتزم - وقيل هو الحجْر المخرج منها - يعني الكعبة - سُمي به لأن البيت رُفع وترك هو محطوماً ، وقيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب فتبقى حتى تنحطم بطول الزمان » .

وقال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي في «القاموس»[١] : « الحطيم حِجْر الكعبة ، أو جداره ، أو ما بين الركن وزمزم والمقام » .

وروى ياقوت الحموي[٢] في «معجم البلدان» عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- أنه قال : « الحطيم الجدر » .

قال ياقوت[٣] : « بمعنى جدار الكعبة »، ثم قال[٤] : « وقال أبو منصور : حجْر مكة يقال له الحطيم مما يلي الميزاب ، وقال النضر : الحطيم الذي فيه المَيزاب ، وإنما سُمي حطيماً / لأن البيت رفع وترك هو محطوماً » . [١٦٥]

أما قول ياقوت : إن معنى (الجدر) هو جدار الكعبة ، فهذا غلط ، حيث قد ورد في الصحيحين[٥] أن المراد بالجدر هو حِجْر إسماعيل ، ولم يقل أحد من المحققين أن الجدر هو جدار الكعبة .

---

(١) الفيروزأبادي - مجد الدين محمد بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧هـ) - القاموس المحيط ، بيروت ج ٤ ص ١٣٦ .

(٢) ياقوت - معجم البلدان ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٤) أي ياقوت - نفسه ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ص ٩٦ - ٩٧ . ونص الحديث : « عن عائشة قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجَدْر : أمنَ البيت هو . قال : نعم . قلت : فَلمَ لم يدخلوه في البيت ؟ قال : إن قومك قصّرت بهم النفقَة . قلت : فما شأن بابه مرتفعاً ؟ . قَال : فعل ذلك قومك ليُدْخلوا مَنْ شاؤوا ، ويمنعوا من شاؤوا ، ولولا أن قومك حديث عهدهم في الجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الجَدْر في البيت وأن ألزق بابها بالأرض » .

وقال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»[1] : «الحطيم مشهور بالمسجد الحرام بقرب الكعبة الكريمة» .

وروى الأزرقي[2] قال : «الحطيم ما بين الركن الأسود والمقام وزمزم ، والحِجْر سُمِّي حطيماً لأن الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضاً ، والدعاء فيه مستجاب» . اهـ .

فعلم مما تقدم أن الحِجْر يعرف بالحطيم أيضاً قديماً وحديثاً ، كما أن الملتزم يعرف بالحطيم أيضاً ، وما بين زمزم والمقام والكعبة يسمى بالحطيم .

دفن إسماعيل بالحجر :

ذكر كثير من العلماء أن نبي اللّه إسماعيل -عليه السلام- دفن في الحجر ، الذي هو الحطيم ، ويطلق عليه قديماً وحديثاً بحجر إسماعيل ، فروى ابن هشام المعافري في سيرته[3] عن ابن إسحاق المطلبي أنه قال : «وكان عُمْر إسماعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ، ثم مات -رحمة اللّه وبركاته عليه- ودفن في الحِجْر مع أمه هاجر رحمهم اللّه تعالى» . اهـ .

وقال ابن جرير الطبري في الجزء الأول من تاريخه[4] : «وعاش إسماعيل / فيما ذكر ١٣٧ سنة ودفن في الحجر عند قبر أمه هاجر» . اهـ . [١٦٦]

وقال المسعودي في تاريخه «مروج الذهب»[5] : «وقبض إسماعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن في المسجد الحرام حيال الموضع الذي فيه الحجر الأسود» . اهـ

(١) النووي - يحيى بن شرف - تهذيب الأسماء واللغات ، مادة «حطيم» .
(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ٢ ص ٢٣ .
(٣) ابن هشام - السيرة ج ١ ص ٧ .
(٤) الطبري - محمد بن جرير - تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٣١٤ .
(٥) المسعودي - مروج الذهب ج ٢ ص ٤٨ .

فخالف ابن إسحاق قال : إنه دفن حيال الحجر الأسود ، ولم يوافق أحد من المؤرخين في ذلك .

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه[١] في ترجمة إسماعيل عليه السلام : « ودفن إسماعيل نبي اللّه بالحِجْر مع أمه هاجر ، وكان عمره يوم مات مائة وسبعاً وثلاثين سنة » .

ثم قال[٢] : « ورُوي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : شكى إسماعيل -عليه السلام- إلى ربه عز وجل حرّ مكة ، فأوحى اللّه إليه : إني سأفتح لك باباً من الجنة إلى الموضع الذي تدفن فيه ، تجري عليك روحها إلى يوم القيامة » . اهـ.

ولم يرفع ابن كثير هذه الرواية إلى النبي ﷺ أوْ إلى أحد من الصحابة كعادته في تفسيره وتاريخه أيضاً ، وإنما أتى بها على صيغة الجزم ، كما أن ابن إسحاق ، وابن جرير ، لم يرفعا روايتهما إلى النبي ﷺ أو إلى أحد من الصحابة ، أو أنهما ذكرا إسناد هذه الرواية إلى أحد من التابعين أو أحبار اليهود الذين أسلموا ، كوَهْب بن منبِّه أو كعب الأحبار[٣] ، وإنما أتَيا بها على صيغة الجزم أيضاً . وقد روى غيرهما من علماء الأحناف ما يؤيد ذلك ، فذكر العلامة قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر الأتقاني الحنفي المتوفى سنة ٧٥٨ / في كتابه «غاية البيان» في ثلاثة أجزاء خط لم يطبع وهو بالمكتبة الأميرية [١٦٧] بالمسجد الحرام بمكة : « أن الحِجْر من البيت ، وليس كله ، وبه قبر سيدنا إسماعيل وسيدتنا هاجر » .

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) نفسه ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) كعب الأحبار : هو كعب بن مانع الحميري ، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أدخل كثيراً من الإسرائيليات والغرائب في التراث الإسلامي . انظر ترجمته : الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ص ٤٨٩ - ٤٩٤ .

وروى العلامة أبو البقاء محمد[1] بن أحمد بن محمد بن الضياء المكي العمري القرشي المتوفى سنة ٨٥٤ في كتابه «البحر العميق» عن محمد بن سابط قال : « مات هود ، ونوح ، وصالح ، وشعيب بمكة ، فقبورهم بين زمزم والحِجْر . وكان النبي إذا هلكت أمته لحق بمكة فيتعبَّد فيها وَمَنْ معه حتى يموت» .

وعنه قال : ما بين المقام والركن وزمزم قُبر تسعة وتسعون نبياً .

وقال ابن إسحاق : لما توفي اسماعيل دفن في الحِجْر مع أمه ، يزعمون أنها فيه دفنت .

وعن عمر بن عبد العزيز : قال : شكى إسماعيل -عليه السلام- إلى ربه حرّ مكة ، فأوحى اللّه تعالى إليه : إني أفتح لك باباً من الجنة في الحِجْر ، يجري عليك الروح منه إلى يوم القيامة ، وفي ذلك الموضع توفي .

وقال خالد المخزومي : إن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحِجْر الغربي ، وفيه قبره .

وعن ابن الزبير أنه قال على المنبر : إن المحدوب قبور عذارى بنات إسماعيل عليه السلام ، يعني مما يلي الركن الشامي من المسجد الحرام ، أخرجه الأزرقي »[2] . اهـ.

---

(١) أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء العمري الصاغاني الأصل القرشي المكي الحنفي ت سنة ٨٥٤ هـ .

وكتاب : البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق - تاريخ مكة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف . مخطوط نسخة منه بمكتبة الحرم المكي برقم ٤٠ فقه حنفي في ٣ مجلدات كتبت سنة ١١٣٧ هـ وسنة ١٠٦٣ هـ . محمد الحبيب الهيلة - التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٣١ .

(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣١٢ . وانظر ابن هشام - السيرة ج ١ ص ٥ ، ابن كثير - البداية والنهاية ج١ ص١٩٣ .

وذكر ابن عابدين في كتابه «رد المحتار على الدر المختار»[1] بقوله : « وبه -أي حجْر إسماعيل - قبر إسماعيل وهاجر . قال عزاه في البحر إلى غاية البيان[2]، / وذكر بعضهم أن ابن الجوزي أورد أن قبر إسماعيل فيما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربي » . اهـ. [١٦٨]

وروى الأزرقي[3] في كتابه عن ابن إسحاق[4] أنه قال : « إن إسماعيل -عليه السلام- لما توفي دفن مع أمه في الحِجْر » . اهـ

فظهر مما تقدم أن الأخبار تتابعت في إثبات كون قبر إسماعيل -عليه السلام- في الحِجْر مع قبر أمه هاجر ، إلا أن المسعودي[5] خالفهم في ذلك من أن قبر إسماعيلَ حيال الحجر الأسود .

وروى الأزرقي[6] أيضاً في تاريخه عن الحارث بن أبي بكر الزهري عن صفوان بن عبدالله بن صفوان الجمحي قال : « حفر ابن الزبير الحِجْر ، فوجد فيه سفطاً من حجارة خضر ، فسأل قريشاً عنه فلم يجد عند أَحد منهم فيه علماً . قال : فأرسل إلى عبدالله بن صفوان فسأله، فقال : هذا قبر إسماعيل -عليه السلام- فلا تحركه . قال : فتركه » .

وفي رواية أخرى للأزرقي[7] بسنده عن يزيد مولى ابن الزبير قال : «شهدت ابن الزبير احتفر في الحجْر وأصاب فيه موضع قبر ، فقال ابن الزبير :

---

(١) ابن عابدين - الشيخ محمد أمين - ردّ المحتار على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار في فقه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان - دار إحياء التراث العربي - بيروت . جـ٢ ص ٤٩٦ .

(٢) لقوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر الإتقاني ت سنة ٧٥٨ هـ .

(٣) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٨١ .

(٤) ابن هشام - السيرة ج ١ ص ٥ .

(٥) المسعودي - مروج الذهب ج ٢ ص ٤٨ .

(٦) الأزرقي ج ١ ص ٣١٢ .

(٧) المصدر السابق ج ١ ص ص ٢١٤ - ٢١٥ .

هذا قبر إسماعيل ، فجمع قريشاً ثم قال لهم : اشهدوا ، ثم بنى » . اهـ .

فهذه رواية الأزرقي عن السفط الأخضر الذي وجده عبدالله بن الزبير حين حفر حجر إسماعيل لأجل إظهار أساس إبراهيم الخليل ﷺ ، وأخبره عنه عبدالله بن صفوان أنه قبر إسماعيل ، هي على خلاف ما رواه ابن إسحاق وابن جرير[1] وابن كثير[2] وغيرهم ، وإنما تؤيد روايتهم من كون / إسماعيل دفن [١٦٩]
في الحجْر . وفي الرواية الأخرى أنّ ابن الزبير هو الذي أخبرهم أنه قبر إسماعيل عليه السلام ، ويجوز أن إخبار ابن الزبير كان بعد أن علم من عبدالله بن صفوان . وإني قد صرفت وقتاً طويلاً في البحث والتنقيب في كتب الحديث والتفسير التي تمكنت من مراجعتها ، لعلي أقف على حديث مرفوع صحيح الإسناد إلى النبي ﷺ بإثبات الخبر المتقدم أو نفيه ، فلم يساعدني الحظ بالوقوف على ذلك ، حيث قد شاهد كثير من كبار الصحابة ممن حضر بناء قريش للكعبة سنة خمس وثلاثين من ولادته ﷺ حين حفروا أرض الكعبة مع حجْر إسماعيل للوقوف على أساس إبراهيم ، فلم يحدِّثنا منهم أحد أنه رأى ذلك السفط أو القبر ، ولم يَرْو لنا أحد عن رسول الله ﷺ أن إسماعيل دُفن في الحجْر ، أو أنّه شاهد قبر إسماعيل في الحجْر يوم بنى رسول الله ﷺ الكعبةَ مع قريش ، وقد شاهد ﷺ حفر الأساس ، ووضع الحجر الأسود في موضعه بيده الشريفة ، وأخبر عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن قريشاً ضاقت بهم النفقة فاقتصروا من الكعبة عن قواعد إبراهيم كما تقدم تفصيل ذلك ؛ لأن مثل هذه الأخبار تحتاج إلى تثبّت ، ولأن بين وفاة إسماعيل وبناء ابن الزبير للكعبة نحو ألفي عام أو أكثر ، فهذا الزمن الطويل يجعلنا نحتاج إلى خبر يأتي عن نبيّ معصوم ينزل عليه الوحي من السماء .

---

(١) الطبري - تاريخ ج ١ ص ٢٩٨ طبعة دار الفكر .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٧٠ .

ولذلك قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية[1] في فتاويه : « وليس في قبور الأنبياء ما ثبت إلا قبر نبينا ﷺ ، وقيل : وقبر الخليل . / وسبب اضطراب أهل [١٧٠] العلم في أمر القبور أن ضبط ذلك ليس من الدين . فإنه ﷺ نهى أن تتخذ مساجد . فلما لم يكن معرفة ذلك من الدين لم يجب ضبطه » . اهـ .

وقال العلامة أبو الخير الجزري الدمشقي[2] في كتابه «مختصر عدة الحصن الحصين» في الباب الثاني بالفصل الخاص بأماكن الإجابة ما نصه : « لا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا محمد ﷺ بالإجماع فقط ، وقبر إبراهيم داخل السور من غير تعيين » . اهـ .

وعلى كلٍّ فليس هذا الخبر وحده هو الذي يحتاج إلى تثبّت ، فأمثاله كثيرة موجودة في أكثر الكتب المدونة ، مع أن روايتي الأزرقي لا تدلّ على أنهم رأوا جسد إسماعيل مدفوناً في الحجْر . وإنما رأوا سفطاً فارغاً من حجارة خضر ، فقال عبدالله بن صفوان : هذا قبر إسماعيل . وربما كان هذا الأمر شائعاً في ذلك العصر من أنّ إسماعيل دُفن في الحجْر ، فلما رأوا ذلك السفط قالوا : هذا قبر إسماعيل ؛ لأن كل مَنْ حضر حَفْر الحجْر كان بينه وبين موت إسماعيل أكثر من ألفي عام ، ولذلك قد أتيت بكل ما وقفت عليه ليكون القارئ على علم بما ورد في ذلك ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) ابن تيمية – الفتاوى ج ٢٦ ص ١٤٨ .

(٢) أبو الخير الجزري الدمشقي : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي الشهير بابن الجزري شيخ الإقراء في زمانه ت سنة ٨٣٣ هـ . له مؤلفات عدة منها :
« الحصن الحصين » في الأدعية والأذكار المأثورة ، وحاشينه عليه سماها « مفتاح الحصن الحصين» و « مختصر عدة الحصن الحصين » والحصن الحصين مطبوع . الزركلي – الأعلام ج ٧ ص ص ٤٥–٤٦ .

شرحه يحيى بن محمد بن عبدالله الإرياني بعنوان «هداية المستبصرين بشرح عدة الحصن الحصين» بدون تاريخ ومكان للطبع . والباب الثاني الخاص بأماكن الإجابة ص ص ١٣٢ – ١٣٥ .

ومما هو جدير بالذكر أن كثيراً من الناس يظن أو يعتقد أن الرخامة الخضراء التي هي تحت ميزاب الكعبة بداخل حجْر إسماعيل الملاصقة للكعبة أنها موضوعة على قبر إسماعيل ، وهذا خَلاف الحقيقة ؛ لأن هذا الموضوع الذي
[١٧١] فيه الرخامة الخضراء كان داخلاً في الكعبة حين بناها إبراهيم / مع ابنه إسماعيل -عليهما الصلاة والسلام- إلى زمن بناء قريش سنة ٣٥ من ولادة نبينا محمد ﷺ لها ، فأُنقصت منها مما يلي حجر إسماعيل ستة أذرع ونصف ، والرخامة الخضراء موضوعة في القسم الذي كان من الكعبة . وهذه الرخامة الخضراء أو الحَجَر الأخضر الذي هو تحت ميزاب الكعبة قد بعث بها محمد ابن طريف مولى العباس بن محمد من مصر سنة ٢٤١ هجرية مع رخامة خضراء أخرى ، فَجُعلت إحدى الرخامتين على سطح جدار المسجد مقابل الميزاب ، والأخرى التي نحن بصددها تحت الميزاب ، وهي لا تزال على حكمها إلى الآن ، وهما من أحسن الرخام خضرة في عموم ما يوجد بالمسجد الحرام ، وكان المتولي وضعهما في موضعيهما عبدالله بن محمد بن داود ، ومساحة الرخامة الخضراء التي تحت الميزاب المذكورة ذراع وثلاث أصابع .

قال ذلك الفاكهي(١) ، ونقله القطب الحنفي والسنجاري في تاريخهما(٢) .

وأما شكل الرخامة الخضراء التي تحت الميزاب في العصر الحاضر ، فهي عبارة عن قطعتين ، قطعة أمامية على شكل بيضوي ، وقطعة أخرى خلف الأولى مربعة ، فالمقاس الذي ذكره قطب الدين الحنفي عن الفاكهي للرخامة

---

(١) الفاكهي - أخبار مكة ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) انظر : السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ١٧٧ . ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٢١ ، وعبدالله بن محمد بن داود كان أميراً لمكة ، وهو عبدالله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى العباسي . انظر : الفاسي - العقد الثمين ج ٦ ص ٢٢١ . ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ٤٢٢ .

الخضراء ينطبق على القطعة الأمامية ؛ لأن طولها ذراع يد وثلاثة أصابع ، وأما القطعة التي خلفها فمساحتها أربعة أشبار طولاً ، وثلاثة أشبار عرضاً ، وهما متلاصقتان يظنهما الرائي أنهما قطعة واحدة ، وهذه القطعة الخلفية / [١٧٢] هي القطعة الثانية التي بعث بها محمد بن طريف فوضعت أوّلاً على سطح جدار المسجد مقابل الميزاب ، ثم نُقِلَت وأوصلت بالرخامة الأولى تحت الميـزاب .

هذا ما ظهر لي من سياق التاريخ عن قبر إسماعيل -عليه السلام- والرخامة الخضراء، والله أعلم .

ترخيم وتعمير حِجْر إسماعيل :

وأما ترخيم حجر إسماعيل -عليه السلام- فقد رخمه جماعة من الخلفاء ، والملوك ، والسلاطين ، فكان أول مَنْ وضع عليه حجارة الرخام أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي .

روى ذلك الأزرقي[1] عن محمد بن يحيى عن أبيه : « أن أمير المؤمنين المنصور أبا جعفر حجَّ وزياد بن عبيدالله الحارثي[2] يومئذ أمير مكة ، فطاف أبو جعفر ثم دعا زياداً فقال : إني رأيت الحِجْر حجارته بادية فلا أصبحن حتى يستر جدار الحجر بالرخام . فدعا زياد بالعمال فعملوه على السُّرُج قبل أن يصبح ، وكان قبل ذلك مبنياً بحجارة بادية ليس عليه رخام » . اهـ.

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣٢٣ .

(٢) زياد بن عبيدالله الحارثي - أمير مكة والمدينة والطائف هو زياد بن عبيدالله بن عبد المدان الحارثي المكي خال الخليفة العباسي أبي العباس السفاح . انظر : الفاسي - العقد الثمين ج ٤ ص ٤٥٤ . ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ٣٠٩ .

هذا ما رواه الأزرقي ، ولم يذكر السنة التي رخم فيها الحجْر ، وإنما ذكرها الحافظ نجم الدين بن فهد القرشي[1] في حوادث سنة ١٤٠ فقال : « وفيها رُخِّم الحجْر بأمر أبي جعفر المنصور ، وهو أول مَنْ رخّمه » . وأيد ذلك التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[2] .

[١٧٣] / ثم بعد ذلك جَدَّدَ رخام الحجر الخليفة المهدي العباسي وذلك سنة ١٦١ .

قال الأزرقي[3] : « إن رخام الحجْر الذي عمله المهدي لم يزل فيه حتى رَثَّ في خلافة المتوكل ، فَقُلِع وأُلْبِسَ رخاماً حسناً وذلك في عام ٢٤١هـ » .

وقال نجم الدين بن فهد[4] في حوادث عام ٢٤١ : « وفيها جدّد رخام الحجْر أمير المؤمنين المتوكل على اللّه ، الذي عُمِلَ في خلافة المهدي له ، لرثَاثته ؛ لأن سيل الحجْر كان يخرج من تحت الأحجار التي على باب الحجْر الغربي ، وألبس رخامها خشباً » .

ثم قال[5] : « وفيها بعث أحمد بن طريف مولى العباس بن محمد الهاشمي الرخامة الخضراء التي في الحجْر من الكعبة من مصر ، مع رخامة أخرى خضراء ، هدية للحجْر فجُعلَت إحدى الرخامتين على سطح جدر الحجْر مقابل الميزاب ، والرَخامة الأخرى هي الرخامة الخضراء التي تحت الميزَاب مما يلي جدر الكعبة ، وكان المتولي عليهما عبداللّه بن محمد بن داود ،

(١) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ١٧٧ .
(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢١٥ .
(٣) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣١٤ .
(٤) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٢٠ .
(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢١ .

وذرعها ذراع وثلاث أصابع » . اهـ . وهما الرخامتان المتقدم ذكرهما .

قال التقي الفاسي[1] : « ثم عمره المعتضد العباسي في خلافته سنة٢٨٣ » . وذكر ذلك أيضاً ابن فهد[2] في تاريخه .

وقال ابن عبد ربه الأندلسي[3] في تاريخه «العقد الفريد» يصف الحجْر : «والحجر محجور من الركن العراقي إلى الركن الشامي تحجيراً محنَياً غير مرتفع ، وقد انقطع طرفاه دون الركنين اللذين يليانه بمثل ذراعين للدخول والخروج ، يكون ما بين موسطه جنبي[4] التحجير . والبيت كما بين الركنين ، وارتفاع التحجير[5] نصف قامة . وهو / ملبس بالرخام من داخله وخارجه [١٧٤] وأعلاه ، وجُعِلَ بين كل رخامتين عمود من رصاص ، وقاع الحِجْر كله مفروش بالرّخام ، ومصَبّ الميزاب فيه وقبلته إليه » . اهـ . وتوفي ابن عبد ربه سنة ٣٢٨ .

قال الفاسي[6] : « وعمره الناصر العباسي سنة ٥٧٦ » .

وقال ابن فهد[7] في حوادث سنة ٥٧٦ : « وفيها فُرش الحجْر بالرخام بأمر أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء[8] بالله » .

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢١٥ .

(٢) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي - العقد الفريد ج ٧ ص ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٤) في الأصل « على » والإثبات من العقد الفريد .

(٥) في الأصل « الحجر » والإثبات من العقد الفريد .

(٦) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٥ .

(٧) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٥٤٤ .

(٨) في الأصل « المستغني » .
والمستضيء بالله هو : الحسن بن يوسف بن محمد بن أحمد الهاشمي العباسي بويع بالخلافة سنة ٥٦٦ هـ وتوفي سنة ٥٧٥هـ فبويع ولده الناصر لدين الله ، الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص٦٨ .

قال الفاسي[١] : « وعمره المستنصر العباسي ، وعمره الملك المظفر صاحب اليمن ، وكذلك عمره الناصر محمد بن قلاوون ، وأسماء هؤلاء مكتوبة في رخامة في أعلى الحجر ، وأما الرخامة التي فيها خبر عمارة الملك الناصر فكان بتاريخ سنة ٧٢٠ » .

وقال ابن فهد[٢] : « وفيها عمر رخام الحجر من قبل الناصر محمد بن قلاوون» .

قال التقي الفاسي[٣] : « وعمره الملك المنصور علي بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بأمر الأميرين[٤] بركة وبرقوق وذلك سنة ٧٨١ ، وكذلك عمره الملك الظاهر برقوق صاحب مصر ، واسمه مكتوب في رخامة في أعلى الحِجْر ، وفي فتحة الحِجْر الشرقية والغربية ، ذكر العمارة في مستهل شهر رجب سنة ٨٠١ » .

وقال ابن فهد[٥] في حوادث سنة ٨٠١ : « وفيها عمر الأمير بيسق رخام الحِجْر الشريف ، وكان في شهور الحج من السنة المذكورة » .

[١٧٥] وذكر نجم الدين بن فهد[٦] في حوادث سنة ٨٢٢ أنه : «في شهر رجب / من السنة المذكورة عمر القائد علاء الدين كثيراً من رخام الحجر بالجبس عمارة حسنة ، وكان قد تداعى للسقوط » .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٣١٥ .
(٢) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٣ ص ١٧٢ .
(٣) الفاسي - المصدر السابق ج ١ ص ٣١٦ .
(٤) في الأصل « الأمير بن بركة » وهو خطأ . فالصحيح الأميرين بركة وبرقوق .
وبركة : هو السعيد بركة خان بن بيبرس تسلطن في مصر بعد وفاة والده الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ وخلع سنة٦٧٨هـ . ابن دقماق - الجوهر الثمين ص ٨٦ وما بعد .
وبرقوق : هو الظاهر السلطان المملوكي المشهور أول الملوك الجراكسة بمصر تسلطن سنة ٧٨٤هـ وتوفي سنة ٨٠١ هـ . ابن دقماق - الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٦١ .
(٥) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٣ ص ٤١٢ .
(٦) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٦٦ .

وذكر[1] في حوادث سنة ٨٣٨ : « أن سودون المحمدي جاءه من مصر ستون ذراعاً رخاماً لمرمرة الحِجْر فعمّر الحِجْر » .

وقال[2] في حوادث سنة ٨٥٢ : « وفيها وصلت كسوة لحِجْر إسماعيل من داخله ولم توضع على الحِجْر » .

قال التقي الفاسي[3] : « وعمر كثير من رخامه في جداره في ظاهره[4] وباطنه وأعلاه ، وفي أرض الحجر ، وذلك في المحرم سنة ٨٢٦ عمارة حسنة بالجبس ، بأمر متولي العمارة صاحبنا الأمير زين الدين مقبل القديدي أثابه اللّـه » .

ثم قال الفاسي[5] : « وقد خفي علينا شيء كثير من خبر عمارة الحِجْر من دولة المعتضد العباسي[6] إلى خلافة الناصر[7] ، فإنه لا يبعد أن يخلوَ في هذا الزمن الطويل من عمارة، واللّه أعلم » .

ثم قال[8] : « وممّن عمره الوزير جمال الدين المعروف بالجواد ، وذلك في عشر الخمسين والخمسمائة » . اهـ.

(١) أي ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٤ ص ٨٢ .

(٢) نفسه ج ٤ ص ٢٨٠ .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢١٦ .

(٤) في الأصل « ظاهر » .

(٥) الفاسي - المصدر السابق ج ١ ص ٢١٦ .

(٦) المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل ولي الخلافة سنة ٢٧٩ هـ وتوفي سنة ٢٨٩ هـ . القضاعي - تاريخ ص ٤٨١ .

(٧) الناصر لدين الله العباسي - أحمد بن الحسن (المستضيء) أبو العباس ولي الخلافة بعد والده سنة ٥٧٥ هـ واستمر إلى سنة ٦٢٥ هـ . الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ١٩٢ .

(٨) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢١٦ .

وذكر نجم الدين بن فهد[1] القرشي في حوادث سنة ٨٨١ أنه غُيِّرَ رخام الحِجْر داخلاً وخارجاً . ولم يذكر العامل لذلك .

قال علي بن عبد القادر الطبري في «الأرج المسكي»[2] : « قد عمر حِجْر إسماعيل جماعة من ملوك الجراكسة ، منهم أبو النصر قانصوه الغوري على يد مباشر جدة خاير بك[3] المعروف بخير بك العلائي في سنة ٩١٧ ، وكانت عمارته في هذا السنة مرتين الأولى بحجارة منحوتة من جبل الشبيكة / المسمى [١٧٦] في هذا العصر بجبل الكعبة ، وهو واقع الآن في حارة الباب ، التي كانت تسمى سابقاً باب الشبيكة . والثاني بهذا الرخام الموجود الآن » . انتهى .

ويستدل من عبارة علي بن عبدالقادر الطبري أن هذه العمارة الواقعة سنة ٩١٧ كانت عمارة لعموم جدار الحِجْر من أساسه ، ولم تكن قاصرة على ترخيمه فقط ، وهذه من التغييرات الأساسية التي وقعت في الحِجْر ، وأخذت شكلاً غير شكلها الأول ، ولذلك نجد في كثير من المؤلفات وصف الحِجْر متنوعاً ، فتارة يصفونه بسعة مدخله ، وتارة بعرض جداره ، وتارة بعلو جداره ، وبالعكس .

وروى السنجاري[4] عن عبدالرحمن بن عيسى المرشدي[5] أنه « في

---

(١) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٤ ص ٦٠١ .

(٢) الأرج المسكي مخطوط . وفي المطبوع ص ١٧٠ . وانظر الخبر عند الجزيري - الدرر الفرائد ج١ ص ١٠٠ .

(٣) الأمير خاير بك العلائي أحد أمراء الطبل خانات بالديار المصرية وباش المماليك وناظر الحسبة بمكة وشادّ العماير السلطانية . الجزيري - الدرر الفرائد ج ١ ص ١٠٠ .

(٤) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ١٨١ .

(٥) عبدالرحمن بن عيسى المرشدي العمري - القاضي - مفتي الحرم المكي . مات سنة ١٠٣٧هـ خنقاً بأمر الشريف أحمد بن عبدالمطلب . له عدة كتب في التاريخ وغيره . الزركلي - الأعلام ج٣ ص٢٢١ .

سنة ٩٩٩ ظفر بشخص مصري يقلع بعض رخام الحجْر بآلة نحاس صورتها صورة كفّ إنسان وعليها كتابة كوفية ، فَمُسك ذلكَ الرجل وقُطعت يده » . انتهى .

وقال علي بن عبدالقادر الطبري في «الأرج المسكي»(١) : « وعَمَرَهُ - يعني الحجْر - من ملوك آل عثمان السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان ، وعَمره السلطان مرادخان ابن السلطان أحمد خان ، ووصلت في القرن التاسع كسوة لدائر خارج الحجْر من حرير أسود ككسوة الكعبة الشريفة ولم توضع عليه ، ثم وصلت بعدَها بعام كسوة لدائره من داخل فأُلبسها / وأُلبس الدائر الخارج كسوة أيضاً ، وذلك من قبل جقمق الجركسي(٢) » . اهـ **[١٧٧]**

وتعتبر كسوة الحجْر هذه الأولى والأخيرة في بابها ، حيث لم أقف فيما وقفت عليه ، أن أحَداً قبله كسى حجر إسماعيل كما تُكسى الكعبة المعظمة ولا بعده بالحرير ، أو القز ، أو الديباج ، أو الحبَر ، أو القباطي ، أو غير ذلك من أنواع ما كانت تُكسى منه الكعبة . فكان قدَ تفرّد بذلك ، والظاهر أنها لم تدم كثيراً ، ولم تجدّد من قِبَله والله أعلم بذلك ، حيث إن العبارة مقتضبة ولم يكن فيها إسهاب .

ثم قال(٣) : « وفي سنة ٨٨١ غُيِّرَ رخام الحجْر من داخله وخارجه ورُصِّصت الشقوق التي بين أحجار المطاف وذلك من قبل السلطان قايتباي » . اهـ .

---

(١) علي بن عبدالقادر الطبري - الأرج المسكي - في المطبوع ص ١٧٦ .

(٢) جقمق : العلائي الظاهري من سلاطين المماليك الجراكسة تولى السلطنة بمصر سنة ٨٤٢هـ إلى وفاته سنة ٨٥٧ هـ . ابن تغري بردى - الدليل الشافي ج ١ ص ٢٤٦ . السخاوي - الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٣ .

(٣) أي عليّ بن عبد القادر الطبري - الأرج المسكي - في المطبوع ص ١٧٦ .

وقد ذكر ابن فهد[1] ترخيم الحجْر في هذه السنة ٨٨١ كما تقدم قريباً ، إلاّ أنه لم يذكر فيها ترصيص الشقوق التي بين أحجار المطاف ، ولذلك ذكرتها لإتمام الفائدة .

وجاء في «بلوغ القرى ذيل[2] إتحاف الورى» للعلامة المؤرخ عبدالعزيز بن عمر بن تقي الدين بن فهد القرشي في حوادث سنة ٩١٦ : « أنه في يوم الخميس ١٩ شهر ربيع الأول هدم جدار الحجْر جميعه ، وشرع في بنائه فبني من خارجه بالحجارة ومن داخله بالرخامَ . وكان أوّلاً كله بالرخام داخلاً وخارجاً، ولم يكن به ما يعاب إلا أنّ اللّه قدر بالتلاعب » .

وفي سنة ٩١٧[3] يوم السبت سادس الشهر نقض جدار الحجْر بمراسيم السلطان قانصوه الغوري لكونه / ظهر فيه خلل ؛ لأنه بنى بَالرَّماد والمدر والنَّوْرَة، ولم يُعَدْ رخامه من الخارج ، فأرسل السلطان رخاماً ومرخّمين وصلوا مكة بحراً آخرهم في رمضان ، وشرعوا في يومهم في إعادته بالآجر والرّماد ، ثم نقض ذلك ثاني يوم ، وأعيد بالحجارة والجبس والرصاص ، والمباشر لذلك خير بك المعمار ، فعمر ما كان من رخام أبيض ، وما كان من رخام أسود في أعمدتها خمسة مداميك بيض وأربعة سود ، وسمك كل مدماك مقدار سبعة أصابع . ونقلها بالنورة والجبس والرصاص على هيئته القديمة من غير زيادة ولا نقصان ، وكتب على علوه في الرخام الأبيض أسماء مَنْ غمر من الملوك وتاريخ عماراتهم الأخيرة وصورتها : [١٧٨]

(١) ابن فهد النجم – إتحاف الورى ج ٤ ص ٦٠١ .

(٢) ابن فهد عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد – العزّبن النجم بن فهد ت سنة ٩٢٢هـ – بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، حوادث سنة ٨٨٥ هـ إلى وفاة المؤلف سنة ٩٢٢ هـ – مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ١/ دهلوي تاريخ في ٢٦٩ ورقة . حوادث سنة ٩١٦ هـ . ورقة ١٩٠ . وقد وردت العبارة الأخيرة عند ابن فهد : «إلا أن الله قدر التلاعب بالمسجد فلا قوة إلا بالله» . ويقصد أن ما حدث من هدم وإعادة بناء لجدار الحجْر، مع أنه لم يكن فيه ما يعاب أمر قد أراده الله وقدّره .

(٣) المصدر السابق – حوادث سنة ٩١٧ هـ . ورقة ١٩١ .

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) هذا الحجْر الشريف والحرم المنيف، لما ظهر به الخلل، واحتاج إلى الإصلاح والعمل، أمر بإنشائه وتجديده وإحكامه وتشييده المفتقر إلى رحمة ربه، المتضرع إليه في توفيقه ومغفرة ذنبه، مَنْ يرى في اللّه تعالى حسن الاعتقاد، ملك المماليك وأنفذ حكمه في قاصي البلاد من ذلك إليه وعليه وتعطف وعاد بإحسانه لديه، وتلطف وألهمه لعمارة هذا الحجْر الشريف، فهو السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري، رزقه اللّه في الدارين السعد الممدود ونصره وأيده وأسعده، قاصداً به / وجه اللّه تعالى، [١٧٩]
ونوى به خيراً، وله سمواً برحمته يوم إحسانه، بحق محمد وآله وأصحابه(*)، وذلك في تاريخ شوال أحد شهور سنة سبع عشرة وتسعمائة من الهجرة النبوية. وذلك بعد ترخيمه برسم المنصور(٢) في سنة أربعين ومائة، وجدده بعده الملك المظفر(٣) صاحب اليمن، وجدده الملك الناصر بن قلاوون(٤) في سنة عشرين وسبعمائة، والملك المنصور(٥) علي بن شعبان في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة، والملك الظاهر برقوق في سنة إحدى وثمانمائة،

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٢) المنصور / المقصود به : أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي ١٣٦ - ١٥٨ هـ .

(٣) الملك المظفر بن المنصور يوسف بن عمر بن رسول .

(٤) الناصر بن قلاوون - الناصر محمد بن قلاوون - سلطان المماليك، تسلطن ثلاث مرات أولها سنة ٦٩٤هـ وثالثها سنة ٧٠٩هـ واستمر إلى سنة ٧٤١هـ . ابن دقماق - الجوهر الثمين ج٢ ص١٧١ .

(٥) المنصور علي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون سلطان المماليك بمصر ٧٧٨ - ٧٨٣ هـ . ابن حجر العسقلاني - إنباء الغمر ج ١ ص ٢٣٢ .

(*) قوله: بحق محمد وآله وأصحابه» دعاء لم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين أو سلف الأمة، كما قال ابن تيمية رحمه الله. (انظر مجموع الفتاوى ج٢٧ ص٨٣).

والملك الظاهر جقمق في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، والملك الأشرف قايتباي في سنة ثمانية وثمانين وثمانمائة، سقى الله عهدهم صوب الرحمة والرضوان وأسكنهم فسيح الجنان ، ودام أيام منشئ ذا الحجْر العظيم محيي معالم هذا الحطيم صاحب[1] القبلة خادم الحرمين الشريفين ، الفاتك في أعداء الله سيفه المرهف، السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري، أدامه الله لإقامة كل مقام محمود ، وأحيا به مهابط العامر من الركع السجود ، بمباشرة العبد الفقير الراجي عفو ربه القدير ، المقر بالمعاصي ، السيفي خير بك العلائي أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وباش المماليك السلطانية، وناظر الحسبة المشرفة، وشادّ العمائر السلطانية، أعزّ أنصاره وغفر الله لهم ولنفسه، ولسائر معلميه ومن أعانهم فيه، وللوافدين والطائفين والمشاهدين، ولجميع المسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين » .

وقال السنجاري [2] : « وممن جدّد الحجْر السلطان مراد خان ، وهو أول مَنْ / جدّدَهُ من آل عثمان وذلك لما بنى الشقّ الشامي من البيت على ما تقدم [١٨٠]
وذلك في يوم السبت ١٠ رمضان سنة ١٠٤٠ » . اهـ

وجاء في تحصيل المرام[3] : « وممّن عمره السلطان عبد المجيد خان ، أمر بذلك سنة ١٢٦٠ أو الذي بعدها، وحضر عند بنائه أمير مكة الشريف محمد ابن عبدالمعين بن عون ، وباشر بعض عمل من البناء ، وكذلك عثمان باشا والي جدة والمفاتي والعلماء وردوه على ما كان عليه، حيث إنهم لم يهدموه كله دفعة واحدة ، وإنما هدموه تدريجاً ، كلما هدموا شيئاً ردوه كما كان إلى أن أتموه» .

---

(١) في الأصل غير مقروءة .

(٢) السنجاري – منائح الكرم ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٣) الصباغ – محمد بن أحمد بن سالم المكي ت سنة ١٣٢١هـ . تحصيل المرام – مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ١١/ تاريخ دهلوي ورقة ٥٨ .

وذكر[1] أن شيخه العلامة حسين : « أخبره أنه رأى في أرض الحجْر عند هذه العمارة أحجاراً كباراً كالإبل بعضها مشتبك ببعض ، بينهما وبَين جدار البيت نحواً من ستة أذرع » .

ثم قال[2] : « وفي هذه العمارة رأوا جدراً قصيراً ، ردم من حجارة البادية داخل البناء الذي من الرخام دائر مدار الحجْر . يدل على أن هذا التحويط من زمن قريش ، ثم جاء ت الملوك وحوطتَ عليه بهذا الرخام ، وطول الأحجار الدائرة التي هي من أحجار البادية قدر نصف ذراع ردم على بعضه » . اهـ

وقد تقدم قريباً أن السلطان الغوري نقض الحجْر ، وبناه مرتين بالحجر الشبيكي والرخام سنة ٩١٧ ، وكان بين تلكَ العمارة وهذه ٣٤٣ سنة ، وتكفي هذه المدة لأن تجعل ذلك البناء يُرى عتيقاً ، وكذلك أنه لم يُهْدَم الحجْر في هذه المرة دفعة واحدة بل أخذ تدريجاً ، وهذا لا يجعلهم أن / يتمكنواَ من [١٨١]
حقيقة ذلك الردم ، هل هو من عمارة قريش التي لم يُبْقِ لها ابن الزبير أثراً ، أو هو من عمارة الغوري ، حيث يبعد أن يكون ذلك الردَم من عمارة قريش؛ لأنه قد أزال ابن الزبير معالمها كما تقدم تفصيله ، إنما لكثرة تكرر دخول السيول في المسجد الحرام وأغلبها يطمّ الحجْر جعلت تأثيراً في الحجارة الداخلية من الحِجْر تجعلها أقدم مما يظن ، هذا مَا ظهر لي في ذلك، واللّه أعلم .

وجاء في «منائح الكرم» : « أنه في سنة ١٢٨٣[3] حصل تجديد نصف أرض الحجْر من جهة مقام الحنفي ، وكان ابتداء العمل يوم الأحد ٢٩ شعبان وكان ذلكَ في سلطنة السلطان عبد العزيز خان ، وأمير مكة الشريف عبداللّه بن محمد ابن عون » . اهـ

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٥٨ .

(٢) نفسه ورقة ٥٨ .

(٣) وهذا خطأ من المؤلف ، فالسنجاري توفي سنة ١١٢٥ هـ . والخبر الذي ذكره عند الصباغ في تحصيل المرام ورقة ٥٨ .

هذا ما وقفت عليه في عمارة حجْر إسماعيل، من يوم عُمَّر إلى العصر الحاضر ، وقد ذرعه كثير من العلماء كما سيأتي .

قال الأزرقي[1] : « وعرضه من جدر الكعبة من تحت الميزاب إلى جدر الحجْر سبعة عشر ذراعاً وثمان أصابع ، وذرع ما بين بابي الحجْر عشرون ذراعاً ، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً ، وذرع من داخله في السماء ذراع وأربعة عشر أصبعاً ، وذرعه مما يلي الباب الذي يلي المقام ذراع وعشر أصابع ، وذرع جدر الحجر الغربي في السماء ذراع وعشرون أصبعا ، وذرع طول جدر الحجر من خارج مما يلي الركن الشامي ذراع / وستة عشر أصبعا ، وطوله من وسطه في السماء ذراعان وثلاث أصابع ، الرخام من ذلك ذراع وأربع عشرة اصبعاً ، وعرض الجدار ذراعان إلا أصبعين ، والجدر ملبس رخاماً ، وفي أعلاه في وسط الجدار رخامة خضراء طولها ذراعان إلا أصبعين ، وعرضها ذراع وثلاث أصابع . [١٨٢]

وقال أبو محمد الخزاعي[2] : وقد حولت هذه الرخامة فجعلت تحت الميزاب مما يلي الكعبة » .

قال الأزرقي[3] : « وذرع باب الحجْر الذي يلي المشرق مما يلي المقام خمسة أذرع وثلاث أصابع ، وفي عتبة هذا الباب حجران ارتفاعهما من بطن الحجر أربع أصابع ، وذَرْع باب الحجْر الذي يلي الغرب سبعة أذرع ، وفي عتبة بابه أربعة أحجار ، وارتفاعها من بطن الحجْر أربع أصابع ، ومخرج سيل ماء الحجْر من وسطه من تحت الحجارة في ثقب بين حجرين » .

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣٢٠ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٢١ .

(٣) نفسه ج ١ ص ٣٢١ .

قال أبو محمد الخزاعي[1] : « قد كان على ما ذكره أبو الوليد ، ثم كان رخامه قد تكسّر من وطء الناس ، فعمل في خلافة المتوكل على اللّه ، وأمير مكة يومئذ أبو العباس عبداللّه بن محمد بن داود ، فرفعت أرض الحِجْر شيئاً حتى كان ماؤه يخرج من فوق الأحجار التي في عتبة الباب الغربيِّ ، فكان كذلك حتى عُمّر في خلافة أمير المؤمنين المعتضد باللّه ، فأشرف العمال في رفع أرضه حتى صارت أرفع من حجارة عتبتي البابين . حتى احتاجوا إلى أن يكسروا طرفي العمل المشرف على بابي الحِجْر ، ولو كانوا جعلوه مستوياً مع العتبتين كما كان ، كان أصوب » .

قال الأزرقي[2] : « وذرع / تدوير الحِجر من داخله ثمانية وثلاثون ذراعاً ، **[١٨٣]**
وذرع تدوير الحِجْر من خارج أربعون ذراعاً وست أصابع ، وذرع ما بين حدات الحِجْر من الشَقّ الشرقي إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود ٢٩ ذراعاً و ١٤ أصَبعاً ، وذرع ما بين حدات الحجر من الشق الغربي إلى حدّ الركن اليماني ٣٢ ذراعاً ، وذرع طوف واحد حول الكعبة ١٢٣ ذراعاً و ١٢ أصبعاً » . اهـ

وروى التقي الفاسي[3] عن خاله عن ابن جماعة قال : « ذرع دائر الحِجْر من داخله إلى الفتحة أحد وثلاثون وثلث ذراع ، ومن خارجه من الفتحة إلى الفتحة سبع وثلاثون ونصف وربع وثمن . ومن الفتحة إلى الفتحة على الاستواء ١٧ ذراعاً ، ومن صدر دائر الحِجْر من داخله إلى جدار البيت تحت الميزاب خمسة عشر ذراعاً ، وعرض جدار الحِجْر ذراعان وثلث ذراع وثمن ، وارتفاعه عن أرض المطاف مما يلي الفتحة التي من جهة المقام ذراع وثلثا ذراع وثمن ، وارتفاعه مما يلي الفتحة الأخرى ذراع ونصف وثلث وثمن ، وارتفاعه

(١) نفسه ج ١ ص ٣٢١ .
(٢) نفسه ج ١ ص ٣٢١ .
(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ٢١٦ - ٢١٧ .

من وسطه ذراع وثلثا ذراع ، وسعة ما بين جدر الحجر والشاذروان عند الفتحة التي من جهة المقام أربعة أذرع وثلث ، والخارج من جدار الحجْر في هذه الجهة على ما سامت الشاذروان نصف ذراع وثمن ، وسعة الفتحة الأخرى أربعة أذرع ونصف، والخارج من جَدْر الحجْر من هذه الجهة عن ما سامت الشاذروان نصف وثلث ذراع ، كل ذلك حُرّرَ بذراع القماش المستعمل في مصر / في [١٨٤]
زماننا» . اهـ .

قال الفاسي[١] : « وقد حررنا أموراً تتعلق بالحجْر ، فكان ما بين وسط جدر الكعبة الذي فيه الميزاب إلى مقابله من جدار الحَجْر ١٥ ذراعاً ، وكان عرض جدار الحجْر من وسطه ذراعين وربع ، وسعة فتحة الحجْر الشرقية خمسة أذرع ، وكذلك سعة الغربية بزيادة قيراط ، وسعة ما بين الفتحتين من داخل الحجر سبعة عشر ذراعاً وقيراطان ، وارتفاع جدار الحجْر من داخله عند الفتحة الشرقية ذراعان إلا قيراط ، ومن خارجه عندها ذراعان وقيراطان ، وارتفاع جدر الحجر من داخله من وسطه ذراعان إلا ثلث ، ومن خارجه ذراعان وقيراطان ، وارتفاع جدر الحجر من داخله عند الفتحة الغربية ذراعان إلا قيراط ، ومن خارجه عندها ذراعان وثمن ذراع ، كل ذلك بذراع الحديد » . اهـ

هذا ما ذكره الأزرقي[٢] ، وعز الدين بن جماعة[٣] ، والتقي الفاسي ، ولم يكن هناك خلاف في أساس طول الحجْر ولا عرضه ، حيث قال الأزرقي[٤]: « عرضه من جدار الكعبة إلى الحجر ١٧ ذراعاً و ٨ أصابع » .

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢١٧ .
(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ / ص ٣٢٠ - ٣٢١ .
(٣) ذكره عنه الفاسي - شفاء الغرام ج ١/ ص ص ٢١٦ - ٢١٧ .
(٤) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣٢٠ .

فإذا اعتبرنا ذراع اليد ٤٨ سنتيماً فيكون مجموع ذلك ٨ر٤٠ أمتار . وقال الفاسي[1] : «عرضه ١٥ ذراعاً بذراع الحديد» واعتبرناه ٥٦ سنتيماً فيكون مجموع ذلك ٨ر٤٠ أمتار ، وإنما وقع التفاوت في سعة أبواب الحِجْر وارتفاع جدره وعرضه ، وهذا التفاوت وقع في تجديد البناء والرخام وتكرار ذلك في / عصور مختلفة» . [١٨٥]

وقد ذرعه إبراهيم رفعت باشا كما ذكره في «مرآة الحرمين»[2] قال : «ارتفاعه ١ر٣١ متر ، وعرض جداره من الأعلى ١ر٥٢ متر ، ومن أسفل ١ر٤٤ متر ، وسعة الفتحة التي بين طرفه الشرقي إلى آخر الشاذروان ٢ر٣٠ متر ، وسعة الفتحة الأخرى التي بين طرفه الغربي ونهاية الشاذروان ٢ر٢٣ متر ، والمسافة التي بين طرفي نصف الدائرة ٨ أمتار ، ووراء الحطيم بمسافة ١٢ متراً المطاف . والمسافة من منتصف جدار الكعبة الشمالي ووسط تجويف الحطيم من الداخل ٨ر٤٤ أمتار» . اهـ

فدل ذلك على أن الفرق الذي وقع بين الأزرقي ، والفاسي ، وإبراهيم رفعت باشا في عرض الحِجْر وهو ٤ سنتم ، وهذا لا يعتبر فرقاً ، وإنما الخلاف وقع في فتحة بابي الحِجْر الشرقي والغربي ، والارتفاع ، وعرض البناء ، فقال الأزرقي : «وذرع بابَ الحِجْر الذي يلي المشرق خمسة أذرع وثلاث أصابع» ، عنها بحساب المتر ٢ر٤٤ متراً . وذلك باعتبار ذراع اليد ٤٨ سنتيماً . ثم قال : «وذرع باب الحِجْر الذي يلي المغرب سبعة أذرع» ، فيكون ذلك ٣ر٣٦ م .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢١٧ .

(٢) إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين ج ١ ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

وقال الفاسي : « وسعة فتحة الحجْر الشرقية خمسة أذرع ، وكذلك سعة الغربية بزيادة قيراط » ، فكان بابا[1] الحجْر متساويين في عصر الفاسي ، بخلاف عصر الأزرقي ، وقد صرح الفاسي أن ذلك بذراع الحديد ، الذي هو عبارة عن ٥٦ سنتيماً ، فيكون قدر سعة الباب الشرقي ٢ر٨٠ متراً[2] ، وكذا
[١٨٦] الغربي ٢ر٨٢٥ متراً . وكان سعة الباب الشرقي في العصر / الحاضر حسبما جاء في «مرآة الحرمين» ٢ر٣٠ ، والغربي ٢ر٢٣ . فكل ذلك حصل من تجديد بناء الحِجْر كما تقدم ، والله أعلم .

وسيأتي إن شاء الله بيان فضل الصلاة فيه وغير ذلك مما يتعلق به .

الحفرة التي أمام الكعبة : (المعجن أو مصلى جبريل) .

قد ورد في الحفرة الموجودة إلى العصر الحاضر أمام الكعبة من الجهة الشرقية بين الركن الشامي وباب الكعبة التي تسمى الآن (بالمعجن) [3] عدة روايات :

منها أنها مصلى جبريل بالنبي ﷺ حين فُرضت الصلوات الخمس .

وقد ذكر ذلك كثير من العلماء منهم الأزرقي[4] ، فروى بسنده عن عبدالله ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال : « أمَّني جبريل عند باب الكعبة مرتين » .

(١) في الأصل « بابي » والتصحيح تقتضيه قواعد اللغة ، إلا إذا كانت « فكان « فكأنّ» .

(٢) في الأصل « مترين » .

(٣) تحدّث الكردي عن الحفرة فقال : « فقد قيل : إنها المعجن ، عجن فيها إسماعيل-عليه السلام- الطين لبناء البيت الحرام ، فهذا القول غير صحيح وبعيد الاحتمال » . ثم بين أسباب عدم احتمال ذلك. الكردي - التاريخ القويم ج ٤ ص ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣٥٠ .

وروى أيضاً[1] عن ابن السائب « أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح في وجه الكعبة حذو الطرفة البيضاء » .

قال الأزرقي[2] : « قال جدي : كان داود بن عبدالرحمن يشير لنا إلى الموضع الذي صلى فيه النبي ﷺ من وجه الكعبة قبل أن يُطلى على الشاذروان الذي تحت إزار الكعبة الجصّ والمرمر ، عند الحَجَر السابع أو التاسع .

قال الأزرقي[3] : « قال داود : وكان ابن جريج يشير لنا إلى هذا الموضع ، ويقول : هذا الموضع الذي صلى فيه النبي ﷺ ، وهو الموضع الذي جعل فيه المقام حين ذهب / به سيل أم نهشل[4] إلى أن قدم عمر بن الخطاب -رضي **[١٨٧]**
اللّه عنه- فردّه إلى موضعه » . اهـ .

ونقل التقي الفاسي[5] عن شيخ الإسلام عزّ الدين بن عبد السلام[6] الشافعي ، وشيخ اليمن أحمد بن موسى بن العجيل ما يقتضي « أن مصلّى جبريل بالنبي ﷺ هو الحفرة المرخمة . فروى ابن جماعة في منسكه عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أن الحفرة الملاصقة للكعبة بين الباب والحجْر هي المكان الذي صلّى جبريل بالنبي ﷺ الصلوات الخمس حين فرضها اللّه تعالى على أُمّته ، ولم أرَ ذلك لغيره ، وفيه بُعدٌ؛ لأنه لو كان صحيحاً لنبهوا عليه بالكتابة في الحفرة . هذا كلام ابن جماعة .

---

(١) نفسه ج ١ ص ٣٥١ .

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٥١ .

(٣) نفسه ج ١ ص ٣٥١ .

(٤) سيل أم نهشل : من سيول مكة المشهورة ، وقع في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انظر بشأنه : المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٧ .

(٥) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢١ .

(٦) عز الدين بن عبد السلام - سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب ت سنة ٦٥٩هـ . ابن كثير - البداية والنهاية ج ٣ ص ص ١٣٥ - ١٣٦ .

وتعقبه القرشي في «البحر العميق»[1] بقوله : وليس هذا بلازم؛ لأنه يحتمل أن يكون الأمر كما قال عز الدين بن عبدالسلام ولا يلزم التنبيه بالكتابة عليه ، والشيخ عز الدين ناقل وهو حجة على مَنْ لم ينقل » . اهـ .

وهذا الرأي صحيح حيث لم يكتب كل ما ثبت من الروايات الصحيحة في المواضيع التي صلى فيها رسول اللّه ﷺ حول الكعبة على الأحجار ، بل أغلب ما كُتب داخل الكعبة وخارجها تاريخ بعض العمارات التي حدثت فيها وفي المسجد الحرام ، ولم يكن استعمال الكتابة على الأحجار من عادة السلف الصالح ، فلم يبلغنا أن النبي ﷺ أمر بكتابة ما هو أعظم شأنا من ذلك على
[١٨٨] الأحجار ، ولا الخلفاء الراشدين ، بل ولا / أحد من الصحابة والتابعين ، وإنما استعمل ذلك بعد الصدر الأول، واللّه أعلم .

قال التقي الفاسي[2] : « وفي خبر عن سعيد بن جبير -رحمه اللّه- ، أن موضع المقام اليوم هذا موضعه في هذا الباب ، الصندوق الذي فيه المقام ، إلا أن يجاوز الحفرة مما يلي الحِجْر ، فعلى هذا يكون المقام عند الكعبة في نصف الحفرة الملاصقة للكعبة المَشار إليها ، وإذا كان هذا موضع المقام عند الكعبة فيكون النبي ﷺ صلى فيه بعد خروجه من الكعبة » .

ثم قال الفاسي[3] : « ووجدت بخط مفتي الحرم ، رضيّ الدين محمد بن أبي بكر بن الخليل العسقلاني ، ما يقتضي أن للنبي ﷺ مصلّى بين هذه الحفرة وبين الحِجْر ، لأني وجدت بخط الرضيّ المذكور ما نصه : أخبرني الشيخ

---

(١) ابن الضياء الحنفي في البحر العميق ج ٣ والصفحات في المخطوط غير مُرقمة . الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢١ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٢٠٧ .

(٣) نفسه ج ١ ص ٢٢٣ .

عثمان بن عبد الواحد العسقلاني المكي عن بعض مشيخة مكة المتقدمين ، أن المقام المحمدي الحجر المشوبر الذي عند الحفرة التي عند الكعبة على جانبها مما يلي حجر إسماعيل ، وهو الحجر الذي إلى جانب هذه الحفرة المذكور » .

ثم قال الفاسي(١) : « والحفرة المشار إليها هي السلقة ، وجدد رخامها الذي هو بها الآن في سنة ٨٠١ ، وقد حرَّرْنا ذَرْعها ، فكان طولها من الجهة الشامية إلى الجهة اليمانية أربعة أذرع ، وعرضها من الجهة الشرقية إلى جدر الكعبة ذراعان وسدس ، وعمقها نصف ذراع ، كلّ ذلك بذراع الحديد » .

ثم قال(٢) : « والحفرة المشار إليها لم ترخّم إلا بعد قدوم ابن جبير إلى / مكة ، وكان قدومه في سنة ٥٧٨ ؛ لأنه ذكر هذا الموضع في أخبار [١٨٩]
رحلته ، وذكر أنه علامة موضع المقام في عهد إبراهيم إلى أن صرفه النبي ﷺ إلى الموضع الذي هو الآن مصلى ، وأنه مفروش برملة بيضاء » انتهى بالمعنى .

ثم قال(٣) : « فدلّ ذلك على أنه لم يكن ترخّم حين رآه ابن جبير ، وقد نبهنا فيما سبق على عدم استقامة قوله : إن هذا الموضع موضع المقام في عهد إبراهيم، والله أعلم » . اهـ .

وقد راجعت رحلة ابن جبير(٤) ، فوجدتُ ما ذكره الفاسي مطابقاً لأصله ملخصاً غير أن ابن جبير ذكر : أن الحوض - يعني الحفرة المذكورة - بقي مصباً لماء البيت إذا غسل » . اهـ .

---

(١) نفسه ج ١ ص ٢٢٣ .
(٢) نفسه ج ١ ص ٢٢٣ .
(٣) نفسه ج ١ ص ٢٢٣ .
(٤) ابن جبير - الرحلة ص ٥٥ .

وجاء في «تحصيل المرام»[1] عن القطب الحنفي أنه قال : « وبلصق الكعبة في وسط مقام جبريل -عليه السلام- في الحفرة التي يمين باب الكعبة حجر من الرخام الأزرق الصافي منقور فيه ما صورته :

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

(أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا ومولانا الإمام الأعظم المفترض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر[2] باللّه أمير المؤمنين، بلّغه اللّه آماله ، وذلك في سنة ٦٣١ وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) » .

[١٩٠] هذا حاصل ما وقفتُ عليه في أمر الحفرة ، وقد راجعتُ كثيراً من / كتب المناسك والفقه واللغة وتواريخ مكة ، وما يظن فيه من بعض المجامع للعلماء ، لعليّ أقف على شيء أكثر مما ذكرته ، فلم أجد فيها غير بعض أخبار ملخصة عن الأزرقي ، والفاسي ، ومَنْ نقلتُ عنهم ما تقدم .

وتحصَّل من ذلك أن هذه الحفرة هي مصلى جبريل بالنبي ﷺ الصلوات الخمس حين فُرضت على قول ، أو أنها موضع حَجَر مقام إبراهيم بعد بنائه للكعبة المشرفة على قول آخر ، وأما ما يشاع من أنها المعجن الذي كان عجن إسماعيل -عليه السلام- فيها الطين حين بناء البيت المعظم فلم أقف على خبر يؤيد هذه الإشاعة . كما أني لم أقف على خبر صريح عن تاريخ هذه الحفرة ، هل هي من عهد إبراهيم ﷺ أو من بعده ، وهل كانت على عهد رسول اللّه ﷺ بهذا الوضع وبهذه المساحة ، أم غير ذلك ؟ وأما قول ابن جبير[3] في

(١) الصباغ - تحصيل المرام ورقة ٦٤ .
(٢) الخليفة العباسي ٦٢٣ - ٦٤٠ هـ .
(٣) ابن جبير - الرحلة ص ٥٥ .

رحلته أنها بقيت مصبًا لغسيل البيت ، فلم يقل به غيره من العلماء ، والرواة ، ولعله رأى ماء غسيل الكعبة يتسرب إليها فظنّ أنها عُملت لذلك ، والله أعلم[1] .

ميزاب الكعبة :

أول مَنْ وضع ميزاباً للكعبة قريش حين بنتها سنة ٣٥ من ولادة النبي ﷺ ، حيث كانت قبل ذلك بلا سقف كما تقدم تفصيله ، ثم لما بناها عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- وضع لها ميزاباً ، وجعل مصبّه على حجْر إسماعيل كما فعلت قريش ، ثم لما أنقص منها الحجاج بن يوسف ما زاده / فيها عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- على بناء قريش حسب قواعد إبراهيم ﷺ وضع الميزاب في موضعه من الجهة الشمالية ، وجعل مصبه على حجْر إسماعيل -عليه السلام- كما كان سابقاً ، وكل ذلك تقدم تفصيله في عمارة الكعبة المعظمة . [١٩١]

وقال القرشي[2] : « إنه عمل الشريف رميثة [3] صاحب مكة ميزاباً » .

قال الأزرقي[4] : « وذرع طول الميزاب أربعة أذرع ، وسعته ثمانية أصابع في ارتفاع مثلها ، والميزاب ملبس صفائح ذهب داخله وخارجه ، وكان الذي جعل عليه الذهب الوليد بن عبدالملك » .

---

(١) وكان قياس الحفرة الرخامية المستطيلة الشكل والتي تشبه الحوض الصغير كما يلي : طولها متران ، وعمقها ٢٨ سنتمتراً ، وعرضها ١١٢ سنتمتراً . الكردي - التاريخ القويم ج ٤ ص ١٢١ . وكان يمكن أن يصلي فيها أربعة رجال براحة تامة بدون تزاحم ، ولما رأت الحكومة السعودية اشتداد الزحام في موسم الحج ووقوع بعض الحجاج فيها وقت الطواف ، رأت ردم هذه الحفرة وسدها وطمرها ، فتم ذلك ضحى يوم الخميس ١٢ شعبان سنة ١٣٧٧هـ الموافق ٢٠ فبراير / شباط سنة ١٩٥٨م . انظر : الكردي - التاريخ القويم ج ٤ ص ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) أي ابن الضياء في البحر العميق ، ج ٣ ، والصفحات في المخطوط غير مرقمة .

(٣) رميثة بن أبي نمي محمد الحسني المكي أمير مكة . انظر : الفاسي - العقد الثمين ج ٤ ص ٤٠٣ .

(٤) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٩١ .

وجاء في «درر الفرائد»[1] : « أنه أول من حلّى الميزاب بالذهب الوليد بن عبدالملك ، ومن ذلك ميزاب عمله رامشت وصل به خادمه مثقال في سنة ٥٣٩ » .

وقال نجم الدين بن فهد[2] في حوادث سنة ٥٣٧ : « وصل أبو القاسم إبراهيم المعروف برامشت بن الحسين الفارسي ، صاحب الرباط المشهور بمكة ، إلى مكة ووصل خادمه مثقال ، ومعه ميزاب للكعبة الشريفة ، كان عمله مولاه رامشت ، وركب بالكعبة الشريفة في سنة ٥٣٩ » . اهـ .

وقد وقع تغيير وتبديل في ميزاب الكعبة ، وذلك لسببين : أحدهما : كان إذا اعتراه خراب عمل غيره . والثاني : كان بعض الملوك أو الأغنياء من عظماء المسلمين يهدي للكعبة المشرفة ميزاباً فيركب في الكعبة وينزع الذي قبله . ومن ذلك ميزاب عمله أمير المؤمنين المقتفي العباسي[3] وركب في الكعبة ، بعد أن قلع ميزاب رامشت وذلك في سنة ٥٤١ أو التي بعدها ، كما
[١٩٢] ذكره التقي الفاسي[4] ونجم الدين / بن فهد[5] . وميزاب عمله الناصر العباسي واسمه مكتوب فيه ، وهو من خشب مبطن برصاص ، في الموضع الذي يجري فيه الماء ، وظاهره فيما يبدو للناس محلّى بفضّة .

---

(١) في الأصل « الفوائد » وهو خطأ .
الجزيري - عبدالقادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الجزيري الحنبلي - من أهل القرن العاشر - الدّرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة - إعداد حمد الجاسر - الرياض ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ج ١ ص ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٥٠٧ .

(٣) المقتفي لأمر الله أبو عبدالله محمد بن المستظهر بالله ولي الخلافة سنة ٥٣٠ هـ وتوفي سنة ٥٥٥ هـ. الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ص ٣٩٩ - ٤١٢ .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٣ .

(٥) ابن فهد - إتحاف الورى ج ٢ ص ٥١١ .

وذكر ابن فهد[1] : « أن الأمير سودون باشا عمَّر الميزاب من ضمن العمارة التي أجراها في عموم الحرم عام ٧٨١ » .

وجاء في «تحصيل المرام»[2] : « أن هذا الميزاب قلع في سنة ٩٥٩ ، وعمل على صفته ميزاب حُلِّي بالفضة وطُلي بالذهب ، بأمر من السلطان سليمان ، ورُكِّب في الكعبة المشرفة في موسم السنة المذكورة ، وأمر بنقل الميزاب القديم إلى خزانة الروم ، فتعرض له بنو شيبة فأعْطوا في مقابلة ذلك وزنه فضة من بندر جدة ، وذلك بحسب تخمين نائب جدة والقاضي بمكة ، ألفان وثمانمائة درهم فضة » .

ومن ذلك ميزاب عمله السلطان أحمد خان ، قال الطبري المكي في «الأرج المسكي» [3] : « وفي سنة ١٠٢٠ ورد من الأبواب السلطانية حسن آغا المعمار ومعه ميزاب للكعبة ونطاق من فضة مطلي بالذهب يشدّ به البيت الشريف ، وذلك لما أنهى للسلطان تصدّع في جدار البيت الشريف من سيل دخل الحرم ، وصحيفة توضع على وجه الباب الشريف من ذهب ، مكتوب عليها قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [4] الآية ، وصفائح مطلية بالذهب لأعلى المنبر ، وغير ذلك » .

قال في «تحصيل المرام» [5] : « ومن ذلك ميزاب عمله السلطان أحمد خان في سنة ١٠٩١ على ما هو مكتوب في حَجَر أبيض في الشاذروان ، / على [١٩٣]
يمين الحفرة التي بجانب الباب مكتوب فيه : (أمر بتجديد سقف الكعبة وميزاب

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٣٤ .
(٢) الصباغ – تحصيل المرام ورقة ٣٤ . وانظر : الجزيري – الدّرر الفرائد ج ١ ص ٩٧ .
(٣) علي بن عبد القادر الطبري – الأرج المسكي ص ١٥٤ في المطبوع .
(٤) سورة آل عمران الآية ٩٧ .
(٥) الصباغ – تحصيل المرام ورقة ٣٤ .

الرحمة السلطان أحمد خان في سنة ألف وإحدى وتسعين .) » .

هذا ما جاء في «تحصيل المرام» ، والظاهر أنه وقع غلط في التاريخ ، حيث أن الذي كتب على الحجر الأبيض المذكور ، أن عمل الميزاب المنوه عنه هنا هو في سنة ١٠١٢ لا في سنة ١٠٩١ .

ومن ذلك ميزاب عمله السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان ، عمله في القسطنطينية ثم جيء به صحبة الحاج رضا باشا ، وركب سنة ١٢٧٦ ووالي مكة يومئذ الشريف عبدالله بن محمد بن عون ، ثم حمل الميزاب القديم في العام القابل إلى الأبواب العالية ، والميزاب الجديد مصفح بالذهب نحو خمسين رطلاً بحسب التخمين ، والله أعلم . اهـ .

وهذا الميزاب هو الموجود في الكعبة إلى العصر الحاضر ، حيث لم يحدثنا التاريخ أنه وضع ميزاب بعد هذا الميزاب ، والله أعلم . اهـ[1] .

هذا ما وقفتُ عليه من أمر ميزاب الكعبة المشرفة ، وسيأتي زيادة في البحث في عمارة ومرمات وتحلية البيت المعظم إن شاء الله تعالى ، وبالله التوفيق .

---

(١) وفي يوم الخميس ٩ شعبان سنة ١٣٧٧هـ تم إصلاح الميزاب الذي عمله السلطان عبدالمجيد خان العثماني سنة ١٢٧٣هـ . وهو من الذهب الخالص التكليف مبطن من الداخل بالفضة الخالصة السميكة ، يعني أن الذهب محيط بالفضة من بطنه وجانبيه ، أما علو الميزاب فهو مفتوح لا غطاء عليه ، وبين الذهب والفضة خشب سميك من جانبيه وبطنه الأسفل ، وكل ذلك مسمر بمسامير من الذهب الخالص . وهو على شكل المستطيل ، على وجهه قطعة من الذهب الخالص ومدلاة متحركة إلى الأمام والخلف وتسمى باللسان ، وبالبرقع .

وقياس الميزاب : طوله ٢٥٨ سنتمتراً ، مما هو داخل في جدار الكعبة وعرض بطنه ٢٦ سنتمتراً ، وارتفاع كل من جانبيه ٢٣ سنتمتراً . ودخوله في جدار السطح ٥٨ سنتمتراً ، وقد كتب على جوانب الميزاب ولسانه على الذهب تاريخ عمله وتجديده بخط الثلث الجميل البديع .

وهو قوي ومتين وتم إصلاح المسامير التي هي من الفضة الخالصة ، واستبدل الخشب بخشب قوي جديد ، قام بذلك الصائغ المكي الشيخ محمد نشار .

الكردي – التاريخ القويم ج ٤ ص ص ٨٤ ، ٨٥ . كما رم وأصلح أيضاً في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

/ باب الكعبة المعظمة : [١٩٤]

اختلف الرواة في أول مَنْ عمل للكعبة المعظمة باباً ، فقيل [أول] [١] مَنْ جعل لها باباً أنوش بن شيث بن آدم ، على قول أنها كانت مبنية بالحجر في زمن شيث ، وهذا القول ذكره الفاسي [٢] ، نقلاً عن الزبير بن بكار ، والسهيلي في «روض الأنف» [٣] ، وهو من الأمور البعيدة التي يتعذر إثباتها ما لم تأت عن نبي معصوم أو كتاب منزل . والقول الثاني : أن جرهماً لما بنت البيت المعظم جعلوا له مصراعين وقفلاً . ذكره الفاسي [٤] . والقول الثالث : أن أول مَنْ وضع باباً على الكعبة المعظمة تبع الثالث ، أحد ملوك اليمن المتقدمين على البعثة النبوية بزمن بعيد ، وهذا القول رواه ابن هشام في سيرته [٥] عن ابن إسحاق المطلبي ، ورواه الأزرقي [٦] في تاريخ مكة .

فأما رواية ابن إسحاق [٧] فقال في حديث طويل : « وكان تبع فيما زعموا أول مَنْ كسا البيت ، وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره ، وجعل له باباً ومفتاحاً » .

وأما رواية الأزرقي [٨] فهي عن ابن جريج قال : كان تبع أول مَنْ كسا الكعبة كسوة كاملة ، وجعل لها باباً يغلق ، ولم يكن يغلق قبل ذلك ، وقال تبع شعراً منه هذا البيت :

(١) زيادة من المعلق يقتضيها السياق .
(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ١٨٨ ، ١٠٤ - ١٠٥ .
(٣) السهيلي - الروض الأنف ج ١ ص ٤٠ .
(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٤ .
(٥) ابن هشام - السيرة ج ١ ص ٤٠ .
(٦) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١٣٤ .
(٧) ابن هشام - السيرة ج١ ص ٤٠ .
(٨) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١٣٤ .

وأقمنا به من الشهر عشراً   وجعلنا لبابه إقليدا »

هذا ما كان قبل عمارة قريش له ، ولما عمرته قريش جعلت له باباً بمصراعين .

قال ابن فهد[1] : « إن الباب الذي كان على الكعبة قبل بناء ابن الزبير بمصراعين ، / طوله أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاه . قال ابن [١٩٥] جريج : وكان الباب الذي عمله ابن الزبير أحد عشر ذراعاً ، فلما كان الحجاج عمل لها باباً طوله ستة أذرع وشبراً » . انتهى .

وذلك أن الحجاج رفع باب الكعبة عما كان عليه في زمن ابن الزبير كما تقدم بيانه ، ولذلك صار طول الباب الذي عمله على قدر الفتحة .

قال ابن فهد القرشي[2] في حوادث سنة ١٩٤ : « وفيها أرسل الخليفة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسي ، إلى سالم بن الجراح ، عامل له على صوافي مكة ، بثمانية عشر ألف دينار ، ليضرب بها صفايح الذهب على باب الكعبة ، فقلع ما كان على الباب من الصفايح وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار ، فضرب عليه الصفايح والمسامير وحلقتي باب الكعبة وعلى الفياريز والعتب » . اهـ .

وقال الأزرقي[3] يصف باب الكعبة المذكور لأنه هو الذي بقي إلى عصره بدون تغيير أو تبديل : « وذرع طول باب الكعبة في السماء ستة أذرع وعشرة أصابع ، وعرض ما بين جداريه ثلاثة أذرع وثماني عشرة أصبعاً . والجدران وعتبة الباب العليا ونجاف الباب ملبس صفايح ذهب منقوش ، وفي جدار عضادتي الباب أربع عشرة حلقة من حديد مموهة بالفضة متفرقة ، في كل

(١) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٧٥ .
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٨ .
(٣) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

جدار سبع حلق يشد بها جوف الباب من أستار الكعبة ، وفي عتبة باب الكعبة ثمانية عشر مسماراً ، منها أربعة على الباب ، وأربعة عشر في وجه العتبة ، والمسامير حديد ملبسة ذهباً مقبوة منقوشة ، / تدوير حول كل مسمار سبع [١٩٦] أصابع ، وملبن باب الكعبة الذي يطأ عليه مَنْ دَخَلها ، داخل في الجدر عشر أصابع ، والملبن ساج ملبّس صفايح ذهب ، وعرض وجه الملبن عشر أصابع ، وعرض وجهه الآخر أربعة أصابع ، وفي الملبن من المسامير ستة وأربعون مسماراً ، منها سبعة في أعلى الملبن وهي تلي العتبة ، وفي الجانب الأيمن تسعة عشر مسماراً ، وفي الجانب الأيسر عشرون مسماراً ، والمسامير مقبوة ملبّسة ذهباً منقوشة ، تدوير حول كل مسمار منها سبع أصابع ، وذرع طول باب الكعبة في السماء ستة أذرع وعشر أصابع وهما مصراعان ، عرض كل مصراع ذراع وثماني عشرة أصبعاً . وعود الباب ساج ، وغلظه ثلاث أصابع ، فإذا غُلقا فعرضهما ثلاثة أذرع ونصف ، وفي كل مصراع ست عوارُض ، والعَوارض من ساسم ، وظهر الباب من داخل ملبس صفايح فضة ، وفي المصراع الأيمن من داخل غلق رومي ، وأم الغلق ملبس فضة ، وطول الغلق أربع عشرة أصبعاً ، وفي المصراع الأيسر حلقة فضة يكون فيها غلق الباب إذا غلق ، وفي الباب الأيسر سكّره ، ووجه الباب ملبس صفايح ذهب منقوشة ، وصفايح ساذج ما بين المسامير التي في العوارض صفايح مربعة منقوشة في كل مصراع خمس صفايح ، وتدوير حول الصفايح الساذج صفايح منقوشة ، وفي الباب الأيسر أنف الباب ملبس ذهباً منقوشاً طرفاه مربعان ، وعلى الأنف كتاب فيه :

[١٩٧] / ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[١] الآية ، محمد رسول اللّه . وعدد المسامير مائتان مسمار ، منها مائة كبار . منها في العوارض اثنان وسبعون مسماراً ، في كل عارضة ستة مسامير ، وفي كل مصراع عشرة مسامير ، وبين كل عارضتين مسمارات في طرف الباب ، ومنها حول خرتة الباب التي يدخل فيها الرومي اثنا عشر مسماراً صغاراً ، ومنها في المصراع الأيمن مسماران من فضة ساذج مموهان دوير حول كل مسمار ست أصابع ، وبينهما حاجز يفتح فيه الغلق الرومي الداخل ، وما بين المسامير تسع أصابع ، والمسامير مقبوة ملبسة ذهباً ، وهي منقوشة تدوير كل مسمار سبع أصابع ، والمسامير الصغار التي في المصراع الأيسر خمسون مسماراً ، وهي مضروبة حول الصفايح المربعة المنقوشة التي بين العوارض ، حول كل صفيحة عشرة مسامير ، والمسامير ملبسة ذهباً مقبوة منقوشة ، وهي على صفايح ساذج ، عرض الصفايح أصبعان ، كما يدور حول الصفيحة المنقوشة ورجْلا البابين حديد ملبسان ذهباً ، وفي المصراعين سلوقيتان فضة مموهتان ، وفي السلوقيتين لبنتان من ذهب مربعتان ، وفوق اللبنتين لبنتان صغيرتان ، وفي طرف السلوقيتين حلقتا ذهب سعة كل حلقة ثمان أصابع ، وهما حلقتا قفل الباب وهما ذراعين وستة عشر أصبعا من الباب »[٢] . اهـ .

[١٩٨] / قال ابن فهد[٣] في حوادث سنة ٢١٩ : « وفيها : بعث المعتصم بالله

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٩ .

(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

(٣) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٢٨٩ .

العباسي للكعبة بقفل فيه ألف دينار ، وكان على مكة يومئذ صالح بن العباس[(١)] ، فأرسل صالح إلى الحجبة - آل الشيبي - فدعاهم ليقبضهم القفل ، فأبوا أن يأخذوه ، فأجبرهم على ذلك ، وأراد أن يأخذ قفلها الأول ويرسل به إلى الخليفة ، فكلموه ، فتركه لهم ، وأذن لهم في الخروج إليه ، فخرجوا إليه فكلموه فيها ، فترك قفلها وأعطاهم القفل الذي بعث به إليها ، فقسموه بينهم - هكذا ذكر الفاكهي - ، وقال المسبحي في أخبار هذه السنة : وفيها وصل طاهر بن عبدالله بن طاهر حاجاً في عدد كثير من الجند بقفل فيه ألف مثقال من الذهب ، فقفل به البيت ونزع قفله الذي كان عليه ، وكان مطلياً ويقال ان الحجاج عمله » انتهى .

قال الفاسي[(٢)] : « عمل الوزير جمال الدين محمد[(٣)] بن علي بن أبي منصور المعروف بالجواد[(٤)] سنة ٥٥٠ باباً للكعبة المشرفة ، وكتب عليه اسم الخليفة المقتفي لأمر الله مصفحاً بالنقرة المذهبة ، وعمل المقتفي لنفسه من خشب الأول تابوتاً ليدفن فيه إذا مات . وفي رواية : أن الجواد عمل التابوت لنفسه من الباب الأول ، وحمل فيه إلى المدينة ودفن بها » .

وقد روى ذلك عن ابن فهد[(٥)] وذكر أن التابوت للمقتفي .

قال الفاسي[(٦)] : « ومنها - أي من الأبواب التي عُملت للكعبة المشرفة -

---

(١) صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أمير مكة - الفاسي - العقد الثمين ج ٥ ص ٢٦ ، ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ٤١٠ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٣ .

(٣) في الأصل « حمد » .

(٤) الجواد : محمد بن علي بن أبي منصور أبو جعفر الأصبهاني الوزير ، سمي الجواد لجوده وكرمه وكثرة خيراته . انظر : الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٣٤٩ .

(٥) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٥١٥ .

(٦) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٣ .

باب عمله الملك المظفر صاحب اليمن ، وكان عليه صفايح فضة زنتها ستون رطلاً / وصارت لبني شيبة » . انتهى ولم يذكر السنة التي عمل فيها ذلك الباب . [١٩٩]

قال الفاسي[١] : « ومنها باب عمله الملك الناصر ، محمد بن قلاوون صاحب مصر ، وركِّب على الكعبة بعد قلع باب الملك المظفر ، في ١٢ ذي القعدة سنة ٧٣٣ ، وكان عليه من الفضة خمسة وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم ، على ما ذكره البرزالي[٢] وذكر أن هذا الباب من السنط الأحمر .

ومنها باب عُمل في سلطنة ولده الملك الناصر حسن[٣] ، وذلك في سنة ٧٦١ ، وهو من خشب الساج ، عُمل بمكة واستمر في الكعبة إلى تاريخه ، إلا أنه في سنة ٧٧٦ قُلع منها لعمل الحلية التي فيه الآن ، وعوّض بباب قديم كان للكعبة ، وهو الآن في حاصل زيت الحرم ، ولعله باب الكعبة الذي عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أعيد إليها الباب الذي عُمل بمكة في دولة الناصر حسن بعد تحليته في التاريخ الذي ذكرناه وذلك سنة ٧٨١ ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون مكتوب في هذا الباب بأسفله ، واسم حفيده الملك الأشرف شعبان حسين[٤] ، في بعض فيادين الباب ، وذلك لتحليته له ، وفي بعض فيادين الباب وهو الجانب الذي يكون على يمين الداخل إلى الكعبة

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) البرزالي : الشيخ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي مؤرخ الشام ت سنة ٧٣٩ هـ . وآخر ما أرخه في تاريخه الذي ذيل به على تاريخ أبي شامة المقدسي سنة ٧٣٨ هـ . ابن كثير- البداية والنهاية ج ١٣ ص ص ١٨٣ ، ١٨٥ .

(٣) الناصر حسن بن محمد بن قلاوون - السلطان المملوكي ، مات مقتولاً سنة ٧٦٢ هـ ، ابن دقماق - الجوهر الثمين ج ٢ ص ١٩٧ .

(٤) الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون تسلطن سنة ٧٦٤هـ ومات مقتولاً سنة ٧٧٨هـ . ابن تغري بردى - الدليل الشافي ج ١ ص ١٩٠ ، ابن دقماق - الجوهر الثمين ج ١ ص ٢٤١ .

مكتوب اسم الملك المؤيد أبي النصر شيخ [1] صاحب مصر . وقدم بعض خواصه إلى مكة في أول يوم من ذي الحجة سنة ٨١٦ فرأى جانب الباب المشار إليه يحتاج إلى حلية فحلاَّه بفضة ، وطلاها بالذهب ، وكتب في ذلك اسم الملك المؤيد ، ومقدار الفضة التي حلي بها ذلك الموضع ١٩٢ / درهماً . هذا [٢٠٠] ما ذكره الفاسي في شفاء الغرام [2] .

وقال قطب الدين في «الإعلام» [3] : « وقد أدركنا الباب الشريف مصفحاً بالفضة ، وكان يختلس من فضته أوقات الغفلة مَنْ قلّ دينه وخفت يده ، إلى أن انكشف سفل الباب الشريف عن خشب الباب ، ومُسك مراراً مَنْ يفعل ذلك وحُبسوا وبُهدلوا ، فعرض ذلك على السلطان سليمان خان في سنة ٩٦١ ، فأمر السلطان بتصفيح الباب الشريف بالفضة ، وعهد ذلك إلى ناظر الحرم الشريف المكي أحمد جلبي ، فأخرجوا جميع فضة الباب وزادوا عليها فضة وجعلت صفايح ، وصفح بها باب الكعبة ، وسُمّرت الصفايح بمسامير الفضة وأعيدت ، وصفح بالفضة المموهة بالذهب » . انتهى .

وجاء في «تحصيل المرام» [4] : «أن الباب الذي عمله محمد بن قلاوون قد قُلع في سنة ٩٥٣ بأمر السلطان سليمان العثماني وعمل غيره ، وحلاه بحلية كثيرة كما تقدم عن قطب الدين في الإعلام ، والبحر العميق » .

---

(١) الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الجركسي السلطان المملوكي ٨١٥ - ٨٢٤ هـ . ابن حجر - إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٣٧ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) قطب الدين النهروالي - الإعلام ص ٨٩ .

(٤) الصباغ - تحصيل المرام ورقة ٣٣ - ٣٤ . وانظر الجزيري - الدرر الفرائد ج ١ ص ٩٩ الذي أضاف : « وصانعه في ولاية نائبه بمصر وأعمالها داود باشا ، وعمل غيره وحلّى بحلية كبيرة من الفضة المطلاة بالذهب . وركب في التاريخ المذكور وصانعه هو رومي واسمه شعيب أحسن صياغته ما شاء ، وألبسه في تلك السنة زمن الموسم أمير الحج حسين أباظا كاشف إقليمي الفيوم والبهنساوية قفطاناً مذهباً لذلك » .

وقال العلامة علي بن عبد القادر الطبري[1] في «الأرج المسكي» : « إن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان في سنة ١٠٤٤ بعد عمارة الكعبة المشرفة بأربع سنين ، أمر على والي مصر أن يصلح ما وقع في سطح الكعبة المشرفة من الخلل ، وأن يجعل لها باباً جديداً ، وأن يرسل إليه الباب القديم ، فعين والي مصر لذلك الأمير رضوان بك المعماري ، وأضاف إليه يوسف المعمار مهندس العمارة سابقاً ، فوصلا إلى مكة في موسم تلك السنة ، ثم لما [٢٠١] كان / ١٧ ربيع الأول سنة ١٠٤٥ وصل إلى الكعبة المشرفة ، وفتح آل الشيبي بابها فعلقوه ، وركّبوا غيره عوضاً عنه باباً من خشب لم يكن عليه شيء من الحلية ، وإنما عليه ثوب قطني أبيض ، وفي يوم الثلاثاء ١٩ من الشهر المذكور صار اجتماع ببيت الأمير رضوان ، حضر فيه شيخ الحرم عتاقي أفندي ، وفاتح البيت ، وحاكم مكة ، فوزنت الفضة التي كانت على الباب المقلوع ، فكان مجموع ذلك مائة وأربعة وأربعين رطلاً ، ثم شرع في تهيئة باب جديد ، وركب عليه حلية الباب السابق ، وكتب عليه السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان ، وركب الباب الجديد بمحفل ، حضره أمير مكة وشيخ الحرم وسدنة البيت المعظم وكبار العلماء والأعيان ، وكان ذلك في يوم الخميس ٢٠ من شهر رمضان سنة ١٠٤٥ وأرسل الباب القديم إلى السلطان مراد ». انتهى .

وذكر السنجاري[2] في تاريخه : « أنه في آخر شهر ذي القعدة سنة ١١١٩ حضر شيخ الحرم الأمير إيواز بك ، والسيد يحيى بن بركات ، وقاضي الشرع ، وحضروا بعض المعلمين ، وقلعوا خدود باب الكعبة ، والطراز الذي

---

(١) علي بن عبدالقادر الطبري - الأرج المسكي « فصل في مَنْ اعتنى بتعظيم البيت من الخلفاء والملوك» في المطبوع ص ١٥٣ .

(٢) السنجاري - منائح الكرم ج ٣ ص ٣٧٩ .

من الذهب الخايف ، فوجدوا فيه شيئاً كثيراً ، فأصلحوه وطلوا الخدود بالذهب، وكتبوا على الطراز تاريخاً ، ذكروا فيه أنه تجديد للسلطان أحمد خان[1] نصره الرحمن ، وحضر عند تركيبه حضرة مولانا الشريف عبدالكريم، وجميع مَنْ تقدم ذكره ، وركبوه على الوجه المطلوب ، وصار الباب يفتح بسهولة من غير تعب » . انتهى .

/ وهذا الباب الأخير الذي عمله السلطان مراد خان هو الباب الموجود على الكعبة المشرفة إلى العصر الحاضر[2] . [٢٠٢]

---

(١) أحمد خان : السلطان العثماني أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان ، ولي السلطنة سنة ١٠١٢هـ وتوفي سنة ١٠٢٧ هـ . علي بن عبدالقادر الطبري ، الأرج المسكي ص ٢٢٥ (من المطبوع) .

(٢) أي عهد المؤلف باسلامة .

ففي عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م أمر الملك خالد بن عبد العزيز بصنع بابين جديدين للكعبة المشرفة ، أحدهما الباب الخارجي ، والثاني باب التوبة داخل الكعبة والموصل للدرج، على أن يكونا من الذهب الخالص . فألف وزير الحج والأوقاف فريق عمل مكون من المهندس المعماري المسلم منير الجندي ، والأستاذ عبدالرحيم أمين الذي قام بكتابة الآيات والعبارات على الباب ، والشيخ أحمد إبراهيم بدر شيخ الصاغة الذي أقام ورشة خاصة زودت بكافة الإمكانات لتنفيذ العمل ، وقام الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد آنذاك ونائب رئيس مجلس الوزراء بتفقد خطوات التصنيع .

وقد روعي الاعتماد في الشكل الزخرفي العام للباب على الطراز الإسلامي الأصيل ، مع المحافظة على الشكل المعهود للباب في الترتيب ، ووضع الآيات القرآنية بحيث تحقق الانسجام بين التّصميم الجديد للباب وستارة الباب باستخدام خط الثلث بحيث تتم الزخرفة بالحفر والنقش على الذهب باستخدام قليل من الفضة .

وأما المساحات التي في وسط الباب فوضعت في وسطها دوائر ، كتبت فيها الآيات الكريمة بالطريقة المعتادة مع إضافة زخارف في الزوايا العلوية ليكون شكل الباب قوساً دائرياً يحيط بالآيات القرآنية المكتوبة حسب الترتيب الموضوع لها .

وكتب في وسط الحشوتين تحت القفل الفاتحة على شكل قرصين بارزين .

وتحت الحشوتين عبارات تاريخية بخط صغير : صنع الباب السابق في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود سنة ١٣٦٣هـ . =

هذا ما وقفت عليه من خبر أبواب الكعبة المعظمة في تواريخ مكة وغيرها .

وقد ذكر إبراهيم رفعت باشا(١) في «مرآة الحرمين» جملة وجيزة عن الأبواب التي عملت للكعبة المشرفة ، وجعل ابتداء الأبواب كان من سنة ٥٥٠ ، غير أنه زاد على ما ذكرناه ما يخالف رواية التقي الفاسي المتقدمة فقال(٢) : « وفي سنة ٧٨١ حلى زين الدين العثماني باب الكعبة وميزابها ، بمعرفة مملوكه سودون باشا ، حينما أرسله لعمارة المسجد الحرام » . مع أن الفاسي ذكر فيما تقدم أن ذلك كان في عصر الملك الناصر حسن ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون مكتوب عليه ، ولو كان زين الدين العثماني هو الذي حلّى باب الكعبة لكتب اسمه عليه كما هي العادة المتبعة في ذلك . وذكر(٣) أيضاً : « أن السلطان سليمان(٤) أمر بتصفيح الباب بالفضة ، وفي سنة ٩٦٤ أمر بعمل باب الكعبة ، فأتى بالباب الأول وركبت الألواح من الخشب الآس الأسود مصفحة بالفضة المطلية بالذهب ، وقد قدر الذهب بمبلغ ٢٧١٠ أشرفي ، والفضة بأربعة قناطير إلاّ قليلاً ، وقد وُضعت الفضة على أصل الباب القديم المصنوع من

= وتحتها : صنع هذا الباب في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٩٩هـ .

وضمن زخرفة خفيفة كتب في الدرفة اليمنى عبارة : « تشرف بافتتاحه بعون الله تعالى الملك خالد ابن عبد العزيز آل سعود في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٩٩هـ . وفي الدرفة اليسرى عبارة : « صنعه أحمد إبراهيم بمكة المكرمة ، صممه منير الجندي ، وضع الخط عبدالرحيم أمين .

كما تم وضع زخرفة دقيقة خاصة لأنف الباب المثبت على الدرفة اليسرى .

وزارة الحج والأوقاف السعودية - الباب الجديد ص ٧ ، ١٦ .

(١) إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٧٦ .

(٢) أي إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٧٦ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٧ .

(٤) أي السلطان سليمان بن سليم العثماني القانوني .

الساج، وأعطى بني شيبة ألف أشرفي عوض الفضة القديمة ، وقد كتب عليه البسملة وقوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾[1] وتاريخ تجديده ، وقد أرخ بعضهم / [٢٠٣]
بقوله : (زين الباب) »[2] .

ثم ذكر[3] بعبارة موجزة عمل الباب الذي عمل في زمن السلطان مراد خان سنة ١٠٤٥ ، قال : « وجعل فيه من الحلية الفضية ما زنته ١٦٦ رطلاً ، وطُلي بالذهب البندقي بما قيمته ألف دينار » . ولم يذكر المصدر الذي أخذ عنه خبر الباب المذكور ، والظاهر انه أخذه من مرآة الحرمين التركية ، ولما راجعت ما ذكره إبراهيم رفعت باشا في المصادر التي بيدي فوجدتُ العلامة السنجاري[4] قد ذكر ذلك في تاريخه .

حلية الكعبة المعظمة :

ذكر كثير من مؤرخي مكة وغيرهم ، أن أول مَنْ حلّى البيت المعظم في الجاهلية عبدالمطلب بن هاشم جد النبي ﷺ بالغزالين الذهب اللذين وجدهما في زمزم حين حفرها . ذكر ذلك الأزرقي[5] وغيره .

وأما أول مَنْ حلاّه في الإسلام ففيه ثلاث روايات وهي :

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٠ .

(٢) التاريخ بحساب الجمّل « زين الباب » .

(٣) أي إبراهيم رفعت في مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٧٧ .

(٤) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ٢١٥ .

(٥) الأزرقي - أخبار مكة ج ٢ ص ٤٧ . الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٣ .

روى الفاسي[١] عن المسبحي : « أن أول مَنْ حلّى الكعبة في الإسلام عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ، قال المسبحي في أخبار سنة ٦٥ ، وفيها : استتم ابن الزبير بناء الكعبة . وقال[٢] : إنه بناها بالرصاص المذوب المخلوط بالورس ، وجعل على الكعبة وأساطينها صفايح الذهب ومفاتحها ذهب » انتهى .

وروى الفاسي[٣] عن الفاكهي[٤] أنه قال في أوليات مكة : « وأول مَنْ عمل الذهب على باب الكعبة في الإسلام عبدالملك بن مروان » .

[٢٠٤] وقال الأزرقي[٥] : وبعث عبدالملك بن مروان الأموي / بالشمستين وقدحين من قوارير ، وضرب على الأسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفايح .

وذكر الفاكهي[٦] أن الوليد بن عبدالملك أول من جعل الذهب على ميزاب الكعبة . انتهى .

وذكر الأزرقي[٧] صفة الحلية التي عُملت بأمر الوليد بن عبدالملك ومقدارها، قال : « فلما كان في خلافة الوليد بن عبدالملك بعث إلى واليه بمكة خالد بن عبدالله القسري ، بستة وثلاثين ألف دينار ، فضرب منها على باب الكعبة صفايح الذهب ، وعلى ميزاب الكعبة، وعلى الأساطين التي في باطنها، وعلى الأركان في جوفها » . اهـ .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٤ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١١٤ .
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١١٤ .
(٤) الفاكهي - أخبار مكة ج ٣ ص ٢٩٧ .
(٥) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٢٤ .
(٦) الفاكهي - أخبار مكة ج ٣ ص ٢٤٢ .
(٧) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ .

فهذه الأوليات لا تنافي الترتيب ، حيث كل مؤرخ ذكر اسم أول مَنْ حلّى الكعبة حسبما اطلع عليه ، والجمع بين الروايات الثلاثة هو أن ابن الزبير حلّى الكعبة قبل عبدالملك بن مروان ؛ لأن الأولية له في الخلافة قبل عبدالملك ، وعبدالملك ابنه الوليد ، فثبت لكل واحد منهم عمله في خلافته .

وذكر الأزرقي(١) : « أن الخليفة العباسي الأمين محمد بن هارون الرشيد أرسل إلى سالم بن الجراح(٢) - عامله على صوافي مكة - بثمانية عشر ألف دينار ليضربها صفايح الذهب على باب الكعبة ، فقلع ما كان على الباب من الصفايح وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار ، فضرب عليه الصفايح التي هي عليه اليوم (يعني في زمنه) والمسامير وحلقتي باب الكعبة ، وعلى الفياريز والعتب »(٣) .

[٢٠٥] وذكر الأزرقي(٤) « أن الحجبة - آل بني شيبة - كتبوا إلى الخليفة / المتوكل العباسي رقعة ذكروا فيها أن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبستان ذهباً وزاويتين فضة ، وأن ذلك لو كان ذهباً كله كان أحسن وأزين ، وأن قطعة مركبة على بعض جدران الكعبة شبه المنطقة فوق الإزار الثاني من الرخام ، وذكروا أنه لو كان بدل تلك القطعة فضة مركبة في أعلى إزار الكعبة في تربيعها كان أبهى وأحسن » .

وذكر الأزرقي(٥) : أن المتوكل أنفذ لعمل ذلك ، ولعمل ما كتب إليه إسحاق ابن سلمة الصايغ ، قال : « وعمل إسحاق الذهب على زاويتي الكعبة من

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٢ .

(٢) في الأصل « الحجاج » والإثبات من المصدر السابق ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) في الأصل « والعقب » . والإثبات من المصدر السابق ج ١ ص ٢١٢ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٠ .

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠١ .

داخلها، فكان ما كان هنالك من الفضة ملبساً ، وكرسي الذهب الذي كان على الزاويتين الباقيتين ، وأعاد عمله ، فصار ذلك أجمع على مثال واحد منقوشة مؤلفة ثابتة ، وعمل منطقة من فضة ، وركبها فوق إزار الكعبة في تربيعها ، كلها منقوشة مؤلفة جليلة ثابتة ، يكون عرض المنطقة ثلثي ذراع ، وجعل لها طوقاً من ذهب منقوشاً متصلاً بهذه المنطقة » .

ثم قال[1] : « وفي أعلى هذه المنطقة رخام منقوش ، فألبس[2] ذلك الرخام ذهباً رقيقاً من الذهب الذي يتخذ للسقوف » .

قال[3] : « وكان في الجدر الذي من ظهر الباب يمنة مَنْ دخل الكعبة ، رزّة من كُلاّب من صفر يُشَدّ به الباب إذا فُتح بذلك الكلاّب لئلا يتحرك عن موضعه ، فقلع ذلك الصفر ، وصُيِّر مكانه فضة ، وألبس ما حول باب الدرجة فضة مضروبة . وكانت عتبة الباب السفلى قطعتين من خشب الساج قد رثّتا ونخرتا من طول الزمان عليهما ، فأخرجهما وجعل مكانهما قطعة واحدة من / خشب الساج وألبسها صفايح فضة » . [٢٠٦]

قال الأزرقي[4] : « وأخبرني أبو سلمة إسحاق بن سلمة الصايغ أنه بلغ ما كان في الزوايا من الذهب والطوق الذي حول المنطقة نحواً من ثمانية آلاف مثقال ، وأن ما في منطقة الفضة وما كان على عتبة الباب السفلى من الصفايح وعلى كرسي المقام من الفضة نحواً من سبعين ألف درهم ، وما ركب من الذهب الرقيق على جدران الكعبة وسقفها نحواً من مائتي حقّ ، يكون في كل حقّ خمسة مثاقيل » . اهـ .

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٥ .
(٢) في الأصل « في لبس » . والإثبات من المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٥
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٥ .
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٦ .

وذكر ذلك ابن فهد[1] أيضاً .

قال الفاسي [2] : « كتب الحجبة إلى الخليفة المعتضد العباسي يذكرون أن بعض عمال مكة كان قد قلع ما على عضادتي باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير ، واستعان به على حرب وأمور كانت بمكة في سنة ٢٥١ ، فكانوا يسترون العضادتين بالديباج ، وأن بعض العمال بعده قلع مقدار الربع من أسفل ذهب بابي الكعبة وما على الأنفة وذلك في سنة ٢٦٨ استعان بها على إخماد فتنة ، وجعل بدل ما أخذه فضة مموهة بالذهب على مثال ما كان عليه ، فإذا تمسح في أيام الحج بدت الفضة . فأمر بعمل ذلك كله » . هذا ما ذكره الفاسي في «شفاء الغرام» .

وقد ذكر نجم الدين ابن فهد[3] في حوادث سنة ٣١٠ ، « أن [أم][4] المقتدر الخليفة العباسي (أمرت عامل)[5] مكة أن يلبس جميع الأسطوانة الأول التي تلي باب الكعبة الذهب ؛ لأن (ثلثها كان ملبساً) [6] بصفايح الذهب ، / [٢٠٧]
وبقيتها مموهاً » . انتهى .

وقال الفاسي [7]: « إن أم المقتدر[8] الخليفة العباسي هي التي أمرت غلامها لؤلؤ بأن يُلبِّس جميع الأسطوانة الأولى التي تلي باب الكعبة الذهب » .

---

(١) ابن فهد - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٠٦ .
(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٥ .
(٣) ابن فهد - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٦٨ .
(٤) سقطت من الأصل - والإثبات من ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٦٨ .
(٥) في الأصل ما بين قوسين (أمر عامله على) . والإثبات من المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦٨ .
(٦) في الأصل ما بين قوسين (التي تليها كانت ملبسة) والإثبات من المصدرالسابق ج ٢ ص ٣٦٨ .
(٧) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٥ .
(٨) أم المقتدر اسمها شغب . والمقتدر بالله الخليفة العباسي ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ . القضاعي - تاريخ ص٤٩١ .

وقال الفاسي[1] : « إن الوزير جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل[2] أنفذ في سنة ٥٤٩ رجلاً من جهينة يقال له الحاجب ومعه خمسة آلاف دينار لعمل صفايح الذهب والفضة في داخل الكعبة وفي أركانها » .

قال[3] : ومن حلاّها الملك المظفر صاحب اليمن وحلية لبابها قد تقدم ، وحلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن ، وأُخْبِرْتُ عمّن رأى اسم الملك المجاهد مكتوب بقلم غليظ في أعلى الحايط الذي فوق باب الكعبة من داخلها» . انتهى .

هذا ما وقفت عليه من خبر تحلية باطن الكعبة المشرفة ، ولم يوجد شيء مما تقدم من ذلك الحلي في العصر الحاضر ، والظاهر أن كلّ ذلك أُزيل وذهب في العمارة الأخيرة التي وقعت في سنة ١٠٤٠ ، وأبدل ذلك الحلي الذهبي بالثوب الحرير الأحمر الذي هو ساتر داخل الكعبة بدل تلك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة التي تقدم ذكرها .

[٢٠٨] / تحلية الحجر الأسود :

قد تقدم في تاريخ الحجر الأسود ما وقع عليه من الحوادث ، وقد ذكرنا شيئاً عن الفضة التي وُضعت عليه إجمالاً ، وكان أول من طوقه بالفضة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، ثم تكرر ذلك عند إصلاحه ، وسنذكر الآن تتميم تحليته إلى العصر الحاضر .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٥ .

(٢) في الأصل « مصر » خطأ - فالجواد وزير صاحب الموصل كما أثبتناه .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٥ .

قال في «تحصيل المرام» [1] : « ثم في سنة ١٢٦٨ بعث السلطان عبدالمجيد خان طوقاً من ذهب صحبة الشريف عبدالمطلب في ذي القعدة ، وذلك الطوق يقدر بألف دينار ، ثم رُكّب بعد أن أزيلت الفضة ، ومكتوبٌ فوقه :

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

وفي سنة ١٢٨٠ تكسّر بعض الذهب من الطوق ، ولم يُعْلَم مَنْ أخذه ، ثم حُشِيَ مكانه لكٌّ أسود » . اهـ .

ونقل الشيخ عبداللّه غازي عن الشيخ الحضراوي من كتابه «نزهة الفكر» [2] أنه قال : « أرسل السلطان عبد المجيد خان طوقاً من ذهب خالص للحجر الأسود، وزنه نحو عشر أقات ذهب، وكان طوقها قبله من الفضة، ولم يُعلم أن الحجر الأسود قد طُوّق بالذهب غير هذه المرة ، فوضع هذا الطوق محلّ الأول، وكان في غاية الإتقان من التنقيش، ومكتوب حوله آية الكرسي، وبعض آيات قرآنية ، وأخرج الأول أي الفضة وأرسل / به إلى الآستانة ، [٢٠٩]
وأصل ذهب هذا الطوق من كنز وُجِدَ بمكة في شعب أجياد » . اهـ .

وجاء في «تحصيل المرام» [3] : « أنه في سنة ١٢٨١ ، أرسل السلطان عبدالعزيز خان طوقاً من فضة وكان وصوله مكة في ١٤ رمضان ، وابتدؤوا في قلع الطوق الأول الذي أرسله السلطان عبدالمجيد ، وابتدؤوا تركيب الذي أرسله السلطان عبد العزيز يوم ١٥ من رمضان في السنة المذكورة وأمير مكة حينئذ الشريف عبداللّه بن محمد بن عون ، وشيخ الحرم الحاج وجيهي باشا» .

(١) الصباغ - تحصيل المرام ورقة ٥١ .

(٢) الحضراوي : محمد سعيد بن أحمد بن محمد الحضراوي ، مؤرخ كوالده أحمد ، ولد ونشأ وتوفي بمكة سنة ١٣٢٦هـ قبل أبيه له تاريخ مكة ، وتاريخ جدة ، وتاريخ الطائف ، وغيرها . الزركلي-الأعلام ج ٦ ص ١٤٢ .

(٣) الصباغ - تحصيل المرام ورقة ٥١ .

وجاء في «إعلام الأنام بتاريخ بيت اللّه الحرام»[1] : « أنه حصل إصلاح في الحجر الأسود في زمن السلطان عبدالحميد خان ابن السلطان عبدالمجيد خان .

وفي عام ١٣٣١ غيرت الفضة المحلّى بها الحجر الأسود، وذلك في زمن السلطان محمد رشاد خان بن السلطان عبدالمجيد خان[2] . وهذه الحلية هي التي عليه إلى العصر الحاضر » .

هذا ما وقفت عليه من أمر تحلية الحجر الأسود .

هدايا الكعبة وما علِّق بداخلها :

روى الفاسي في «شفاء الغرام»[3] عن المسعودي[4] أنه قال «في مروج الذهب» في أخبار الفرس : « وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان وجواهر ، وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب
[٢١٠] وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً[5] ، فدفن في زمزم ، وقد ذهب قوم / من مصنفي الكتب في التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها ، ويحتمل أن يكون لغيرها ، واللّه أعلم » . انتهى .

قال الفاسي[6] : « ويقال إن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي[7] أول

(١) محمد صالح العبدري الحجبي ت سنة ١٣٣٥هـ - إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام - تحقيق إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ - مطبوعات نادي مكة الثقافي - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ص ١٨٩ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٨٩ .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٦ .

(٤) المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ١٤٦ .

(٥) في الأصل « كثير » .

(٦) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٦ .

(٧) كلاب بن مرة بن كعب ، جدّ جاهلي من سلسلة النسب النبوي الشريف . تفرع نسله من ابنيه قصي وزهرة . الزركلي - الأعلام ج ٦ ص ٢٣٠ .

مَنْ جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة، ذخيرة للكعبة . ذكر ذلك صاحب المورد العذب » . اهـ .

وروى الأزرقي[١] عن صفية بنت شيبة : « أن امرأة من بني سليم قالت لعثمان بن طلحة : لمَ دعاك النبي ﷺ بعد خروجه من البيت ؟ قال : قال لي : « إنّي رأيتُ قرني الكَبش في البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما[٢] ؛ فإنه لا ينبغي أن يكون شيء يُشغل مصلياً » قال عثمان : وهو الكبش الذي فدى به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام » .

وروى[٣] عن عمرو[٤] بن قيس أنه كان يقول : «كانا قرنا الكبش في الكعبة، فلما هدمها ابن الزبير وكشفها وجدوهما في جدار الكعبة مطليين بمشق ، قال : فتناولهما فلما مسهما همدا في الأيدي » .

وروى الأزرقي[٥] من طريق الواقدي عن أشياخه قال : « لما فتح عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- مدائن كسرى كان مما بعث به إليه هلالان، فبعث بهما فعلَّقهما في الكعبة ، وبعث عبدالملك بن مروان بالشمستين وقدحين من قوارير وضرب على الأسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها / [٢١١]
صفايح . وبعث الوليد بن عبدالملك[٦] بقدحين . وبعث الوليد بن يَزيد[٧] بالسرير الزينبي وبهلالين وكتب عليهما اسمه[٨] .

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .
(٢) أي تجعل عليها خماراً يسترها (من أصل الكتاب) .
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٤ .
(٤) في الأصل « عمر » . والصحيح « عمرو » كما في الأزرقي .
(٥) المصدر السابق ج ١ ص ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٦) الوليد بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي ٨٦ - ٩٦ هـ . القضاعي - تاريخ ص ٣٥٠ .
(٧) الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي سنة ١٢٥ هـ . القضاعي - تاريخ ص ٣٧٣ .
(٨) الخبر عند ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ١٩٤ . وأضاف : « وأمر بتعليقها في الكعبة » .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أمر عبدالله الخليفة الوليد بن يزيد أمير المؤمنين في سنة إحدى ومائة [(١)] .

وبعث أبو العباس السفاح[(٢)] -أول الخلفاء العباسيين- بالصحفة الخضراء . وبعث أبو جعفر -المنصور- بالقارورة الفرعونية . كل هذا معلق في البيت ، وكان هارون الرشيد قد وضع في الكعبة قصبتين علقهما مع المعاليق في سنة ١٨٦ وفيهما بيعة محمد وعبدالله ابنيه وما عقد لهما وما أخذ لهما وما أخذ عليهما من العهود . وبعث المأمون بالياقوتة التي تعلق في كل سنة في وجه الكعبة في الموسم بسلسلة من ذهب . وبعث أمير المؤمنين جعفر المتوكل بشمسة عملها من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد بسلسلة من ذهب تعلق في وجه الكعبة في كل موسم » .

ثم قال الأزرقي[(٣)] : « حدثني سعيد بن يحيى البلخي قال : أسلم ملك من ملوك التبت[(٤)] ، وكان له صنم من ذهب يعبده في صورة إنسان ، وكان على رأس الصنم تاج من الذهب مكلّل بخرز الجوهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد ، وكان على سرير مربع مرتفع من الأرض على قوائم ، والسرير من فضة ، وكان على السرير فرشة الديباج ، وعلى أطراف الفرش أزرار / من [٢١٢]
ذهب وفضة مرخاة ، والأزرار على قدر الكرين في وجه السرير ، فلما أسلم ذلك الملك أهدى السرير والصنم إلى الكعبة ، فبعث به إلى أمير المؤمنين

(١) الوليد بن يزيد ولي الخلافة سنة ١٢٥هـ لا سنة ١٠١هـ ، أما الخليفة الذي وليَ الخلافة في سنة ١٠١هـ فهو يزيد بن الوليد .

(٢) أبو العباس السفاح / عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب اول خلفاء بني العباس (١٣٢-١٣٦هـ) . القضاعي - تاريخ ص ٣٩١ .

(٣) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) التُبَت - هضبة مرتفعة بين الهند والصين ، ضمتها الصين إلى دولتها الشيوعية . انظر عنها - ياقوت - معجم البلدان ج ٢ ص ١٠ - ١١ .

عبداللّه المأمون هدية للكعبة ، والمأمون يومئذ بِمَرْو[1] من خراسان ، فبعث به المأمون إلى الحسن بن سهل[2] بواسط[3] ، وأمره أن يبعث به إلى الكعبة ، فبعث به مع نصير بن إبراهيم الأعجمي - رجل من أهل بلخ[4] من القواد - فقدم به مكة في سنة ٢٠١ ، وحج بالناس تلك السنة إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى ، فلما صدر الناس من منى نصب نصير بن إبراهيم السرير وما عليه من الفرشة والصنم في وسط رحبة عمر بن الخطاب بين الصفا والمروة ، فمكث ثلاثة أيام منصوباً، ومعهم لوح من فضة مكتوب فيه :

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

(هذا سرير فلان بن فلان ملك التبت ، أسلم وبعث بهذا السرير هدية إلى الكعبة فاحمدوا اللّه الذي هداه للإسلام)، وكان يقف على السرير محمد بن سعيد ابن أخت نصير الأعجمي ، فيقرؤه على الناس بكرة وعشية ، ويحمد اللّه الذي هدى ملك التبت إلى الإسلام ، ثم دفعه إلى الحجبة -آل الشيبي- وأشهد عليهم بقبضه، فجعلوه في خزانة الكعبة في دار شيبة بن عثمان ، حتى استخلف حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان[5] يزيد بن محمد بن حنظلة[6] على مكة وخرج إلى اليمن، فخالفه إبراهيم بن موسى / بن جعفر بن محمد [٢١٣]

---

(١) مرو - أشهر مدن خراسان . انظر : المصدر السابق ج ٥ ص ص ١١١ - ١١٣ .

(٢) الحسن بن سهل وزير المأمون الخليفة العباسي ، بعد وفاة أخيه ذي الرئاستين الفضل بن سهل سنة ٢٠٢ هـ . القضاعي - تاريخ ص ٤٣٥ .

(٣) واسط : من أشهر مدن العراق مصرها الحجاج بن يوسف الثقفي . انظر ياقوت - معجم البلدان ج ٥ ص ص ٣٤٧ - ٣٥٣ .

(٤) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . المصدر السابق ج ١ ص ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٥) حمدون بن عيسى بن ماهان من ولاة مكة زمن المأمون . سافر إلى اليمن وأقام يزيد بن محمد بن حنظلة نائباً عنه سنة ٢٠٢ هـ ، علي بن عبدالقادر الطبري - الأرج المسكي ص ٣٣٦ .

(٦) يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي - قتله إبراهيم بن موسى الحسني سنة ٢٠٢ هـ بمكة . ابن فهد عزالدين - غاية المرام ج ١ ص ٤٠١ .

العلوي[١] إلى مكة مقبلاً من اليمن ، فسمع به يزيد بن محمد ، فخندق على مكة وسكَّها بالبنيان من أنقابها ، وأرسل إلى الحجبة فأخذ السرير وما عليه منهم فاستعان به على حربه ، وقال : أمير المؤمنين يخلفه لها ، وضربه دنانير ودراهم وذلك في سنة ٢٠٢ ، وبقي التاج واللوح في الكعبة إلى اليوم » . انتهى . (يعني في عصر الأزرقي) .

قال الفاسي[٢] : « ومما أهدي للكعبة من هذا القبيل ، ولم يذكره الأزرقي قفل فيه ألف دينار ، أهداه إليها المعتصم العباسي ، ذكر ذلك الفاكهي[٣] وذلك في سنة ٢١٩ ، وعلى مكة يومئذ صالح بن العباس . ومما أهدي لها طوق من ذهب مكلل بالزمرد وبالماس ، وياقوتة خضراء وزنها أربعة وعشرون مثقالاً ، فدفعها إلى الحجبة ، فكتبوا في أمرها إلى أمير المؤمنين المعتمد على الله . وأخذوا الدرة فأخرجوها ، وجعلوها في سلسلة من ذهب ، وجعلوها في وسط الطوق مقابلة الياقوت والزمرد ، فجاء الكتاب من أمير المؤمنين بتعليقها ، فعُلِّقت مع معاليق الكعبة في سنة ٢٥٩ . ومما علق في الكعبة قصبة من فضة ، فيها كتاب فيه بيعة جعفر بن المعتمد ، وبيعة أبي أحمد الموفق » . انتهى كلام الفاكهي مما نقله عنه الفاسي .

قال الفاسي[٤] : « ومما أهدي لها قناديل بعث بها المطيع العباسي كلها فضة ، خلا قنديلاً منها ذهباً زنته ستمائة مثقال ، وذلك سنة ٣٥٩ ، ومن ذلك

---

(١) إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، تغلب على مكة سنة ٢٠٢ هـ ، وسمّي بالجزار لكثرة من قتل باليمن . ابن الأثير - الكامل في التاريخ ص ٣٣١ ، ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج١ ص ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٧ .

(٣) الفاكهي - أخبار مكة ج ٢ ص ٧٦ .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٧ .

قناديل ومحاريب أهداها إلى الكعبة[1] صاحب عُمان ، على ما ذكره أبو عبيدالله البكري[2] في كتابه / «المسالك والممالك» وذلك بعد سنة ٤٢٠ . [٢١٤]
وكانت المحاريب مبنية زنة المحراب أزيد من قنطار ، وقناديل في نهاية الإحكام، وسُمِّرت المحاريب في الكعبة مما يلي بابها » .

وقال الفاسي[3] : « ومن ذلك قناديل ذهب وفضة، أهداها للكعبة الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن في سنة ٦٣٢ . ومن ذلك قفل ومفاتيح، أهداه إليها الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر ، وركب عليها القفل المذكور . ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش[4] ، كل حلقة زنتها ألف مثقال، وفي كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات، وبينهما ست قطع بلخش فاخر ، بعث بذلك الوزير علي شاه وزير السلطان أبي سعيد بن خدابنده ملك التتر على يد الحاجي مولاواح في سنة ٧١٨، ولما أراد تعليق ذلك بباب الكعبة منعه منه أمير الركب المصري في هذه السنة ، وقال : هذا لا يمكن إلا بإذن السلطان - يعني صاحب مصر إذ ذاك وهو الناصر محمد بن قلاوون - ، فقال الحاجي مولاواح : إن الوزير علي شاه كان قد نذر إن ظفر بخواجه رشيد الدولة وقتله أن يعلق على باب الكعبة معلقتين . فقيل إنه أذن له في تعليقهما زمناً قليلاً ثم رُفعتا، وأخذهما إذ ذاك رميثة بن أبي نمي من آل قتادة. ومن ذلك ما أخبرني به بعض فقهاء مكة، أربعة قناديل كبار، كل قنديل منها على ما ذكر في مقدار الدورق المكي ، اثنان منها ذهب واثنان فضة ،

(١) في الأصل « الكبعة » .
(٢) أبو عبيدالله البكري - أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن أبي مصعب البكري الأندلسي ت سنة ٤٨٧هـ. المسالك والممالك .
(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٨ .
(٤) البلخش نوع من الخرز .

[٢١٥] والمُهدي لذلك هو السلطان شيخ أويس صاحب / بغداد[١] وذلك في أثناء سنة ٧٧٠، وعُلِّق ذلك في الكعبة زمناً قليلاً ثم أزيل، وأخذه أمير مكة عجلان ابن رميثة »[٢].

قال الفاسي[٣] : « وأهدي بعد ذلك للكعبة قناديل كثيرة، والذي في الكعبة الآن من المعاليق ستة عشر قنديلاً منها ثلاثة فضة، وواحد ذهب، وواحد بلُّور، واثنان نحاس، والباقي زجاج حلبي وهي تسعة، وليس في الكعبة الآن شيء من المعاليق التي ذكرها الأزرقي، ولا مما لم يذكره مما ذكرناه سوى الستة عشر قنديلاً، وليس فيها شيء من حلق الذهب والفضة التي كانت في أساطينها وجدرانها بسبب توالي الأيدي عليه من الولاة وغيرهم، على ما ذكر الأزرقي في تاريخه[٤] ووقع ذلك بعده أيضاً، فمن ذلك ما وقع لأبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي[٥] حين خرج عن طاعة الحاكم بأمر الله ودعى لنفسه بالإمامة وتلقَّب بالراشد؛ لأنه أخذ من حليتها وضربها دنانير ودراهم، وهي التي تسمى الفتحية، وأخذ بعد ذلك المحاريب التي أهداها للكعبة صاحب عُمان ».

هذا ما ذكره الفاسي، وقد ذكر ابن فهد القرشي[٦] في «إتحاف الورى» في حوادث سنة ٢٠٠ قال : « وفيها في يوم السبت أول يوم المحرم، بعدما تفرق الناس من مكة، جلس الحسين بن الحسن الأفطس خلف المقام على نمرقة

---

(١) في الأصل « بنداد ».

(٢) عجلان بن رميثة بن أبي نمي، عز الدين أمير مكة. انظر : ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج ٢ ص ص ١٣٧ - ١٦٨.

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٨ - ١١٩.

(٤) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٤٧.

(٥) أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد الحسني - أمير مكة. انظر : ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج١ ص ص ٤٨٣ - ٤٩٤.

(٦) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

مثنية، وأمر بالكعبة فجردت من الثياب وكانت قد كثرت الكسوة على الكعبة، فجردها حتى بقيت حجارة مجردة ثم كساها[1] كسوتين / أنفذهما أبو [٢١٦] السرايا[2] من الكوفة من قز رقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء مكتوب عليهما:

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

(وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطّيّبين الأخيار، أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية آل محمد ﷺ بعمل هذه الكسوة لبيت اللّه الحرام، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليطهر من كسوتهم، وكتب في سنة تسع وتسعين ومائة ١٩٩)، وأخذ ما في خزانة الكعبة، وكان مالاً عظيماً وانتقله إليه وقال: ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعاً لا ينتفع به؟! نحن أحق به نستعين به. فقسمه مع كسوتها على أصحابه ».

وذكر في[3] حوادث سنة ٢٥١ : « أن إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم الحسني[4] أخذ ما في الكعبة من الذهب، وما في خزانتها من الذهب والفضة والطيب وكسوة، وذلك عقب فتنة عظيمة وقعت في مكة ».

(١) في الأصل « كسها ». والإثبات من المصدر السابق ج ص ٢٦٤.

(٢) أبو السرايا: هو السري بن منصور الشيباني، كان عماد حركة ابن طباطبا سنة ١٩٩ هـ زمن المأمون. وقتل سنة ٢٠٠ هـ.
انظر عن حركته بالتفصيل - ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٧٣ - ١٧٨.
وعن الكسوة التي انفذها - المصدر السابق ج ٥ ص ١٧٧.

(٣) أي ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٢٩.

(٤) إسماعيل بن يونس بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن الحسني - الذي استولى على مكة سنة ٢٥٢ هـ أو ٢٥١ هـ بعد أن هرب عاملها جعفر بن الفضل بن عيسى. وعاث فساداً في مكة والمدينة وجدة.
انظر: الطبري - تاريخ ج ١١ ص ١٣٦، المسعودي - مروج الذهب ج ٤ ص١٧٦، ابن فهد - عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ص ٤٣٤ - ٤٣٦.

وقال ابن فهد[1] في حوادث سنة ٤٦٢ : « قطع أمير مكة أبو هاشم محمد ابن جعفر المعروف بابن أبي هاشم الحسن خطبة المستنصر العبيدي صاحب مصر ، وأخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لمّا لَمْ يصلْه شيء من جهة المستنصر العبيدي ، وأعاد الخطبة لبني العباس بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة ، وخطب للخليفة القائم بأمر اللّه ، ثم للسلطان عضد الدولة » . انتهى .

قال التقي الفاسي[2] تعليقاً على أخذ مال الكعبة : « إنه لا يجوز أخذ [٢١٧] شيء / من حلية الكعبة لا للحاجة ، ولا للتبرك ، لأنّ ما جعل للكعبة وسبّل لها مجرى الأوقاف ، ولا يجوز تغييرها من وجوهها . أشار إلى ذلك المحب الطبري في القرى »[3] . انتهى .

وقال ابن فهد[4] في حوادث سنة ٥٨٦ : « وفيها أخذ أمير مكة داود ابن عيسى بن فليتة ما في الكعبة من أموال وطوقاً كان يمسك الحجر الأسود » . اهـ .

وقال قطب الدين[5] في «الإعلام» : « أرسل السلطان مراد سنة ٩٨٤ ثلاثة قناديل من ذهب مرصعة بالجواهر ، لتعلق اثنان منها في سقف بيت اللّه تعالى ، والثالث في الحجرة الشريفة النبوية ، فعلقا في الكعبة المشرفة ، وهو أول من علق قناديل الذهب في الحرمين الشريفين من آل عثمان » . اهـ .

---

(١) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٤٧٢ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٩ .

(٣) المحب الطبري - بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي ت سنة ٦٩٤ هـ - وكتابه القرى لقاصد أم القرى طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق مصطفى السقا بمصر سنة ١٣٩٠ هـ وسنة ١٤٠٣هـ .

(٤) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٥٥٩ .

(٥) قطب الدين محمد بن أحمد - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ص ٩٩ ، ١٠١ .

وقال الطبري المكي في «الإتحاف»(١) : « إن ملكة بندر آشي(٢) أرسلت خمسة قناديل ذهب للكعبة في أمارة الشريف سعيد بن بركات سنة ١٠٩٤ فَعُلِّقت بها » . اهـ .

هذا حاصل ما وقفتُ عليه من هدايا الكعبة المشرفة وما جرى على تلك الهدايا من سلب ونهب وغير ذلك ، ويوجد الآن معاليق كثيرة في سقف الكعبة ، غير أني لا أعلم عن حقيقتها هل هي معمولة من ذهب أو فضة أو نحاس ، كما أن آل الشيبي سدنة الكعبة المعظمة لا يعلمون بالضبط عن حقيقتها ؛ لقدم عهد تعليقها ، ولعدم تعهدهم لها بالتمسيح والتنظيف أجيالاً ، وربما أنها من عهد بناء الكعبة الأخير إلى الآن لم تنقل من موضعها ، ولذلك تعذر عليّ أنْ أصفها وصفاً صحيحاً ، والله أعلم بحقيقتها .

---

(١) الطبري المكي محمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن أبي الكرم - إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ج ٢ ص ٦٥ .

(٢) بندر آشي : ميناء دولة آتشيه في جزيرة سومطرة من جزر الهند الشرقية . انظر : جميل المصري - حاضر العالم الإسلامي ج ٢ ص ٤٦٢ .

[٢١٨] / **رخام الكعبة من داخلها :**

قال الأزرقي في تاريخه[١] : « إن الوليد بن عبد الملك أول مَنْ فرش الكعبة بالرخام وأزّر به جدرانها ، ونقل عن ابن جريج أنه قال : وعمل الوليد بن عبدالملك الرخام الأحمر والأخضر والأبيض الذي في بطنها ، مؤزر به أيضاً جدرانها ، وفرشها بالرخام وأرسل به من الشام » .

ثم قال الأزرقي [٢] : « فجميع ما في الكعبة من الرخام فهو من عمل الوليد ابن عبد الملك » .

وقد وصف الأزرقي[٣] ما عمل الوليد من الرخام بداخل الكعبة فقال : «وبطن الكعبة مؤزرة مدارة من داخلها برخام أبيض ، وأحمر ، وأخضر ، وألواح ملبسة ذهباً وفضة ، وهما إزاران ، إزار أسفل فيه ثمانية وثلاثون لوحاً طول كل لوح ذراعان وثمانية أصابع ، من ذلك الألواح البيض أحد وعشرون لوحاً ، منها في الجدر الذي بين الركن الغربي والركن اليماني سبعة ألواح ، ومنها في الجدر الذي بين الركن اليماني والركن الأسود ستة ألواح ، ومنها في الملتزم أربعة ألواح ، وعدد الألواح الخضر تسعة عشر لوحاً ، منها في الجدر الذي بين الركن الغربي والركن اليماني أربعة ، ومنها في الجدر الذي بين الركن اليماني والحجر الأسود أربعة ، ومنها في الجدر الذي فيه الباب خمسة ، ومنها في الملتزم لوحان ، ومنها في الجدر الذي يلي الحِجْر أربعة » .

[٢١٩] وقال الأزرقي[٤]: «وفي الإزار الأعلى الثاني ٤٢ لوحاً كل لوح أربعة / أذرع وأربعة أصابع ، الألواح البيض من ذلك ٢٠ لوحاً ، منها في الجدر الذي

(١) الأزرقي – أخبار مكة ج ١ ص ص ٢١٢ – ٢١٣ .
(٢) نفسه ج ١ ص ٢١٣ .
(٣) نفسه ج ١ ص ٢٩٥ .
(٤) نفسه ج ١ ص ص ٢٩٥ – ٢٩٦ .

بين الركن اليماني والركن الأسود خمسة ، ومنها لوح في الملتزم ، ومنها في الجدر الذي فيه الباب خمسة . ومنها في الجدر الذي يلي الحجْر تسعة . ومن الألواح الحمر تسعة ، منها في الجدر الذي بين الركن الغربي والركن اليماني ثلاثة ، ومنها في الجدر الذي بين الركن اليماني والركن الأسود لوحان ، ومنها في الجدر الذي فيه الباب لوحان ، ومنها في الجدر الذي يلي الحجْر لوحان ، ومن الألواح الخضر ستة ، منها في الجدر الذي بين الركن الغَربي والركن اليماني لوحان ، ومنها في الجدر الذي بين الركن اليماني والركن الأسود لوحان ، ومنها في الجدر الذي يلي الحجْر لوحان . ومن الألواح الملبسة بالذهب والفضة التي في الأركان ستة ألَواح ، طول كل لوح منها أربعة أذرع وأربعة أصابع ، وعرض كل لوح منها ذراع وأربعة أصابع ، منها لوح في طرف زاوية الجدر الذي يلي الدرجة وهو الشامي ، ولوح في زاوية[1] الركن الغربي وهو مما يلي الحجْر ، وفي طرف الجدر الذي بين الركن الغربي والركن اليماني لوحان ، وفي طرف الجدر الذي بين الركن اليماني والركن الأسود لوح ، وهو مما يلي الركن اليماني . وفي الملتزم لوح ، وفي الجدر الذي على يمينك إذا دخلت الكعبة لوح » .

هذا ما كان من الإزار الأسفل والأعلى ، فقد وصفهما وصفاً مفنداً واضحاً .

وقال الأزرقي [2] : « وفي الألواح من المسامير ١٦ مسماراً ، منها في الألواح / التي تلي الملتزم ثلاثة ، وفي الألواح التي بين الركن اليماني والركن الأسود وهي التي تلي الركن اليماني ثلاثة ، ومنها مسمار في بطن الكعبة على ثلاثة أذرع ونصف ، وفي بقية الألواح مسمار أو مسماران ، والمسامير مفضضة مقبوة منقوشة ، تدوير كل مسمار سبع أصابع ، والمسامير من بطن [٢٢٠]

---

(١) في الأصل « زواية » .

(٢) الأزرقي – أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .

الكعبة على أربعة أذرع ونصف ، وفوق الإزار إزار من رخام منقوش مدار في جوانب البيت كله ، وفي نقشه حبل غير منقوش بذهب ، وبين هذا الإزار الذي فيه الحبل إزار صغير كما يدور البيت ، منقوش عليه بماء الذهب من تحت الإفريز الذي تحت السقف ، والإفريز من فسيفساء منقوش واصل بالسقف».

قال الأزرقي[1] : « وأرض الكعبة مفرشة برخام أبيض وأحمر وأخضر ، عدد الرخام ستة وثلاثون رخامة ، منها أربع خضر بين الأساطين ، وبين جدري الكعبة ، عرض كل رخامة ذراع وأربع أصابع ، وعرضهن من عرض كراسي الأساطين ، ومن الجدر الذي فيه الباب (باب الكعبة) إلى الرّخام الأخضر الذي بين الأساطين ١٦ رخامة ، منها ست بيض وسبع حمر[2] طولهن سبعة أذرع وخمسة عشر أصبعاً ، وبين جدار الدرجة وبين الرخام الأخضر ثلاث رخامات ، منها اثنتان بيضاوان وواحدة حمراء طول كل رخامة منها أربعة أذرع ونصف ، وست عشرة رخامة ثمان بيض وثمان حمر ، طول كل رخامة سبعة أذرع وتسع أصابع ، وأطرافهن / في حد الرخام [٢٢١]
الأخضر الذي بين الأساطين والجدرين وأطرافهن في الجدر الذي يستقبل باب الكعبة ، منها رخامة بيضاء عرضها ذراعان وأصبعان ، ذكر أن النبي ﷺ صلّى في موضعها ، وهي الثالثة من الرخام الأبيض من حدّ الركن اليماني وطرفها في الأسطوانة الأولى من حيال باب الكعبة ، وعند عتبة باب الكعبة رخامتان خضراء وحمراء مفروشتان » . انتهى .

هذا ما وصف به الأزرقي الرخام الذي عمله الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي في داخل الكعبة ، ومنه يعلم قدر العناية التي صُرفت في ذلك ، وكل ذلك قد تغير وأبدل خلافه في عصر الأزرقي وبعده .

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .
(٢) في الأصل غير مقروءة .

قال الأزرقي[١] : « كان محمد المنتصر بالله[٢] ولي عهد المسلمين يلي أمر مكة والحجاز وغيرهما ، فكتب في آخر شهور سنة ٢٤٠ والي مكة إليه : إني دخلت الكعبة ، فرأيت الرخام المفروش به أرضها قد تكسر ، وصار قطعاً صغاراً، ورأيت ما على جدرانها من الرخام قد تزايل ووهى[٣] عن مواضعه، وأحضرتُ من فقهاء أهل مكة وصلحائهم جماعة ، وشاورتهم في ذلك ، فأجمع ظنهم بأنّ ما على ظهر الكعبة من الكسوة قد أثقلها ووهنها ، ولم يأمنوا أن يكون ذلك قد أضرّ بجدرانها ، وأنها لو جُرّدت أو خُفّف عنها بعض ما عليها من الكسوة كان أصلح وأوثق لها ، فأنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى رأيه الميمون فيه » .

[٢٢٢] ثم ذكر في كتابه[٤] كلّ ما يلزم لعمارة المساجد / وغيرها - « فعمد أمير المؤمنين إلى توجيه إسحاق بن سلمة الصايغ للقيام بعموم ما كتب به إليه أمير مكة وصاحب البريد ، وكان ذلك في رجب سنة ٢٤١ ، وعمل إسحاق الذهب على زاويتي الكعبة من داخلها مكان ما كان هنالك من الفضة ملبساً ، وكسر الذهب الذي كان على الزاويتين الباقيتين ، وعمل منطقة من فضة وركّبها فوق إزار الكعبة في تربيعها ، وعمل طوقاً من ذهب منقوش متصلاً بهذه المنطقة فركّبه حول الجزعة التي تقابل مَنْ دخل من باب الكعبة، فوق الطوق الذهب القديم الذي كان مركباً حولها من عمل الوليد ، وقلع الرخام المتزايل من جدرات الكعبة ، وكان يسيراً رخامتين أو ثلاثاً ، وألبس عمدها الحديد المعترضة بين الأساطين ذهباً ، وأعاد تعليقها في مواضعها . وفرغ من

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) محمد المنتصر بالله ابن الخليفة المتوكل . ولي الخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٢٤٧ هـ . وتوفي بعد ستة شهور فقط من خلافته سنة ٢٤٨ هـ . انظر : ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣١٠ .

(٣) في الأصل « ووها » .

(٤) انظره كاملاً : الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٩٩ - ٣٠٧ .

عموم الأعمال التي أجراها في الكعبة والمسجد الحرام ومكة والمشاعر العظام يوم النصف من شعبان سنة ٢٤٢ » .

هذا حاصل ما ذكره الأزرقي[١] من عمل رخام الكعبة إجمالاً في زمن المتوكل[٢] العباسي ، حيث إنه عمل بواسطة إسحاق بن سلمة الصايغ عماير عمومية عظيمة ذكرها الأزرقي مفصلة، فأخذتُ منها ما يختص برخام الكعبة .

وروى الفاسي في «شفاء الغرام»[٣]: «أنه عمر رخام الكعبة سنة ٥٥٠ وهذه العمارة من جهة الوزير جمال الدين الأصبهاني المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل . ومن ذلك أنه جدد رخام الكعبة بأمر الملك المظفر صاحب اليمن، واسمه مكتوب على رخامة في وسط الجدار الغربي من / الكعبة وذلك في [٢٢٣]
شوال سنة ٦٨٠ » . قال ابن فهد[٤] : « وهو أول ملك كتب اسمه في الكعبة » .

وفي سنة ٨٢٦[٥] في صفر : « قلع الرخام الذي بأرض الكعبة بين جدرها الغربي والأساطين التي فيها المتخرب ، وأُعيد محكماً كما كان بالجص ، وأصلح رخام آخر في بعض جدارات الكعبة لتخرّبه » . وذلك ضمن عمارة واسعة وقعت في الكعبة والمسجد الحرام وغيرهما من قبل الملك الأشرف برسباي[٦] كما يأتي تفصيلها في مواضعها .

وفي شهر رجب سنة ٨٨٤ أمر السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٩٨ - ٣٠٧ .
(٢) في الأصل « المستنصر » وهو خطأ؛ لأن ذلك كان في عهد المتوكل العباسي ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ .
(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠١ .
(٤) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٢٢٣ .
(٥) نفسه ج ٣ ص ٥٢٧ .
(٦) نفسه ج ٣ ص ٥٩٦ .

بتجديد رخام الكعبة المشرفة ، وكتب ذلك على رخامة وُضعت في الجانب الشرقي بداخل الكعبة . وقد تقدم نص ما كتب عليها فيما تقدم ضمن ما هو مكتوب في داخل الكعبة المشرفة .

وذكر السيد أحمد الدحلان[١] في «الفتوحات الإسلامية» أنه في سنة ١٢٩٩ عمر السلطان عبدالحميد خان الثاني العثماني ابن السلطان عبدالمجيد خان في الكعبة المعظمة وفرش باطنها بالرخام ، ولم يبين الخراب الذي عمره السلطان عبدالحميد في الكعبة مفصلاً ، بل ذكر ذلك على سبيل الإجمال ، وفرش السلطان عبدالحميد خان الثاني هو آخر ما فرش به باطن الكعبة المعظمة إلى العصر الحاضر .

هذا ما وقفت عليه من فرش باطن الكعبة المشرفة وجدارها الداخلي بالرخام الأبيض والملون إلى العصر الحاضر[٢] . والله أعلم .

---

(١) أحمد الدحلان : أحمد بن زيني دحلان ت سنة ١٣٠٤هـ - الفتوحات الاسلامية ج٢ ص ٥٣٥ .

(٢) وفي سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ظهرت نداوة حول الحجر الأسود ، كما ظهر منذ سنين تصدع في الرخام المفروش داخلها ، فأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- بتشكيل لجنة للنظر في الموضوع . فتشكلت لجنة من اثني عشر نفراً منهم فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل ، والأستاذ أحمد بدر شيخ الصاغة . فقاموا بالكشف عن موضع تسرب الماء . فتأكد لهم وجود رطوبة وندى حول الحجر الأسود بسبب تسرب ماء الغسيل داخل الكعبة من الأرضية الرخامية على موقع الحجر الأسود ، فتسبب في تآكل المسامير الممسكة للحجر الأسود ، وتفتت المادة المثبتة له . وتقرر تغيير رخام أرضية الكعبة ، مع مراعاة وضع المادة العازلة أثناء تركيبة الرخام الجديد ، وحساب نسبة الميل لانسياب المياه حسب الأصول الفنية . وتغيير الإطار الحديدي المحيط بالحجر الأسود والمثبت عليه الإطار الفضي الخاص بالحجر الأسود ، على أن يكون غير قابل للصدأ ، وإعادة تثبيت الإطار الفضي ، وعمل الإصلاحات والترميمات اللازمة .

ورفعت اللجنة تقريرها إلى سماحة الشيخ سليمان بن عبيد رئيس شؤون الحرمين الشريفين ، فرفعه إلى خادم الحرمين الشريفين يوم ٢٩/ ١/ ١٤٠٢ هـ . وأوضح : أن هذا التسرب للماء يُخشى أن يكون عاماً في جميع جهات الكعبة ، ويدل على ذلك تصدع الرخام . =

[٢٢٤] / ترميم وإصلاح الكعبة المعظمة :

ومما وقع من الترميمات والإصلاحات في عموم محتويات الكعبة المعظمة، من داخلها ، وخارجها ، وسقفها ، وجدارها ، ودرجها ، وعموم متعلقاتها ، منذ عمارة عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- إلى العصر الحاضر ، ما هو آت ، وإليك البيان :

قال التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[١] : « كان الخليفة سليمان بن عبدالملك ابن مروان يحب أن يردَّها (أي الكعبة) على ما بناها ابن الزبير حين أخبره بذلك خليفته الإمام العادل عمر بن عبدالعزيز بن مروان ، لما سأله عن ذلك ، ولم يمنع سليمان من ذلك إلاّ كون الحجاج صنع ذلك بأمر أبيه عبدالملك بن مروان، ذكر ذلك الأزرقي »[٢] .

وذكر الفاسي[٣] خبر أبي جعفر المنصور ، وابنه محمد المهدي ، أو حفيده هارون الرشيد ، لما أراد أن يغير ما صنعه الحجاج في الكعبة ، وأن يردها إلى ما صنعه ابن الزبير ، فناشده الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة ألا يفعل ، وقد

= فتقرر أن ينتهي العمل قبل حلول وقت غسيل الكعبة في النصف من شهر شعبان؛ لئلا يمتد الضرر إلى جدار الكعبة، وأن يكون العازل الذي يوضع تحت الرخام من الرصاص على جميع الأرضية داخل الكعبة، وتملأ فواصل الرخام بالرصاص المذاب .

. وبدأت مؤسسة ابن لادن بالعمل يوم ١٤/ ٧/ ١٤٠٣هـ ، بإشراف رئيس شؤون الحرمين ، وبعمل مجموعة من المهندسين ، فأزيلت البلاطات القديمة كلها ، وتم تركيب ٧٦ متراً من الرخام داخل الكعبة. وكذلك ٤٦ م طولياً من الحجر الرخامي البني الشكل وتم العمل يوم ١٥ شعبان سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

تقرير وزارة الداخلية

وصي الله بن محمد عياش - المسجد الحرام ص ص ٢٢٨ - ٢٢٩ عن تقرير وزارة المالية ج ٢ ص٧٨ .

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٩ .

(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٢١ .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ٩٨ .

تقدم شيء عن ذلك في عمارة الحجاج . وهذا الأمر معلوم عند أكثر أهل العلم ، حتى إن الإمام الشافعي -رضي اللّه عنه- ذكر في كتاب (الأم)[1] هذه القصة فقال : « وهمّ بعض الولاة في إعادته - يعني البيت المعظم - على القواعد فكره ذلك بعض مَنْ أشار عليه ، وقال : أخاف ألا يأتي وال إلا أحبّ أن يرى له في البيت أثر ينسب إليه ، والبيت أجلّ من أن يطمع فيه ، وقد أقره رسول اللّه ﷺ ثم الخلفاء / بعده ، والمسجد كله موضع للطواف » . [٢٢٥]
انتهى .

وقول الشافعي صريح في عدم الموافقة على هدم البيت وعمارته بغير أن يكون وقوع الهدم بقضاء وقدر ، أو بعمل طاغ أو باغ كما وقع من الحصين بن نمير في عصر عبداللّه بن الزبير رضي اللّه عنهما .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[2] : « حكى ابن عبد البر وتبعه عياض[3] وغيره عن الرشيد ، أو المهدي ، أو المنصور ، أنه أراد أن يعيد الكعبة على ما فعله ابن الزبير فناشده مالك في ذلك ، فقال : أخشى أن يصير ملعبة للملوك ، فترك » .

قال الحافظ[4] : « وهذا بعينه خشية جدهم الأعلى عبداللّه بن عباس رضي اللّه عنهما ، فأشار على ابن الزبير لما أراد أن يهدم الكعبة ويجدد بناءها بأن يرمّ ما وهى منها ولا يتعرض لها بزيادة ولا نقص ، وقال له : لا آمن أن يجيء مَنْ

(١) الشافعي - الإمام محمد بن إدريس - الأم جـ٢ ص ٣١٥ .
(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري ج ٧ ص ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .
(٣) عياض : هو القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ت سنة ٥٤٤ هـ ، صاحب الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
(٤) أي ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٧ .

بعدك أمير فيغير الذي صنعت . أخرجه الفاكهي [١] من طريق عطاء عنه » .

ثم قال[٢] : « ولم أقف في شيء من التواريخ على أن أحداً من الخلفاء ولا مَنْ دونهم غيّر من الكعبة شيئاً[٤] مما صنعه الحجاج إلى الآن إلا في الميزاب والباب وعتبته ، وكذا وقع الترميم في جدارها غير مرة ، وفي سقفها ، وفي سلّم سطحها ، وجدد فيها الرخام » . انتهى .

أما قول الحافظ ابن حجر : إنه لم يقف على أن أحداً من الخلفاء غيّر من الكعبة شيئاً . . إلخ ، فهو صحيح ، حيث قد توفي قبل عمارة السلطان مراد خان التي وقعت سنة ١٠٤٠ بنحو مائتي عام ، فهو لم يدركها ، ولذلك نبهنا عليه .

[٢٢٦] / قال الفاسي[٣] : « ومن المرمات والتعميرات التي وقعت في الكعبة بعد ابن الزبير والحجاج ، فمن ذلك انفتاح الجدر الذي بناه الحجاج من وجه الكعبة ودبرها ، وترميم ذلك كما رواه ابن اسحاق عن أحمد الخزاعي - أحد من روى عن الأزرقي في تاريخه - ونصُّ كلامه[٤] : «وأنا رأيتها وقد عمر الجدر الذي بناه الحجاج مما يلي الحِجْر ، فانفتح من البناء الأول الذي بناه ابن الزبير مقدار نصف أصبع من وجهِها ودبرها ، وقد رُمَّ بالجص الأبيض » .

ومقصده بقوله : « من وجهها » أي الجهة الشرقية مما يلي حجر إسماعيل ، «ودبرها» أي الجهة الغربية مما يلي حجر إسماعيل أيضاً . ولم يذكر السنة التي وقع فيها ذلك ، ولا الخليفة الذي أمر بتلك المرمة .

---

(١) نفسه ج ٧ ص ٢٣٧ .

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ٢٣٧ .

(٣) في الأصل « شيأ » .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠١ .

(٥) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

قال الأزرقي[1] : « وفي شهور سنة ٢٤٠ ومحمد المستنصر بالله ولي عهد المسلمين يومئذ يلي أمر مكة والحجاز وغيرهما ، فكتب والي مكة إليه : إني دخلت الكعبة ، فرأيت الرخام المفروش به أرضها قد تكسر وصار قطعاً صغاراً، ورأيت ما على جدرانها من الرخام قد تزايل ووهى عن مواضعه ، وأحضرت من فقهاء أهل مكة وصلحائهم جماعة ، وشاورتهم في ذلك ، فأجمع ظنهم بأن ما على ظهر الكعبة من الكسوة قد أثقلها ووهنها ، ولم يأمنوا أن يكون ذلك قد أضرّ بجدرانها ، وأنها لو جرّدت أو خفف عنها بعض ما عليها من الكسوة كان أصلح وأوثق لها ، فأنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى رأيه الميمون فيه ويأمر في ذلك بما وفقه اللّه عز وجل ويسدده له . / وكتب [٢٢٧]
صاحب البريد إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على اللّه بمثل ما كتب به العامل بمكة من ذلك ، وتواترت كتبهما عليه ، وذكرا في بعض كتبهما ، أن أمطار الخريف قد كثرت وتواترت بمكة ومنى في هذا العام فهدمت منازل كثيرة .
ورفع جماعة من الحجبة - آل الشيبي - إلى أمير المؤمنين المتوكل على اللّه رقعة، ذكروا فيها : أن ما كتب به العامل بمكة من ذكر الرخام المتكسر في أرض الكعبة لم يزل على ما هو عليه ، وأن ذلك لكثرة وَطْء[2] مَنْ يدخل الكعبة من الحجاج والمعتمرين والمجاورين وأهل مكة ، وأنه لا يرزؤها ولا يضرها ، وأنه ليس في جدرانها من الرخام المتزايل ولا على ظهرها من الكسوة ما يخاف بسببه وَهن ولا غيره ، وأن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبس ذهباً وزاويتين فضة ، وأن ذلك لو كان ذهباً كله كان أحسن وأزين ، وأن قطعة فضة مركبة على بعض جدرات الكعبة شبه المنطقة فوق الإزار الثاني من الرخام تحت الإزار الأعلى من الرخام المنقوش المذهب في زيق في الوسط فيه الجزعة

---

(١) نفسه ج ١ ص ص ٢٩٨ - ٣٠٧ .

(٢) في الأصل « وطى » .

التي تستقبل مَنْ توخّى مصلى رسول اللّه ﷺ وتلك القطعة في الزيق مبتدأ منطقة كانت عملت في خلافة محمد بن الرشيد ، عملها سالم بن الجراح أيام عمل الذهب على باب الكعبة ، ثم جاء خلع محمد قبل أن يتم فوقف عن عملها ولو كان بدل تلك القطعة منطقة فضة مركبة في أعلى إزار الكعبة في تربيعها كان أبهى وأحسن ، وأن الكرسي المنصوب المقعد فيه مقام إبراهيم عليه
[٢٢٨] السلام / ملبس صفايح من رصاص ولو عمل مكان الرصاص فضة كان أشبه به وأحسن وأوثق له . فأمر أمير المؤمنين المتوكل على اللّه بعمل ذلك أجمع ، فوجه رجلاً من صنّاعه يقال له إسحاق بن سلمة الصايغ - شيخ له معرفة بالصناعات ورفق وتجارب - ووجّه معه من الصناع مَنْ تخيّرهم إسحاق بن سلمة من صناعات شتى ، من الصوغ والرخاميين وغيرهم من الصناع نيفاً وثلاثين رجلاً ، ومن الرخام الألواح الثخان ، ليشق كل لوح منها بمكة لوحين مائة لوح ، ووجه معه بذهب وفضة وآلات لشق الرخام ولعمل الذهب والفضة .

فأمر أمير المؤمنين بكتاب إلى العامل بمكة في جواب ما كان هو وصاحب البريد كتبا به[1] : إن أمير المؤمنين قد أمر بتوجيه إسحاق بن سلمة الصايغ للوقوف على تلك الأعمال ، ورد الأمر فيها إلى إسحاق ليعمل بما فيه الصلاح والإحكام إن شاء الله تعالى . فقدم إسحاق بن سلمة الصايغ بمن معه من الصناع والذهب والفضة والرخام والآلات مكة لليلة بقيت من رجب سنة ٢٤١ ، ومعه كتاب منشور مختوم في أسفله بخاتم أمير المؤمنين إلى العامل بمكة وغيره من العمال بمعاونة إسحاق بن سلمة ومكاتفته على ما يحتاج إليه من ترويج هذه الأعمال ، وألا تجعلوا على أنفسكم في مخالفة ما أمروا به من ذلك سبيلاً .

---

(١) في الأصل « كتبابه » .

[٢٢٩] / فدخل إسحاق بن سلمة الكعبة في شعبان بعد قدومه مكة بأيام ، ودخل معه العامل بمكة ، وصاحب البريد ، وجماعة من الحجبة ، وناس من أهل مكة من صلحائهم من القرشيين ، وجماعة من الصناع الذين قدم بهم معه ، وأحضر منجنيقاً طويلاً ألصقه إلى جانب الجدر الذي يقابل من داخل الكعبة ، وصعد عليه إسحاق بن سلمة ومعه خيط وسابورة ، فأرسل الخيط من أعلى المنجنيق وهو قائم عليه ، ثم نزل وفعل ذلك بجدرانها الأربعة فوجدها كأصلح ما يكون من البناء وأحكمه ، فسأل الحجبة : هل يجوز التكبير داخل الكعبة ؟! فقالوا : نعم . فكبر وكبر مَنْ حضره داخل الكعبة ، وكبّر الناس ممن في الطواف وغيرهم من خارجها ، وخَرَّ مَنْ في داخل الكعبة جميعاً سجَّداً للّه شكراً ، وقام إسحاق بن سلمة بين بابي الكعبة ، فأشرف على الناس وقال : ياأيها الناس ، احمدوا اللّه تعالى على عمارة بيته ، فإنّا لم نجد فيه من الحدث مما كتب به إلى أمير المؤمنين شيئاً ، بل وجدنا الكعبة وجدرانها وأحكام بنائها وإتقانها على أتقن ما يكون .

وعمل إسحاق الذهب على زاويتي الكعبة من داخلها مكان ما كان هنالك من الفضة ملبساً ، وكسر الذهب الذي على الزاويتين الباقيتين وأعاد عمله ، فصار ذلك أجمع على مثال واحد منقوشة مؤلفة ناتئة ، وعمل منطقة من فضة وركبها فوق إزار الكعبة في تربيعها كلها منقوشة مؤلفة جليلة ناتئة ، يكون [٢٣٠] عرض المنطقة ثلثي ذراع ، وعمل طوقاً من ذهب منقوش / متصلاً بهذه المنطقة ، فركبه حول الجزعة التي تقابل مَنْ دخل من باب الكعبة فوق الطوق الذهب القديم الذي كان مركباً حولها من عمل الوليد بن عبدالملك ، وكره أن يقلع ذلك الطوق الأول لسبب تكسر خفي في الجزعة ، فتركه على حاله لئلا يحدث في الجزعة حادث ، وقلع الرخام المتزايل من جدرات الكعبة -وكان

يسيراً رخامتين أو ثلاثاً – وأعاد نصبه كله[١] بجص صنعاوي ، كان كتب فيه إلى عامل صنعاء فحمل إليه منه جص مطبوخ صحيح غير مدقوق اثني عشر حملاً فدقه ، ونخله وخلطه بماء زمزم ونصب به هذا الرخام ، وفي أعلى هذه المنطقة الفضة رخام منقوش محفور فألبس ذلك الرخام ذهباً رقيقاً من الذهب الذي يتخذ للسقوف ، فصار كأنه سبيكة مضروبة عليه إلى موضع الفسيفساء الذي تحت سقف الكعبة ، وغسل الفسيفساء بماء الورد وحامض[٢] الأترنج ، ونقض ما كان من الأصباغ المزخرفة على السقف وعلى الإزار الذي دون السقف فوق الفسيفساء ، ثم ألبسها ثياب قباطي أخرجها إليه الحجبة مما عندهم في خزانة الكعبة ، وألبس تلك الثياب ذهباً رقيقاً وزخرفه بالأصباغ ، وكانت عتبة باب الكعبة السفلى قطعتين من خشب الساج قد رثتا ونخرتا من طول الزمان عليهما ، فأخرجهما وصيّر مكانهما قطعة من خشب الساج ، وألبسها صفايح فضة من الفضة التي كانت في الزاويتين التي صيّر مكانهما ذهباً ، ولم يقلع في ذلك بابا[٣] الكعبة وحرفاه[٤] ، فأزيلا شيئاً يسيراً وهما قائمان منصوبان ، وكان في الجدر الذي في ظهر / الباب يمنة من دخل الكعبة [٢٣١]
رزّة وكلاّب من صفر يشدّ به الباب إذا فتح بذلك الكلاّب ؛ لئلا[٥] يتحرك عن موضعه ، فقلع ذلك الصفر وصير مكانه فضة ، وألبس ما حول باب الدرجة فضة مضروبة ، وأنزل المعاليق المعلقة بين الأساطين ، ونفضها من الغبار وغسلها وجلاها ، وألبس عمدها الحديد المعترضة بين الأساطين ذهباً من الذهب الرقيق ، وأعاد تعليقها في مواضعها على التأليف .

---

(١) في الأصل « كلهه » .
(٢) حماض أي « حامض » وحمْض .
(٣) ويعني بذلك باب الكعبة الخَارجي والباب الداخلي المؤدي إلى درج سطح الكعبة – باب التوبة .
(٤) في الأصل « وحرفاه » .
(٥) في الأصل « لان لا » .

وفرغ من ذلك أجمع يوم النصف من شعبان سنة ٢٤٢ ، وأحضر الحجبة في ذلك اليوم أجزاء القرآن ، وهم جماعة ، فتفرقوها بينهم وإسحاق بن سلمة معهم ، حتى ختموا القرآن ، وأحضروا ماء ورد ، ومسكاً ، وعوداً ، ومسكاً مسحوقاً ، فطيبوا به جدرات الكعبة وأرضها ، وأجافوا بابها عليهم عند فراغهم من الختمة ، فدعوا إلى اللّه عز وجل ودعوا لأمير المؤمنين ولولاة عهود المسلمين، ولأنفسهم ، ولجميع المسلمين . وبلغ ما وضع في الكعبة في هذه العمارة من الذهب في الزوايا الأربع والطوق نحو ثمانية آلاف مثقال ، وما وضع من الفضة نحو سبعين ألف درهم ، وما ركب من الذهب الرقيق على جدرات الكعبة وسقفها ألف مثقال ذهب ، وأودع إسحاق بن سلمة ما بقي من المواد التي أحضرها لعمارة الكعبة عند الحجبة لما عساه أن يحتاجوا إليه» .

هذا ما ذكره الأزرقي(١) مفصلاً عن العمارة والمرمة التي وقعت في ذلك العام .

قال الفاسي(٢) : « ومن ذلك ما وقع بعد الأزرقي ، وهو عمارة في سقف الكعبة والدرجة التي بباطنها ، وكلاهما في سنة ٥٤٢ » .

[٢٣٢] قال الفاسي(٣) : « في غالب / ظني أن هذه العمارة من جهة الوزير جمال الدين المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل » .

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٩٨ - ٣٠٧ .
(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠١ .
(٣) نفسه ج ١ ص ١٠١ .

وفي سنة ٦٢٩ عمر في الكعبة المستنصر العباسي ، قال الفاسي[١] : «وما عرفت المعمور في تلك السنة من الكعبة ، هل هو في سقفها ، أو أرضها وجدرها ، أو إصلاح الرخام في ذلك أو نحوه ؛ لأن في جدر الكعبة اليماني من داخلها رخامة مكتوب فيها بعد البسملة : أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين، في شهور سنة ٦٢٩» .

قال الفاسي [٢] : « من ذلك مواضع في سطحها كان يكثر وكْف المطر منها إلى أسفلها ، منها موضع عند الطابق الذي على الدرجة التي يصعد منها إلى سطحها ، ومنها موضع عند الميزاب ، وكان النضح الذي في هذا الموضع متسعاً مضراً يصل الماء منه إلى الجدر الشامي من الكعبة لقربه منها ، وينزل الماء منه في وسط الجدار ، وموضع بقرب بعض الروازن التي للضوء ، وكان إصلاح المواضع المذكورة بالجبس بعد قلع الرخام الذي هناك ، وأُعيد في مواضعه ، وأبدل بعضه بغيره ، وأصلحت الروازن كلها بالجبس . وكانت الأخشاب المطيفة بأعلى الروازن التي عليها البناء المرتفع في سطح البيت قد تخربت ، فوضع خشب غيره ، وأعيد البناء الذي كان عليها كما كان ، إلا أن الروازن التي تلي باب الكعبة لم يغير خشبها ، وكان الروزن الذي يلي الركن الغربي قد تخرب بعض الخشب الذي في جوفه مما يلي السقف والكسوة التي في جوف الكعبة فسمرت ، وكان الروزن الذي يلي الركن / اليماني منكسراً [٢٣٣]
فقلع ، وعوض بروزن جديدة ، وأصلح في الدرجة أخشاب متكسرة ، وذلك في العشر الأواسط من شهر رمضان سنة ٨٢٤ عقب مطر عظيم حصل بمكة في أوائل هذا الشهر » .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٠١ .

(٢) نفسه ج ١ ص ١٠٢ .

قال الفاسي [1] : « وفي سنة ٨٢٥ أصلحت الروازن التي بسطح الكعبة ورخامة تلي ميزابها . وجددت الأخشاب الموضوعة في سطح الكعبة لربط الكسوة ، فقلعت وعوض عنها بأخشاب محكمة ، وركبت[2] فيها الحلق الجديدة الذي يربط فيه ثوب الكعبة . ومن ذلك أن الأسطوانة التي تلي باب الكعبة ظهر فيها ميل خفيف ، فاجتمع لذلك أمير مكة والقضاة والأعيان وأهل الخبرة بالعمارة ، وكشفوا عليها فوجدوها صحيحة وعدلوا ذلك الميل وتم إصلاحها في يوم السبت ١٦ صفر عام ٨٢٦ » .

قال الفاسي[3] : « ومما غير في الكعبة عتبة الباب السفلى ، وقد ذكر الأزرقي أنها جعلت قطعة واحدة من خشب الساج كما سبق ، وهي الآن حجر منحوت ، وما أدري متى كان ذلك » . انتهى .

ولذلك لم يبين الفاسي تاريخ عمارتها ولا اسم العامل ولا الآمر بها .

وذكر نجم ابن فهد في «إتحاف الورى»[4] في حوادث عام ٧٨١ : « أن الأمير سودون باشا حلّى باب الكعبة وعمل إصلاح في سطح الكعبة بالنورة» .

وذكر[5] أيضاً في حوادث عام ٨٠١ « أن الأمير بيسق[6] عمّر رخام الحِجْر الشريف وجدد رخام الحفرة التي في وجه الكعبة ، وكشط النورة التي بسطح

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٢ .
(٢) في الأصل « وكبت » .
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٢ .
(٤) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٣ ص ٣٣٤ .
(٥) أي ابن فهد - إتحاف الورى ج ٣ ص ٤١٢ .
(٦) الأمير يَبْسق : الشيخي الظاهري أمير الحاج في سنة ٧٩٩ هـ ، المصدر السابق ج٣ ص ٤١٠ .
وكان أمير آخور ، وتوفي بالقدس سنة ٨٢١ هـ . انظر : ابن تغري بردي - الدليل الشافي ج ١ ص ٢١٠ ، السخاوي - الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٢ .

[٢٣٤] / الكعبة المشرفة التي عملت عام ٧٨١ ، ونقض في أواخر هذه السنة عتبة باب الكعبة العليا ، وعمل عليها الفضة وزن ألف وثمانمائة درهم ، وألصق بعض رخام في جدار الكعبة من داخلها خشي سقوطه » .

وذكر (١) في حوادث عام ٨٢٦ : « أنه في شهر صفر أصلح عبدالباسط ناظر الجيش ، بأمر الملك الأشرف برسباي ، الرخام الذي بأرض الكعبة بين جدرها الغربي والأساطين التي فيها . وفي يوم الخميس ١٤ صفر من السنة المذكورة أخبر شيخ سدنة الكعبة الشيخ جمال الدين بن محمد بن علي الشيبي أنه سمع وهو في صلاة الظهر بالكعبة الشريفة حال وجود العمارة فيها صوت خشبة بالبيت تضير ثلاث مرات ، وبعد الصلاة افتقد ذلك ، وبعد البحث عن ذلك الصوت ، وجد أن الاسطوانة الخشب التي أمام الباب بداخل الكعبة قد انتقلت من موضعها قدر ذراع وشيء ، فأعلم بذلك الأمير مقبل القديدي ، وناظر العمارة الخواجا شيخ علي الكيلاني ، فجمعت القضاة الأربعة ، وناظر الحرم ، وذلك يوم السبت ١٦ صفر وفتح البيت الشريف وحضر نائب البلد ، وجمال الدين يوسف المهندس ، وأتوا بالصناع وكشفوا الأسطوانة من فوقها، فوجدت تحت الحاير وليس الحاير متّكياً عليها، وإنما هي قائمة صورة بلا عمل، فأعيدت(٢) إلى موضعها بحكمة ورفق بدون أن يظهر لها صوت ، وجعل على العمود ثلاث صفايح من حديد متصلة بالحاير التي فوقها، وأقغدت تحتها ثم أذيب الجبس ووضع تحت العمود وأُحكمت بغاية الإتقان .

[٢٣٥] وفيها(٣) عمر / رخام الحِجْر في باطنه وظاهره وأعلاه في عدة أيام على يد الأمير مقبل القديدي » .

---

(١) ابن فهد النجم – إتحاف الورى ج ٣ ص ص ٥٩٧ – ٥٩٨ .
(٢) في الأصل غير مقروءة .
(٣) أي سنة ٨٢٦ – المصدر السابق ج ٣ ص ٥٩٨ .

وذكر[1] في حوادث سنة ٨٣٨ : « أنه في المحرم من السنة المذكورة شرع سودون المحمدي في هدم سقف الكعبة وأقامت[2] الكعبة مدة بلا سقف ، ثم عمرت وأكملت عمارتها في شهر ربيع الأول ، وأصلحت جوانبها الأربعة بالجص ، وقلع جميع رخام الشاذروان وعوض بغيره .

وذكر[3] في حوادث سنة ٨٤٣ « أنه عمر الأمير سودون المحمدي بأمر الملك الأشرف برسباي في المسجد الحرام في المحرم وصفر ، وأصلح الرخام الذي كان يعلو سطح الكعبة الشريفة ، وكان سطح الكعبة يدلف[4] بالماء وقت المطر فعوض بدله الجص بالنورة ، وأخرجت الروازن الأربعة التي في سقف الكعبة - وهي التي تستعمل للضوء - وجعلت في أرض الكعبة . وفي ضحى يوم السبت ١٠ صفر جردوا[5] الكعبة ، واستمرت مجردة عن ثيابها يومين وليلتين ، لرثاثة الخشب الذي يشدّ به ثياب الكعبة الشريفة في أعلاها ، وأدخلت الثياب في جوف الكعبة ، حتى عوضت الأخشاب بأخشاب جدد ، ثم أعيدت الثياب على الكعبة في ضحى يوم الإثنين ١٢ من الشهر المذكور . وفي شهر صفر وربيع الآخر أُصلح أيضاً الحجارة[6] من داخل الكعبة الشريفة المقابل للداخل من الباب . ورخام الحِجْر أيضاً .

وذكر[7] في حوادث سنة ٨٤٧ « أنه جرت عمارة بجدار الكعبة . وذلك أنه حدث في جدرها الغربي بعض خراب ، وأصلح في أوائل المحرم من السنة

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٨٢ .

(٢) في الأصل « واقامة » . والتصحيح من المصدر السابق ج ٤ ص ٨٢ .

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٤) في الأصل « يدلق » . والإثبات من المصدر السابق .

(٥) في الأصل « جرد » والإثبات من المصدر السابق .

(٦) في الأصل « الحجار » والإثبات من المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق ج ٤ ص ٢١٩ .

[٢٣٦] المذكورة / بالجص . وفي يوم الإثنين ١٩ المحرم سقط من الكعبة الشريفة حجران[١] تحت الميزاب فنقلا إلى قبة الفراشين واستمرا موضوعين بها أياماً ثم أعيدا إلى مكانيهما بالجص » .

وذكر في[٢] حوادث سنة ٨٨٣ « أنه جرت عمارة في جدار الكعبة وبأساطينها وأصلح ذلك » . اهـ .

وذكر الشيخ عبدالعزيز بن عمر بن فهد في «بلوغ القرى»[٣] في حوادث سنة ٩٠٠ : « أنه في غرة رجب يوم السبت فتح شيخ السدنة البيت المعظم ، وذكر أن به أحجاراً أُزيلت من موضعها ، وأرسل إلى القاضي الناظر يخبره بذلك . فتبرع الناظر بالمؤونة والصناع وحضر بنفسه ، وأصلح ذلك بحضرتهم ، وكانت الحجارة المذكورة التي أزيلت عن موضعها منها حجر في الجدر الشامي ، وحجران أمامه » . اهـ .

ونقل الشيخ عبدالله غازي في كتابه «إفادة الأنام»[٤] عن العلامة عبد القادر الجزيري[٥] الأنصاري في «درر الفرائد المنظمة»[٦] أنه في سنة ٩٣١ : « وقع ترميم السقف الشريف وكان المباشر له من قبل والي مصر : إبراهيم باشا ، والي جلبي أمير جدة ، وقاضي القضاة بمكة محب الدين بن ظهيرة الشافعي ،

---

(١) في الأصل « حجرين » والتصحيح من المعلّق ، حيث العبارة مضطربة عند ابن فهد ج ٤ ص٢٦٩ ، فخلط بين المفرد والمثنى .

(٢) ابن فهد – إتحاف الورى ج ٤ ص ٦٣٨ .

(٣) ابن فهد – عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد – بلوغ القرى – حوادث سنة ٩٠٠هـ .

(٤) عبدالله غازي – إفادة الأنام ، جـ١ ص ٣٧٦ .

(٥) في الأصل « الجزري » .

(٦) الجزيري – عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن ابراهيم الأنصاري الحنبلي ، الدرر الفرائد – ولا يوجد هذا الخبر عند الجزيري في حوادث سنة ٩٣١ هـ . انظر ج ٢ ص ص ٨١٨ – ٨٢٠ وورد في حوادث سنة ٩٥٩ هـ ج ٢ ص ص ٩١٣ – ٩١٧ .

وقاضي القضاة تاج الدين المالكي[1] وجعلوا طَوْقاً من الحديد على موضع الكسر من خشبة السقف ، وحشوا الموضع المنخسف بالمشاق والجبس ، فلم يلبث أن زاد الكسر والخسف وظهر ظهوراً وكان سبباً لتعميره في سنة ٩٥٩ » . اهـ .

[٢٣٧] / ونقل أيضاً عن الطبري في «إتحاف فضلاء الزمن»[2] في حوادث سنة ٩٥٩ أنه : « وقع في سقف الكعبة خلل ، فأعرض ذلك على السلطان سليمان خان، فورد الأمر منه بإصلاح ذلك ، وتصفيح باب الكعبة ، وأرسل بفتوى مفتي السلطان أبي السعود أفندي بجواز عمارة الكعبة إذا احتاجت إلى عمارة . فجمع أمير مكة الشريف أبو نمي أعيانَ مكة في الحطيم ، منهم مفتي الشافعية الشيخ أحمد بن حجر ، ومفتي الحنفية الشيخ قطب الدين ، ومفتي المالكية الشيخ القاضي تاج الدين المالكي ، فأفتوا بموافقة إفتاء أبي السعود أفندي ، وخالفت طائفة أخرى وقالوا بعدم الجواز ، وزعموا أن من تعظيم البيت الشريف ألا يتعرّض له بترميم ولا إصلاح ، ولا يجوز تغيير أخشابه إلا إنْ سقطت بنفسها . وتقرر أخيراً بعد جدال كبير بالشروع في العمل ، فشرعوا، ولما كشف عن تلك الأعواد في السقف الشريف وجدوها مكسورة كما ظنوا ، فأبدلوها يأعواد جديدة بغاية الإحكام ، وأعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الإتقان » .

وفي «منائح الكرم»[3] أنّه « في سنة ٩٥٩ رُمِّمت الكعبة الشريفة ، وأرخ ذلك الشيخ عبد العزيز الزمزمي بقوله :

---

(١) القاضي تاج الدين بن يعقوب المالكي رئيس الأقطار الحجازية وصدرها توفي سنة ٩٦٠ هـ ، الجزيري – الدرر الفرائد ج ٢ ص ٩١٦ .

(٢) الطبري المكي – إتحاف فضلاء الزمن ج ١ ص ٢٢٩ .

(٣) السنجاري – منائح الكرم ج ٢ ص ١٦٣ .

يا معشر الإسلام بشـــرى لنـا | وواجب للّه منّا الثّنــا
صلُّوا وطوفوا واشكروا ربكم | ومتعوا من بيته الأعْينـا
وقد أتى تاريـــخ ترميمــه[1] | رمَّم بيتَ اللّه سلطانُنـا
[٢٣٨] / هب له يا رب في عمـــره | وعافه وامنحه كلَّ المنـا».

وقـد وقع في جـدار الكعبة من التصـدع ، وعـمل لذلك في زمن السلطان أحمد خان سنة ١٠٢٠ نطاق شد به البيت الشريف كما مر ذكره .

هذا ما وقع من الترميمات منذ عمارة عبداللّه بن الزبير -رضي اللّه عنهما- إلى عمارة السلطان مراد خان التي وقعت سنة ١٠٤٠ هـ .

وأما ما وقع من الترميمات بعد عمارة السلطان مراد خان المشار إليه : فقد ذكـر الطبـري المكي في «الإتحـاف»[2] أنه : « في سنة ١٠٤٥ ورد المعـمـار رضوان بك لعمارة سقف الكعبة ، وكان الشريف عرض ذلك إلى السلطان ، لما أخبره الحجبة (آل الشيبي) والمهندسون بذلك ، فجاء الأمر بإصلاح ما تحتاج إليه وأن يجدد بابها ، ويرسل بالباب العتيق إليه . فلما وصل رضوان بك المذكور إلى مكة عقد مجلساً بالحرم الشريف ، وحضر البكري ، وقاضي المدينة حنفي زاده ، وحضر أمير مكة ، والفقهاء ، وبعد أن قرؤوا القرآن قاموا إلى الكعبة وأشرفوا على ذلك ، وشرع المعمار الأمير رضوان بك في عمله في أوائل شهر المحرم من السنة المذكورة ، وفرش سطح الكعبة الشريفة بالرخام الأبيض » .

(١) في الأصل « تعميره » والإثبات من إتحاف فضلاء الزمن ج ١ ص ٢٢٩ .
(٢) الطبري المكي - إتحاف فضلاء الزمن ج ٢ ص ٣١ .

وذكر الطبري أيضاً في «الإتحاف»[1] أنه : « في سنة ١٠٧٣ انكسرت خشبة من سقف الكعبة ، فاقتضى الحال إلى كشف السقف ، وإزالة تلك الخشبة ، وعمر السقف عمارة جديدة ، وأحاطوا الكعبة سقايل الخشب من الأرض إلى السقف ، وستروا على المعلمين بالخصف من خارج السقايل إلى أن / تم العمل ، وكان ذلك على يد سليمان بك صنجق جدة ، ، وقد فوض إليه مشيخة الحرم ونظارة العمارة » . اهـ . [٢٣٩]

ومن ذلك ما ذكره السنجاري في «منائح الكرم»[2] أنه : « في يوم الخميس غرة ربيع الثاني سنة ١٠٩٩ عمَّر محمد بك شيئاً[3] من أخشاب الكعبة ، وطلعوا أرسال[4] من جدة جعلوها حول الكعبة من الخارج ، وركبوا الكسوة فيها لتغيير إفريز السطح من التي تربط فيه الكسوة فإنه استأكل فيه ، وجددوا رفرف مقام الشافعي لخلل وقع فيه ، ولم يزالوا إلى أن خلصوا منه .

وروى[5] أيضاً أنه : « في يوم الجمعة ١٩ محرم الحرام سنة ١١٠٠ ، طلع الشريف أمير مكة سطح الكعبة للإشراف على إفريز الكعبة التي تربط فيه الكسوة ، لإخبار المعلمين له بأنه استأكل ويحتاج إلى تغيير ، وقد جاء الأمر من السلطان لعمارة ما يحتاج إليه من الكعبة وإبلاغه ما يصرف على ذلك ، فاتفق أن وجبت الجمعة ودخل الخطيب وهو - أي الشريف - في الكعبة فصلى الجمعة في جوفها .

وذكر[6] أيضاً أنه : « في اليوم السادس من ذي القعدة سنة ١١٠٦ نزل

(١) نفسه ج ٢ ص ٤٠ .
(٢) السنجاري - منائح الكرم ج ٣ ص ٢٨٣ .
(٣) في الأصل « شيأ » .
(٤) في الأصل « أرْتالا » . والإثبات من المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٣ .
(٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٩١ .
(٦) نفسه ج ٣ ص ٣٢١ .

الشريف أمير مكة ، وفتحت الكعبة له ، وأشرف على جدار بها يحتاج إلى ترميم، وتبديل خشبة في الكعبة . فأمر بذلك ، ورُمّمت[1] الخشبة يوم ٧ ذي القعدة من هذه السنة » .

وذكر في حوادث سنة ١١٠٩[2] أنه : « لما كان يوم الخميس ٦ محرم طلع الشريف أمير مكة ، والقاضي المتولي في هذه السنة ، وجماعة من الفقهاء ، ومتصرف جدة ، وأشرفوا على سطح الكعبة ، وحقق المهندسون خراب السقف / عند القاضي بموجب الأمر العالي . [٢٤٠]

ولما كان يوم الأحد ١٣ محرم شرعوا في إصلاح سقف الكعبة ، فأخرجوا السقف المنكسر ، وظهر أن الدرجة المصعدة إلى السطح محتاجة إلى تعمير ، فاستمر العمل فيها وغيروا الدرجة وجعلوا فيها سبع درجات رخام والباقي من خشب الساج ، وفرغوا منها أوائل ربيع الأول . وذبح صاحب جدة يوم فراغ العمارة نحواً من أربعين شاة ، وفرقها على المساكين وفرق شيئاً من الدراهم على فقهاء المكتب بالحرم ، وبعض الفقراء » .

وذكر[3] أيضاً أنه : « في يوم الخميس ٢٦ ذي الحجة سنة ١١١٨ وصل الأمير إيواز بك من جدة ، واجتمع هو وحضرة الشريف ، والقاضي ، وأمير الحاج غيطاس بك ، في مقام الحنبلي ، وأرسلوا للشيخ محمد الشيبي وفتح الكعبة الشريفة ، وأشرفوا على ما تحتاج إليه من العمارة والترميم في الخشب وغيره .

ومن ذلك ما ذكره[4] أنه : « في يوم السبت ١٤ ذي القعدة سنة ١١٣٦ ورد أمر سلطاني مضمونه ترميم الكعبة والمسجد الحرام والمدرسة السلطانية ،

---

(١) في الأصل « وتمت » . والإثبات من المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢١ .
(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .
(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٧٩ .
(٤) وهذا خطأ ، فإن السنجاري توفي سنة ١١٢٥ هـ وانتهى كتابه منائح الكرم لسنة ١١٢٤هـ .

فحضر الشريف أمير مكة ، والقاضي ، والعلماء ، فدخلوا الكعبة ، ورأوا خرابها وأحضروا المعلمين ، وأمروهم بالبناء ، وقد بيّتوا من الليل جبساً ونورة ، وصاروا يأخذوا بأيديهم مَراكن ملآنة من الجبس ويعطوها المعلمين ساعة من النهار» .

ونقل الشيخ عبدالله غازي [1] عن بعض علماء مكة أنه : « في سنة ١٢٠١ أرسل السلطان عبدالحميد الأول خمسين أقة من الفضة ، وأمر أن تجعل صفائح مموّهة بالذهب ، ويطوق بها بعض العواميد التي في داخل الكعبة المعظمة ، / ففعلوا ذلك وطوقوها بحضور أمير مكة الشريف سرور ، [٢٤١] وبحضور الوزير شيخ الحرم المكي ، وهو والي جدة ، وبقية المأمورين ورجال الدولة» . اهـ .

ولم يوجد لهذه الصفائح في العصر الحاضر أثر ، ولم أقف على خبر نزعها ومتى كان .

وذكر مدير الحرم المكي السابق أمين أفندي أمصيلي [2] في رسالة ألّفها [3] باللغة التركية في بيان خدمات آل عثمان للحرمين الشريفين أنه : « في سنة ١٢٥٣ أصلحوا فرش الكعبة وفرشوا الحجر المرمر الذي جاء من إستانبول . وفي سنة ١٢٥٩ أصلحوا الأحجار التي حول الحجر الأسود وكذلك بعض أحجار باطن الكعبة . وفي سنة ١٢٩٥ فرش سطح الكعبة بألواح المرمر . وفي سنة ١٢٩٧ جدد فرش الكعبة ، وغير بعض أخشاب سقف الكعبة ، وأصلح بعضها » . اهـ .

---

(١) عبدالله غازي - إفادة الأنام ، جـ١ ، مخطوط على ميكروفيلم رقم ٢٧٤٣ بمكتبة الحرم الشريف بمكة المكرمة ، وأرقام الصفحات غير واضحة .

(٢) في الأصل « أمضيلي » .

(٣) في الأصل « أللفها » .

وجاء في «الفتوحات الإسلامية»[١] للسيد أحمد دحلان : أنه : « في سنة ١٢٧٥ جدد السلطان عبدالمجيد خان ميزاب الكعبة المشرفة » .

وجاء فيه[٢] أيضاً أنه : « في سنة ١٢٩٩ عمَّر السلطان عبد الحميد خان في الكعبة المعظمة ، وفرش باطنها بالرخام » . اهـ .

هذا ما ذكره مؤرخو مكة وغيرهم ، مما وقع في الكعبة المعظمة من المرمات ، منذ عمارة السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان التي وقعت سنة ١٠٤٠ هـ تفصيلاً وإجمالاً إلى العصر الحاضر .

[٢٤٢] / وأما ما وقع بعد ذلك في العصر الحاضر ، مما أدركته بنفسي وشاهدته بعيني ، وعلمته من ذي ثقة ، من الإصلاحات والمرمات التي جرت في الكعبة المعظمة وتوابعها ، فإليك تفصيله .

وقع في سنة ١٣١٦ هـ ، وذلك في إمارة الشريف عون الرفيق[٣] ، ورئيس السدنة المرحوم الشيخ محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبي[٤] ترميم في سقف الكعبة المعظمة ، وسبب ذلك هو أنه ظهر من جوف الكعبة رائحة كريهة منتنة ، وكان رئيس السدنة الشيخ محمد صالح الشيبي المشار إليه في مصيفه بالطائف ، فلما بلغه ذلك أرسل ابنه الشيخ محمد إلى مكة ففتح الكعبة المعظمة ، فظهر أن سبب تلك الرائحة الكريهة نتج من وقوع خراب في سقف الكعبة المعظمة ، ونزل ماء المطر من ذلك الخراب إلى جوف الكعبة فصار منه مستنقعاً ، ومن طول مكثه تولدت فيه الجراثيم فظهرت من ذلك الرائحة الكريهة ، فأزالوا ذلك المستنقع وتلك الأوساخ ، ثم فحصوا سقف

---

(١) دحلان - أحمد زيني دحلان - الفتوحات الإسلامية ج٢ ص ٣٢٤ .

(٢) نفسه ج٢ ص ٥٣٥ .

(٣) الشريف عون الرفيق باشا - ولي شرافة مكة سنة ١٢٩٩ هـ وتوفي سنة ١٣٢٣هـ . دحلان - خلاصة الكلام ص ٣٢٩ ، الكردي - التاريخ القويم ج ٤ ص ٢٢٨ .

(٤) الشيخ محمد صالح بن أحمد بن زين العابدين الشيبي العبدري الحجبي ت سنة ١٣٧٥ هـ . صاحب كتاب « إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام . وانظر الخبر في الهامش رقم (٢) من كتاب : إعلام الأنام ص ١٨٩ .

الكعبة المعظمة ، فظهر أن الخراب وقع في فرش الرخام الذي على سطح الكعبة لكونه تصدع بعضه ، فعمل الصناع لذلك معجوناً من النورة وزلال البيض والإسمنت وغير ذلك ، وسدوا به تلك الأشطاب وأصلح إصلاحاً تاماً ، ومكث العمل فيه نحو نصف شهر .

ومن المرمات المذكورة أنه وقع في سنة ١٣٢٨هـ ، وذلك في إمارة الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عون ، في المرابيع الخشب التي يعلق فيها ثوب الكعبة بسطح الكعبة خراب ووهن ، فعمل بدلها أربعة مرابيع / من خشب [٢٤٣] جلب خصيصاً لذلك بواسطة رئيس السدنة في ذلك الزمن المرحوم الشيخ محمد صالح الشيبي المتقدم ذكره ، حيث إن طول المربوعة بطول وعرض سطح الكعبة المعظمة ، وهو لا يقل طولها من ٨ إلى ٩ أمتار ، ووجود ذلك بالحجاز متعذر ، ولا تزال تلك المرابيع على حكمها إلى اليوم .

ومما وقع من المرمات المذكورة أنه وقع في سنة ١٣٣٢هـ في أسفل الأعمدة الخشب الثلاثة التي بداخل الكعبة المعظمة القائم عليها بساتل سقف الكعبة أشطاب وتصديع ، وحصل ذلك من مياه غسيل الكعبة ، ومن دخول السيول جوف الكعبة ؛ لأن هذه الثلاثة الأعمدة هي من عهد الخليفة عبدالله بن الزبير ابن العوام - رضي الله عنهما - فأعلم رئيس السدنة المرحوم الشيخ محمد صالح الشيبي أمير مكة الشريف الحسين بن علي بذلك ، فحضر الشريف الحسين المشار إليه إلى الكعبة في ضحوة يوم الإثنين الموافق ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٢ ، وكان في استقباله بالكعبة رئيس السدنة الشيخ محمد صالح الشيبي ، والسادن الثاني عبد القادر بن علي الشيبي ، وبعض السدنة ، ثم أحضروا بعض أهل الخبرة من النجارين ، وكنت أنا مؤلف هذا الكتاب ممن حضر بمعية رئيس السدنة المشار إليه ، فتقرر عمل أخشاب أشبه بالطاب على طول القامة ،

تحاط بأسفل كل عامود من الأعمدة الثلاثة وتسمر فيها بغاية الإتقان ، فعمل ذلك فعلاً وهي لا تزال على هذه الحالة إلى اليوم . هذا ما كان من الإصلاحات التي أدْرَكْتُها[1] ، والله أعلم .

(١) وحصل للكعبة إصلاحات وترميمات في الأعوام : ١٣٧٧ هـ ، ١٣٩٧ هـ ، ١٤٠٣ هـ ثم في عام ١٤١٧هـ . وقد أشرت إلى ما تم عمله في عام ١٣٩٧هـ في الهامش رقم (٢) ص ٢٤٣ ، وما تم عمله سنة ١٤٠٣هـ أوردته في الهامش رقم (٢) ص ص ٢٦٧ ، ٢٦٨. ، أما الأعمال التي تمت بالكعبة في عامي ١٣٧٧ هـ ، ١٤١٧هـ فأثبتها في ملحقين في آخر الكتاب .

[٢٤٤]

/ كسوة الكعبة المعظمة قبل الإسلام :

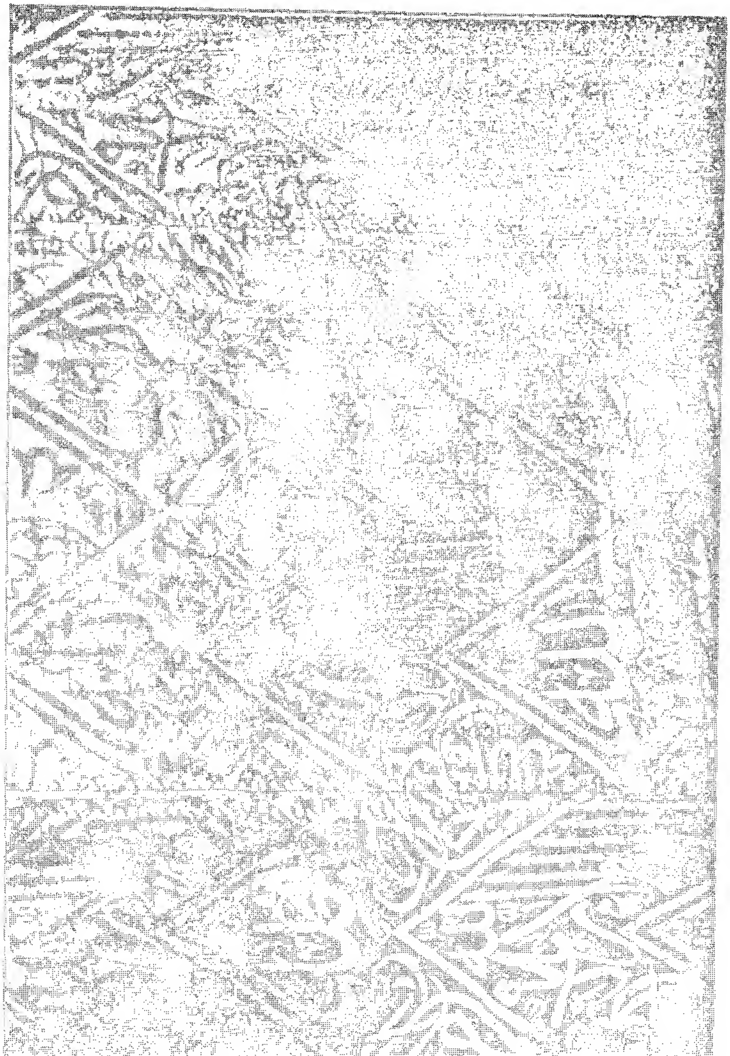
قد ورد في كثير من كتب الحديث والتاريخ ذكر كسوة الكعبة المعظمة وتعددها، قبل الإسلام منذ عهد إبراهيم ﷺ إلى زمن البعثة النبوية وأنواعها، وإليك تفصيل ذلك :

روى الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (١) من رواية عبدالرزاق عن ابن جريج قال : « بلغنا أن تُبعاً أول مَنْ كسى الكعبة (الوصائل) فسترت بها»، قال(٢) :

« وزعم بعض علمائنا أن أول مَنْ كسى الكعبة إسماعيل عليه السلام، وحكى الزبير(٣) بن بكار عن بعض علمائهم أن عدنان أول مَنْ كسى الكعبة أو كسيت في زمانه، وحكى البلاذري(٤) أن أول مَنْ كساها الأنطاع عدنان بن أد، وروى الفاكهي(٥) عن وهب بن منبه أنه يقول : زعموا أن النبي ﷺ نهى عن سبّ أسعد وكان أول مَنْ كسى البيت الوصائل، وروى الواقدي عن همام ابن منبه عن أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ومن وجه آخر عن عمر مرفوعاً ».

قال الحافظ ابن حجر(٦) عقب ما تقدم : «فحصلنا في أول مَنْ كساها مطلقاً على ثلاثة أقوال : إسماعيل، وعدنان، وتبَّع وهو أسعد المذكور في الروايات

(١) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٩ .
(٢) نفسه ج ٧ ص ٢٤٩ .
(٣) نفسه ج ٧ ص ٢٤٩ .
(٤) البلاذري - أحمد بن يحيى بن جابر ت سنة ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م - أنساب الأشراف تحقيق سهيل زكار وزميله - دار الفكر - بيروت ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ج ٧ ص ٢٤٩ .
(٥) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٣٠ .
(٦) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٠ .



ثوب الكعبة المعظمة المحاك بدار الكسوة بمكة

صورة رقم(٩)

الأولى ، ولا تعارض بين ما رُوي عنه أنه كساها الأنطاع والوصائل - وهي ثياب حبرة من عصب اليمن - ثم كساها الناس بعده في الجاهلية . ويجمع بين الأقوال الثلاثة إن كانت ثابتة بأن / إسماعيل أول مَنْ كساها مطلقاً ، وأما [٢٤٥]
تبعُ فأول مَنْ كساها ما ذُكر ، وأما عدنان فلعله أول مَنْ كساها بعد إسماعيل» . اهـ .

وقد روى ابن هشام[(١)] في سيرته عن ابن إسحاق المطلبي أنه قال : «كان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه إلى مكة ، حتى إذا كان بين عسفان[(٢)] وأمج[(٣)] أتاه نفر من هذيل[(٤)] ، فقالوا له : أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائر أغْفَلَتْهُ الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ ، والزبرجد ، والياقوت ، والذهب والفضة ؟ ! قال : بلى ، قالوا بيت بمكة ، يعبده أهله ويصلون عنده . وإنّما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عَرَفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك وبغى عنده ، فلما أجمع لما قالوا أرسَل إلى الحبْرَيْن فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتا للّه اتخذه في الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكنّ مَنْ معك جميعاً . قال : فماذا تأمرونني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده ، وتذلّل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ ! قالا : أما واللّه إنه لبيت أبينا

(١) ابن هشام - السيرة ج ١ ص ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) عُسفان : تعتبر بوابة بين شمال الحجاز وجنوبه تقع شمال مكة على مسافة ٨٠ كم على ضفتي وادي فيدة . وكانت المرحلة الثانية من مكة على نظام القوافل .
انظر : عاتق علي غيث البلادي - قلب الحجاز - دار مكة ط١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ٢٩ .

(٣) أَمَج : والأمج في اللغة بمعنى العطش . كانت قرية جامعة بها سوق . انظر عاتق بن غيث البلادي- قلب الحجاز ص ٤٥ .

(٤) هذيل من القبائل العربية العدنانية . فهذيل هو ابن مدركة بن الياس بن نصر . منهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه . انظر : ابن قتيبة الدينوري ت سنة ٢٧٦ - المعارف - دار إحياء التراث العربي - بيروت ط ٢ ص ٣٠ .

إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا و ، بينه بالأوثان التي نصبوها حوله ، وبالدماء التي يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شرك - أو كما قالا له - فعرف تبع نصحهما ، وصدق حديثهما ، فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه ، / وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ، ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل ، ورأى في المنام أن يكسو البيت ، فكساه (الخُصف) » [٢٤٦]
قال السهيلي في روض الأنف[١] : « هو شيء ينسج من الخوص والليف» . ثم قال أيضاً[٢] : « والخصف أيضاً هي ثياب غلاظ » - قال ابن إسحاق [٣] : «ثم أُرِيَ تبع أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافير[٤] . ثم أُريَ أن يكسوه أحسنَ من ذلك فكساه الملاء والوصائل ، وكان تبع فيما زعموا أول مَنْ كسا البيت » . اهـ .

وروى الأزرقي[٥] عن محمد بن إسحاق قال : « بلغني عن غير واحد من أهل العلم ، أن أول مَنْ كسى الكعبة كسوة كاملة تبع ، وهو أسعد ، أُري في النوم أنه يكسوها الأنطاع ، ثم أري أن يكسوها ، فكساها الوصايل - ثياب حبرة من عصب اليمن - وجعل لها باباً يغلق ، وقال أسعد في ذلك :

وكسونا البيت الذي حرم اللّـ ـه ملاء معضدا وبرودا
وأقمنا به من الشهر[٦] عشراً وجعلنا لبابه إقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا » .

(١) السهيلي - الروض الأنف ج ١ ص ٤٠ .
(٢) أي السهيلي - نفسه ج ١ ص ٤٠ .
(٣) ابن هشام - السيرة ج ١ ص ص ٢٣ - ٢٤ . وانظر السهيلي - الروض الأنف ج ١ ص ٤٠ .
(٤) « المعافر » وهي ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن . ابن هشام ج ١ ص ٢٤ .
(٥) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٥٠ .
(٦) في الأصل « الشهور » وهو خطأ ، فقد سبق أنه أقام ستة أيام .

هذا ما كان من كسوة تبع للكعبة المشرفة . وأما ما كان بعد تبع فإليك بيانه :

روى الأزرقي[1] عن النوار بنت مالك بن صرمة أم زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قالت : « رأيت على الكعبة قبل أن ألد زيد بن ثابت ، وأنا به نسيء ، مطارف خز خضراء وصفراء وكراراً وأكسية من أكسية الأعراب / وشقاق [٢٤٧] شعر» . الكرار الخيش الرقيق واحدها كر[2] .

وروى الأزرقي[3] عن عمر بن الحكم السلمي ، قال : « نذرت أمي بدنة تنحرها عند البيت ، وجللتها شقتين من شعر ووبر ، فنحرت البدنة وسترت الكعبة بالشقتين ، والنبي ﷺ يومئذ بمكة لم يهاجر ، فأنْظرُ إلى البيت يومئذ وعليه كسى شتى من وصائل وأنطاع ، وكرار ، وخز ، ونمارق عراقية ، كل هذا قد رأيتُهُ عليه » .

وروى الأزرقي[4] عن ابن أبي مليكة أنه قال : « بلغني أن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كسى شتى ، كانت البدنة تجلل الحبرة ، والبرود ، والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن ، وكان هذا يُهدى للكعبة سوى جلال البدن هدايا من كسى شتى خز ، وحبر ، وأنماط ، فيعلق ، فتكسى منه الكعبة ، ويجعل ما بقي في خزانة الكعبة ، فإذا بلي منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ، ولا ينزع مما عليها شيء من ذلك ، وكان يُهدى إليها خلوق ، ومجمرة ، وكانت تطيَّب بذلك في بطنها وخارجها » .

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٥٠ .
(٢) الكر - الحبل من الليف أو الخوص . ابن منظور - لسان العرب ج٥ ص ١٣٦ .
(٣) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
(٤) نفسه ج ١ ص ٢٥١ .

وروى الأزرقي[1] أيضاً عن ابن أبي مليكة قال : « كانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة ، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها ، من عهد قصي بن كلاب ، حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكان يختلف إلى اليمن يتّجر بها فأثرى في المال ، فقال لقريش : أنا أكسو وحدي الكعبة سنة ، وجميع قريش سنة . فكان يفعل ذلك حتى مات ، يأتي بالحبرة الجديدة من الجند[2] - بلد بأرض السكاسك[3] باليمن - / فيكسوها [٢٤٨] الكعبة ، فسمته قريش (العدل) ؛ لأنه عدل فعله بفعل قريش كلها ، فسموه إلى اليوم العدل ، ويقال لولده بنو العدل » . اهـ .

وذكر التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[4] بعض ما ذكرناه عن الأزرقي ، ثم قال[5] : « ومنها حبرات يمانية ، كساها ذلك أبو ربيعة المخزومي ، وكساها ذلك قريش حين بنوا الكعبة كما في خبر أبي نجيح ، وفي رواية أنهم كسوها حينئذ الوصايل ومنها أنماط » . انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[6] : « روى الفاكهي[7] في كتاب مكة، من طريق مسعر عن جسرة ، قال : أصاب خالد بن جعفر بن

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٢) الجَنَدُ : من مدن اليمن المشهورة ، بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً ، نسب إليها جماعة كبيرة من أهل العلم . انظر ياقوت - معجم البلدان ج ٢ ص ١٦٩ .

(٣) السكاسك : قبيلة يمنية نسب إليها مخلاف باليمن ، وهو آخر مخاليفها . سميت باسم السكسك ابن أشرس بن ثور من كندة . المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٩ .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٩ .

(٥) نفسه ج ١ ص ١٢٠ .

(٦) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٠ .

(٧) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٣١ .

كلاب لطيمة[1] في الجاهلية ، فيها نمط من ديباج ، فأرسل به إلى الكعبة فنيط عليها» .

قال الحافظ[2] : « فعلى هذا ، هو أول مَنْ كسى الكعبة الديباج » . ثم قال[3] : « وروى الدارقطني[4] في «المؤتلف» أن أول مَنْ كسى الكعبة الديباج نتيلة بنت حبان ، والدة العباس بن عبدالمطلب ، كانت أضلَّت العباس صغيراً، فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ، وذكر الزبير بن بكار أنها أضلت ابنها ضرار بن عبدالمطلب شقيق العباس، فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت ، فردّه عليها رجل من جذام[5] ، فكست الكعبة ثياباً بيضاً » . قال الحافظ[6] : « وهذا محمول على تعدد القصة » . اهـ .

فَعُلِمَ من ذلك أن العرب كانت تهتم بكسوة الكعبة ، وترى ذلك من الواجبات ، والفضائل ، والمفاخر ، وكان ذلك مباحاً لكل مَنْ يريد أن / [٢٤٩]
يكسو الكعبة ، متى شاء ، ومن أي نوع شاء ، وكانت الكسوة توضع على الكعبة فوق بعضها ، فإذا ثقلت أو بليت أزيلت عنها .

---

(١) اللطيمة : العير التي تحمل المسك والمتاع غير الميرة . ابن منظور - لسان العرب ج ١٢ ص ص ٥٤٣-٥٤٤ .

(٢) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٠ .

(٣) نفسه ج ٧ ص ٢٥٠ .

(٤) الدارقطني - هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي - أبو الحسن البغدادي من أهل محلة دار القطن ببغداد . أحد الحفاظ وأول من صنف في القراءات وتوفي سنة ٣٨٥ هـ .
انظر : الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٠ ، الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ص ٤٤٩ - ٤٦١ .

(٥) في الأصل « جزام » .

(٦) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥١ .

كسوة الكعبة في الإسلام :

أما كسوة الكعبة في الإسلام ، فقد أخذت شكلاً ألطف من شكلها في الجاهلية ، فروى الحافظ بن حجر[١] في الفتح من رواية : « الواقدي عن إبراهيم بن أبي ربيعة قال : كُسِي البيت في الجاهلية الأنطاع ، ثم كساه رسول الله ﷺ الثياب اليمانية ، ثم كساه عمر وعثمان القباطي ، ثم كساه الحجاج الديباج » . وقال[٢] : « يروي الفاكهي[٣] بإسناد حسن ، عن سعيد بن المسيب قال : لـمّا كان عام الفتح أتت امرأة تجمر الكعبة فاحترقت ثيابها ، وكانت كسوة المشركين ، فكساها المسلمون بعد ذلك » . وروى[٤] من طريق « ابن أبي شيبة عن محمد بن إسحاق ، عن عجوز من أهل مكة ، قالت : أُصيب عثمان ابن عفان وأنا بنت أربع عشرة سنة ، ولقد رأيتُ البيت وما عليه كسوة إلا ما يكسوه الناس الكساء الأحمر يطرح عليه ، والثوب الأبيض » . قال[٥] : «وروى الفاكهي[٦] بإسناد صحيح ، عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه كان يكسو بدنة القباطي والحبرات يوم يقلدها ، فإذا كان يوم النحر نزعها ، ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان فناطها على الكعبة » . قال الحافظ ابن حجر[٧] : « وهذا يدل على أن الأمر كان مطلقاً للناس . ويؤيده ما رواه عبدالرزاق[٨] عن
[٢٥٠] أبي علقمة عن أمه قالت : / سألت عائشة رضي الله عنها : أنكسو الكعبة ؟

---

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٩ .
(٢) أي ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٩ .
(٣) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٣١ .
(٤) أي ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٠ .
(٥) أي ابن حجر - نفسه ج ٧ ص ٢٥٠ .
(٦) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٣٢ .
(٧) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٠ .
(٨) نفسه ج٧ ص ٢٥٠ .

قالت : الأمراء يكفونكم . وقال عبدالرزاق[1] عن ابن جريج ، أُخْبِرْتُ أنّ عمر -رضي اللّه عنه- كان يكسوها القباطي ، وأخبرني غير واحد أَن النبي ﷺ كساها القباطي والحبرات ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأول مَنْ كساها الديباج عبدالملك بن مروان ، وأنّ مَنْ أدرك ذلك من الفقهاء قالوا : أصاب ، ما نعلم لها من كسوة أوفق منه ، وروى أبو عروبة[2] في أوائل له عن الحسن قال : أوّل مَنْ لبّس الكعبة القباطي النبي ﷺ » . اهـ .

وروى الأزرقي[3] عن خالد بن المهاجر : « أنّ النبي ﷺ خطب الناس يوم عاشوراء ، فقال النبي ﷺ : « هذا يوم عاشوراء، يوم تنقضي فيه السنة وتستر فيه الكعبة » .

وروى[4] عن ابن جريج قال : « كانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء ، إذا ذهب آخر الحاج ، حتى كانت بنو هاشم ، فكانوا يعلقون عليها القُمُص يوم التروية والديباج؛ لأن ترى الناس ذلك عليها بهاء وجمال ، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار » . وروى[5] عن نافع قال : « كان ابن عمر يكسو بدنة ، إذا أراد أن يحرم ، القباطي ، والحبرة ، فإذا كان يوم عرفة ألبسها إياها ، فإذا كان يوم النحر ، نزعها ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان فناطها على الكعبة » .

وروى[6] أيضاً عن أبي حبيب قال : « كسي البيت في الجاهلية الأنطاع ،

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٠ .
(٢) نفسه ج ٧ ص ٢٥٠ .
(٣) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٥٢ .
(٤) نفسه ج ١ ص ٢٥٢ .
(٥) نفسه ج ١ ص ٢٥٣ .
(٦) نفسه ج ١ ص ٢٥٣ والنص فيه اضطراب . حيث ذكر « فدعا لعبدالملك بن هشام وكان خليفة » فالخليفة كان « عبدالملك بن مروان » .

ثم كساه النبي ﷺ الثياب اليمانية ، ثم كساه عمر وعثمان القباطي ، ثم كساه
[٢٥١] الحجاج الديباج ، ويقال : أول من كساه / الديباج يزيد بن معاوية ، ويقال : ابن الزبير ، ويقال : عبدالملك بن مروان ، وأول من خَلَّقَ جوف الكعبة ابن الزبير ، وأول مَنْ دعا على الكعبة عبداللّه بن شيبة ، ويلقب الأعجم ، فدعا لعبدالملك بن هشام وكان خليفة » .

وروى الأزرقي(١) عن حبيب بن أبي ثابت قال : « كسا النبي ﷺ الكعبة ، وكساها أبو بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما » .

وروى(٢) أيضاً : « عن موسى بن عبيدة الربذي أن عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- كسا الكعبة القباطي من بيت المال » .

وروى(٣) عن أبي نجيح : « أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كسا الكعبة القباطي ، من بيت المال ، وكان يكتب فيها إلى مصر تُحاك له هناك ، ثم عثمان من بعده ، فلما كان معاوية بن أبي سفيان كساها كسوتين كسوة عمر القباطي ، وكسوة ديباج ، فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء ، وتكسى القباطي في آخر شهر رمضان للفطر . وأَجْرى لها معاوية وظيفة من الطّيب لكل صلاة ، وكان يبعث بالطيب ، والمجمر . والخلوق في الموسم وفي رجب ، وأخدمها عبيداً بعث بهم إليها فكانوا يخدمونها ، ثم اتبعت ذلك الولاة بعده» . انتهى .

وعلى ذلك ، كانت تكسى الكعبة في السنة مرتين ، وتعمل كسوتها بمصر من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- كما هو صريح في الرواية المتقدمة ، وتُسَلَّم القديمة إلى شيبة بن عثمان الحجبي رضي الله عنه .

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٥٣ .
(٢) نفسه ج ١ ص ٢٥٣ .
(٣) نفسه ج ١ ص ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

/ وروى الأزرقي[1] عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ أنها قالت : « كسوة البيت على الأمراء » . [٢٥٢]

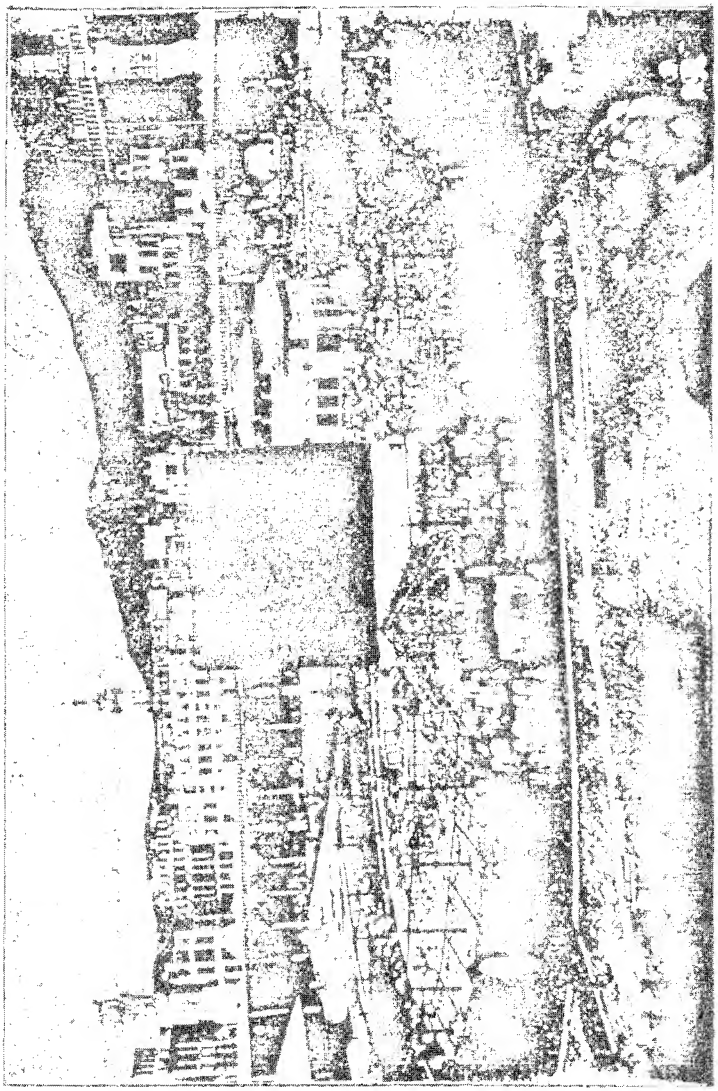
وروى[2] عن هشام بن عروة : « أن عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- كسا الكعبة الديباج » .

وروى[3] عن أبي جعفر محمد بن علي قال : « كان الناس يهدون إلى الكعبة كسوة ، ويهدون إليها البدن عليها الحبرات ، فيبعث بالحبرات إلى البيت كسوة ، فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج الخراساني ، فلما كان ابن الزبير اتبع أثره ، فكان يبعث إلى مصعب بن الزبير بالكسوة كلّ سنة ، فكانت تكسى يوم عاشوراء » .

وهذه الرواية تدل على أن يزيد بن معاوية وعبدالله بن الزبير كانا يكسوان الكعبة الديباج المصنوع في خراسان ، وذلك خلافاً لما عمله أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وتبعه الخليفة عثمان رضي الله عنه ، كما جاء في الرواية المتقدمة ، والظاهر أنهم كانوا ينظرون إلى المصلحة فإن كان ما يُحاك بمصر أجود مما يُحاك بخراسان أتوا بالكسوة من مصر . وإذا كان ما يُحاك بخراسان أجود أتَوا بها منها ، وهذا دليل على جواز عمل الكسوة في أي محلٍّ كان .

وروى[4] عن الواقدي عن أشياخه قالوا : « فلما ولي عبدالملك بن مروان كان يبعث كل سنة بالديباج ، فيمرّ به على المدينة ، فينشر يوماً في مسجد

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٤ .
(٢) نفسه ج ١ ص ٢٥٤ .
(٣) نفسه ج ١ ص ٢٥٤ .
(٤) نفسه ج ١ ص ٢٥٥ .



جهة الكعبة المعظمة الغربية وعليها الإزار الأبيض، ويظهر الركن على اليمين منحسراً عنه إزار الكعبة ويظهر فيه حالة المصلين في سجودهم

صورة رقم (١٠)

رسول اللّه ﷺ على الأساطين ها هنا ، وها هنا ، ثم يُطوى ويُبعث به إلى مكة ، وكان يبعث بالطيب إليها وبالمجمَّر ، وإلى مسجد رسول اللّه ﷺ ، ثم كان أوْل مَنْ أخدم الكعبة / يزيد بن معاوية ، وهم الذين يسترون البيت » . [٢٥٣]

هكذا جاءت الرواية ولم يصرح فيها عن الخدم هل هم العبيد ، أمْ هم الأغوات .

وروى الأزرقي[١] عن جدِّه قال : « كانت الكعبةُ تكسى في كلّ سنة كسوتين ، كسوة ديباج ، وكسوة قباطي ، فأما الديباج فتُكْساه يوم التروية ، فيعلق عليها القميص ، ويُدلّى[٢] ولا يخاط ، فإذا صدر الناس من منى خيط ، وترك الإزار حتى تذهب الحجاج ؛ لئلا يخرقونه ، فإذا كان العاشوراء ، علّق عليها الإزار ، فوُصل بالقميص ، فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم ٢٧ من شهر رمضان ، فتكسى القباطي للفطر . فلما كانت خلافة المأمون ، رُفع إليه أن الديباج يبلى ويتخرق قبل أن يبلغ الفطر ، ويرفع حتى يسمج ، فسأل ابن مبارك الطبري مولاه ، وهو يومئذ على بريد مكة وصوافيها : في أي كسوة الكعبة أحسن ؟ ! فقال له : في البياض ، فأمر بكسوة من ديباج أبيض ، فعملت ، فعلقت سنة ٢٠٦ ، فأرسل بها إلى الكعبة ، فصارت الكعبة تُكْسى ثلاث كسى ، الديباج الأحمر يوم التروية ، وتُكسى القباطي يوم هلال رجب ، وجعلت كسوة الديباج الأبيض التي أحدثها المأمون يوم ٢٧ من شهر رمضان للفطر ، وهي تكسى إلى اليوم ثلاث كسى ، ثم رُفع إلى المأمون أيضاً ، أن إزار الديباج الأبيض الذي كساها ، يتخرّق ويبلى في أيام الحج من مس الحجاج قبل أن يخاط عليها إزار الديباج

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) في الأصل « ويدلا » .

الأحمر الذي يخاط في العاشور ، فبعث بفضل إزار ديباج أبيض تُكساه يوم التروية[1] ، أو يوم / السابع ، فيستر به ما تخرق من الإزار الذي كسيته [٢٥٤] للفطر ، إلى أن يخاط عليها إزار الديباج الأحمر في العاشور . ثم رفع إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على اللّه ، أن إزار الديباج الأحمر يبلى قبل هلال رجب من مس الناس وتمسحهم بالكعبة ، فزادها إزارين مع الإزار الأول ، فأذال قميصها الديباج الأحمر وأسبله حتى بلغ الأرض - ومعنى (اذال) أسبل »[2] . قاله الأزرقي[3] - ثم جعل فوقه في كل شهرين إزار ، وذلك في سنة ٢٤٠ لكسوة سنة ٢٤١ ، ثم نظر الحجبة (آل الشيبي) فإذا الإزار الثاني لا يُحْتاج إليه ، فوضع في تابوت الكعبة ، وكتبوا إلى أمير المؤمنين أن إزاراً واحداً مع ما أذيل من قميصها يجزيها . فصار يبعث بازار واحد فَتُكْساه بعد ثلاثة أشهر ، ويكون الذيل ثلاثة أشهر » .

قال الأزرقي[4] : « ثم أمر أمير المؤمنين جعفر المتوكل على اللّه -عز وجل- بإذالة القميص القباطي ، حتى بلغ الشاذروان الذي تحت الكعبة في سنة ٢٤٣ » . اهـ .

هذا كل ما ذكره الأزرقي في تاريخه ، عن كسوة الكعبة إلى نهاية سنة ٢٤٣ .

وجاء في «الرحلة الحجازية»[5] نقلاً عن الفاكهي[6] في أخبار مكة أنه

---

(١) يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة الحرام . سمي بذلك لأن الناس كانوا يتروون فيه من الماء، أي: يحملونه معهم من مكة إلى عرفات ليستعملوه في الشرب وغيره . النووي - صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٩٦ .

(٢) أذال بمعنى أسبل وأرسل - ابن منظور - لسان العرب ج ١١ ص ٢٦١ .

(٣) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٥٦ .

(٤) نفسه ج ١ ص ٢٥٧ .

(٥) البتنوني محمد لبيب - الرحلة الحجازية - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - بدون تاريخ ص ١٨٩ .

(٦) لا يوجد الخبر في المطبوع من أخبار مكة للفاكهي .

قال : «رأيتُ كسوة مما يلي الركن الغربي (من الكعبة) مكتوباً عليها : (مما أمر به السري بن الحكم ، وعبد العزيز بن الوزير الجرومي ، بأمر الفضل بن سهل ذي الرئاستين[1] ، وطاهر بن الحسين[2] ، سنة سبع وتسعين ومائة ، ورأيتُ شقة من قباطي مصر ، في وسطها مكتوباً في أركانها بخط رقيق أسود : (مما / أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين) . ورأيتُ كسوة **[٢٥٥]**
من كساوي المهدي مكتوباً عليها : (بسم الله ، بركة من اللّه ، لعبداللّه المهدي محمد أمير المؤمنين أطال اللّه بقاءه ، مما أمر به إسماعيل بن إبراهيم أن يصنع من طراز تنيس[3] ، على يد الحكم بن عبيد سنة اثنتين[4] وستين ومائة) . ورأيتُ كسوة قباطي مصر مكتوباً عليها : (مما أمر به عبداللّه المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه اللّه ، محمد بن سليمان أن يصنع من طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن سلمة عامله ، سنة تسع وخمسين ومائة) . ورأيت[5] أيضاً كسوة لهارون الرشيد ، من قباطي مصر مكتوباً عليها : (بسم اللّه بركة من اللّه ، للخليفة الرشيد عبداللّه هارون أمير المؤمنين أكرمه

---

(١) في الأصل « الرآستين » . والتصحيح من البتنوني ص ١٨٩ والمصادر . وسمي الفضل بذي الرئاستين لأنه تقلد الوزارة والحرب للمأمون العباسي . وتوفي سنة ٢٠٢ هـ .
انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٢) طاهر بن الحسين : ذو اليمينين – أحد قادة المأمون ، ولي مصر ثم خراسان فأسس فيها الدولة الطاهرية . ت سنة ٢٠٧ هـ . المصدر السابق ج ١ ص ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(٣) تنيس : إحدى المدن المصرية التي كانت لها شهرة عظيمة في المنسوجات الثمينة ، وكانت ثغراً لمصر في شمال دمياط فهدمها الملك الكامل سنة ٦٢٤ لكثرة ما كانت توقع بها مراكب الفرنجة في الحروب الصليبية . ولا تزال أطلالها موجودة قرب مدينة المطرية (دقهلية) . البتنوني – الرحلة الحجازية ص ١٨٩ .

(٤) في الأصل « اثنين » والتصحيح من البتنوني – ص ١٨٩ .

(٥) أي الفاكهي كما ذكر البتنوني ص ١٨٩ .

اللّه ، مما أمر به الفضل بن الربيع[1] أن يعمل من طراز تونه سنة تسعين ومائة». انتهى .

قال البتنوني[2] : « ومن أعمال تنيس قرية يقال له تونة ، وكانت تصنع بها كسوة الكعبة أحياناً » . اهـ .

وذكر نجم الدين بن فهد القرشي[3] في كتابه «إتحاف الورى» في حوادث سنة ٩١ : « أن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، لما قَدمَ للحج أتى معه بكسوة الكعبة ، فنُشرت وعُلّقت على حبال المسجد ، من ديباج حَسَن لم يُرَ مثله قط ، فنشرها يوماً ثم طُوِيَت ورُفِعَت » . اهـ .

وذكر التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[4] : « أنه كسى الكعبة حسين الأفطس[5] العلوي كسوتين من قَزّ رقيق ، أحدهما صفراء ، والأخرى بيضاء، أمر بعملهما / أبو السرايا » . [٢٥٦]

وذكر ابن فهد[6] في حوادث سنة ٢٠٠ قال : « وفيها في يوم السبت أول يوم المحرم ، بعدما تفرّق الناس من مكة جلس الحسين بن الحسن الأفطس خلف المقام على نمرقة مثنية ، وأمر بالكعبة فجُرِّدت من الثياب ، وكانت قد

---

(١) الفضل بن الربيع : حاجب الرشيد ت سنة ٢٠٨ هـ . انظر الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) البتنوني - الرحلة الحجازية ص ١٨٩ .

(٣) ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ١١٦ .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٠ .

(٥) حسين الأفطس : الحسين بن الحسين بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولاّه أبو السرايا السري بن منصور مكة وجعل له الموسم سنة ١٩٩هـ . أساء السيرة - انظر ابن فهد - عز الدين عبد العزيز - غاية المرام ج ١ ص ص ٣٨٩ - ٣٩٣ .

(٦) ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٢٦٥ .

كثرت الكسوة على الكعبة ، فَجُرِّدت حتى بقيت حجارة مجردة ، ثم كساها كسوتين أنفذهما أبو السرايا من الكوفة من قزّ رقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء مكتوب عليهما :

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار ، أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية آل محمد ﷺ بعمل هذه الكسوة لبيت اللّه الحرام » . اهـ .

وذكر التقي الفاسي [1] : « وممَّن ذكر الأزرقي[2] أنه كسى الكعبة : أبوبكر الصديق رضي اللّه عنه ، ولم يذكر صفة كسوته ، ولا وقت كسوة عبداللّه ابن عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنهما- للكعبة ، ولا أن علي بن أبي طالب -رضي اللّه عنه- كسى الكعبة ، ولم أَرَ مَنْ صرّح بأنه كساها ، ولعله اشتغل عن ذلك بحروبه في تمهيد أمر الدين مع الخوارج » .

ثم قال[3] : « ووقع فيما ذكره الأزرقي من كسوة الكعبة ، القباطي ، والوصايل ، والحبرات ، والعصيب ، والأنماط . فأما (القباطي) فهي جمع قُبْطيّة بالضم ، وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض كأنه منسوب إلى القبط . وأما (الوصايل) فثياب حمر مخططة يمانية . / وأما (الحبرات) فهو ما كان [٢٥٧]
من البرود مخطّطاً ، وهو من ثياب اليمن . وأما (العصيب) فهو برود يمانية يعصب غزلها ، أي : يُجمع ويُشَدّ ثم يصبغ وينسج . وأما (الأنماط) فهي ضرب من البُسُط » .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٢١ .
(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٥٣ .
(٣) أي الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٢١ .

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[١] بعد ذكر ما تقدم عنه : «وحصلنا في أول من كساها (الديباج) على ستة أقوال : الأول : خالد - يعني ابن جعفر ابن كلاب . الثاني : أو نتيلة . الثالث : أو معاوية . الرابع : أو يزيد . الخامس : أو ابن الزبير . السادس : الحجاج ، ويجمع بينها[٢] بأن كسوة خالد ونتيلة لم يشملها كلها ، وإنما كان فيما كساها شيء من الديباج ، وأما معاوية فلعله كساها في آخر خلافته ، فصادف ذلك خلافة ابنه يزيد ، وأما ابن الزبير فكأنه كساها بعد تجديد عمارتها ، فأوّليته بذلك الاعتبار ، لكن لم يداوم على كسوتها الديباج ، فلما كساها الحجاج بأمر عبدالملك استمر ذلك ، فكأنه أول مَنْ داوم على كسوتها الديباج في كل سنة ، وقول ابن جريج أول مَنْ كساها ذلك عبدالملك ، يوافق القول الأخير ، فإن الحجاج إنما كساها بأمر عبدالملك» .

وذكر الأزرقي[٣] : « أن أوّل من ظاهَرَ الكعبة بين كسوتين عثمان بن عفان رضي الله عنه » .

وذكر الفاكهي[٤] : « أول من كساها الديباج الأبيض المأمون بن الرشيد ، واستمر بعده » .

قال الحافظ[٥] ابن حجر : « وكسيت في أيام الفاطميين الديباج الأبيض ، وكساها محمد بن سبكتكين[٦] ديباجاً أصفر ، وكساها الناصر العباسي ديباجاً

---

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥١ .

(٢) في الأصل « بينهما » والتصحيح من فتح الباري ج ٧ ص ٢٥١ .

(٣) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٦٠ .

(٤) الفاكهي - (في الملحق) ج ٥ ص ٢٣٣ . وأخذ المؤلف الخبر من ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥١ . وانظر الخبر عن الفاكهي . السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٣٢٨ .

(٥) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥١ .

(٦) محمد بن سبكتكين : هو محمد بن محمود بن سبكتكين سلطان غزنة والهند ، قتل سنة ٤٠٣هـ. الذهبي - سير أعلام النبلاء ج٧ ص ٤٨٨ .

أخضر ، ثم / كساها ديباجاً أسود ، فاستمر إلى الآن ، ولم تزل الملوك [٢٥٨] يتداولون كسوتها إلى أن وقف عليها الصالح إسماعيل بن الناصر في سنة ٧٤٣ قرية من نواحي القاهرة ، يقال لها (بيسوس)[١] ، كان اشترى الثّلثين منها من وكيل بيت المال ، ثم وقفها كلها على هذه الجهة ، فاستمر ، ولم تزل تُكسى من هذا الوقف إلى سلطنة الملك المؤيد شيخ[٢] سلطان العصر ، فكساها من عنده سنة لضعف وقفها ، ثم فوّض أمرها إلى بعض أمنائه وهو القاضي زين الدين عبد الباسط - بسط اللّه له في رزقه وعمره - فبالغ في تحسينها ، بحيث يعجز الواصف عن صفة حسنها ، جزاه اللّه على ذلك أفضل المجازاة ، وحاول ملك الشرق (شاه روخ)[٣] في سلطنة الأشرف برسباي أن يأذن له في كسوة الكعبة، فامتنع ، فعاد راسله أن يأذن له أن يكسوها من داخلها فقط فأبى ، فعاد راسله أن يرسل الكسوة إليه ويرسلها إلى الكعبة ويكسوها ولَوْ يوماً واحداً ، واعتذر بأنه نذر أن يكسوها ، ويريد الوفاء بنذره . فاستفتى أهل العصر ، فتوقفت عن الجواب وأشارت إلى أنه ان خُشِيَ منه الفتنة فيُجاب ، دفعاً للضرر ، وتسرع جماعة إلى عدم الجواز ، ولم يستندوا إلى طائل بل إلى موافقة هوى السلطان ، ومات الأشرف على ذلك » . اهـ .

قال ابن فهد القرشي[٤] في حوادث سنة ١٦٠ : « حجَّ المهدي ، وذكر له

---

(١) بيسوس : هي قرية باسوس بالقليوبية بمصر . البتنوني - الرحلة الحجازية ١٨٩ .

(٢) المؤيد شيخ : شيخ المحمودي الظاهري الجركسي أبو النصر تسلطن بمصر سنة ٨١٥ هـ ومات سنة ٨٢٤ هـ .

انظر : ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر ج ٣ ص ٢٣٧ . ابن تغري بردى - الدليل الشافي ج ١ ص ٣٤٧ ، الملطي- عبدالباسط بن خليل - نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ص ١٢٦ .

(٣) شاه روخ : شاه رخ بن تيمورلنك معين الدولة ملك الشرق وسلطان ما وراء النهر ، ت سنة ٨٥١هـ . ابن تغري بردى - الدليل الشافي ج ١ ص ٣٤٠ .

(٤) ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٢٠٤ .

السدنة أن كساوي الكعبة كثرت عليها ، والبناء ضعيف ونخشى عليها من الثقل . فأمر بتجريدها ، وطيّبها بالمسك والعنبر ظاهراً وباطناً ، ثم كساها ثلاث كساوي / من الخز والقباطي والديباج » . اهـ . [٢٥٩]

ونقل الفاسي[١] عن ابن عبد ربه في «العقد الفريد»[٢] قوله : « والبيت كله مستوفى ، إلاّ الرّكن الأسود ، فإنّ الأستار تفرج منه مثل القامة ونصف ، وإذا دنا وقت الموسم كُسي القباطي ، وهو ديباج أبيض خراساني ، فيكون تلك الكسوة ما دام الناس محرمين ، فإذا أحلَّ الناس وذلك يوم النحر ، حلّ البيت ، فكُسِي الديباج الأحمر الخراساني ، وفيه دارات مكتوب فيها : حمداً للّه وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه ، فيكون كذلك إلى العام القابل ، ثم تُكْسى أيضاً على حال ما وصفت ، فإذا كثرت الكسوة فَخُشِيَ على البيت من ثقلها ، خُفِّفَ منها ، فأخذ ذلك سدنة الكعبة وهم بنو شيبة . وكانت وفاة ابن عبد ربه سنة ٣٢٨ على ما ذكره الذهبي في «العبر»[٣] وغيره » . اهـ .

فَعُلِمَ من وصف ابن عبد ربه : أن ثوب الكعبة كان من الديباج الأحمر وأنه مكتوب [فيه][٤] ، وأنه كان يوضع للكعبة في موسم الحج إزار أبيض ، مثل ما هو جار في العصر الحاضر الذي يسمى إحرام الكعبة ، ثم في يوم النحر ، تُكسى الكعبة كسوتها الجديدة ، فظهر أن هذه القاعدة قديمة منذ أكثر من ألف سنة ولم تكن بالمحدثة ، واللّه أعلم .

---

(١) الفاسي – شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) ابن عبد ربه – العقد الفريد ج ٧ ص ٢٨٥ .

(٣) في الأصل « البحر » وهو خطأ ، والمقصود « العبر في خبر من غبر للذهبي » .

(٤) ساقطة في الأصل ، وإضافتها من المعلّق للسياق .

قال التقي الفاسي[1] : « ومن ذلك الديباج الأبيض في زمن الحاكم العبيدي[2] ، وفي زمن حفيده المستنصر العبيدي[3] ، كساها ذلك الصّليحي[4] صاحب اليمن ومكة[5] ، وكسى أبو النصر الإسترابادي كسوة بيضاء من / عمل الهند في سنة ٤٦٦ ، وكُسيت في هذه السنة الديباج الأصفر ، وهذه الكسوة عملها السلطان محمود بنَ سبكتكين[6] ، ثم ظفر بها نظام الملك[7] وزير السلطان ملكشاه[8] بن ألب أرسلان السلجوقي ، فأرسل بها إلى مكة ، وجعلت فوق كسوة أبي النصر ، وكُسيَت أيضاً كسوة خضراء ، وذلك في مبدأ خلافة الناصر العباسي ، ولعلها كَانت تُكسى ذلك من قبل . واللّه أعلم. وكُسيت في زمنه أيضاً كسوة سوداء ، فاستمرت فيما أحسب تُكْسى الديباج الأَسود إلى الآن ، وفيها طراز أصفر ، ، وكان قبل ذلك أبيض ، إلا أنّ في سنة ٦٤٣ كُسيَت ثياباً من القطن مصبوغة بالسواد ، كساها ذلك العفيف منصور بن منعةَ البغدادي شيخ الحرم بمكة ، لمّا تمزّقت كسوتها من الريح الشديدة التي وقعت بمكة في هذه السنة . ووجدتُ بخط [٢٦٠]

---

(١) الفاسي – شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) الحاكم العبيدي – الحاكم بأمر الله العبيدي ٣٨٦-٤١١هـ . انظر الذهبي – سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ص ١٧٣ – ١٨٤ .

(٣) المستنصر العبيدي – أبو تميم معد بن الظاهر العبيدي ٤٢٧ – ٤٨٧ هـ . انظر المصدر السابق ج ٥ ص ص ١٨٦ – ١٩٦ .

(٤) الصليحي – علي بن محمد بن علي الصليحي صاحب اليمن ومكة دخل مكة سنة ٤٥٥ هـ . انظر الفاسي – العقد الثمين ج ٦ ص ٢٣٨ ، ابن فهد – عز الدين – غاية المرام ج ١ ص ٥٠٠ وما بعد.

(٥) في الأصل « مسكه » .

(٦) محمود بن سبكتكين : السلطان المجاهد فاتح الهند مؤسس الدولة الغزنوية ، يمين الدولة . انظر: الذهبي – سير ج ١٧ ص ص ٤٨٣ – ٤٩٥ .

(٧) نظام الملك : الحسن بن علي بن إسحاق أبو علي الطوسي ، الوزير السلجوقي الكبير صاحب المدارس النظامية ، اغتالته الباطنية سنة ٤٨٥ هـ . انظر : ابن خلكان – وفيات الأعيان ج ٢ ص ص ١٢٨ – ١٣١ ، المصدر السابق ج ١٩ ص ص ٩٤ – ٩٦ .

(٨) السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان – السلطان السلجوقي المشهور تسلطن سنة ٤٦٥ هـ وتوفي سنة ٤٨٥ هـ . انظر المصدر السابق ج ١٩ ص ص ٥٤ – ٥٨ .

الميورقي[1] ما يقتضي أن هذه الريح كانت في سنة ٦٤٤ ، والله أعلم . ولمّا عُرِّيَت الكعبة في هذا التاريخ ، أراد صاحب اليمن الملك المنصور أن يكسوها ، فقال له ابن منعة : لا يكون هذا إلا من جهة الديوان - يعني الخليفة العباسي - ولم يكن عند ابن منعة شيء لأجل ذلك ، فاقترض ثلاثمائة مثقال ، واشترى بها الثياب المشار إليها ، وصبغها بالسواد ، وركّب فيها الطراز القديم[2] الذي كان في كسوة الكعبة ، وكساها بذلك . وفي سنة ٨١٠ أُحْدِثَت في جانب الكسوة الشرقي من الكعبة جامات ، منقوشة بالحرير الأبيض ، ووضع ذلك في سنة ٨١١ ، وفي سنة ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ ، وترك ذلك في سنة ٨١٥ وجُعِلَت كسوة هذا / الجانب كلها سوداء من غير جامات كما كانت أوّلاً ، **[٢٦١]** وكذلك في سنة ٨١٦ ، وفي سنة ٨١٧ ، وفي سنة ٨١٨ ، ثم جُعِلَت في كسوة الجانب الشرقي جامات منقوشة من الحرير الأبيض ، فيما تحت الطراز إلى أسفل الكسوة ، في كل شقة من هذا الجانب ، وذلك في سنة ٨١٩ وعمل في هذه السنة لباب الكعبة ستارة عظيمة الحسن ، أحسن من الستاير الأولى التي شاهدناها ، والجامات المشار إليها مكتوب فيها : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بالبياض ، وكان ذلك مكتوباً في الشقاق التي أحدثت سنة ٨١٠ وذلك دوائر ، واستمر الجامات البيض المشار إليها خمس سنين متوالية ، بعد سنة ٨١٧ و ٨١٨ ثم أزيلت ، وعوض عنها بجامات سود في سنة ٨٢٥ ، وفي كسوة الكعبة طراز من حرير أصفر ، وكان قبل ذلك أبيض على ما أدركناه ، وأول ما عمل أصفر قبل سنة ثمانمائة بسنة أو سنتين ، وفي الطراز مكتوب آيات من القرآن العظيم :

---

(١) الميورقي : هو أحمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى العبدري الميورقي أبو العباس ت سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م . أندلسي . انظر : الزركلي - الأعلام ج ١ ص ١٧٥ ، الحبيب الهيلة - التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٤٧ .

(٢) في الأصل « القديمة » .

من الجانب الشرقي قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١) .

وفي الجانب الغربي : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) . [٢٦٢]

وفي الجانب اليماني : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) .

وفي الجانب الشامي اسم صاحب مصر ، وأمْره بعمل هذه الكسوة ، وهذا الطراز المذكور في نحو الربع الأعلى من البيت » . اهـ .

هذا ما ذكره التقي الفاسي من جهة الطراز المتقدم ذكره ، وهو ما يسمى في العصر الحاضر (بحزام الكعبة) ، وما هو مكتوب عليه من الآيات القرآنية ، وأنه كان ذلك الطراز أبيض ، ثم صار في عصره أصفر ، وذكر أيضاً أنه كان يُعمل ستارة لباب الكعبة ، ولم يذكر أول مَنْ عمل الطراز ، والستارة التي على باب الكعبة ، ولا السنة التي عُمل فيها ذلك ، وقد جاء في وصف ابن عبد ربه في «العقد الفريد»(٤) لكسوة الكعبة - كما تقدم - أن فيها دارات

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦ -٩٧ .

(٢) سورة البقرة - الآية ١٢٧ .

(٣) سورة المائدة الآية ٩٧ .

وسقط من الأصل « الكعبة » . وجاءت « للناس » في الأصل « اللناس » .

(٤) ابن عبد ربه الأندلسي - العقد الفريد ج ٧ ص ٢٨٥ .

مكتوبة، وربما تكون هذه الدارات هي الطراز ، أو الحزام ، وقد بَحَثْتُ في كثير من الكتب لعَلِّي أعثرُ على أول مَنْ عمل الطراز ، وستارة الباب ؛ لأنه لم يَأْت ذكر الكسوة التي كانت تُكسى بها الكعبة في الجاهلية ، ولا في العصر النبوي ، ولا في عصر الخلفاء الراشدين ، ولا في عصر بني أمية ، ولا صدر الخلافة - التي تقدم ذكرها - إلى عصر المأمون ، أنه كان على كسوة الكعبة طراز ، أو ستارة على باب الكعبة ، فلم أعثر على ذلك .

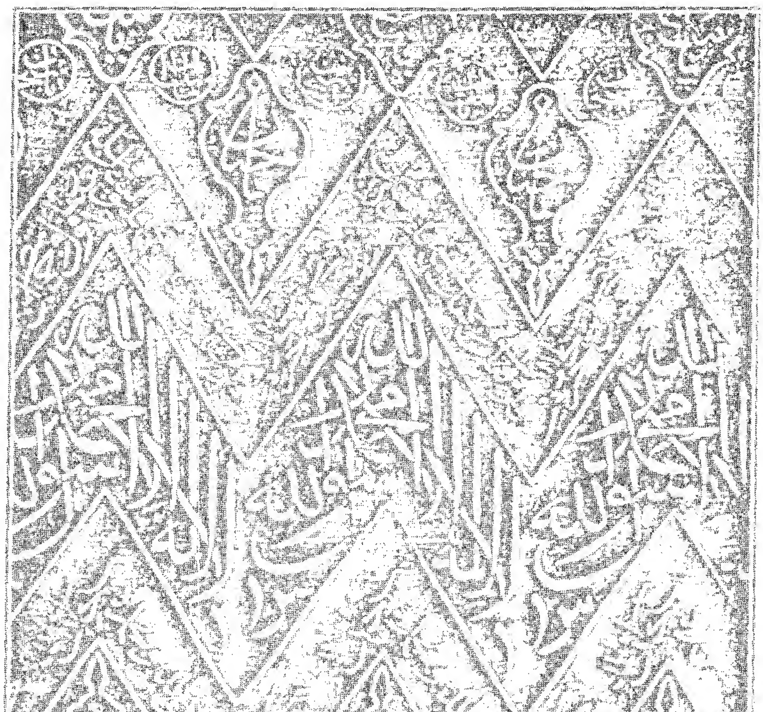
وقد ذكر ابن جبير الأندلسي[1] في رحلته ، كسوة الكعبة في عدة
[٢٦٣] مواضع / من رحلته ، وأشار إلى أنه لها طراز ، وإليك ما قاله[2] : « وفي يوم السبت ، يوم النحر ، سيقت كسوة الكعبة المقدسة من محلة الأمير العراقي إلى مكة على أربعة جمال ، تقدَّمها القاضي الجديد بكسوة الخليفة السوادية ، والرايات على رأسه ، وابن عم الشيبي محمد بن إسماعيل معها ، فَوُضِعَت الكسوة في سطح الكعبة . فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر الحج المذكور ، اشتغل الشيبيون بإسبالها خضراء يانعة ، في أعلاها رسم أحمر واسع، مكتوب في الصفح الموجه إلى المقام الكريم حيث الباب بعد البسملة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[3] -الآية وفي سائر الصفحات اسم الخليفة ، والدعاء له ، وتحفّ بالرسم المذكور طرَّتان حمراوان بدوائر صغار بيض ، فيها رسم بخط رقيق ، يتضمن آيات من القرآن ، وذكر الخليفة أيضاً ، فَكَمُلَت كسوتها ، وشمرت أذيالها صوناً لها من أيدي الأعاجم » . اهـ .

---

(١) ابن جبير - الرحلة ص ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤١ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٩٦ .



كسوة الكعبة المعظمة الحمراء التي كسيت بها من داخلها زمن السلطان عبدالعزيز خان العثماني

صورة رقم (١١)

فيستفاد مما تقدم ، وجود الحزام في كسوة الكعبة في عصره ، وهو بعد عصر ابن عبد ربه الأندلسي ؛ لأن رحلته ابتدأت سنة ٥٧٨ .

وقد ذكر في موضع آخر من رحلته[١] : أن سقف الكعبة كان مجللاً بستارة من داخلها ، وإليك ما قاله : « وسقف البيت مجلل بكساء من الحرير الملون » . انتهى .

وكذلك في العصر الحاضر مجلل سقف الكعبة من داخلها بالكسوة الحرير الحمراء ، المكتوب فيها في أصل النسيج بالحرير الأبيض : (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) ، وبعض أسماء من أسماء اللّه الحسنى ، وكأن ذلك كان [٢٦٤] يُستعمل / من قديم الزمان ، كما أن الكتابة التي على طراز الكسوة التي ذكرها التقي الفاسي ، هي موجودة في حزام الكعبة في العصر الحاضر ، غير أن الوضعية والشكل يختلف عما ذكره الفاسي كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً في محله إن شاء اللّه تعالى .

ولإتمام الفائدة أذكر ما قال ابن بطوطة[٢] في رحلته عن وصف كسوة الكعبة في عصره فقال : « وفي اليوم ٢٧ من شهر ذي القعدة ، تُشْمر ستارة الكعبة الشريفة إلى نحو ارتفاع قامة ونصف ، من جهاتها الأربع ، صوناً لها من الأيدي أن تنتهبها ، ويسمون ذلك إحرام الكعبة ، وهو يوم مشهود بالحرم الشريف » .

---

(١) ابن جبير – الرحلة ص ٥٤ .

(٢) ابن بطوطة – محمد بن عبدالله اللّواتي – رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار – حققه وقدم له : د . علي المنتصر الكتّاني – مؤسسة الرسالة ط٤ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ج ١ ص ١٨٦ .

وقال في موضع آخر[1] : « وفي يوم النحر ، بُعثَت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري إلى البيت الكريم ، فوضعت في سطحه ، فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر ، أخذ الشيبيون في إسبالها على الكعبة الشريفة ، وهي كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالكتان ، وفي أعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض : ﴿ جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً ﴾ - الآية ، وفي سائر جهاتها ، طراز مكتوب بالبياض آيات من القرآن . ولمّا كُسِيَت شُمرت أذيالها صوناً من أيدي الناس » .

ثم قال[2] : « والملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة » . انتهى .

وكانت حجته سنة ٧٢٨ ، وكلّ ما تقدم يدلّ على أن كسوة الكعبة المشرفة كانت على أنواع وأشكال مختلفة ، وذلك حسب رغبة ولاة الأمر على مختلف العصور ، والأزمان .

/ وذكر نجم الدين بن فهد القرشي[3] في حوادث سنة ٨٢٦ : « أنه أزيلت كسوة الناصر من الكعبة ، وأحلّها ، وعُوِّضت بكسوة جديدة حمراء ، أنفذها الأشرف برسباي على يد عبدالباسط ناظر الجيش ، وجُعلَت [في][4] جوف الكعبة في موسم هذه السنة » . وذكر[5] أيضاً في حوادث سنة ٨٤٧ : « أنَّه في أوائل المحرم ، أُزيل عن الكعبة الشريفة نصف كسوتها من ناحية باب إبراهيم ، وأُخرج منها شقة كانت زائدة ، وكانت الرياح تجتمع في الكسوة ، [٢٦٥]

---

(١) نفسه ج ١ ص ١٨٨ .

(٢) نفسه ج ١ ص ١٨٨ .

(٣) ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٣ ص ٥٩٦ .

(٤) سقطت « في » من الأصل والإثبات من المصدر السابق ج ٣ ص ٥٩٦ .

(٥) نفسه ج ٤ ص ٢١٩ .

وأعيدت الكسوة إلى مكانها في يومها » . وذكر[1] أيضاً في حوادث سنة ٨٥٦ : « أنه في يوم الأربعاء ٥ رمضان ، أُخرج ما على الكعبة الشريفة -من داخلها- من الكسوة المنسوبة إلى الأشرف ، والكسوة المنسوبة إلى شاه رخ ، وتركَّبت[2] الكسوة المنسوبة إلى الملك الظاهر جقمق؛ لأنه وصل منه مرسوم بذلك » .

وذكر السنجاري[3] في حوادث سنة ٨٦٥ : « أن الملك الظاهر أرسل كسوة الكعبة الجانب الشرقي والشامي ، ديباج أبيض بجامات سود ، وفي الجامات بعض قصب » . انتهى .

وذكر ابن فهد في حوادث[4] سنة ٨٦٩ قال : « وفيها كسيت الكعبة المشرفة على العادة ، ورفع الطراز الثاني الذي جعل في السنة الخالية فوق بقليل ، وجُعلت الجامات التي فعلت في السنتين الخاليتين بين[5] الطرازين » .

وذكر في حوادث[6] سنة ٨٨٣ : « أنه في يوم الأربعاء غرة ذي الحجة ، حُمل إلى المسجد الحرام كسوة الكعبة الشريفة ، التي تُكْساها من داخلها ، أرسل بها / السلطان أبو النصر قايتباي ، فنُشرَت بالمسجد ، ثم حُملت إلى جوف [٢٦٦]
الكعبة ، وشُرع في تعليقها في محلها ، فحضر لذلك أمير الحاج ، والشريف ، وطائفة من الأعيان ، والسدنة ، وغيرهم ، ثم حال كسوتهم لها وجدوا بجدار الكعبة ، أو أساطينها ، ما يحتاج إلى إصلاح فأصلح ، وكُسيَت الكعبة » . اهـ .

---

(١) ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٤ ص ٣١٧ .

(٢) في الأصل « وتركبت » وفي المطبوع عند ابن فهد ج ٤ ص ٣١٧ « وتركت » .

(٣) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ١٣٦ وعند ابن فهد - « بعض ذهب » بدلاً من « قصب » - إتحاف الورى ج ٤ ص ٤٢١ .

(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ٤٦١ .

(٥) في الأصل « من » والتصحيح من المصدر السابق ج ٤ ص ٤٦١ .

(٦) نفسه ج ٤ ص ٦٣٨ .

فعلم مما تقدم ، أن كسوة الكعبة من داخلها تقع على سبيل النادر ، إمّا أنه متى بَليَت جُددت ، وإما أنه متى أراد أحد الملوك أو السلاطين تجديدها ، جدّدها ، وذلك بخلاف كسوتها من الخارج ، فإنها كانت تُكْسى سنوياً على الدوام ، إلا ما كان يقع نادراً من التخلي من كسوتها ، بسبب الحروب أو الفتن، وهذا نادر كما سيأتي في سياق التاريخ .

قال التقي الفاسي(١) : « وكسوتها في هذه السنة ، وفيما قبلها من سبعين سنة ، من الوقف الذي أوقفه السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ، أيام سلطنته ، على كسوة الكعبة في كل سنة ، وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوي ، في كل خمس سنين مرة ، وهذا الوقف قرية بنواحي القاهرة من طرف القليوبية مما يلي القاهرة ، اشتراها الملك الصالح من بيت المال ، ووقفها على ما ذكر فيها . ولم يكْسها أحدٌ من الملوك بعد ذلك ، إلا أخوه الملك الناصر حسن ، إلا أن كسوته لم تَكن لظاهر الكعبة وإنما هي لباطنها . وهي الكسوة التي في جوفها الآن . وبلغني أنها كانت أطول من هذا ، بحيث تصل إلى الأرض ، وهي الآن / ساترة لمقدار [٢٦٧]
النصف الأعلى وسقفها ، وهي حرير أسود ، وفيها جامات مزركشة بالذهب ما خلا شقة من السقف بين الأسطوانتين اللتين تليان الباب ، فإنها كمخة حرير حمراء ، في وسطها جامة كبيرة مزركشة بالذهب ، وكان أرسل السلطان حسن بهذه الكسوة في سنة ٧٦١ ، وبلغني أنه كان في جوف الكعبة

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ١٢٣ - ١٢٤ .

قبلها كسوة للملك المظفر[1] صاحب اليمن ، والملك المظفر أول مَنْ كسى الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بني العباس من بغداد، وذلك في سنة ٦٥٩ ، واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر ، وانفرد بكسوتها في بعض السنين ، وكان المتولي لذلك غالباً » . اهـ .

وهذه أول مرة ذكر التاريخ زركشة الكسوة بالذهب ، حيث لم يأتِ في الكسوة التي قبلها منذ كسيت الكعبة زركشة شيء من كسوتها - لا الداخلية ولا الخارجية - بالذهب، وإنما كانت الزركشة بألوان الحرير ، كما تقدم . واللّه أعلم .

قال التقي الفاسي[2] : « وأوّل مَنْ كساها من ملوك مصر بعد بني العباس، الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي[3] . وأول سنة كسى فيها الكعبة سنة ٦٦١ . وممَّن كسى الكعبة من غير الملوك الشيخ أبو القاسم رامشت، صاحب الرباط بمكة ، كساها من الحبرات وغيرها ، وكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار مصرية[4] ، على ما قال ابن الأثير[5] . وقيل بأربعة آلاف دينار ، وذلك في سنة ٥٣٢ » .

---

(١) الملك المظفر صاحب اليمن ابن المنصور : يوسف بن عمر بن علي بن رسول . وكان له اهتمام كبير بالحرم . انظر الفاسي - العقد الثمين ج ٨ ص ١٧٢ .
انظر : ابن فهد - النجم - إتحاف الورى حوادث سنة ٦٤٦ - ٦٦٦ هـ ، ج ١ ص ص ٦٧-٩٢ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٤ .

(٣) الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي - سلطان مصر المملوكي الشهير . انظر عنه : ابن تغري بردى - النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٠٢ وما بعد . ابن دقماق - الجوهر الثمين ج ٢ ص ٨٠ وما بعد . الملطي - نزهة الاساطين ص ص ٧٤ - ٧٦ .

(٤) في الأصل « مغربية » والتصحيح من ابن الأثير - الكامل ج ٨ ص ٣٦٣ .

(٥) المصدر السابق ج ٨ ص ٣٦٣ .

[٢٦٨] ثم قال الفاسي [1] : « والكعبة تُكْسى في عصرنا هذا ، يوم / النحر في كل سنة ، إلا أن الكسوة في هذا اليوم تُسْدل عليها من أعلاها ، ولا تسبل حتى تصل إلى منتهاها على العادة ، وهو شاذروان الكعبة ، إلا بعد أيام من النحر ، ويأخذ سدنتها بنو شيبة يوم النحر ما بقي على الكعبة من كسوتها القديمة ، وهو مقدار نصفها الأعلى ، وأخذهم للنصف الأسفل في ١٧ ذي القعدة من كل سنة ، ويأتي الحج المصري ، ومعه أعلامه ، والدبادب ، حتى يدخل المسجد ، ويخرج إليه كسوة الكعبة من جوفها ، فتُنْشَر في المسجد في صحنه ، مما يلي الشق اليماني ، تبرز كسوة كلّ شقّ ، ويرفعها أعوان الأمير مع الحجبة إلى أعلى الكعبة حتى يكمل ، وتسدل على الكعبة على الصفة السابقة ، وموجب وضعها في الكعبة قبل الحج صوناً من السرقة ، لأن قبل ذلك سُرِقَ بعضها من محل الأمير بمنى ، ثم عادت إليه بشيء بَذَلَهُ ، وصار الأمراء بَعده يضعونها في الكعبة عند توجههم من مكة إلى الموقف .

وفي سنة ٨١٨ كُسيَت الكعبة في رابع ذي الحجة ، أسبالا على نصفها الأعلى ، ولم تكسَ في سنة ٨١٩ إلا في يوم النحر على العادة القديمة التي أدركناها . وكُسيَت في سنة ٨٢٠ في ثالث ذي الحجة ، وكذلك في سنة ٨٢١ ، وكُسيَت في ثلاث سنين متوالية بعد ذلك في هذا التاريخ أو بعده ، قبل اليوم السادس من ذي الحجة ، ثم كُسيَت في سنة ٨٢٥ في يوم النحر ضحى » . اهـ.

وقال قطب الدين الحنفي في كتابه «الإعلام» [2] بعد أن ذكر شيئاً وجيزاً مما تقدم ذكره : « ثم بعد الخلفاء العباسيين ، وأيام وهنهم وضعفهم ، كانت

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) قطب الدين الحنفي - الإعلام ، ص ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ص ص ٧٠ - ٧١ من طبعة المكتبة العلمية .

[٢٦٩] / كسوة الكعبة الشريفة تارة من قِبَل سلاطين مصر ، وتارة من قبل سلاطين اليمن ، بحسب قوتهم وضعفهم ، إلى أن استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر ، إلى أن اشترى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ، وقفهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة ، اسمهما (بيسوس ، وسندبيس[(١)]) .

ثم استمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام ، وكانوا يرسلونها عند تجدد كل سلطان مع الكسوة السوداء التي تُكسى من ظاهر البيت الشريف ، وكسوة حمراء لداخل البيت الشريف ، وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، مكتوب على كلّ من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء : (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) دَالاَت في قلب دَالاَت ، وقد تُزاد في حواشي تلك الدالات آيات أخر[(٢)] مناسبة ، وأسماء أصحاب رسول اللّه ﷺ ، أو تترك ساذجة ، بحسب ما يؤمر النساج به ، فلما آلت سلطنة ممالك العرب إلى سلاطين آل عثمان ، وأخذ المرحوم السلطان سليم ابن السلطان بايزيد خان مملكة العرب من الجراكسة ، جهزت كسوة المدينة الشريفة على ما جرت به العادة ، وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد .

ولما آلت السلطنة إلى السلطان سليمان خان ، أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة ، ثم إن قريتي بيسوس ، وسندبيس ، الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة خربتا ، وضعف ريعهما عن الوفاء بمصرف
[٢٧٠] الكسوة، فأمر أن / تكمل من الخزائن السلطانية بمصر ، ثم أضاف إلى تلك

---

(١) سندبيس : من قرى الدقهلية بمصر . البتنوني - الرحلة الحجازية ص ١٨٩ .

(٢) في الأصل « آخر » وكذلك في طبعة المكتبة العلمية ، الإعلام ص ٧٠ .

القريتين الموقوفتين قرى أخرى ، وقفها على كسوة الكعبة الشريفة ، فصار وقفاً عامراً فائضاً مستمراً ، وذلك من أعظم مزايا السلاطين العظام التي يفتخرون بها على ملوك الأنام ، وهي الآن [في صفحات دفاتر][1] آل عثمان الكرام » . اهـ .

وجاء في «مرآة الحرمين»[2] ما نصه : « وكسوة الكعبة من سنة ٧٥٠ ، من الوقف الذي وقفه الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر بن قلاوون على كسوة الكعبة كل سنة ، وعلى كسوة الحجرة النبوية ، والمنبر النبوي في كل خمس سنين مرة ، وهذا الوقف عبارة عن ثلاث قرى : بيسوس ، وسندبيس ، وأبي الغيط ، من قرى القليوبية اشتراها من بيت المال ووقفها على كسوة الكعبة والحجرة ، وقد اشترى السلطان سليمان ابن السلطان سليم خان عدة قرى بمصر ، أضافها إلى القرى التي وقفها على الكسوة الملك الصالح ، وهذه القرى هي : ١- سلكه ٢- سرو بجنجة ٣- قريش الحجر ٤- منايل وكوم رحان ٥- بجام ٦- منية النصارى ٧- يطاليا . ولم تزل موقوفة على ذلك حتى حل وقفها محمد علي باشا[3] في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وتعهدت الحكومة بصنع الكسوة من مالها العام ، ولا يزال ذلك دأبها للآن » .

ثم قال[4] : « وهاك نص الوقفية كما نقلته عن مرآة مكة لحضرة أمير اللواء

---

(١) في الأصل « من مخصصات » والإثبات من الإعلام للنهروالي ص ٧١ طبعة المكتبة العلمية .

(٢) إبراهيم رفعت باشا - مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية - ج ١ ص ٢٨٥ .

(٣) محمد علي باشا الألباني - والي مصر ١٢٢٠-١٢٦٥هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٩م . انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٤) أي إبراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين ج ١ ص ص ٢٨٥ - ٢٩٠ .

البحري العثماني أيوب صبري باشا[1] :

---

(١) بعد أن أورد الأستاذ يوسف أحمد مفتش الآثار العربية في كتابه « المحمل والحج - ج ١ ص ٢٥٧ » أسماء القرى العشر التي في الوقفية قال :

« رجوت حضرة صديقي المؤرخ البحاثة صاحب العزة محمود رمزي بك المفتش بالمالية سابقاً أن يبحث عن أسماء القرى العشر الواردة في هذه الوقفية ، وهل هي موجودة إلى الآن كلها أو بعضها؟ وهل تغيرت الأسماء؟ فتفضل علي بهذا البيان الطريف الآتي ، فله مني ومن جميع المسلمين خالص الشكر ووافر الثناء :

١ - بيسوس : هي القرية التي تعرف اليوم باسم باسوس بمركز قليوب - مديرية القليوبية .

٢ - أبو الغيث : تعرف باسم أبو الغيط بالمركز المذكور .

٣ - حوض بقنص : الحوض الذي يعرف اليوم باسم حوض بقيس بأراضي ناحية مرصفا بمركز بنها بمديرية القليوبية .

٤ - سلكه : هي اليوم إحدى قرى مركز المنصورة بمديرية الدقهلية .

٥ - سروبجنجة : صوابه سر بججه ، وهي القرية التي تعرف اليوم باسم « السرو » بمركز فارسكور بمديرية الدقهلية .

٦ - قريش الحجر : القرية التي تعرف اليوم باسم « أويش الحجر » بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية .

٧ - منايل وكرم رحان : التي تعرف اليوم باسم « المنايل » بمركز شبين القناطر بمديرية القليوبية .

٨ - بجام : إحدى قرى مأمورية ضواحي مصر .

٩ - منية النصارى : التي تعرف اليوم باسم منية النصر بمركز دكرنس بمديرية الدقهلية .

١٠ - يطاليا : بالبحث لم أجد بين أسماء البلاد المصرية قديمها وحديثها قرية بهذا الاسم ، وإنما يوجد اسم قريب منه وهو « طماليا » إحدى قرى مركز اشمون بمديرية المنوفية . كما أنه يوجد قديماً قرية اسمها « بتالي » بولاية الغربية . ولم أستدل على موقعها . وعلى كل حال فهاتان القريتان هما خلاف قرية يطاليا المذكورة في الحجة بأنها من ولاية الشرقية .

يوسف أحمد - المحمل والحج ج ١ ص ٢٥٧ . انظر السباعي - أحمد - تاريخ مكة ج ٢ ص ص ١٢١ - ١٢٢ . الكردي - محمد طاهر - التاريخ القويم ج ٤ ص ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

/ صورة وقفية الكسوة الشريفة : [٢٧١]

﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾

الحمد للّه الذي رفع القبة الخضراء، ووضع بساط الغبراء، وسمك في سمائه الأفلاك، وملك في أرضه الأملاك، ففتح مناهج الملك والدولة الغراء بيمن وقاية السلاطين، وحسن رعاية الأمراء، وجعل الكعبة البيت الحرام لشعائر الدين الزهراء، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْه﴾ [(١)] واستسعد بحجة يوم الجمراء، ثم الصلاة والسلام على سيد الأنبياء، محمد أعلم الرسل الأعلام والأبناء، وعلى آله الكرام الأتقياء، وأصحابه العظام الأصفيا.

نمّقه العبد المحتاج إلى عفو ربه الصمد، محمد بن قطب الدين محمد، القاضي بالعساكر المظفرة المنصورة في ولاية الأناطول.

أما بعد، فهذه وثيقة أنيقة، بديعة المعاني والبيان، هادية منمقة أنيقة، بليغة المباني والتبيان، تواري عباراتها راحاً رحيقاً، بل هي أصفى، وتجاري استعارتها مسكاً سحيقاً، بل هي أزكى، يشعر عما هو الحق القاطع، ما حواه فحواها، وتخبر عما هو الصدق الساطع، ما أداه مؤداها، وهو أنه قد بان لكل ذي عقل سديد، أن الدنيا الدنية قنطرة العابرين، ورباط المسافرين، يحلّ هذا ويرحل ذاك، ولا يدري أحد إلا ويمتطي صهوتي أدهم الليل وأشهب النهار، ويسير مع السائرين إلى منتهى الآجال والأعمار، وهي للموعظة / ما [٢٧٢]
قال سيد الكائنات، عليه أفضل الصلوات، «استمعوا وعوا من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت»[(٢)]، فلا ريب أن العاقل من اعتبر من الرواحل، واتخذ فيها لرحيله ذخيرة وزاداً، وادَّخر لمقامه الباقي عدة وعتاداً،

(١) سورة البقرة الآية ١٥٨ .

(٢) هذه ليست من أحاديث الرسول ﷺ ، بل من خطب قس بن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ ، وقد أشار إلى ذلك المؤلف في ص ٣١٧ .

بالصدقات التي ينال بها النجاة ، ويتوسل بها إلى الجنّات ؛ على ما نطق به القرآن ، وحديث رسول الرحمن ، حيث قال عز من قائل : « إنَّ اللّهَ يَجْزي الْمُتَصَدقينَ وَالْـمُتَصَدقْات» (١) ، وقال عليه الصلوات التامات : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »(٢) ألا وهي الوقف . فلما تفكّر في جميع ذلك السلطان الأعظم ، والخاقان الأكمل الأكرم ، ظل اللّه في أرضه وخليفته على خليقته في رفعه وخفضه ، علوي العلا ، من آل عثمان ، عثماني المحيا ، من سلاطين الزمان ، سلطان البحرين والبرين ، العرض القائم بالسنة والفرض ، عاشر المجددين لدين الإسلام بأحسن المعاشر ، وعاشر السلاطين العثمانية كالعقد العاشر ، السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان سليمان شاه بن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ، لا زالت حديقة حقيقة العالمين منضرة بماء حياته ، ونماء ذاته ، وحدقة العالمين منورة بضياء صفاته ، وبيضاء سناء حسناته ، وبلغ أرواح آبائه ، وأجداده الرحمة ، وسقاهم بالكوثر ، وأسبغ عليهم نعم غفرانه وأنذر ورأى منها في نفسه النفيسة نعَم اللّه تعالى
[٢٧٣] جزيلة ، لا يسع شكرها على ذاته الكريمة منه منّة جميلة ، / ليس في طوقه ذكرها ، أراد استقرارها بالأوقاف القارة ، واستمرارها بالإرادة الدّارة ، متفكراً في قول الملك الخلاق : ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾(٣) .

---

(١) هذه ليست آية ، فمن الخطأ القول : حيث قال عزّ من قائل . فالآيات الدالة على ذلك : قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ سورة الحديد الآية ١٨ . وقوله عز وجل : ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ سورة الأحزاب الآية ٣٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٨٥ .

(٣) سورة النحل الآية ٩٦ .

ونَظَرَ في قول : «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [١] وعالماً بأن تعظيم الكعبة المستورة بالأستار الشريفة العالية وتشريفها في الحج يوجب الجنة ، ويصير الهدف الساتر من العذاب والجنة ، وسائماً في قلبه الفسيح من قول الرسول : « من زارني وجبت له شفاعتي »[٢] أن يستشفع منه بتكريم قبره بالأستار ، بل بتشريف مراقد الأتباع[٣] ، وستر مراشد الأشياع أيضاً بالإزار ؛ تنزيلاً إياه منزلة الزيارة الدائمة ، والخدمة القائمة ، على مرّ الدهور والأعصار ، فإن تلك المواضع وإن كانت جرت العادة بسترها ، لكنها كانت بالأموال المتطرفة ، والأثمان المتفرقة ، فأحَبَّ أن يكون ما يصرف إلى هذه الآثار الشريفة من الأموال المتميزة المتبركة المنيفة ، فعين لهذا أجمل أملاكه وأسبابه ، وأجمل أمواله وأكسابه ، فلذلك قد قال لدى المولى الفاضل ، التحرير الكامل ، مصباح رموز الدقائق ، مفتاح كنوز الحقائق ، كشاف المشكلات ، حلاّل المعضلات ، الموقّع أعلى هذا الكتاب ، يسّر اللّه له حسن المآب ، بقوله الشريف ، ولطفه اللطيف ، العاري عن الاعتساف ، الحاوي على الإقرار والاعتراف ، الذي يجوزه الشرع ، لاحتوائه على ما يغير الأصل والفرع ، وحكى بأنه قد وقف أوقافاً وسبَّلها ، وحبس أملاكاً وكملها ، على النمط الأكْفى الأشمل ، وعلى الطريق / المشروع الأكمل ، لتكون لهذه [٢٧٤]
المصلحة أوقافاً قارة ، وإدرارات دارّة ، في الدنيا العاجلة ، ومفيدة له في يوم الجزاء والآجلة ، وتكون عدة معدة لغده عن أمسه ، ومزية منورة لا تفارقه في رمسه ، وتصيرها جسرة من العذاب وجُنَّة ، ويكون جزاءها مثل جزاء الحج

---

(١) خرّج البخاري -رحمه الله- في باب الحج المبرور : « سئل رسول الله ﷺ : أيّ الأعمال أفضل؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور» . صحيح البخاري ج ٢ ص ١٤١ .

(٢) وهناك حديث ضعيف بالمعنى ذاته رواه البيهقي « من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة » . انظر الأحاديث الواردة في فضائل المدينة رقم ٣٢٢ .

(٣) هذا مخالف لهدي النبي ﷺ في هذا الباب .

المبرور الجنة ، وتكون باعثة للرفاعة ، وموجبة للشفاعة ، منها جميع القرى الثلاث المسماة (بيسوس) ، و(أبو الغيث) ، و(حوص بقمص) ، الواقعة بالولاية المصرية التي كان حاصل منها في السنة الواحدة مبلغ (٨٩٠٠٠) درهم، ومنها جميع القرى السبع الجديدة الواقعة في الولاية الشرقية بالديار المصرية ، أولها : قرية (سلكه) ، كان حصل منها في تلك السنة مبلغ (٣٠٤٩٦) درهماً ، وثانيها : قرية (سير وبجنجة) حاصلها فيها مبلغ (٧١٨٢٠) درهماً ، وثالثها : قرية (قريش الحجر) حاصل ما فيها مبلغ (٥١٣٠٤) درهماً ، ورابعها : قرية (منايل وكوم ريحان) حاصل ما فيها مبلغ (٣٧٨٤٠) درهماً ، وخامسها : قرية (بجام) حاصل ما فيها (١٤٩٣٤) درهماً، وسادسها : قرية (منية النصارى) وحاصل ما فيها مبلغ (٦٠٨٥٨) درهماً ، وسابعها : قرية (يطاليا) وحاصلها مبلغ (١٠٤٨٤) درهماً ، يكون مجموع النقود المزبورة في تلك السنة المسفورة مبلغ (٣٦٦٧٣٦) درهماً فضياً محاذياً بنصف القطعة رائجاً في الوقت ، أيد اللّه تعالى دولته ، من سكها باسمه السامي ، ورفّه رعاياه بعدله المتوفر النامي ، وقف جميع القرى المزبورة
[٢٧٥] المستغنية عن التعريف والتحديد والتبيين والتوصيف، / لشهرتها في مكانها عند أهاليها وجيرانها ، ولكونها مشروحة ومعلومة في الدفاتر السلطانية ، والمناشير الخاقانية ، بجملة ما لها من الحدود والحقوق، وما ينسب إليها بالأصالة والحقوق ، والمراسم ، والمرافق ، والمداخل ، والطرائق ، خلا ما يستثنى منها شرعاً من المساجد ، والمعابد ، والمنابر ، والمعابر ، والمراقد ، والمقابر ، والأملاك ، والأوقاف ، وسائر ما يعرف مبيناً بينه بالأسامي والأوصاف ، وسلم جميعها إلى مَنْ ولاّه عليها بموجب التبرع المنصوص ونصبه للخدمة بالأمانة والاستقامة في هذا الخصوص ، وتسلمها هو منه

للتصرف فيها بالوجه السداد على ما هو المراد ، تسليماً وتسلماً صحيحين شرعيين . ثم عين السلطان الفائق على حذافير السلاطين في الآفاق بالاستهلاك والاستحقاق، والسابق في مضامير التدابير بمكارم الأخلاق ومراسم الاشفاق ، لا زالت شموس سعادته أبدية الإشراق، وما برحت نجوم سلطنته محمية عن الانمحاق ، مما يحصل من تلك القرى الموقوفة المذكورة على حسب التخمين ، التي مدارها حصل السنة المشروحة المزبورة، فالتعيين على هذه النسبة في جميع الأعوام ، قَلَّت المحصولات أو حلَّت بتفاوت الشهور والأيام ، مبلغ مائتي ألف درهم وستة وسبعين ألف درهم ومائتين وستة عشر درهماً ، لأستار ظاهر الكعبة الشريفة شرفها اللّه تعالى، في كل سنة مرة ، على ما جرت به العادة القديمة ، في السنين الماضية القديمة ، طبْقاً على هذا التخمين بعد الصرف المذكور ، في السنة المذكورة ، في السنة مبلغ ثمانية وثمانين ألف / درهم وتسعمائة درهم وستة وثلاثين درهماً ، وشرط أن [٢٧٦]
يحفظ ذلك الباقي بحفظ المتولي تمام خمسة عشر عاماً ، فيكون عدد الجمع في هذا العالم على التخمين التام مبلغ ثلاثة عشر مرة مائة ألف درهم وأربعين درهماً ، فعين من هذا الباقي في المحفوظ المجموع المسطور لأستار المواضع التي تجدد في انقضاء كل خمسة عشر عاماً مرة ، وبعد تجديدها المزبور لا تجدّد كل سنة ، بل تروح إلى انقضاء خمسة عشر عاماً أخرى ، ثم تجدد مرة أخرى، كذلك ثم ، فثم ، إلى أن ينقضي الدهر ويتم لكل مرة من تلك المرات، وكل كرة من هذه الكرات ، بالتخمين المزبور والتعيين المذكور ، مبلغ سبعمائة ألف درهم ، وأحد وخمسين ألف درهم ، وثلاثمائة درهم ، وسبعين درهماً، فضيّاً[1] رائجاً في الوقت ؛ وتلك المواضع التي يصرف إليها هذا المقدار في

(١) في الأصل « فضاً » .

خمسة عشر عاماً مرة ، وهي داخل الكعبة الشريفة ، والروضة المطهرة المنيفة ، أعني بها التربة المنورة لسيد الكونين ورسول الثقلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام إلى يوم القيامة بالمدينة المنورة ، والمقصورة المعمرة في الحرم الشريف ، والمنبر المنيف فيه ، ومحرابه محراب التهجد ، والأستار الأربعة لنفس الحرم الشريف ، ومحراب ابن عباس وقبره ، وقبر[1] عقيل بن أبي طالب ، وحضرة الحسن، وحضرة عثمان بن عفان ، وفاطمة بنت أسد ، رضوان اللّه عليهم أجمعين ، وما زاد بعد هذا وهو مبلغ خمسمائة ألف درهم واثنين وثمانين ألف درهم وستمائة وسبعين درهماً / لاحتمال أن يقع في [٢٧٧]
بعض السنين النقصان ، بسبب الشراقي ، وطوارق الحدثان؛ لأن هذا بالتخمين ، وإن لزم في بعض السنين جبر النقصان ، فليجبر من هذا الفضل ذاك الزمان ، وإن وجد في انقضاء المدة وبعد الصرف شيء مما يزيد ويفضل ، سواء كان هذا المقدار أو أكثر منه أو أقل ، فليشتر بالموجود المزبور الملك المناسب للوقف من عقار الواقع في موضع الرغبة والاشتهار ، ليكثر محصول الوقف وتوفير مواضع الصرف ، بإلحاق هذا المشترى والمتاع بسائر الأوقاف ، واستغلاله معها ، وصرف غلاته إلى المصارف المبينة بالأوصاف ، وتنمية الوقف وتقويته بهذا التكثير ، وتمشيته وتوسعته بذلك التوفير ، وهذا بعد رعاية شرط أنه ان وقعت المضايقة في هذا الوقف ، أو في الوقف الآخر الذي وقفه السلطان أيضاً ، على مصالح الفقراء الذاهبين إلى الحجاز وعلى جمالهم وسائر مهماتهم ، وكتب له وقفية مستقلة مشتملة على هذه الشروط والقيود ، تكون مرعية بالخلود والأبود ، يلزم أن يعين كل واحد الآخر من الجانبين

---

(١) شاع في العالم الإسلامي البناء على القبور وتقديسها منذ عهد الدولة العبيدية الباطنية وبقيت هذه العادات زمن الدولة العثمانية ، وهو أمر مخالف للشريعة السمحاء .

بزوائده ، وبفضائل عدائده بإتمام ما يهمّ ويلزم له ، وبتكميله لدفع مضايقته ، وضرورته وإسعاده واجتهاده ، إقراراً واعترافاً صحيحين شرعيين مصدقين محققين مرعيين ، وقفاً صحيحاً شرعياً ، وحبساً صريحاً مرعياً ، حاوياً على الحكم بصحته أصلاً وفرعاً ، على وجه يعتدّ به ديناً وشرعاً ، وغب رعايته شرائط الحكم والتبجيل ، وفي حصول الوقف والتسبيل لدى المولى الفاضل والتحرير الكامل الموقع أعلا هذا الصك الديني ، / والحفظ اليقيني ، [٢٧٨]
وفتح اللّه تعالى أبواب الحقوق بمفاتيح أقلامه ، وأحكم الأمور بثبوت أحكامه ، فصار وقفاً لازماً مسلسلاً متفق عليه على مقتضى الشرع ومرتضى أحكامه ، بحيث لا يرتاب صحته وابترامه ، لوقوع حكم المولى إليه ، على رأي مَنْ رآه من الأئمة الماضين المجتهدين ، رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين ، علماً بالاختلاف الجاري بينهم في مسألة الوقف علم خلوده بخلود السموات ، وأبوده بأبود الكائنات ، إلى أن يرث اللّه الأرض ومَنْ عليها وهو خير الوارثين ، فلا يحلّ بعد ذلك لأحد يؤمن باللّه ورسوله واليوم الآخر ينقضه ، أو يبطله ، أو يحوّله ، أو يبدّله ، فلا يملك بعد ذلك لمؤمن أو خائفاً من اللّه المهيمن ، بعدما سمع قول رب العالمين : ﴿ **أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾(١) وأجْرُ الواقف بعد ذلك على أرحم الراحمين .

جرى ذلك وحرر بالأمر العالي الخاقاني ، لا زال عالياً في صفر المظفر ، المنخرط في سلك شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة من هجرة مَنْ لا نبي بعده ، وصلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه الذين وفوا عهده » .

---

(١) سورة هود الآية ١٨ .

هذه صورة حجة الوقفية المحتوية على وقف السلطان سليمان بن سليم خان ، لتلك السبع القرى ، إضافة وعلاوة على الثلاث القرى التي أوقفها الملك الصالح إسماعيل على كسوة الكعبة المشرفة ، والحجرة النبوية ، قد نقلتها بحروفها وكلماتها ، على ما فيها من حديث موضوع ، صدر به الحجة وهو قوله : « استمعوا وعوا مَنْ عاش مات » إلى آخره ، فهذه العبارة التي ذكرها / محرر الحجة أنها حديث ، فهي من خطبة قس بن ساعدة الأيادي التي ألقاها بسوق عكاظ ، وقد ذكرتها برمتها في الجزء الأول من (حياة سيد العرب) بصحيفة (٥١) . [٢٧٩]

وقد جاء فيها بعض أحاديث صحيحة ، وبعضها فيها مقال . والغرض من نقلها حرفياً هو لأجل أنْ يقف القارئ، على أن هناك عشرة قرى بمصر موقوفة على كسوة الكعبة ، وكسوة الحجرة النبوية ، كان ريعها في ذلك العصر سنوياً مبلغ ثلاثمائة وستة وستين ألفا وسبعمائة وستة وثلاثين درهماً فضياً، وكان اعتبار الدينار يتراوح من العشرة - إلى العشرين درهماً ، وذلك بسبب اختلاف أوزان الدراهم باختلاف العصور ، وإذا اعتبرنا سعر الدينار على أقصى ما ارتفع سعره وهو عشرون درهماً بدينار ، فيكون ذلك الرّيع يبلغ سنوياً في ذلك العصر ١٨٣٣٧ ديناراً . وأما في هذا العصر فلا شك أنه يبلغ ذلك الإيراد على أقل تقدير خمسون ألف جنيهاً مصرياً ذهباً ، وربما يكون مائة ألف جنيهاً مصرياً ، حيث إن الأرض الزراعية المصرية ترقت إيرادها أضعاف أضعاف ما كانت عليه في تلك العصور المتوسطة ، ولولا ذلك لما طمع فيها رأس العائلة المالكة بمصر ، فقد قضى محمد علي باشا خديوي[١] مصر السابق ، على

(١) لم يلقب محمد علي باشا بالخديوي - بمعنى الوالي الممتاز - وإنما أول من لقب به من أسرته إسماعيل باشا الذي افتتحت في زمنه قناة السويس سنة ١٨٦٩م .

ذلك الوقف وحلّه في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة ، فلا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم .

كان هذا العمل من محمد علي باشا الخديوي السابق تعدِّياً على ذلك الوقف العظيم ، الذي مكث يدرّ إيراده على كسوة الكعبة المعظمة والحجرة / الشريفة ، بحسب شرط واقفه نحو أربعمائة سنة ، حيث بعمله [٢٨٠] ذلك جعل الكعبة المعظمة ، والحجرة النبوية ، عالة على الحكومة المصرية ، بعد أن سلبهما حقهما الشرعي ، وقد كانا في غنًى عن ذلك بأوقافهما المذكورة التي يكفي من إيرادها جزء بسيط لعمل كسوة الكعبة سنوياً ، وعمل كسوة الحجرة النبوية ، وخلافها ، في كل خمسة عشرة سنة مرَّة ، حيث إن كسوة الكعبة الخارجية لا تتكلف أكثر من أربعة آلاف جنيه سنوياً كما سيأتي تفصيل ذلك .

وأما كسوة داخل الكعبة المعظمة وكسوة الحجرة النبوية ، فهما يعملان بحسب شرط الواقف في كل خمس عشرة سنة مرّة ، ومعظم ما يحتاج لصنعهما من المصاريف على أعظم تقدير عشرة آلاف جنيه ؛ لأنه لم يكن فيهما فضة ولا ذهب ، بل يعملان عادة بالحرير الخالص فقط ، وكلا المبلغين لا يساويان عُشر إيراد الأوقاف المذكورة الخاصة بهما ، إذ إن إيرادها كان قبل أربعمائة سنة يبلغ ٣٦٦٧٣٦ درهماً ، وليس ببعيد أن يكون إيرادها في العصر الحاضر على أقل تقدير مبلغ مائة ألف جنيه ، ولذلك قلنا إنه يكفي لصنع كسوتي الكعبة والحجرة النبوية أقل من عشر إيرادها . وبذلك صار بعد أن حلَّ محمد علي باشا خديوي مصر تلك الأوقاف ، وأدخلها في خزينة الحكومة المصرية ، لا تكسى الكعبة من داخلها ولا الحجرة النبوية إلاّ تبرعاً ممَّن يتولى السلطنة من آل عثمان ، ثم ترك ذلك من زمن بعيد ، وبقيت كسوة الكعبة من

[٢٨١] داخلها وكسوة الحجرة / النبوية من خارجها منذ كساهما السلطان عبد العزيز خان حتى الآن لم تجدد ، وسبب كل ذلك هو حلّ الأوقاف المذكورة ، فلو بقيت أوقاف الكسوة على حكمها جارية ، بحسب شروط واقفها السلطان سليمان بن سليم خان العثماني -رحمه الله تعالى- لَما وقع مما وقع، من امتناع الحكومة المصرية عن عمل الكسوة وإرسالها في أوقاتها حسب شرط الواقف في العصر الحاضر ، حيث لا مبرر لهذا الامتناع ، إلا لكونها ترى أن ذلك هو تبرع وتفضل منها على الكعبة المعظمة والحجرة النبوية ، وأنه لها الحق في منع ذلك التفضل متى شاء ت وشاء لها الهوى؛ لأن حلّ الوقف المذكور كان مبناه على منع إرسال الكسوة المذكورة متى أرادت حكومة مصر منعها ، وفعلاً حصل هذا الامتناع منها في زمن حكومة الشريف الحسين بن علي بن عون ، وفي حكومة جلالة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود(١) الحالية . وذلك على قاعدة أن المتبرع لا يُجبر على إنفاذ تبرعه ، لكونه بطبيعة الحال حرٌّ في تبرعه، إن شاء أنفذه ، وإن شاء منعه ، وهذه الحادثة هي من ضمن الحوادث المؤلمة التي أُصيب بها الإسلام من المنتسبين إليه .

وقد وفق الله تعالى جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود(١) ، إلى إنشاء معمل بمكة المكرمة لعمل كسوة الكعبة المعظمة وقد صنع فيه عدة كساوى الكعبة منذ أنشئ إلى اليوم، وكسيت منه الكعبة عدة مرات ، وهو لا يزال يصنع الكسوة حتى الساعة . وسيأتي تفصيل ذلك في محله قريباً إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الأصل « السعود » .

/ حزام الكعبة المطرز بالفضة :

وجاء في «تحصيل المرام»[١] ما لفظه : « وكسوة الكعبة المشرفة الآن من حرير أسود ، وبطانتها من قطن أبيض ، وللكسوة الآن طراز مدار بالكعبة (الحزام)، وبين الطراز إلى الأرض قريباً من عشرين ذراعاً ، وعرض الطراز ذراعان إلا شيئاً يسيراً ، مكتوباً بالفضة مذهباً ، وعلى جانب وجه الكعبة بعد البسملة : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[٢] ، صدق اللّه العظيم .

وبين الركنين اليمانيين مكتوب بعد البسملة : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [٣] إلى قوله تعالى : ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، صدق اللّه العظيم .

وبين الركن اليماني والغربي مكتوب بعد البسملة : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [٤] إلى قوله تعالى : ﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ، صدق اللّه العظيم .

وبين الركن الغربي والشامي بعد البسملة : (مما أمر بعمل هذه الكسوة الشريفة العبد الفقير السلطان فلان) » .

ثم قال : «والبردة التي توضع على باب الكعبة هي من حرير أسود ، مكتوبة بالفضة المذهبة ، وتلك الكتابة هي : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[٥] ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ

---

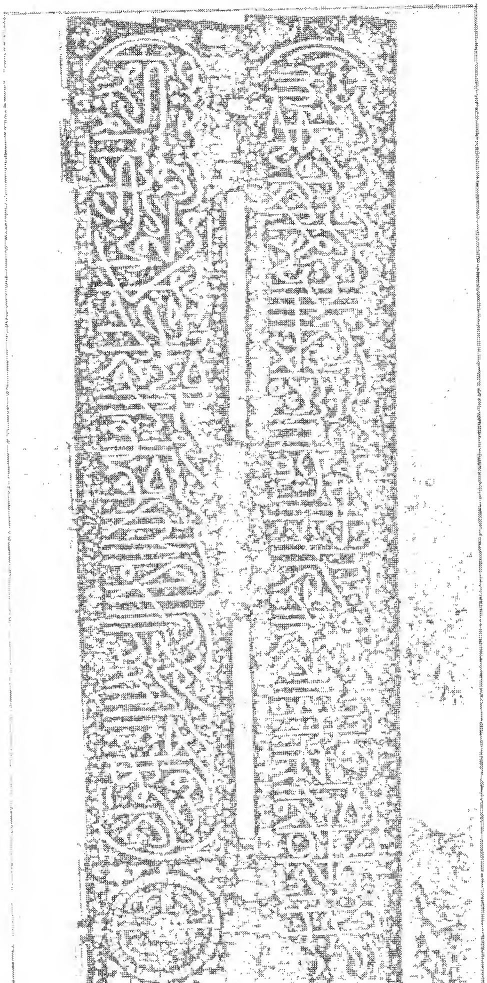
(١) الصباغ - تحصيل المرام ورقة ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٦ .

(٣) سورة المائدة الآية ٩٧ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٤٤ .



قطعتان من حزام الكعبة المطرز بمعمل الكسوة بمكة مطرزتان بالقصب المطلي بالذهب وأسلاك الفضة ويظهر في إحداهما رسم جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود

صورة رقم (١٢)

الرَّحيم﴾ [1] ﴿ رَبِّ / أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [2] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [3] بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [4] . [٢٨٣]

بسم اللّه الرَّحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [5] بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [6] ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [7] صدق اللّه العظيم، وبلّغ رسوله الكريم، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ومكتوب فيها أيضاً: أمر بعمل هذه البردة السلطان فلان » . اهـ .

وجاء في كتاب «إفادة الأنام» [8] : « أن أول من بدأ بالطراز المُذهب

(١) سورة النمل الآية ٣٠ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٨٠ .
(٣) سورة الفتح الآية ٢٧ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .
(٥) سورة الإخلاص .
(٦) سورة الإيلاف (قريش) .
(٧) سورة فاتحة الكتاب .
(٨) عبدالله غازي - إفادة الأنام جـ١ ص ٤٠٩

السلطان سليم من آل عثمان - وهو سليم بن سليمان - وكان قبل ذلك من
[٢٨٤] حرير / أصفر » .

ونقل[١] عن كتاب «تحصيل المرام»[٢] أنه قال : « وفي مدة الوهابية[٣] لما استولوا على مكة كانوا يكسوها حريراً أسود من غير كتابة ، وأميرهم سعود صاحب الشرق نحو سبع سنين » . اهـ .

وجاء في ذيل التعليقات على «أخبار مكة» للأزرقي[٤] : « أنه لما دخل

---

(١) أي عبدالله غازي في كتابه إفادة الأنام ج ١ ص ٤٠٩ .

(٢) الصباغ - تحصيل المرام ورقة ٣٩ .

(٣) اعتاد أعداء الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمؤازة آل سعود بنعتها بالوهابية متعمدين ، لتشويهها في أذهان المسلمين ، مع أنها في حقيقتها عودة إلى السلفية الصافية ومذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة . وحاول المرحوم الأستاذ مسعود عالم الندوي معرفة الزمن الذي أطلق فيه هذا الاسم « الوهابية » لأول مرة ، فتوصل إلى أنها استخدمت في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وشاعت بعد حركات الجهاد التي قامت بها الدعوة لتضليل العامة ، واتخاذها سلاحاً لتشويه سمعة الدعوة واعتبارها ديناً جديداً .

انظر :[أحمد علي ، آل سعود ، ص ص ١٧٩-١٨٤ ، وكذلك أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص ص ١١-٢٧].

ولكن على الرغم مما قام به أعداء الإسلام من تشويه لهذه الدعوة الإصلاحية ، فإن بعض المنصفين من المسلمين ومن غير أبناء العروبة والإسلام أشادوا بهذه الدعوة وامتدحوها ، فعلى سبيل المثال يقول المستشرق (بروكلمان) عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب : إنه درس فقه أحمد بن حنبل ومؤلفات أحمد ابن تيمية . . . ، فسعى إلى أن يُعيد إلى العقيدة والحياة الإسلاميتين صفاءهما الأصلي . [كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٥٥٠].

(٤) الأزرقي - أخبار مكة ج١ ص ٢٥٨ (تعليق) تابع لهامش رقم (٨) الذي يبدأ ص ص ٢٥٧-٢٥٩ .

الإمام سعود الكبير بن عبد العزيز آل سعود إلى الحجاز ، انقطعت مصر عن إرسال الكسوة الخارجية[1] ، فكساها الإمام المشار إليه عام ١٢٢١هـ من القزّ الأحمر ، ثم كساها في الأعوام التالية بالديباج والقيلان الأسود ، وجعل إزارها وكسوة بابها من الحرير الأحمر المطرز بالذهب والفضة ، ولما استردت الدولة العثمانية الحجاز عادت مصر إلى إرسال الكسوة الخارجية كما سبق » . اهـ .

وجاء في كتاب «الرحلة الحجازية» للبتنوني[2] ، نقلاً عن كتاب «الخطط» للمقريزي[3] : « أن العباسيين كانوا يعملون كسوة الكعبة المشرفة بمدينة (تنيس)[4] المصرية ، وكانت لها شهرة عظيمة في المنسوجات الثمينة » .

ثم قال[5] البتنوني : « فلما استولت الدولة العلية على مصر ، اختصت بكسوة الحجرة الشريفة النبوية ، وكسوة البيت الداخلية ، واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية ، ومن ذلك الوقت صارت هذه الكسوة المباركة ترسل من مصر سنوياً ، وهي ثمانية ستاير من الحرير الأسود ، المكتوب بالنسيج

---

(١) انقطع إرسال الكسوة الخارجية من مصر لأن الدولة السعودية اتخذت في عام ١٢٢١هـ - ١٨٠٦م قراراً بمنع وصول محامل الحج التي كانت تأتي من جهة الشام وإسطانبول ومصر والعراق ، وكان ذلك بسبب ما كان يصحب هذه القوافل من المظاهر والعادات المخالفة للدين الإسلامي الحنيف ، إضافة إلى أن الإمام سعود بن عبد العزيز كان يشك في نوايا الشريف غالب ، ويخشى أن يستخدم القوّة المرافقة لمحامل الحج ضدّه ، ومما يُدل على ذلك أن المؤرخ ابن بشر ذكر بأن الشريف غالب بعد حجة سنة ١٢٢٠ هـ - ١٨٠٥م أبقى في مكة عسكراً من الترك والمغاربة وغيرهم من الحجاج ، وادعى بأن عبدالله العظم باشا أمير المحمل هو الذي رتبهم بأمر الدولة العثمانية ، إضافة إلى تحصين مدينة جدّة وإحاطتها بخندق ومنع النجديين من دخولها . [ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ص ١٣٦] .

(٢) البتنوني - الرحلة الحجازية ج ١ ص ١٨٩ .

(٣) المقريزي - الخطط ج ١ ص ٤٢٢ .

(٤) في الأصل « تيتس » وهو خطأ .

(٥) البتنوني - الرحلة الحجازية ج ١ ص١٩٠ .

في كلّ مكان منه : (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) ، وطول الستارة نحو خمسة / عشر متراً ، ومتوسط عرضها خمسة أمتار وبعض سنتيمترات ، [٢٨٥] وكل ستارتين تعلقان على جهة من جهات الكعبة ، فتربطان من أعلاها في حلقات من الحديد غاية في المتانة ، قد تَثَبَّتَت في سقف الكعبة ، ثم تربطان إلى بعضهما بواسطة عرى وأزرَّة ، وتثبتان من أسفل في حلقات وضعت في الشاذروان ، وهكذا ، كلما وُضعت ستارة تثبتت في التي بجوارها بواسطة الأزرَّة ، حتى إذا انتهت كلها صارت كالقميص المربع الأسود ، ثم يوضع على محيط البيت المعظم فوق هذه الستاير فيما دون ثلثها الأعلى ، حزام مصنوع من المخيش المذهب - يعني أسلاك الفضة المموهة بالذهب - مكتوب فيه بالخط الجميل العربي آيات قرآنية ، كتبها مع غيرها من أعمال الكسوة في زمن المرحوم إسماعيل باشا خديوي مصر الخطاط الطائر الصيت المرحوم عبداللّه بك زهدي أحسن اللّه إليه ، ومكتوب على الحزام من الجهة التي فيها باب الكعبة » .

ثم ذكر ما كتب على الحزام : « وكل ذلك في عصر السلطان محمد رشاد الخامس العثماني »[١] .

قال البتنوني[٢] : « ومصاريف الكسوة تصرف الآن من المالية بمصر ، وميزانيتها سنوياً (٤٥٥٠) جنيهاً مصرياً وبيانها هكذا :

٥١٥ جنيه، ثمن مخيش وملبس بالذهب (١٤٩٣٥) مثقالاً و (٣٨٠٥) مثقالاً فضة بيضاء .

(١) محمد رشاد - محمد الخامس - ١٣٢٧-١٣٣٧هـ/ ١٩٠٩-١٩١٨م . تولى السلطنة العثمانية بعد خلع أخيه عبدالحميد ، محمد فريد بك - تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١٣ .

(٢) البتنوني - الرحلة الحجازية ص ١٩١ .

/ ١٦٦٤ جنيه، أجرة شغالة في الزركشة وعددهم ٤٧ نفراً . [٢٨٦]

١١١١ جنيه، ثمن حرير ، وأجرة نسيج ، والذين يشتغلون فيه عددهم ٧٠نفراً.

٢٠٠ جنيه، ثمن أدوات للتشغيل مثل بفتة وخلافها .

١٥٠ جنيه، مصاريف ليلة المهرجان المعتاد عمله للاحتفال بمركب الكسوة السنوي .

٦٠ جنيه، عوائد تصرف للشغالة يوم نهاية عمل الكسوة .

٨٥٠ جنيه، ماهيات مستخدمين ومرتبات خدمة إدارة الكسوة .

٤٥٥٠ الجملة » .

ثم قال البتنوني[1] : « ويتبع هذه الكسوة الشريفة ستارة باب الكعبة من خارجها ، ويسمونها (بالبرقع) ، وستارة باب التوبة من داخلها - وهو باب الدرجة المصعدة إلى سطح الكعبة - وكيس مفتاح بيت الله الحرام ، وكسوة مقام الخليل ابراهيم ﷺ ، وستارة منبر الحرم الشريف ، وهي من الأطلس المصنوع بالمخيش الذهبي والفضي ، وكل ما تقدم داخل في التقدير المتقدم ذكره» . اهـ .

[٢٨٧] / وجاء في كتاب «مرآة الحرمين»[2] ما يؤيد ذلك ، قال إبراهيم رفعت باشا : « ومصاريف الكسوة في هذه السنة (١٣١٨هـ - ١٩٠١م) ٤١٤٣ جنيه ،

(١) المصدر السابق ص ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٢) إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٩٧ .

وتفصيلها كما يأتي :

٥٠٤ جنيه، مرتب مأمور الكسوة ٣٠٠ جنيه ، ومرتب كاتب ومخزني ٢٠٤ جنيه .

١٢٩ جنيه، مرتبات خدمة سائرة .

٣٥١٠ جنيه، نفقات في صنع الكسوة ثمن حرير، ومخيش فضة ملبس بالذهب وأجرة العمال ، ونفقات المهرجان. . . إلخ .

٤١٤٣ اليكون .

ثم قال[1] : « وكانت نفقتها في سنة ١٣٢٥هـ (٤٠٨٤) جنيه ، وقد زادت نفقاتها في إبانة الحرب الكبرى[2] وبعدها ، حتى كانت في سنة ١٣٤٠هـ (١٠٣٢٢) جنيه ، وذلك لارتفاع أثمان الأشياء بعد قيام الحرب الكبرى وزيادة أجر العمل زيادة كبيرة » . اهـ .

هذا ما كانت تصرفه الحكومة المصرية على كسوة الكعبة المعظمة من ماليتها في كل سنة ، مقابل استيلائها على العشر القرى الموقوفة على الكسوة المذكورة، التي يبلغ إيرادها السنوي نحو مائة ألف جنيه ، مع أن معظم تلك المصاريف هي مقابل مرتب مأمورين وأجر عمال وعوائد مهرجان وما شاكل ذلك .

[٢٨٨] / ثم ذكر إبراهيم رفعت[3] باشا كيفية تسليم كسوة الكعبة المعظمة بمكة

---

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٩٧ .

(٢) يعني نهاية الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤ - ١٩١٨م .

(٣) إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٨ -٤٠ .

المكرمة فقال : « والكسوة وتوابعها تسلم إلى الشيبي سادن الكعبة ، بعد أن تصل مكة ، بمقتضى إشهاد شرعي يحضره العلماء والكبراء ، ويحفظها في بيته القريب من الصفا ، حتى إذا ما كان صباح يوم النحر ، والحجاج بمنى ، ألبستها الكعبة ، وتثبّت عليها بواسطة حلقات من النحاس الأصفر في دائر الكعبة العلوي ، وفي الشاذروان ، ويوضع عليها حزامها فيما دون ثلثها الأعلى ، أما الكسوة القديمة فيرسل المقصب منها عادة إلى سيادة الشريف (أمير مكة)، وإذا كان الحج بالجمعة يرسل إلى جلالة السلطان ، وغير المقصّب يأخذه الشيخ الشيبي فيبيعه للحجاج » . اهـ .

هذا ما ذكره مؤرخو مكة وغيرهم من المؤرخين ، عن كسوة الكعبة المعظمة، جاهلية ، وإسلاماً ، منذ أن كساها إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما الصلاة والسلام- إلى سنة وقوع الحرب العامة التي وقعت سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م .

وأما ما كان من أمر كسوة الكعبة أثناء الحرب العامة[١] فإليك تفصيل ذلك :

فلما وقعت[٢] الحرب العامة في يوم ٨ رمضان سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤ ميلادية ، جاء ت كسوة الكعبة من مصر على حسب العادة ، في نهاية السنة المذكورة ، وألبست الكعبة بها ، ثم لمّا دخلت الحكومة العثمانية في الحرب العامة ، وانضمت مع حزب المانيا والنمسا ، ضد الإنكليز وحلفائها ، عملت كسوة / للكعبة المعظمة ظناً منها أن الحكومة الإنكليزية ستمنع الحكومة [٢٨٩]
المصرية من إرسال كسوة الكعبة ، بناء على إعلانها وضع الحماية على مصر ، وكانت الكسوة التي عملتها في غاية الجمال ، والمتانة ، والظرف ، والإتقان ،

(١) أي أثناء الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢-١٣٣٧هـ .
(٢) في الأصل « وقفت » .

مع عموم لوازمها وتوابعها ، المزركشة بالأسلاك الفضية ، المموهة بالذهب . وأرسلتها في السكة الحديدية براً من الآستانة إلى المدينة المنورة ، غير أن الحكومة المصرية لم تمنع إرسال الكسوة المعتادة ، بل إنها أرسلتها في عام ١٣٣٣ ، ووضعت على الحزام اسم السلطان حسين كامل سلطان مصر مضافاً إلى اسم السلطان محمد رشاد خان سلطان تركيا العثماني ، فاتفق أمير مكة المكرمة في ذلك العصر الشريف الحسين بن علي ، مع والي الحجاز وقومندانه من قبل الحكومة العثمانية غالب باشا ، على إخراج تلك القطعة التي عليها اسم سلطان مصر ، ووضع القطعة القديمة التي عليها اسم السلطان محمد رشاد خان فقط ، فقام آل الشيبي بذلك العمل ، وبقيت تلك الكسوة التي أُرسلت من الآستانة بالمدينة المنورة إلى سنة ١٣٤١ هـ .

فلما أعلن أمير مكة الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون الثورة على الحكومة التركية ، باسم استقلال البلاد العربية ، وفصلها عن حكم الحكومة التركية ، في فجر يوم السبت الموافق ٩ من شهر شعبان سنة ١٣٣٤ هـ الموافق ١٢ يونيه سنة ١٩١٦ ميلادية ، أرسلت الحكومة المصرية كسوة الكعبة المعظمة حسب المعتاد، واستمرّت في إرسالها إلى سنة ١٣٤٠هـ .

[٢٩٠] ثم وقع خلاف / بين الحكومة المصرية وبين الشريف الحسين ملك الحجاز سنة ١٣٤١هـ ، وذلك أنه لما وصل المحمل المصري في باخرة خاصة إلى جدة يصحب معه كسوة الكعبة ، وحنطة الجراية ، وحرس المحمل ، وبعثة طبية ، منع الشريف الحسين دخول البعثة الطبية إلى مكة المكرمة ، فوقع الخلاف ورجع المحمل من ثغر جدة في مركبه بكل ما معه من حنطة الجراية ، وكسوة الكعبة ، وغير ذلك من الصُّرر والمرتبات والصدقات ، وذلك في آخر شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ، فلما رأى ذلك الشريف الحسين أبرق إلى المدينة

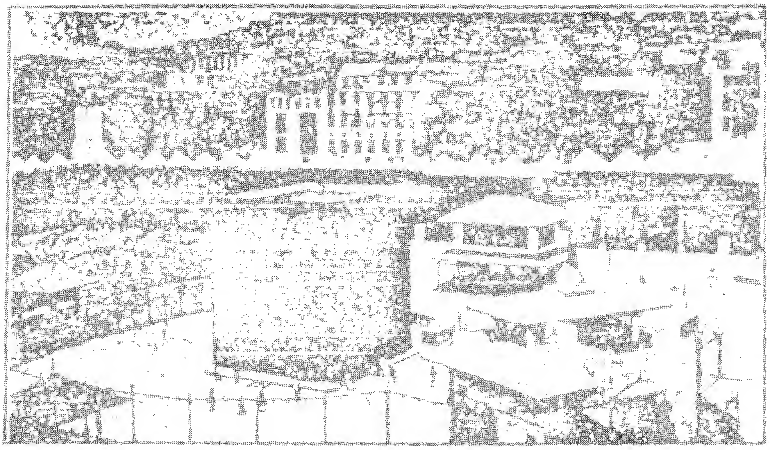
المنورة ، وأمر أميرها بأن يرسل كسوة الكعبة التي أودعتها الحكومة التركية بها إلى ثغر (رابغ)[1] على الفور ، ثم أرسل إحدى بواخره التي بجدة المسماة (رشدي) ، إلى ثغر رابغ لنقل الكسوة من رابغ إلى جدة . وفعلاً نقلت الكسوة من المدينة إلى رابغ ومنها إلى جدة بغاية السرعة ، ثم نقلت من جدة إلى مكة ، ووصلت في اليوم الذي تُكْسى فيه الكعبة المعظمة . وهو اليوم العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤١ هـ وكُسيت بها الكعبة .

وقد حدث من ذلك ضجة عظيمة في مصر ، خصوصاً في الصحافة المصرية ، وصاروا في حيرة من جراء إحضار تلك الكسوة بتلك السرعة المدهشة ؛ لكونهم لم يعلموا أنها كانت حاضرة بالمدينة المنورة منذ بضع سنين ، حتى إن بعض الجرائد المصرية ذكرت أنها بحثت في عموم أساكل البحر
الأحمر عن معامل تصنع كسوة الكعبة في ظرف عشرة أيام - يعني من / يوم [٢٩١]
رجوع المحمل مع الكسوة من ثغر جدة إلى يوم حضور الكسوة من رابغ إلى جدة - فلم يجد فيما هو أعظم من ثغر رابغ معمل يستطيع صنع ذلك ، بل ولا معامل أوربا لم يكن في استطاعتها أن تعمل كسوة للكعبة على حسب المعتاد في مدة عشرة أيام ، وإنما هو عمل مدبر . وسبب ذلك أن مكاتب روتر بجدة أبرق بأنه وردت كسوة الكعبة إلى جدة من ثغر رابغ .

ثم بعد ذلك عمل الشريف الحسين كسوة الكعبة ، من (القيلان) ، نُسجت في العراق احتياطاً لما عساه إذا أتت سنة ١٣٤٢ هـ ، ولم يحل الخلاف الواقع بينه وبين الحكومة المصرية ، وامتنعت الحكومة المصرية من إرسال كسوة الكعبة أن يكسوها بها . فلما أتى موعد مجيء الكسوة من مصر في ذلك العام ، جاءت

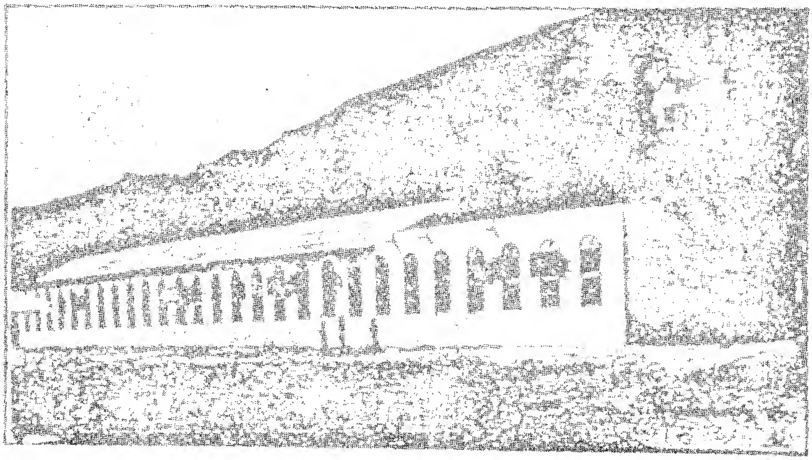
---

(١) رابغ : ميناء على البحر الأحمر ، أم وادي مرّ ، المدينة الرئيسية بين مكة والمدينة ، تبعد عن مكة ١٩٥ كم شمالاً غربياً ، وعن جدة ١٥٥ كم شمالاً ، حلت محل الجحفة التي كانت محطة القوافل . عاتق غيث البلادي - قلب الحجاز ص ص ٩٩ - ١٠٠ .



يظهر في هذا الرسم الحجر الأسود وهو أشبه بحدقة العين وسط الكعبة المعظمة وبابها، وحجر إسماعيل، وبئر زمزم، والسبيلان اللذان أنشأهما جلالة الملك عبدالعزيز

صورة رقم (١٣)



دار معمل كسوة الكعبة المعظمة الذي أنشئ سنة ١٣٤٦هـ

صورة رقم (١٤)

الكسوة كالعادة وكُسيت بها الكعبة المعظمة ، وبقيت الكسوة القيلان محفوظة .

فلما كان عام ١٣٤٣هـ استولى جلالة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود على مكة المكرمة ، وبسبب الحرب الذي وقع بينه وبين الشريف الحسين أولاً ، ثم بعد تنازل الشريف الحسين عن الملك لابنه الملك عليّ، وقعت[١] معه ثانياً ، واستمرت إلى منتصف جمادى الآخرة من عام ١٣٤٤هـ ، امتنعت الحكومة المصرية في أثناء ذلك عن إرسال كسوة الكعبة العائدة لعام ١٣٤٣هـ ، فكساها جلالة الملك عبد العزيز ذلك العام بالكسوة (القيلان) التي عملها الشريف الحسين بالعراق المتقدم ذكرها .

/ فلما كان عام ١٣٤٤هـ ، وانتهت الحرب بانسحاب الملك عليّ بن الحسين من الحجاز ، وذلك في يوم الأحد ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤هـ الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥ ميلادية ، واستتب أمر الحجاز لجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود أرسلت الحكومة المصرية كسوة الكعبة المعظمة مع المحمل ، وما تبعه من جند ، وغير ذلك ، فكُسيت بها الكعبة في ذلك العام ، ثم في موسم ذلك العام وقعت حادثة المحمل بمنى ، ولطف الله سبحانه وتعالى بحجاج بيته المعظم من شرّ تلك الحادثة ، بفضل ما استعمله جلالة الملك عبد العزيز السعود من الحكمة[٢] والمخاطرة بنفسه في تلك الليلة ، التي هي ليلة الموقف بعرفة ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ ، وكان حجاج بيت الله تعالى مكتظين بين منى وعرفات ، وكانت مقذوفات حرس المحمل من مدافع ورشاشات وبنادق تمطر نيرانها هنا وهناك ، والحمد لله على لطفه في تلك الليلة . [٢٩٢]

(١) أي: «الحرب» .

(٢) في الأصل «المحكمة» .

فلما كان عام ١٣٤٥هـ ، وحان وقت مجيء الكسوة من مصر ، منعت الحكومة المصرية إرسال الكسوة المعتادة للكعبة المعظمة[١] مع عموم العوائد مثل الحنطة ، والصرور ، وما شاكل ذلك ، التي هي من أوقاف أصحاب الخير على أهل الحرمين منذ مئات السنين ، ولم تملك منها الحكومة المصرية شيئاً سوى النظارة عليها بسبب أنها الحاكمة على البلاد . ولم تشعر الحكومة
[٢٩٣] السعودية بذلك إلا في غرة شهر ذي الحجة من السنة / المذكورة ، فصدرت إرادة[٢] جلالة الملك عبد العزيز المعظم بعمل كسوة للكعبة بغاية السرعة ، فقام رجال العمل ممّن تخصّصوا لهذا الأمر ، وفي مقدمتهم وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان الحمدان ، وعملوا كسوة من الجوخ الأسود الفاخر ، مبطنة بالقلع القوي ، وعمل حزام الكعبة بآلة التطريز ، وكتبت الآيات عليه بالقصب الفضي المموه بالذهب الوهاج ، مع ستارة الباب (البرقع) ، ولم يأت اليوم الموعود لكسوة الكعبة ، وهو يوم النحر عاشر ذي الحجة من عام ١٣٤٥هـ إلا والكعبة المعظمة لابسة تلك الكسوة ، التي عُملت في بضعة أيام .

---

(١) سبب الخلاف بين الحكومة المصرية والسعودية سنة ١٣٤٥هـ وامتناع مصر عن إرسال الكسوة ، أن المحمل كانت تتبعه بعثة عسكرية ذات ضباط وجنود وأسلحة ، ويدخل أمير الحج المصري في موكبه العظيم ، وفي محمله المقدس ، ويسير الموكب من جدة إلى مكة بأسمى آيات الفرح والأبهة الأمر الذي لا تقبل به الحكومة السعودية .

ويزيد الأمر تعقيداً أنه قد يحدث شيء من التمسّح بالكسوة أو المحمل من أحد الجمهرة مما يراه أهل السنة مضراً بالعقيدة .

ومما يزيد الموقف حدة أن الحكومة السعودية ترى أن تصرف الجرايات والصدقات والأوقاف المصرية بيدها لا بيد البعثة .

وهذا ما حدا بالحكومة السعودية أن تنشئ مصنع الكسوة في مكة سنة ١٣٤٦هـ . وعادت الكسوة المصرية عشر سنوات من سنة ١٣٤٦هـ إلى سنة ١٣٥٦هـ .

أبو القاسم زين العابدين – الكعبة والحج في العصور المختلفة مطابع المنار بالقصيم – ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ١٦٦ .

(٢) في الأصل « أرادت » .

إنشاء معمل كسوة الكعبة بمكة :

فلما دخلت كسوة الكعبة المعظمة التي كانت تأتي من مصر في دور سياسي، بعد أنْ كانت من أعمال البرّ والإحسان ، وكان ينفق عليها من أوقاف خاصة بها ، وأصبح مجيئها متعلقاً بالسياسة ، وخرجت عن كونها من أعمال البرّ التي يقصد بها وجه اللّه تعالى ، إلى عمل يقصد به أمور سياسية ، صدرت إرادة جلالة ملك المملكة العربية السعودية الإمام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود ، وذلك في مستهل شهر المحرم الحرام سنة ١٣٤٦هـ ، على وزير المالية الشيخ عبداللّه السليمان الحمدان ، بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المعظمة ، فقام وزير المالية الشيخ عبداللّه السليمان بإنشاء تلك / الدار بحارة (أجياد) ، أمام دار وزارة المالية العمومية ، فكانت [٢٩٤] مساحة الأرض التي أنشئت عليها تلك الدار نحو ١٥٠٠ متر مربع ، وأخذ العمال يعملون بغاية السرعة ، فتمت عمارتها في نحو ستة أشهر من عام ١٣٤٦هـ على دور واحد ، وعلى حسب المقتضي لعمل الكسوة بغاية الإبداع والحسن ، فكانت هذه الدار أول دار أُسسّت خصيصاً لحياكة كسوة الكعبة المعظمة بمكة المكرمة في عصر جلالة الملك عبد العزيز المعظم ، منذ كسيت الكعبة من العصر الجاهلي والإسلام إلى العصر الحاضر .

ثم صدرت إرادة جلالة الملك عبدالعزيز المعظم بإحضار العمال اللازمين لحياكة الكسوة المشار إليها ، وعمل التطريز اللازم للحزام ، وستارة الباب ، وما يقتضي عمله للكسوة وتوابعها من بلاد الهند ، فوصل العمال والأنوال من الهند في ابتداء شهر رجب سنة ١٣٤٦هـ إلى مكة ، بواسطة الشيخ اسماعيل الغزنوي ، أحد علماء الهند ووجهائها وفضلائها ، مع الحرير والصباغ ، وكل

ما يلزم لعمل الكسوة المذكورة ، ثم صدر أمر صاحب السمو الملكي النائب العام لجلالة الملك المعظم الأمير فيصل بن عبد العزيز المعظم ، بإسناد إدارة معمل الكسوة الشريفة إلى الشيخ عبدالرحمن مظهر ، المترجم بوزارة الخارجية السعودية في ذلك الوقت ، ورئيس مطوفي الهنود حالياً ، فقام المذكور بمساعدة وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان بإتمام بناء دار الكسوة . ولمّا تم البناء ، قام بترتيب رؤساء العمال الواردين لعمل الكسوة كلٌّ بحسب / [٢٩٥]
وظيفته ، فنصبوا الأنوال ، وصبغوا الحرير وباشروا العمل ، فكانت الأنوال التي وردت من الهند اثني عشر نولاً ، وعدد المعلمين النساجين مع المطرزين أربعين معلمًا ، وأتباعهم عشرين فكان مجموعهم ستين شخصاً .

وفي نهاية شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٦ ، تم عمل الكسوة الشريفة على غاية ما يرام ، من حسن الحياكة ، وإتقان الصّناعة ، وإبداع التطريز ، على شكل الكسوة التي كانت تأتي من مصر حياكة ، وتطريزاً ، ولوناً ، أما حياكة الثوب ، فهي بالحرير الأسود الخاص ، مكتوب في عمومه بأصل الحياكة على شكل رقم (٨) (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) ، وفي أسفل التجويفة (يا أللّه) ، وفي الضلع الأيمن من علو الرقم (٨) (جل جلاله) وكذلك في علو الضلع الأيسر (جل جلاله) .

وأما حزام الكعبة ، فعرضه متراً ، مثل الحزام الذي كان يُعمل بمصر ، مطرزاً بالقصب الفضّي المموّه بالذهب ، ومكتوباً عليه بالقصب الفضّي المذكور ، وبأسلاك الفضة (الجَرّ) ، بخط رائع بديع الصنع « رقمه الكاتب والرسام الفني بوزارة المالية الجليلة ، حضرة محمد أديب أفندي الخطاط الماهر » . فكتب في القسم الشرقي الذي يلي باب الكعبة المعظمة : ﴿ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ﴾ ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ**



حضرة صاحب المعالي وزير المالية الجليل

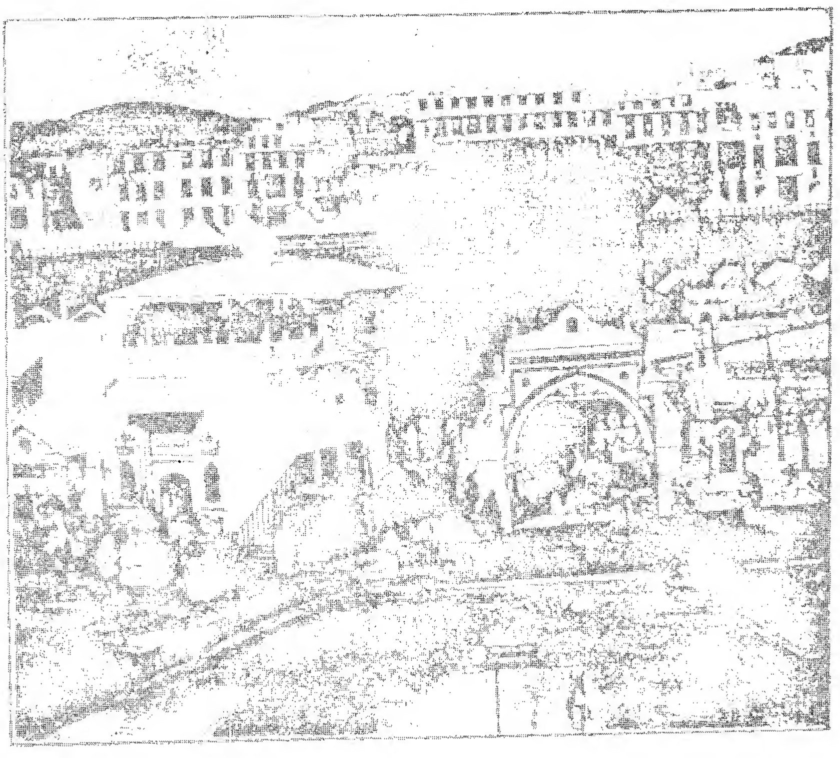
الشيخ عبدالله السليمان الحمدان

صورة رقم (١٥)



الشيخ عبدالرحمن مظهر المدير الأول لمعمل الكسوة

صورة رقم (١٦)



يظهر في هذا الرسم أول كسوة عملت للكعبة المعظمة بدار الكسوة التي أنشأها جلالة الملك عبدالعزيز السعود

صورة رقم (١٧)

مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
[٢٩٦] السُّجُودِ ﴾ (١) ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا
وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وكتب على الحزام في القسم الجنوبي الواقع بين الركن الأسود والركن اليماني : ﴿ بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم ﴾ ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وكتب على الحزام في القسم الغربي ، الذي بين الركن اليماني وحِجْر إسماعيل : ﴿ بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم ﴾ ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٤) .

---

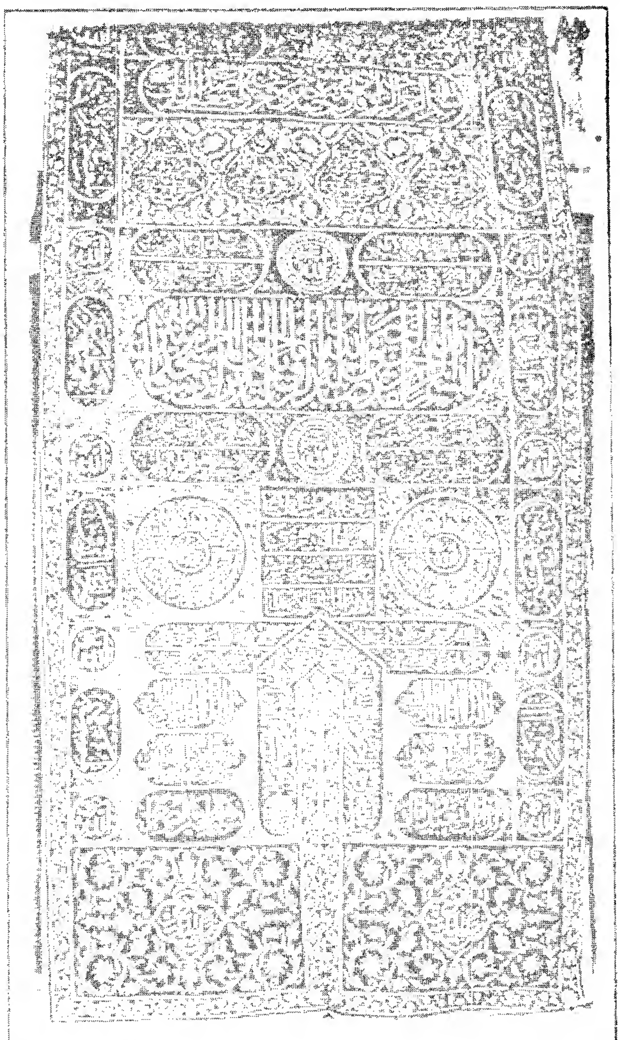
(١) سورة البقرة الآية ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة - الآيتان ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران الآيات ٩٥ - ٩٨ .

(٤) سورة الحج الآيات ٢٦ - ٢٩ .

ستارة باب الكعبة المعظمة



مطرزة بالقصب المطلي بالذهب وأسلاك الفضة المموهة بالذهب

المعمولة بدار الكسوة بمكة المكرمة

صورة رقم (١٨)

[٢٩٧] / وكتب على الحزام في القسم الشمالي ، الذي يلي حِجْر إسماعيل : (هذه الكسوة صُنِعَت في مكة المباركة المعظمة ، بأمر خادم الحرمين الشريفين ، جلالة الملك الإمَام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود ، ملك المملكة العربية السعودية ، أيده الله تعالى بنصره سنة ١٣٤٦ هجرية على صاحبها أفضل التحية وأتم التسليم) .

هذا ما كتب على حزام الكعبة المعظمة المصنوع في معمل الكسوة الذي بحارة أجياد بمكة المكرمة المتقدم ذكره(١) .

---

(١) وبعد عشر سنوات من تجمد العلاقات السياسية بين الحكومة السعودية والحكومة المصرية استؤنفت العلاقات عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م وعادت الحكومة المصرية ترسل كسوة الكعبة المشرفة سنوياً . ثم توترت العلاقات مرة أخرى سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م . فأعادت المملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م فتح مصنع الكسوة في جرول مؤقتاً حتى سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٨م ثم نقل العمل في المصنع الجديد في أم الجود بمكة المكرمة وأصبحت المملكة العربية السعودية تقوم بكسوة الكعبة بعيدة عن الأهواء والتقلبات السياسية .

محمد السيد الدقن - كسوة الكعبة ص ص ١١٨ - ١٢٣ .

ويضم مصنع كسوة الكعبة في أم الجود عدة أقسام جمعت بين اليدوي والآلي الحديث وأهمها : قسم النسيج اليدوي ، وقسم النسيج الآلي ، وقسم الحزام وستارة باب الكعبة ، وقسم الصياغة، وقسم الطباعة ، وقسم الكسوة الداخلية ، وقسم الاعلام .

كما تمر صناعة الكسوة بمراحل : مرحلة التصميمات الفنية ، ثم مرحلة الطباعة ، ثم مرحلة الصياغة ، ثم مرحلة النسيج ، ثم مرحلة التطريز ، فتصبح الكسوة جاهزة لوضعها على الكعبة المشرفة وتبلغ تكلفة الثوب الواحد ١٧ مليون ريال تقريباً .

وزارة الحج والأوقاف - مصنع الكسوة الكعبة المشرفة ص ٢٨ .

هذا وأُدخلت تحسينات كثيرة على الكسوة، ففي كسوة سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م قناديل أكبر حجماً من القناديل السابقة بين القطعتين المستطيلين ، وظفر بالزخارف كُتب فيه : « الحمد لله رب العالمين» . كما ظفرت القناديل الصغيرة ، فجعلت في كل جهة ثلاثة قناديل ، الأول كتب فيه : «ياحي يا قيوم » والثاني: « « يا رحمن يا رحيم »، والوسط: « الحمد لله رب العالمين»، واستمر ذلك إلى الآن .

ستارة باب الكعبة المعظمة :

وأما ما كُتب على ستارة الكعبة المعظمة بالقصب المموَّه بالذهب ، وأسلاك الفضة (الجر)، فإليك بيانه :

كُتبَ في السطر الأول بأعلى الستارة ، داخل دائرتين مستطيلتين : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[1] . ثم السطر الذي يليه داخل دائرة طويلة بعرض الستارة : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾[2] ، ثم كتب في السطر الذي يليه داخل أربعة دوائر تشبه كل دائرة منها (الكمثرة) في صفّ واحد : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3] . ثم كُتبَ داخل أربعة دوائر مستطيلة في السطر الذي يليه[4] ، / والسطر الذي [٢٩٨] يلي الذي بعده : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[5] . ثم كتب داخل دائرة واسعة على قدر عرض الستارة ، بقلم عريض بين آية الكرسي : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ

---

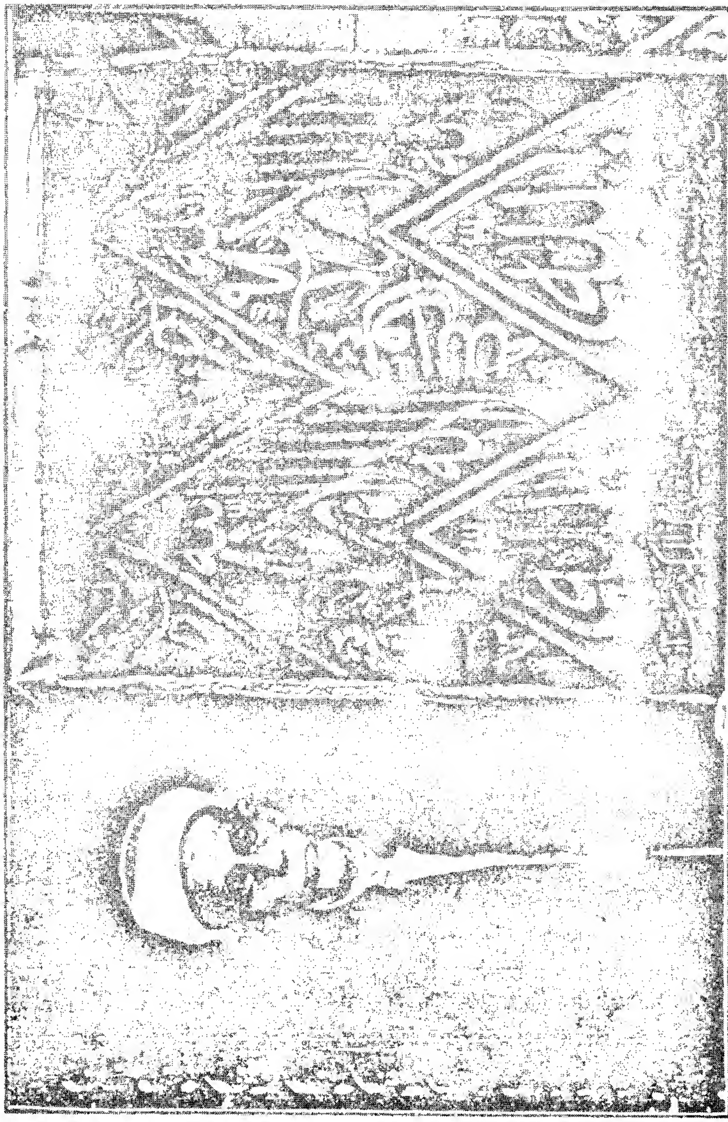
(١) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٩ .

(٤) في الأصل «يل» .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .



الشيخ أحمد سالم الجوهري مدير دار الكسوة الحالي وبجانبه قطعة من الكسوة نُقش عليها تاريخ صنعها سنة ١٣٥٤هـ

صورة رقم (١٩)

آمنينَ ﴾ (١) . ثم كتب داخل دائرتين في كل دائرة منهما : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢) . ثم كتب بين الدائرتين في أربعة أسطر : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣) . ثم كُتبَ في السطر الذي يليه داخل دائرة مستطيلة : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (٤) . ثم كُتبَ داخل دائرتين في سطرين جانب الستارة الأيمن ، ومثلها داخل دائرتين في الجانب الأيسر : (لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين محمد رسول اللّه ، / صادق الوعد اليقين) . ثم كُتب [٢٩٩] داخل دائرة شبه قوس منحن بين الدائرتين اليمنى والدائرتين اليسرى المتقدم ذكرهما ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ . صدق اللّه العظيم . ثم كُتبَ حول ما تقدم من عموم الكتابات على الستارة المذكورة : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ . وكذلك كتب حول الستارة بين آيات الفاتحة داخل دوائر صغار : (أَللّهُ ربّي) ، ثم كُتبَ في ذيل الستارة داخل دائرتين صغيرتين : (صنع بمكة المكرمة) وتاريخ السنة التي عملت فيها تلك الستارة ، وحول ذلك نقوش .

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٧ .
(٢) سورة الإخلاص .
(٣) سورة الإسراء الآيتان ٨١ ، ٨٢ .
(٤) سورة قريش (الإيلاف) .

هذا ما كتب على ستارة باب الكعبة المعظمة بأسلاك الفضة (الجر)، والقصب الفضي المموَّه بالذهب، بغاية الإتقان كما هو ظاهر في الصورة الشمسية[1] .

فلما كان يوم النحر ، كُسيت بها الكعبة المعظمة حسب المعتاد ، وظهرت عليها في غاية الحسن والجمال ، وكانت محل إعجاب العموم ، ومفخرة لحكومة جلالة ملك المملكة العربية السعودية الملك المعظم والإمام المفخم المحفوظ بعين عناية المولى - عز وجل - الملك عبد العزيز الأول أدام اللّه توفيقاته آمين ، حيث أنّها صُنعت بمكة المكرمة ، ولم يُصنع قبلها في أم القرى ، منذ خلق اللّه الكعبة المعظمة إلى ذلك اليوم الذي كُسيت فيه ، وهذه / [٣٠٠]
الكسوة هي الأول من حيث الصنع ، والنسيج ، والحياكة ، والتطريز .

وحاز مدير معمل دار الكسوة الأول الشيخ عبدالرحمن مظهر جائزة سنية من حكومة جلالة الملك المعظم ، وشهادة تقدير على عمله المتقدم ذكره .

---

(١) وقد أدخلت تعديلات على ستارة الباب كما شوهدت :
ففي كسوة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م استبدلت الآية التي على الجزء الأول بالآية : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .
وفي كسوة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م جاءت الآية : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ .
وفي ستارة ١٤٠٠هـ كتبت الآية : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . كما حدثت تغييرات في الخراطيش الأربع التي كانت تشغل البسملة وآية الكرسي .
كما ظهر في مركز الدائرتين في الجزء الثالث لفظ : « الله جل جلاله » بدلاً من مركز الدائرة اليمنى في السابق .
كما أُلغي المستطيل سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م لانشطار الستارة الجديدة من أسفلها إلى نهاية الجزء الثالث لتمكين الناس من رؤية الباب الجديد . وتبع ذلك تغيرات كثيرة في تصميم زخارف الستارة وكتاباتها .
وانظر : محمد السيد الدقن - كسوة الكعبة ص ٢٣٥ .

ثم تعين في سنة ١٣٤٧ مديراً لمعمل الكسوة الحاج محمد خان ، وهو الذي قام بتعليم أبناء الوطن عمل النسيج ، والتطريز ، وصنوف الحياكة ، حسبما اشترطت عليه الحكومة .

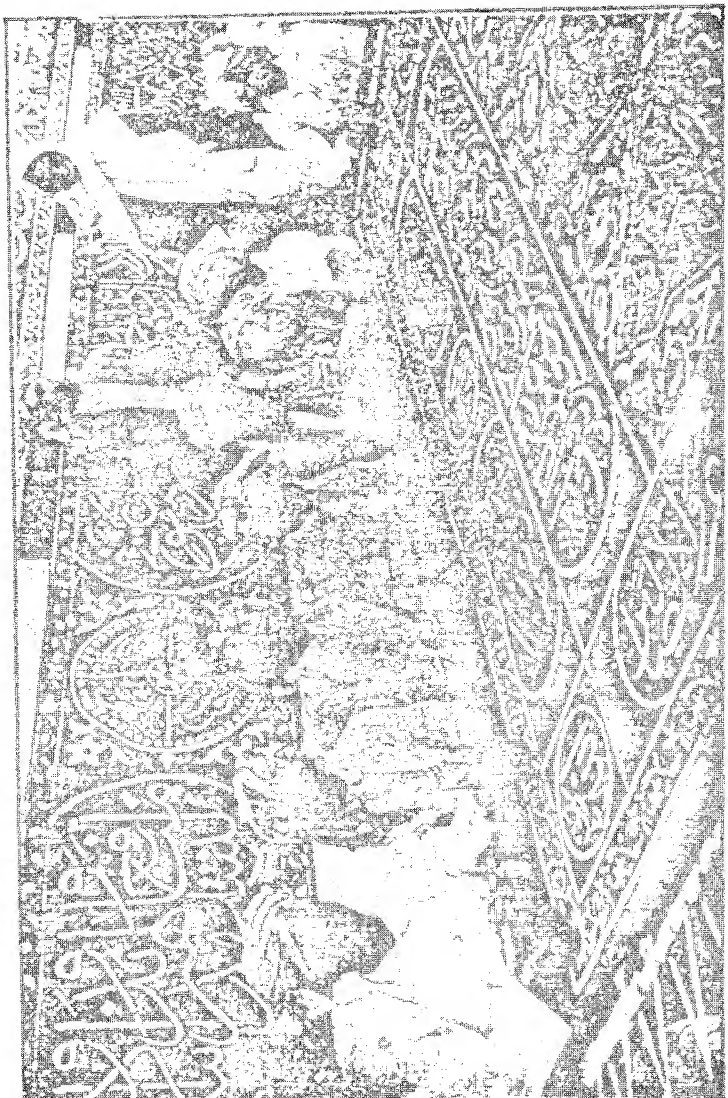
ثم في سنة ١٣٥٢ ، تعيّن الشيخ أحمد سالم الجوهري مديراً لمعمل الكسوة المشار إليه، فقام بالعمل بعد الحاج محمد خان أحسن قيام ، وهو لا يزال مديراً للمعمل المذكور إلى هذا اليوم .

ولما جاء موسم عام ١٣٥٢ ، كُسيت الكعبة بكسوة حيكت ونُسجت وطُرِّزت بيد أبناء الوطن ، فكانت في غاية الجمال والإتقان ، وازداد سرور الجميع بذلك ، وجرى العمل بذلك إلى يوم تحرير هذا المؤلَّف ، وهذه الكسوة التي هي على الكعبة المعظمة في هذا العام الذي هو سنة ١٣٥٤ ، قد أخذنا رسمها بالتصوير الشمسي ، ليظهر للملأ حسنها وجمالها ، كما أننا أخذنا بالتصوير الشمسي رسوم عمال الحياكة ، والتطريز ، في دار الكسوة وهم قائمون بالعمل ، لإثبات ذلك ، وكذلك رسم مديرهم الأول الشيخ عبدالرحمن مظهر ، ومديرهم الحالي الشيخ أحمد سالم الجوهري ، كما هو ظاهر بين صفحات هذا الكتاب ، وإني أقدر لكل عامل جهوده حق قدره ، وأَمَلِي أن يكونوا قدوة لغيرهم ، والله ولي التوفيق[1] .

---

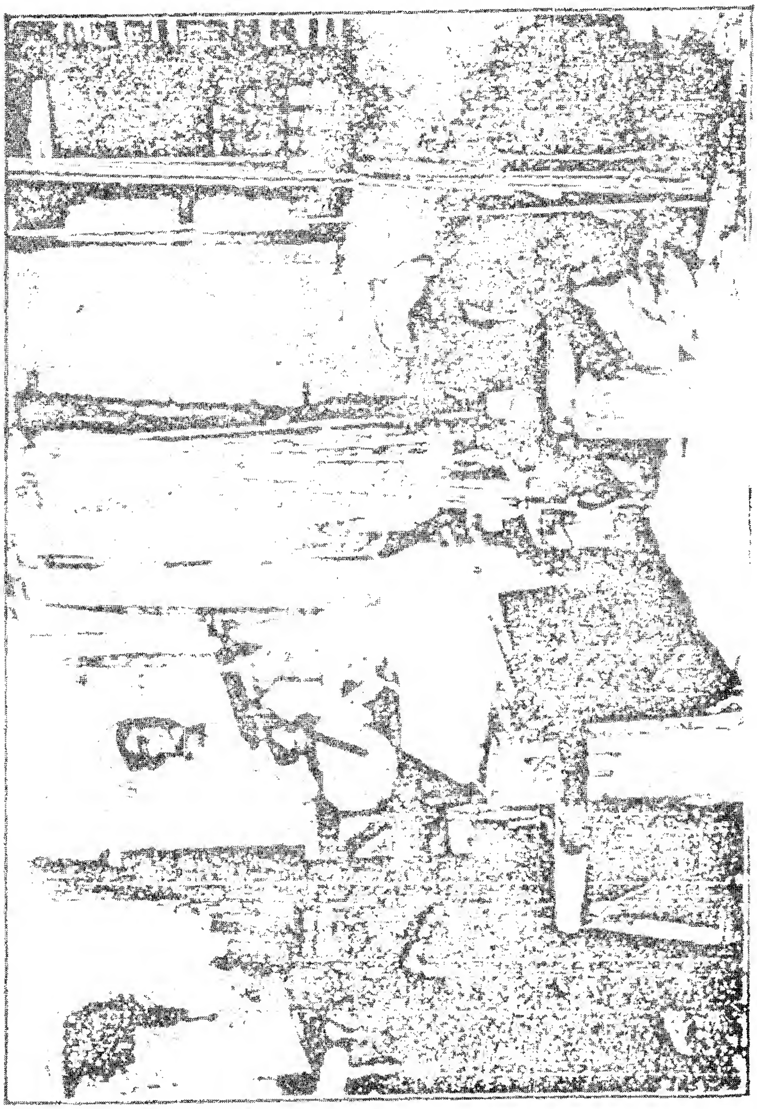
(١) هذا وقد قدمت المملكة العربية السعودية بأمر من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ستارة باب الكعبة المشرفة هدية لمقر منظمة الأمم المتحدة في اليوم الرابع من شهر ربيع الآخر عام ١٤٠٣هـ. ووضعت الستارة في صدر قاعة الاستقبال الرسمية .

حامد عباس – قصة التوسعة الكبرى – مجموعة ابن لادن السعودية ، جدة ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ص ١٢١ .



عمال التطريز وهم يطرزون ستارة باب الكعبة المعظمة بدار الكسوة بمكة

صورة رقم (٢٠)



رسم عمال النسيج وهم يحوكون ثوب الكعبة على النول بدار الكسوة بمكة المكرمة

صورة رقم (٢١)

[٣٠١] / هذا ما كان من أمر كسوة الكعبة المعظمة منذ عهد إسماعيل -عليه السلام- إلى العصر الحاضر ، ومنه يعلم ما كان لملوك المسلمين من العناية ، والمسابقة والمفاخرة ، في ذلك ، ولا تزال كذلك إلى العصر الحاضر ، ولا يزال الخير في بعض ملوك المسلمين الذين هم متمسكون بشعائر دينهم الحنيف، والمثابرون على إقامة شرائعهم الدينية ، لا تأخذهم في الله لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء ، والله ذو الفضل العظيم (١) .

(١) وبالنسبة للكسوة الداخلية للكعبة المشرفة فقد كسا الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل السعود الكعبة المشرفة كسوة داخلية سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م . واستمرت هذه الكسوة حتى أمر الملك خالد ابن عبد العزيز بصنع كسوة داخلية جديدة في مصنع أم الجود . وركبت داخل الكعبة سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، كما أمر الملك فهد بصنع كسوة داخلية احتياطية سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م .

وتصنع الكسوة الداخلية من الحرير الطبيعي الأخضر ، وتظهر عليها الكتابة بنسيج الحرير باللون الأبيض . وتتكون من قطع عديدة يتم وصلها ببعضها فتظهر كأنها قطعة واحدة للاتساق في نقوشها . والكتابة والزخرفة هي نفسها في الكسوة الداخلية التي أرسلها السلطان عبدالعزيز العثماني، وأما التغير ففي لون الكسوة حيث كانت حمراء . انظر محمد السيد الدقن - كسوة الكعبة ص ٢٤٠ .

سدانة الكعبة المعظمة قبل الإسلام :

كانت سدانة الكعبة المعظمة[١] بعد بناء إبراهيم الخليل ﷺ إياها بيد ابنه إسماعيل -عليه السلام- ثم بعد وفاته صارت لولده نابت[٢] بن إسماعيل، إلى أن اغتصبها من ولده أخواله جرهم.

ومكثت السدانة في جرهم عدة قرون إلى أن اغتصبتها منهم خزاعة.

ومكثت في خزاعة عدة قرون إلى أن آل أمر مكة والكعبة المعظمة إلى قصيّ ابن كلاب بن مرة القرشي، وهو الجد الخامس للنبي ﷺ، فاسترجعها من خزاعة بعد حرب دامية، ثم صارت من بعده في ولده الأكبر عبدالدار[٣]، ثم صارت في بني عبدالدار جاهلية وإسلامًا، إلى أن آل أمر السدانة إلى شيبة بن عثمان بن طلحة، واسمه عبدالله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، ثم صار أمر السدانة في أولاد شيبة بن عثمان إلى العصر الحاضر، يتوارثونها كابرًا عن كابر، وإليك / تفصيل أمر السدانة من عهد إسماعيل [٣٠٢]
-عليه السلام- إلى العصر الحاضر.

روى الأزرقي في تاريخه «أخبار مكة»[٤]: «أنه ولد لإسماعيل بن إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام- اثني عشر رجلاً، وأمّهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، وهم ١- نابت[٥] بن اسماعيل ٢- قيدار ٣- واصل

---

(١) السدانة : خدمة البيت الحرام (الكعبة) وحجابته ، والسدنة يقومون بفتح الكعبة وغلقها ، ويعرفون أيضاً بالحجبة ، لأنهم يحجبون الكعبة عن العامة .
ابن هشام - السيرة ج ١ ص ١٠٨٥ ، الفيروزأبادي - القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٣٥ .

(٢) في الأصل « ثابت » وقد كرر المؤلف ذلك . وهو خطأ فالصحيح « نابت » .

(٣) في الأصل « الدر » . وعبدالدار كان أكبر أولاد قصي بن كلاب ، فعهد إليه بوظائف الكعبة المشرفة . ابن هشام - السيرة ج ١ ص ١٢٩ .

(٤) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٨١ .

(٥) في الأصل « ثابت » . وتكرر ذلك في جميع ما ورد بهذا الاسم في ص ٣٠٢ .

٤- مياس ٥- آزر ٦- طيما ٧- يطور ٨- نبش ٩-قيدما » .

فهؤلاء التسعة الذين ذكر أسماء هم الأزرقي ، ولم يذكر أسماء الثلاثة الباقين من الاثني عشر .

ثم قال الأزرقي(١) : « وكان عمر إسماعيل ١٣٠ سنة ، فمن نابت(٢) بن إسماعيل وقيدار بن إسماعيل نشر الله العرب ، وكان أكبرهم قيدار ، ونابت(٢) ابنا اسماعيل » .

فلما مات إسماعيل -عليه السلام- ولي البيت نابت(٢) بن إسماعيل(٣) ، ما شاء الله أن يليه ، ثم توفي نابت(٢) بن إسماعيل ، فولي البيت بعده مضاض ابن عمرو الجرهمي ، وهو جد نابت(٢) بن إسماعيل أبو أمّه(٤) وضمّ بني نابت(٢) بن إسماعيل وبني إسماعيل إليه فصاروا مع جرهم ، وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة ، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكًا عليهم ، وعلى قطورا السميدع منهم ملكًا عليهم .

فلما خرجا من اليمن ، ونزلا مكة ، رأيا بلدًا طيبًا ذا ماء وشجر ، فأعجبهما ، فنزل مضاض بمَنْ معه من جرهم أعلا مكة وقعيقعان(٥) فحاز ذلك ، ونزل السميدع أجياد(٦) وأسفل مكة فحاز ذلك ، وكان مضاض يعشّر

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج١ ص ٨١ - ٨٤ .

(٢) في الأصل « ثابت » . وتكرر ذلك في جميع ما ورد بهذا الاسم في ص ٣٠٢ .

(٣) في الأصل « إسماعل » .

(٤) في الأصل « أبو أمية » . والتصحيح من الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٨٢ .

(٥) قعيقعان : الجبل الضخم المشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربي ويسمى اليوم بأسماء كثيرة كالعبادي والسليمانية والهندي وغيرها . عاتق غيث البلادي - معالم مكة التاريخية والأثرية - دار مكة ط١ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ٢٢٣ .

(٦) أجياد : يطلق على شعبين كبيرين من شعاب مكة يأتي أحدهما من الجنوب ويتجه شمالاً ، والآخر يأتي من الشرق من جبل الأعرف ويجتمعان أمام المسجد الحرام من الجنوب فيدفعان في وادي ابراهيم، وفيه من أحياء مكة ، جياد ، والمصافي وبئر بليلة . البلادي - معالم مكة الأثرية ص ١٤ .

مَنْ دخل مكة مـن / أعلاها ، وكان السميدع يعشّر مَنْ دخل مكة من أسفلها [٣٠٣]
ومن كُدي[١] ، وكلٌّ في قومه على حياله ، لا يدخل واحد منهما على صاحبه في ملكه .

ثم إن جرهمًا وقطورا بغى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بها ، حتى نشبت الحرب بينهم على الملك ، وولاة الأمر بمكة مع مضاض هم بنو [نابت بن][٢] إسماعيل ، فلما وقع بينهم البغي حتى سار بعضهم إلى بعض ، فخرج مضاض من قعيقعان في كتيبته سائرًا إلى السميدع ، ومع كتيبته عدتها من الرماح ، والدرق ، والسيوف ، والجعاب ، تقعقع ، وبذلك سميت (قعيقعان) ، وخرج السميدع بقطورا من أجياد معها الخيل والرجال ، وبذلك سميت (أجياد)، لخروج الخيل الجياد منه ، حتى التقوا بفاضح[٣] ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فقتل السميدع وفضحت قطورا .

ثم تداعوا للصلح ، فساروا حتى نزلوا المطابخ[٤] - شعبًا بأعلى مكة يقال له شعب عبدالله بن عامر بن كريز[٥] - ، فاصطلحوا بهذا الشعب ، وأسلموا الأمر إلى مضاض .

فكان ذلك أوّل بغي كان بمكة ، فقال مضاض بن عمرو الجرهمي :

(١) في الأصل « كداء » ، وهو خطأ والتصحيح من الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٨٢ .
(٢) زيادة من الأزرقي .
(٣) فاضح : سمي بذلك لافتضاح قطورا بهزيمتها . المصدر السابق ج ١ ص ٨٢ .
(٤) المطابخ : هو شعب عبدالله بن عامر بن كريز . المصدر السابق ج ١ ص ٨٤ . سمي بذلك لما نحر فيه تبع وأطعم وكانت منزله . الأزرقي ج ١ ص ٨٤ .
(٥) شعب عبدالله بن عامر : يطلق عليه اليوم شعب عامر ، يصب على الغزّة مقابل مسجد الراية يأتي من الخنادم . البلادي - معالم مكة ص ١٤٦ . وسمي باسم الأمير المجاهد عبدالله بن عامر بن كريز ، فاتح خراسان ووالي البصرة لعثمان بن عفان رضي الله عنه . ت سنة ٥٩ هـ . انظر : الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ص ١٨ - ٢١ .

ونحـن قتلـنـا سيّـد الحي عـنـوة فـأصبح فيـهـا وهو حيـران مـوجع

وما كان يبغي[1] أن يكون سواء نا بهـا ملكًا حتى أتانا السـمـيـدع

فذاق وبالاً حين حاول ملكنـا وعـالـج منا غـصّـة تتـجـرّع

فنحن عـمرنا البيت كنّا ولاتـه نحـامي عنه مَنْ أتانـا ونـدفـع

[٣٠٤] / وما كان يبغي أن يلي ذاك غيرنا ولـم يـك حيّ قـبلنا ثم يمنـع

وكنا ملوكًا في الدهور التي مضت ورثـنـا ملـوكًـا لا تـرام فـتـوضـع

ثم نشر اللّه تعالى بني إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جرهم إذ ذاك الحكام بمكة ، فلما ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها ، انبسطوا في الأرض وابتغوا المعاش ، والتفسح في الأرض ، فلا يأتون قومًا ولا ينزلون بلدًا إلاّ أظهرهم اللّه عز وجل عليهم بدينهم - الذي هو ملة إبراهيم - فوطئوهم[2] وغلبوهم عليها ، حتى ملكوا البلاد ، ونفوا عنها العماليق ، وَمَنْ كان ساكنًا بلادهم التي كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم ، وجرهم على ذلك بمكة ولاة البيت ، لا ينازعهم إياه بنو إسماعيل لخؤولتهم وقرابتهم وإعظام الحرم .

فلما[3] طالت ولاية جرهم ، استحلوا من الحرم أمورًا عظامًا ونالوا ما لم يكونوا ينالوا ، واستخفوا بحرمة الحرم وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى إليها سرًا وعلانية ، وكلّما عدا سفيه منهم على منكر ، وجد من أشرافهم مَنْ يمنعه ويدفع عنه ، وظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها ، فلما رأى ذلك رجل منهم يقال له مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو ، وقام فيهم خطيبًا

---

(١) في الأصل « بغى » . والتصحيح من الأزرقي - أخبار مكة ج١ ص ٨٣ .

(٢) في الأصل « فوطؤهم » .

(٣) أخذ المؤلف ينقل عن الأزرقي فيما يخص جرهم دون أن يشير إلى ذلك (من ص ٣٠٤ - ٣٠٦) . الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٩٠ - ٩٤ .

فوعظهم وقال : يا قوم ابقوا على أنفسكم ، وراقبوا اللّه في حرمه وأمنه ، فقد رأيتم وسمعتم من هلاك من صدر هذه الأمم قبلكم ، قوم هود ، وقوم صالح ، وشعيب ، فلا تفعلوا ، وتواصلوا ، وتواصوا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر ، ولا تستخفوا بحرم اللّه تعالى وبيته الحرام ، ولا يغرنكم ما أنتم فيه من الأمن والقوة فيه ، / وإياكم والإلحاد فيه بالظلم فإنه بوار ، وأيم اللّه لقد علمتم ، [٣٠٥]
أنه ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألحد إلاّ قطع اللّه عز وجل دابرهم ، واستأصل شأفتهم ، وبدّل أرضها غيرهم ، فاحذروا البغي فإنه لا بقاء لأهله ، قد رأيتم وسمعتم مَن سكنه قبلكم من طسم[(١)] ، وجديس[(٢)] ، والعماليق[(٣)] ، ممن كان أطول منكم أعمارا ، وأشد قوة ، وأكثر رجالاً ، وأموالاً ، وأولادًا ، فلما استخفوا بحرم اللّه ، وألحدوا فيه بالظلم أخرجهم اللّه منه بالأنواع الشتى ، فمنهم مَنْ أُخرج بالذرّ ، ومنهم مَنْ أُخرج بالجدب ، ومنهم مَنْ أُخرج بالسيف، وقد سكنتم مساكنهم ، وورثتم الأرض من بعدهم ، فوقروا حرم اللّه تعالى ، وعظّموا بيته الحرام ، وتنزهوا عنه وعمّا فيه ، ولا تظلموا مَنْ دخله وَجاء معظمًا لحرماته ، وآخر جاء بائعًا لسلعته ، أو مُرتَغبًا في جواركم ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، تخوَّفتُ أنْ تخرجوا من حرم اللّه خروج ذلّ وصغار ، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حِرْزٌ وأمن ، والطير والوحوش تأمن فيه .

فقال له قائل منهم ، يقال له مجذع : مَنْ الذي يُخرِجُنا منه ؟ ! ألسنا أعزّ العرب وأكثرهم رجالاً وسلاحًا ؟

---

(١) طسم : من قبائل العرب البائدة ، كانت مساكنهم باليمامة . انظر : ابن الأثير – الكامل في التاريخ ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) جديس : من قبائل العرب البائدة ، انظر : المصدر السابق ج ١ ص ٢٠٤ .

(٣) العماليق : من قبائل العرب البائدة – وانظر عنهم : الأزرقي – أخبار مكة ج ١ ص ٨٤ – ٩٠ .

فقال له مضاض بن عمرو : إذا جاء الأمر بطل ما تقولون .

فلم يقصروا عن شيء مما كانوا يصنعون ، فلما رأى مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض ما تعمل جرهم في الحرم ، وما تسرق من مال الكعبة سراً وعلانية ، عمد إلى غزالين كانا في الكعبة من ذهب ، وأسياف قلعية[1] ، فدفنها في موضع بئر زمزم ، / وكان ماء زمزم قد نضب وذهب ، لِما [٣٠٦] أحدثت جرهم في الحرم ما أحدثت ، حتى غبي مكان البئر ودُرس .

فبينما هم على ذلك ، إذ كان من أمر أهل (مأرب) ما ذكر أنه ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر ، الذي يقال له مزيقياء بن ماء السماء ، وهو عمرو ابن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكانت قد رأت في كهانتها أن سدّ مأرب سيخرب ، وأنه سيأتي سيل العرم ، فيخرب الجنتين ، فباع عمرو بن عامر أمواله ، وسار هو وقومه من بلد إلى بلد ، لا يطؤون بلداً إلا غلبوا عليه وقهروا أهله حتى يخرجوا منه ، ولذلك حديث طويل اختصرناه[2] . فلما قاربوا مكة ، ساروا ومعهم طريفة الكاهنة فقالت لهم : سيروا فلن تجتمعوا أنتم ومَنْ خلفتم أبدًا ، فهذا لكم أصل وأنتم له فرع . ثم قالت : مه ، مه ، وحق ما أقول ، ما علّمني ما أقول إلا الحكيم المحكم ، رب جميع الإنس من عرب وعجم . فقالوا لها : ما شأنك يا طريفة؟ قالت : خذوا البعير فخضبوه بالدم ، تلون أرض جرهم جيران بيته المحرم .

قال : فلما انتهوا إلى مكة ، وأهلها جرهم وقد قهروا الناس ، وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل وغيرهم ، أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر :

(١) قلعيّة : نسبة إلى القلعة - موضع بالبادية - انظر القضاعي - تاريخ ص ٢٥٠ .
(٢) هذا ما ورد عند الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٩٢ .

يا قوم ، إنا قد خرجنا من بلادنا ، فلم ننزل بلدًا إلا فسح أهلها لنا ، وتزحزحوا عنا ، فنقيم معهم حتى نرسل روّادنا ، فيرتادون لنا بلدًا يحملنا ، / فافسحوا [٣٠٧] لنا في بلادكم ، حتى نقوم قدر ما نستريح ، ونرسل روّادنا إلى الشام وإلى الشرق ، فحيث ما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيرًا . فأبت جرهم ذلك إباءً شديدًا ، واستكبروا في أنفسهم ، وقالوا : لا والله ما نحب أن تنزلوا معنا ، فتضيقون علينا مراتعنا ومواردنا ، فارحلوا عنا حيث أحببتم ، فلا حاجة لنا بجواركم . فأرسل إليهم ثعلبة : أنه لا بدّ لي من المقام بهذا البلد حَوْلاً ، حتى يرجع إليّ رسلي التي أرسلت ، فإن تركتموني طوعًا نزلت وحمدتكم ، وواسيتكم في الرعي والماء ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ، ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً ، ولن تشربوا إلا رتقًا - الكدر من الماء[١] - وان قاتلتموني قاتلتكم ، ثم إنْ ظهرت عليكم سبيتُ النساء ، وقتلتُ الرجال ، ولم أترك أحدًا منكم ينزل الحرم أبدًا . فأبت جرهم أن تتركه طوعًا وتعبَّت لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، وأفرغ عليهم الصبر ومنعوا النصر ، ثم انهزمت جرهم فلم ينفلت منهم إلا الشريد .

وكان مضاض بن عمرو بن الحارث قد اعتزل جرهمًا ، ولم يُعنْهم في ذلك ، وقال لهم : قد كنت أُحذركم هذا . ثم رحل هو وولده وأهل بيته ، حتى نزلوا (قنونا[٢] ، وحلي[٣]) - من قرى اليمن - وما حول ذلك . فبقايا جرهم بها إلى اليوم ، وفنيت جرهم في تلك الحرب .

وأقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه ، وعساكره ، حولاً فأصابتهم

(١) هكذا فسّرها الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٩٣ .

(٢) قَنَوْنى (قنونا) : من أودية السراة يصبّ إلى البحر من جهة مكة قرب حلي . ياقوت - معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٩ .

(٣) حَلْي : مدينة باليمن على ساحل البحر . ياقوت - معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٧ . ويوجد في تهامة في الوقت الحاضر واد يُسمّى « وادي حلي » أرضه خصبة ومياهه غزيرة .

الحمى ، وكانوا في بلد لا يدرون فيه ما الحمى ، فدعوا[1] طريفة فأخبروها الخبر ، فقالت لهم : قد أصابني بؤس الذي تشكون ، / وهو مفرق ما بيننا . [٣٠٨]
قالوا: فماذا تأمرين ؟ فقالت : فيكم ومنكم الأمير . إلى آخره[2] .
وأشارت[3] عليهم أن يبارحوا مكة ، ، فخرج فريق منهم إلى (عُمان) ، وهم أزد عمان[4] ، وفريق إلى المدينة وهم الأوس والخزرج ، وفريق إلى أرض الشام وهم آل جفنة من غسان ، وفريق إلى العراق وهم آل جذيمة الأبرش » .

هذا ما ذكره الأزرقي ملخصًا[5] من أمر طريفة ، ومزيقياء[6] ، وجرهم .

فلما[7] حازت خزاعة أمر مكة ، وصاروا أهلها ، جاء هم بنو إسماعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة ، فسألوهم السكنى معهم وحولهم ، فأذنوا لهم ، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث وقد أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه ، أرسل إلى خزاعة يستأذنها في الدخول عليهم ، والنزول معهم بمكة في جوارهم ، ومَتَّ إليهم برأيه ، وتوريعه قومه عن القتال ، وسوء السيرة في الحرم واعتزاله الحرب . فأبت خزاعة أن تقرّهم ، ونفتهم عن الحرم كله ولم يتركوهم ينزلون معهم ، فقال لحي[8] وهو ربيعة ، لقومه : مَنْ وجد منكم جرهميًا قد قارب الحرم فدمه هدر . فانطلق مضاض نحو اليمن إلى أهله وحزن حزنًا شديدًا .

---

(١) في الأصل « أما » والتصحيح من الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٩٤ .
(٢) أي إلى آخر ما ذكره الأزرقي من قول طريفة الكاهنة ج ١ ص ٩٤ .
(٣) عاد المؤلف للنقل عن المصدر السابق ج ١ ص ص ٩٤ - ٩٥ .
(٤) في الأصل « أزاد محمان » وهو خطأ . والتصحيح من الأزرقي ج ١ ص ٩٤ .
(٥) لم يكن تلخيصاً ، وإنما أخذ فقرات كاملة واختصر فقط الشعر . وبعض أقوال طريفة الكاهنة .
(٦) في الأصل « مزيقاء » .
(٧) عاد المؤلف للنقل عن المصدر السابق ج ١ ص ٩٦ .
(٨) في المطبوع من الأزرقي عمرو بن لحي . وهو خطأ فعمرو لم يكن مولودًا بعد كما سيأتي بعد سطور .

واحتازت[١] خزاعة بحجابة الكعبة ، وولاية [أمر][٢] مكة ، وفيهم بنو إسماعيل بن إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام- بمكة وما حولها ، لا ينازعهم أحد منهم في شيء من ذلك ، فتزوج لحي وهو ربيعة بن حارثة ، فهيرة بنت عامر بن / عمرو ملك جرهم ، فولدت له عمرو بن لحي ، وبلغ بمكة وفي **[٣٠٩]** العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده في الجاهلية ، وهو الذي قسم بين العرب في حطمة حطموها عشرة آلاف ناقة ، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدايف الإبل ولحمانها على الثريد . وعمّ في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن . وكان قوله في العرب دينًا متبعًا لا يخالف ، وهو الذي بحر البحيرة، ووصل الوصيلة ، وحمى الحام ، وسيب السايبة[٣]، ونصب الأصنام حول الكعبة ، وجاء بهبل من (هيت)[٤] - من أرض الجزيرة - [٥] فنصبه في بطن الكعبة . وهو أول من غير الحنيفية دين إبراهيم ﷺ . وكان بمكة رجل من جرهم على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، وكان شاعراً فقال لعمرو بن لحي حين غير الحنيفية :

يا عمرو لا تظلم بمكة ... إنها بلد حرام

سائل بعاد أين هم ... وكذاك تخترم[٦] الأنام

وبني العماليق الذين ... لهم بها كان السوام

---

(١) وبعد أن حذف المؤلف الشعر وبعض التفاصيل عاد للنقل عن الأزرقي ج ١ ص ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) زيادة من المصدر السابق ج ١ ص ١٠٠ .

(٣) انظر في تفسير البحيرة والوصيلة وغيرهما ابن هشام - السيرة ج ١ ص ص ٨٩ - ٩١ .

(٤) هيت - بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار . فيها قبر عبدالله بن المبارك رحمه الله ، ونسب إليها جماعة من أهل العلم . ياقوت - معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢١ .

(٥) أي أرض الجزيرة الفراتية .

(٦) في الأصل « تحرم » والتصحيح من الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٣٠٩ والمصادر .

وأقامت خزاعة[١] على البيت والحكم بمكة ثلاثمائة سنة ، وكان بعض التبابعة قد سار إليه ، وأراد هدمه وتخريبه . فقامت دونه خزاعة ، فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع . ثم آخر فكذلك . وأما التبع الثالث فهو الذي نحر له وكساه وجعل له غلقًا[٢] ، وأقام عنده أياما ، ثم رجع إلى اليمن ، وكان ذلك في عهد قريش .

[٣١٠] فلبثت خزاعة على ما هي عليه ، وقريش إذ ذاك في بني / كنانة متفرقة . وقد قدم في بعض الزمان حاج قضاعة ، فيهم ربيعة بن حرام بن ضبة ، وكان قد هلك كلاب بن مرة بن كعب القرشي وترك زهرة وقصيًا ابني كلاب مع أمهما فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سيل ، فتزوج ربيعة بن حرام أمهما ، وزهرة رجل بالغ ، وقصي فطيم فاحتملها[٣] ربيعة إلى بلادهم من أرض عذرة ، من أشراف الشام ، فاحتملت معها قصيًا لصغره ، وتخلّف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة لربيعة رزاح بن ربيعة ، فكان أخا قصي بن كلاب لأمه ، ولربيعة بن حرام من امرأة أخرى ثلاثة نفر ، وهم حن[٤] ومحمود ، وجلهمة .

فبينا قصي بن كلاب في أرض قضاعة ، لا ينتمي إلا إلى ربيعة بن حرام ، إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء وقصيّ قد بلغ ، فقال له القضاعي : ألا تلحق بنسبك وقومك ؟ فإنك لستَ منّا . فرجع قصيّ إلى أمه ، وقد وجد في

---

(١) عاد المؤلف للنقل عن المصدر السابق ج ١ ص ص ١٠٣ - ١٠٧ .

(٢) الغلق - الباب يغلق بمفتاح . ابن منظور - لسان العرب ج ١٠ ص ٢٩٣ .
وانظر وصول تبع إلى مكة وإقامته بها وكسوته البيت - ابن هشام - السيرة ج ١ ص ص ٢٤ -٢٦ ، الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١٠٣ .

(٣) في الأصل « فاحتملهما » . والتصحيح من المصدر السابق ج ١ ص ١٠٤ والسياق .

(٤) في الأصل « حسن » .

نفسه مما قال له القضاعي، فسألها عما قال له ، فقالت : والله أنت يا بني خير منه وأكرم ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وقومك عند البيت الحرام وما حوله .

فأجمع قصي للخروج إلى قومه واللحاق بهم ، وكره الغربة في أرض قضاعة ، فقالت له أمه : يا بني لا تعجل بالخروج ، حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاج العرب ، فإني أخشى عليك . فأقام قصيّ حتى دخل الشهر الحرام ، وخرج في حاج قضاعة ، حتى قدم مكة . فلما فرغ من الحج أقام بها ، وكان قصيّ رجلاً جليدًا ، حازمًا ، بارعًا، فخطب إلى حُليل بن حُبشية بن / سلول الخزاعي ابنته حبى ابنة حُليل ، فعرف حُليل [٣١١] نسبه ورغب في الرجل ، فزوجه ، وحُليل يومئذ يلي الكعبة وأمْر مكة ، فأقام قصيّ معه حتى ولدت حبى لقصي عبد الدار وهو أكبر ولده ، وعبد مناف ، وعبدالعزى ، وعبداً -بني قصي- فكان حُليل يفتح البيت المعظم ، فإذا اعتلّ أعطى ابنته حبى المفتاح ففتحته ، فإذا اعتلّت أعطت المفتاح زوجها قصياً أو بعض ولدها فيفتحه ، وكان قصيّ يعمل في حيازته إليه وقطع ذكر خزاعة عنه، فلما حضرت حُليلا الوفاة ، نظر إلى قصيّ وإلى ما انتشر حوله من الولد من ابنته ، فرأى أن يجعلها في ولد ابنته ، فدعا قصياً فجعل له ولاية البيت ، وأسلم إليه المفتاح ، وكان يكون عند حبى .

فلما هلك حُليل ، أبت خزاعة أن تدعه وذاك ، وأخذوا المفتاح من حبى ، فمشى قصيّ إلى رجال من قومه من قريش وبني كنانة ، ودعاهم إلى أن يقوموا معه في ذلك وأن ينصروه ويعضدوه ، فأجابوه إلى نصره ، وأرسل قصيّ إلى أخيه لأمه رزاح بن ربيعة ، وهو ببلاد قومه من قضاعة ، يدعوه إلى نصره ، ويعلمه ما حالت خزاعة بينه وبين ولاية البيت ، ويسأله الخروج إليه

بمن أجابه من قومه . فقام رزاح في قومه ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرج رزاح ابن ربيعة ، ومعه إخوته من أبيه حن[1] ، ومحمود ، وجلهمة ، بنور ربيعة ابن حرام ، فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب ، مجتمعين لنصر قصيّ والقيام معه .

فلما اجتمع الناس بمكة ، خرجوا إلى الحج فوقفوا بعرفة وبجمع[2] (مزدلفة) ونزلوا منى ، وقصيّ مجمع على ما أجمع عليه من قتالهم بِمَنْ معه من قريش ، وبني / كنانة ، ومن قدم عليه مع أخيه رزاح من قضاعة . [٣١٢]

فلما كان آخر أيام منى أرسلت قضاعة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلموا إلى قصي ما جعل له حُليل . وعظموا عليهم القتال في الحرم ، وحذروهم الظلم والبغي بمكة ، وذكّروهم ما كانت فيه جرهم وما صارت إليه حين ألحدوا فيه بالظلم والبغي ، فأبت خزاعة أن تسلم ذلك ، فاقتتلوا بمفضى مأزميّ منى[3] . قال : فسمي ذلك المكان (المفجر) ، لما فجر فيه وسفك فيه من الدماء وانتهك من الحرمة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، وفشت فيهم الجراحات ، وحاج العرب جميعاً من مضر ، واليمن ، مستكفون ينظرون إلى قتالهم .

ثم تداعوا إلى الصلح ، ودخلت قبائل العرب بينهم ، وعظّموا على الفريقين سفك الدماء والفجور في الحرم ، فاصطلحوا على أن يحكّموا بينهم رجلاً من العرب فيما اختلفوا فيه ، فحكّموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر من كنانة ، وكان رجلاً شريفاً ، فقال لهم : موعدكم فناء الكعبة غداً . فاجتمع

---

(١) في الأصل « حسن » .

(٢) سميت مزدلفة (جَمْع) لاجتماع الناس بها ، وحدّها بين بطن محسر والمأزمين .

(٣) مأزما منى : المأزمان : مثنى مأزم وهو الطريق الضيق بين الجبلين ونحوه . والمقصود به هنا مأزمي منى عند العقبة لضيق المكان . عاتق غيث البلادي - معالم مكة ص ٢٤٢ .

إليـه الناس ، وعـدّوا القتلى ، فكانت في خزاعـة أكـثر منهـا في قـريش ، وقضاعـة ، وكنانة ، وليس كلّ بني كنانة قاتل مع قصيّ ، إنما كـانت مع قريش من بني كنانة قبائل يسيرة ، واعتزلت عنها بكر بن عبد مناة قاطبة . فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة ، قام يعمر بن عوف فقال : (ألا إنّي قد شَدَخْتُ ما كـان بينكم من دم تحت قدمي هـاتين ، فلا تباعة لأحد على أحد في دم ، وإني قد حكمت لقصيّ بحجابة الكعبة ، وولاية أمر مكة ، دون خزاعة لما جعل له حُليل ، وأن / يُخلّى بينه وبين ذلك ؛ وألا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة) . [٣١٣]

قال : فسمُي يعمر في ذلك اليوم الشدّاخ .

فسلّمت ذلك خزاعة لقصي ، وعظموا سفك الدماء في الحرم ، وافترق الناس . فولي قصي بن كلاب حجابة الكعبة ، وأمْر مكة ، وأبقى خزاعة على رباعهم وسكناتهم ، لم يحرّكوا ولم يخرجوا منها ، فقال قصيّ في ذلك ، وهو يتشكر لأخيه رزاح بن ربيعة :

انا ابن العاصمين بني لـؤي ... بمكـة مولـدي وبهـا ربيـت

ولي البطحاء قد علمت معد ... ومروتهـا رضيت بها رضيت

وفيها كانـت الآباء قبلـي ... فما شويت أخـي ولا شـويـت

فَلَسْتُ[١] لغالب إن لم تأثل ... بهـا أولاد قيـدر والنبيـت[٢]

رزاح ناصري وبه أسـامي ... فلست أخاف ضَيْماً[٣] ما حييت

فكان قـصيّ أول رجل من بني كنانة أصـاب ملكاً ، وأطاع له به قـومـه ،

(١) في الأصل « فليست » . والإثبات من الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) قيدر والنبيت من أبناء إسماعيل عليه السلام .

(٣) في الأصل » ضما » . والتصحيح من الأزرقي - أخبار مكة وغيره .

فكانت إليه الحجابة ، والرفادة ، والسقاية ، والندوة ، واللواء ، والقيادة .

فلما جمع قصي قريشاً بمكة سمي مجمعاً .

فحاز[1] قصيّ شرف مكة ، وأنشأ دار الندوة للمشورة ، وكان يدخلها ولد قصيّ كلهم أجمعون وحلفاؤهم[2] ، فلما كبر قصيّ ورقّ ، كان عبدالدار بكره وأكبر ولده . وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وذهب شرفه كل مذهب ولم يبلغ أحد من أولاد قصي ولا من قومهم قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر ، والشرف ، والعز ، وكان قصيّ وحبى ابنة حُليل يحبّان / [٣١٤] عبدالدار ويرقّان عليه لما يريان عليه من شرف عبد مناف وهو أصغر منه ، فقالت له حبى : لا والله، لا أرضى حتى يخصّ عبدالدار بشيء تلحقه بأخيه. فقال قصيّ : والله لألحقنّه به ولأحْبُونّهُ بذروة الشرف؛ حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرها الكعبة إلا بإذنه ، ولا يقضون أمراً ويعقدون لواء إلا عنده . وكان ينظر في العواقب .

فأجمع قصي على أن يقسم أمور مكة الستة ، التي فيها الذكر والشرف والعز ، بين ابنيه ، فأعطى عبدالدار السدانة ، وهي الحجابة . ودار الندوة واللواء . وأعطى عبد مناف السقاية ، والرفادة ، والقيادة .

أما السقاية فحياض من أدم كانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة ، ويسقي فيها الماء العذب منْ الآبار على الإبل ، ويسقاه الحاج .

وأما الرفادة ، فَخَرْج كانت قريش تخرجه من أموالها في كل موسم ، فتدفعه إلى قصي يصنع به طعاماً للحاج ، يأكله مَنْ لم يكن معه سعة ولا زاد .

---

(١) عاد المؤلف للنقل من المصدر السابق ج ١ ص ١٠٩ - ١١١ .

(٢) في الأصل « وحلفاءهم » .

فلما هلك قصيّ أقيم أمره في قومه بعد وفاته على ما كان عليه في حياته ، وولي عبدالدار حجابة البيت ، وولاية دار الندوة ، واللواء ، فلم يزل يليه حتى هلك ، وجعل عبدالدار الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبدالدار .

وجعل دار الندوة إلى ابنه عبد مناف بن عبد الدار ، فلم تزل بنو عبد مناف ابن عبدالدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار ، فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور في أمر ، فتحها لهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار أو بعض ولد أخيه ، ولم تزل بنو عثمان بن عبدالدار يلون الحجابة / دون ولد [٣١٥] عبدالدار ، ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار ، ثم وليها أبو طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، ثم وليها ولده من بعده ، حتى كان فتح مكة ، فقبضها رسول الله ﷺ من أيديهم ، وفتح الكعبة ودخلها ، ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملاً على المفتاح ، فقال له العباس بن عبد المطلب : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أعطنا الحجابة مع السقاية ، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (١) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة ، فتلاها ، ثم دعا عثمان بن طلحة(٢) فدفع إليه المفتاح وقال : « غيبوه » . ثم قال : « خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله سبحانه ، واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة ، لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم » . فخرج عثمان بن طلحة بعد الهجرة مع النبي ﷺ ، وأقام ابن عمه شيبة بن

---

(١) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٢) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى القرشي الصحابي العبدري الحجبيّ ، كان قد هاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص إلى المدينة مسلمًا . وكان أبو طلحة قتل يوم أحد مشركًا ت سنة ٤١ هـ أو سنة ٤٢ هـ . الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ص ١٠ -١٢ .

عثمان بن أبي طلحة [1] ، فلم يزل يحجب هو وولده ، وولد أخيه وهب بن عثمان ، حتى قدم ولد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وولد مسافع بن طلحة ابن أبي طلحة ، من المدينة وكانوا بها دهراً طويلاً ، فلما قدموا حجبوا مع بني عمهم ، فولد أبي طلحة جميعاً يحجبون .

وأما اللواء : فكان في أيدي بني عبد الدار كلهم ، يليه منهم ذوو السن والشرف في الجاهلية ، حتى كان يوم أحد فقتل عليه مَنْ قُتِل منهم .

وأما السقاية ، والرفادة ، والقيادة ، فلم تزل لعبد مناف بن قصيّ يقوم بها حتى توفي ، فولي بعده هاشم بن عبد مناف السقاية ، والرفادة ، وولي [٣١٦] / عبد شمس بن عبد مناف القيادة ، وكان هاشم بن عبد مناف يطعم الناس في كل موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش ، كان يشتري بما يجتمع عنده دقيقاً ، ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة فخذها ، فيجمع ذلك كله ، ثم يحزر به الدقيق ويطعمه الحاج ، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس في سنة جدب شديد ، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام ، فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقاً وكعكاً ، فقدم به مكة في الموسم ، فهشم ذلك الكعك ، ونحر الجزور وطبخه وجعله ثريدًا ، وأطعم الناس - وكانوا في مجاعة شديدة - حتى أشبعهم ، فسمي بذلك هاشما ، وكان اسمه عمرو .

فلم يزل[2] هاشم على ذلك ، حتى توفي . وكان عبد المطلب يفعل ذلك ، فلما توفي عبدالمطلب قام بذلك أبو طالب في كل موسم ، حتى جاء الإسلام

---

(١) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى القرشي أبو عثمان الصحابي الحجبي ، قتل أبوه كافرًا يوم أحد وأسلم هو يوم الفتح ، وحجبة البيت بنو شيبة من ذريته . ت سنة ٥٨ هـ ، الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ص ١٢ - ١٣ .

(٢) وهذا من جديد بداية نقل المؤلف عن الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١١٢ .

وهو على ذلك . وكان النبي ﷺ قد أرسل بمال يعمل به الطعام مع أبي بكر -رضي الله عنه- حين حج أبو بكر بالناس سنة تسع ، ثم عمل في حجة النبي ﷺ في حجة الوداع . ثم أقام أبو بكر في خلافته ، ثم عمر -رضي الله عنه- في خلافته ، ثم الخلفاء هلم جراً حتى الآن ، وهو طعام الموسم الذي تطعمه الخلفاء اليوم في أيام الحج بمكة ومنى حتى تنقضي أيام الموسم .

وأما السقاية : فلم تزل بيد عبد مناف ، فكان يسقي الماء من بئر كَرّ آدم[1] ، وبئر خم[2] على الإبل في المزاد والقرب ، ثم يسكب ذلك الماء في حياض من أدم بفناء الكعبة ، فيرده الحاج حتى يتفرقوا ، فكان يستعذب ذلك الماء . فلما[3] آل الأمر إلى هاشم بن عبد مناف حفر بئر بدر[4] ، ثم بئر/ سجلة[5] . [٣١٧]

فلم[6] يزل هاشم يسقي الحاج حتى توفي . فقام بأمر السقاية بعده

---

(١) بئر كرّ آدم : من آبار مكة قبل زمزم . قيل : حفره آدم في شعب حواء حين أُهبط إلى مكة . وقيل : حفرته قريش لما اشتدت بهم المؤنة في الماء . الأزرقي - أخبار مكة ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) بئر خُمّ : بئر بمكة قيل هي لكلاب بن مرة أبي قصيّ الفاكهي ج ٤ ص ٩٦ ، وقيل حفرها وحفر رم عبد شمس بن عبد مناف . وقيل : خَمّ بئر قريبة من المستجاب . كان الناس يأتونها في الجاهلية والاسلام للنزهة . ويقال : إنها كانت لبني مخزوم . انظر : الأزرقي - أخبار مكة ج ٢ ص ص ٢١٤-٢١٥ ، البلادي - معالم مكة ٩٦-٩٧ .

(٣) عاد المؤلف للنقل عن الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١١٣ .

(٤) بئر بدر : حفرها هاشم بن عبد مناف . ويقال حفرها قصي فقفلها أبو لهب . المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٦ ، الفاكهي - أخبار مكة ج ٤ ص ص ٩٨-٩٩ ، البلادي - معالم مكة ص ص ٣٧-٣٨ .

(٥) بئر سجلة : حفرها هاشم بن عبد مناف وهي البئر التي يقال لها بئر جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . يقال : إنه ابتاعها من ولد هاشم . وقال بعض المكيين : وهبها له أسد بن هاشم حين ظهرت زمزم ، ويقال : وهبها عبدالمطلب عندما حفر زمزم واستغنى عنها للمطعم بن عدي ، وأذن له أن يضع حوضاً عند زمزم من أدم يسقي فيه منها ويسقي الحاج ، وهذا أثبت الأقاويل عند الأزرقي . الأزرقي - أخبار مكة ج ٢ ص ٢١٧ ، الفاكهي - أخبار مكة ج ٤ ص ص ٩٩ - ١٠٠ ، وانظر : البلادي - معالم مكة ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٦) استمر المؤلف في النقل عن الأزرقي دون الإشارة إليه ج ١ ص ص ١١٣ - ١١٥ .

عبدالمطلب بن هاشم ، فلم يزل كذلك حتى حفر بئر زمزم ، فعفت على آبار مكة كلها ، وكان منها مشرب الحاج ، وكانت لعبدالمطلب إبل كثيرة فإذا كان الموسم جمعها ، ثم يسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ، ويسقيه الحاج . فلبث عبدالمطلب يسقي الناس حتى توفي . فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبدالمطلب ، فلم تزل في يده ، وكان للعباس كَرْم - أي عنب[1] - بالطائف ، وكان يحمل زبيبة إليها ، وكان يداين أهل الطائف ، ويقتضي منهم الزبيب ، فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاخ أيام الموسم حتى ينقضي في الجاهلية وصدر الإسلام ، حتى دخل رسول اللّه ﷺ مكة يوم الفتح فقبض السقاية من العباس بن عبدالمطلب ، والحجابة من عثمان ابن طلحة ، فقام العباس بن عبدالمطلب فبسط يده ، وقال : يا رسول اللّه بأبي أنت وأمي ، اجمع لنا الحجابة والسقاية ، فقال رسول اللّه ﷺ : « أعطيكم ما تُرْزَؤون فيه ، ولا تَرْزُؤون منه »[2] فقام بين عضادتي[3] باب الكعبة فقال : «ألا إن كل دم أو مال أو مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين إلا سقاية الحاج ، وسدانة الكعبة ، فإني قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانتا عليه في الجاهلية » . فقبضها - أي السقاية - العباس ، فكانت في يده حتى توفي ، فوليها بعده عبداللّه بن العباس رضي اللّه عنهما ، فكان يفعل فيها كفعله دون بني عبدالمطلب حتى توفي ، فكانت بيد علي بن عبداللّه بن عباس يفعل
[٣١٨] فيها / كفعل أبيه وجده ، يأتيه الزبيب من ماله بالطائف وينبذه ، حتى توفي ، وكانت بيد ولده .

---

(١) هذه إضافة من المؤلف على كلام الأزرقي .

(٢) ومعناه « أعطيكم ما ينقصكم ، لا ما تنقصون به الناس » ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص٢٨٩ .

(٣) في الأصل « عضاضتي » . والتصحيح من الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١١٤ .

وأما القيادة : فوليها من بني عبد مناف ، عبد شمس بن عبد مناف ، ثم وليها من بعده أمية بن عبد شمس ، ثم من بعده حرب بن أمية فقاد بالناس يوم عكاظ في حرب قريش وقيس عيلان ، وفي الفجَّارين الفجَّار الأول والفجَّار الثاني[1] . وقاد الناس قبل ذلك بذات[2] نكيف ، في حرب قريش وبني بكر ابن عبدمناة بن كنانة ، والأحابيش يومئذ مع بني بكر تحالفوا على جبل يقال له (الحبشي)[3] على قيس ، فسُمُّوا الأحابيش بذلك ، ثم كان أبو سفيان بن حرب يقود قريشاً بعد أبيه ، حتى كان يوم بدر ، فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان أبو سفيان بن حرب في العير يقود الناس ، فلما كان يوم أحد قاد الناس أبو سفيان بن حرب ، وقاد الناس يوم الأحزاب ، وكانت آخر وقعة لقريش وحرب ، حتى جاء الله بالإسلام وفتح مكة » .

هذا حاصل ما ذكره الأزرقي[4] عن ابن جريج ، وابن إسحاق ، من خبر سدانة الكعبة من زمن إسماعيل -عليه السلام- إلى يوم فتح مكة .

---

(١) سميت هذه الحروب بالفجار بما استحلّت كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم . وشهد الرسول ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم. وقال رسول الله ﷺ : كنت أُنبّل على أعمامي أي: أردّ عليهم نبل عدوهم - إذا رموهم بها .
انظر : ابن هشام - السيرة ج ١ ص ص ١٨٤ - ١٨٧ ، ابن الأثير - الكامل ج ١ ص ص ٣٥٨ - ٣٦٣ .

(٢) يوم ذات نكيف - على عهد عبدالمطلب ، هزمت فيه قريش بني بكر بن عبد مناة وقتلوا قتلاً ذريعًا فلم يعودوا لحرب قريش . انظر : ابن الأثير - الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٥٨ .

(٣) الحُبْشيّ : جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك . به سميت أحابيش قريش . ياقوت - معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٤ .

(٤) وشمل صفحات كثيرة عند الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ص ٨٠ - ١١٥ .

[٣١٩] / سدانة الكعبة المعظمة في الإسلام :

وأما خبر سدانة الكعبة المعظمة في الإسلام وإعطاء رسول اللّه ﷺ المفتاح لعثمان بن طلحة، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، فقد ورد ذلك مفصلاً في كتب التفسير ، والحديث ، والسِّير ، والتاريخ، وغيرها ، فروى ابن سعد في «الطبقات»[١] : « عن عثمان بن طلحة قال : كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس[٢] ، فأقبل النبي ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فأغلظت له ونلت منه ، فحلم عني ، ثم قال : « يا عثمان ، لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت » . فقلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلّت . قال : « بل عمرت وعزت يومئذ » . ودخل الكعبة ، فوقعت كلمته مني موقعاً ظننتُ يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال . فلما كان يوم الفتح قال : « يا عثمان ، ائتني بالمفتاح » . فأتيته به ، فأخذه مني ، ثم دفعه إليّ ، وقال : « خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان، إنّ اللّه استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف » . قال : فلما ولّيتُ ناداني ، فرجعت إليه ، فقال : « ألم يكن الذي قلت لك ؟ » . قال : فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة : « لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت » . قلت : بلى أشهد أنك رسول اللّه » .

[٣٢٠] / وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في تفسيره[٣] في معنى قوله تعالى :

---

(١) ابن سعد – الطبقات ج ٢ ص ١٣٧ .
وانظر الأزرقي – أخبار مكة ج ١ ص ص ٢٦٥ – ٢٦٨ ، الواقدي – المغازي ج ٢ ص ص ٨٣٧ – ٨٣٨ .

(٢) في بعض الروايات الإثنين والجمعة – ابن ظهيرة – الجامع اللطيف ص ١١٨ .

(٣) ابن كثير – التفسير ج ١ ص ٥١٦ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [١] : « وقد ذكر كثير من المفسرين[٢] أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصيّ بن كلاب القرشي العبدري ، حاجب الكعبة المعظمة ، وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم ، أسلم عثمان هذا في الهدنة ، بين صلح الحديبية وفتح مكة ، هو وخالد بن الوليد وعمرو[٣] بن العاص ، وأما عمه عثمان بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد ، وقتل يومئذ كافراً. وإنما نبهنا على هذا النسب لأن كثيراً من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا ؛ وسبب نزولها فيه : لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح ، ثم رده عليه .

وروى محمد بن اسحاق[٤] في غزوة الفتح بسنده عن صفية بنت شيبة ، أن رسول اللّه ﷺ لما نزل بمكة ، واطمأن الناس ، خرج حتى جاء إلى البيت ، فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة ، وقد استكنّ له الناس في المسجد .

قال ابن اسحاق[٥] ، فحدثني بعض أهل العلم : أن رسول اللّه ﷺ قام

(١) النساء الآية ٥٨ . وفي الأصل أخطأ في كتابة الآية ، فكتب « الأمانة » بدلاً من «الأمانات».
(٢) في الأصل « المفسيرين » .
(٣) في الأصل « وعمر » .
وانظر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة عند ابن هشام - السيرة ج ٢ ص ص ٢٧٦ - ٢٧٩ .
(٤) ابن هشام - السيرة ج ٢ ص ص ٤١١ - ٤١٢ .
(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ٤١٢ .

[٣٢١] على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا اللّه، وحده لا شريك له، صدق وعده، / ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كُلّ مَأثرة ، أو دَمٍ ، أو مال يدّعى ، فهو تحت قدميَّ هاتين ، إلاَّ سدانة البيت . وسقاية الحاج » .

وذكر بقية الحديث في خطبة النبي ﷺ يومئذ ، إلى أن قال : ثم جلس رسول اللّه ﷺ في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول اللّه اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى اللّه عليك . فقال رسول اللّه ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعي له ، فقال له : «هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم وفاء وبرّ » .

وروى ابن كثير(١) من طريق ابن جرير(٢) عن ابن جريج ، في الآية ، قال : «نزلت في عثمان بن طلحة ، قبض منه رسول اللّه ﷺ مفتاح الكعبة ، فدخل في البيت يوم الفتح ، فخرج وهو يتلو هذه الآية : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾(٣) الآية ، فدعا عثمان إليه ، فدفع إليه المفتاح .

قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول اللّه ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾(٣) : فداه أبي وأمي ، ما سمعته يتلوها قبل ذلك .

حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الزنجي بن خالد عن الزهري قال : (دفعه إليه وقال : أعينوه)(٤) .

قال : وروى ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ،

---

(١) ابن كثير – التفسير ج ١ ص ص ٥١٦ – ٥١٧ .

(٢) الطبري محمد بن جرير – تفسير ج ٥ ص ١٤٥ .

(٣) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٤) هكذا في الأصل والصحيح « غيّبوه » .

في قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قال : لما فتح رسول اللّه ﷺ مكة ، دعا عثمان بن طلحة ، فلما أتاه قال : « أرني المفتاح » ، فأتاه به ، فلما بسط يده إليه ، قام إليه العباس قال : يا رسول اللّه ، بأبي أنت / وأمي ، اجمعه لي مع السقاية . فكفّ عثمان يده ، فقال رسول اللّه ﷺ : [٣٢٢] « أرني المفتاح يا عثمان » فبسط يده يعطيه ، فقال العباس مثل كلمته الأولى ، فكفّ عثمان يده ، فقال رسول اللّه ﷺ : « يا عثمان ، إن كنت تؤمن باللّه واليوم الآخر فهاته » . فقال : هاك بأمانة اللّه .

قال : فقام رسول اللّه ﷺ وفتح باب الكعبة ، فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- معه قداح يستقسم بها ، فقال رسول اللّه ﷺ : « ما للمشركين قاتلهم اللّه ، وما شأن إبراهيم وشأن القداح ؟ ! » ثم دعا بجفنة فيها ماء ، فأخذ ماء فغمسه فيه ، ثم غمس به تلك التماثيل ، وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة ، فألزقه في حائط الكعبة ، ثم قال : « يا أيها الناس ، هذه القبلة » .

قال : ثم خرج رسول اللّه ﷺ ، فطاف بالبيت شوطاً أو شوطين ، ثم نزل عليه جبريل فيما ذُكِرَ لنا بردّ المفتاح . ثم قال رسول اللّه ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ حتى فرغ من الآية » .

هذا ما ذكره عماد الدين ابن كثير في تفسيره(١) عن سبب ردّ رسول اللّه ﷺ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ، وأنّ ذلك كان بأمر اللّه تعالى .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»(٢) : « وروى ابن عائذ ، من مرسل عبدالرحمن بن سابط ، أن النبي ﷺ دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان

---

(١) ابن كثير - التفسير ج ١ ص ص ٥١٦ - ٥١٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري (طبعة دار الفكر) ج ٨ ص ٣٣٣ .

فقال : « خذوها خالدة مخلدة ، إني لم أدفعها إليكم ، ولكن اللّه دفعها إليكم، ولا ينزعها منكم إلا ظالم » .

[٣٢٣] ومن طريق ابن جريج « أن عليا قال للنبي ﷺ : / اجمع لنا الحجابة والسقاية . فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [١] ، فدعا عثمان ، فقال : « خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم».

وروى الفاكهي[٢] من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن النبي ﷺ لمّا ناول عثمان المفتاح ، قال له : « غيبه » . قال الزهري : فلذلك يغيّب المفتاح » . اهـ .

وقال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»[٣] : « عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري ، واسم أبي طلحة عبداللّه بن عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار بن قصيّ ، قُتل أبوه طلحة وعمه عثمان بن أبي طلحة جميعاً يوم أحد كافرين ، قتل حمزة عثمان ، وقتل عليّ طلحة مبارزة .

ثم قال : وهاجر عثمان بن طلحة إلى رسول اللّه ﷺ ، وكانت هجرته في هدنة الحديبية مع خالد بن الوليد ، فلقيا عمرو بن العاص مُقبلاً من عند النجاشي يريد الهجرة ، فاصطحبوا جميعاً حتى قدموا على رسول اللّه ﷺ بالمدينة . فقال رسول اللّه ﷺ حين رآهم : « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » ، يقول إنهم وجوه أهل مكة فأسلموا ، ثم شهد عثمان بن طلحة فتح مكة ، فدفع رسول اللّه ﷺ مفتاح الكعبة إليه ، وإلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، وقال : « خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها يا بني أبي طلحة منكم إلا ظالم » .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٢) الفاكهي - أخبار مكة - الملحق - ج ٥ ص ٢٣٥ .

(٣) ابن عبد البر - الاستيعاب (دار العلوم الحديثة) ج ٣ ص ٩٣ .

ثم نزل عثمان بن طلحة المدينة ، فأقام بها إلى وفاة رسول اللّه ﷺ ، ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى مات بها ، في أوّل خلافة معاوية سنة اثنتين[1] وأربعين ، وقيل إنه قتل يوم أجنادين[2] .

[٣٢٤] / وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[3] : « عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسمه عبداللّه بن عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار العبدري حاجب البيت ، أمه أم سعيد بن الأوس ، قُتل أبوه طلحة وعمه عثمان بن أبي طلحة بأحد، ثم أسلم عثمان بن طلحة في هدنة الحديبية ، وهاجر مع خالد بن الوليد، وشهد الفتح مع النبي ﷺ فأعطاه مفتاح الكعبة .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال : دخل النبي ﷺ الكعبة ، ودخل معه بلال ، وعثمان بن طلحة ، وأسامة بن زيد ، الحديث .

ثم قال : وقد وقع في تفسير الثعلبي بغير سند ، في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ أن عثمان المذكور ، إنما أسلم يوم الفتح ، بعد أن دفع له النبي ﷺ مفتاح البيت ، وهذا منكر ، والمعروف أنه أسلم وهاجر مع عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد وبذلك جزم ، ثم سكن المدينة إلى أن مات بها سنة اثنتين وأربعين . قاله الواقدي . وابن البرقي ، وقيل : استشهد بأجنادين ، قاله العسكري وهو باطل » .

---

(١) في الأصل « اثنين » .

(٢) أجنادين : موضع بفلسطين ، قرب الرملة وبيت جبرين . اشتهرت بوقعتها المشهورة بين جند الإسلام وجند الروم . انظر : ياقوت ج ١ ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) ابن حجر العسقلاني - الإصابة ج ٢ ص ٤٦٠ .

قال العلامة القسطلاني [١] : « وعثمان المذكور ، ابن طلحة بن أبي طلحة ابن عبد العزى ، ويقال له الحجبي ، ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان ، وعثمان هذا لا ولد له ، وله صحبة ورواية ، واسم أم عثمان سُلافة بضم السين » . انتهى .

هذا ما كان من أمر إسلام عثمان بن طلحة ، وأخذه المفتاح من رسول اللّه ﷺ يوم الفتح .

/ ومن مطالعة ما تقدم ، يظهر أنه وقع خلاف في وفاة عثمان بن طلحة ، [٣٢٥]
هل هو بالمدينة ، أو بمكة ، أو بأجنادين ، فأرجح الروايات تدل أنه مكث في المدينة إلى أن توفي رسول اللّه ﷺ ، ثم رجع إلى مكة وأقام بها إلى أن مات . واللّه أعلم .

وأما ما كان من أمر شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، الذي ينتهي إليه نسب سدنة الكعبة المشرفة في عصرنا هذا ، وهم الشيبيون ، فقد أسلم عام الفتح على أصح الروايات ، وله صحبة ، ورواية ، عن النبي ﷺ . وقد ترجم له كثير من الحفاظ ، والمؤرخين ، وأصحاب التراجم ، والسِّير ، والمغازي ، فقال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»[٢] : « شيبة بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي القرشي العبدري الحجبي المكي ، يكنى أبا عثمان ، وقيل أبا صفية ، وأبوه عثمان بن أبي طلحة ، يعرف بالأوقص ، قتله علي بن أبي طالب -رضي اللّه عنه- يوم أحد كافراً ، أسلم شيبة بن عثمان يوم فتح مكة ، وشهد حنيناً ، وقيل أسلم بحنين .

---

(١) القسطلاني - المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٨ .

(٢) ابن عبد البر - الاستيعاب (دار العلوم) ج ٢ ص ١٥٨ .

قال الزبير[1] : كان شيبة قد خرج مع رسول الله ﷺ يوم حنين مشركاً يريد أن يغتال رسول الله ﷺ غرة ، فأقبل يريده ، فرآه رسول الله ﷺ فقال : « يا شيبة ، هلمَّ لا أمّ لك » . فقذف الله في قلبه الرّعب ، ودنا من رسول الله ﷺ ، ووضع يده على صدره ، ثم قال : « أخسئْ عنك الشيطان » . فأخذه ونزع ، فقذف الله في قلبه الإيمان فأسلم ، وقاتل مع رسول الله ﷺ ، وكان ممَّن صبر معه يومئذ ، وكان من خيار المسلمين ، ودفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إلى / عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان [٣٢٦]
ابن أبي طلحة ، وقال : « خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة ، يا بني أبي طلحة ، لا يأخذها منكم إلا ظالم » .

قال : فبنوا أبي طلحة هم الذين يلون سدانة الكعبة دون بني عبدالدار » .

قال ابن عبدالبر[2] : « شيبة هذا هو جد بني شيبة حجبة الكعبة إلى اليوم دون سائر الناس أجمعين ، وهو أبو صفية بنت شيبة ، توفي في آخر خلافة معاوية سنة ٥٩ ، وقيل: بل توفي في أيام يزيد ، وذكره بعضهم في المؤلفة قلوبهم ، وهو من فضلائهم » . اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الإصابة»[3] : شيبة بن عثمان هو الأوقص ابن أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عبدالدار القرشي العبدري الحجبي أبو عثمان ، قال ابن السكن : أمه أم جميل ، هند بنت عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبدالدار أخت مصعب بن عمير . قال البخاري[4] وغير

(١) أي الزبير بن بكار . انظر : الزبيري - نسب قريش ص ٢٥٤ .
(٢) ابن عبد البر - الاستيعاب (دار العلوم) ج ١ ص ١٥٨ .
(٣) ابن حجر العسقلاني - الإصابة ج ٢ ص ١٦١ .
(٤) البخاري - التاريخ الكبير المجلد الرابع ص ٢٤١ .

واحد: له صحبة، أسلم يوم الفتح، وكان أبوه ممن قتل بأحد كافراً، ولبنته صفية بنت شيبة صحبة، وكان شيبة ممن ثبت يوم حنين بعد أن كان أراد أن يغتال النبي ﷺ، فقذف الله في قلبه الرعب، ووضع النبي ﷺ يده على صدره فثبت الإيمان في قلبه، وقاتل بين يديه. رواه ابن أبي خيثمة عن مصعب النميري، وذكره ابن اسحاق في «المغازي» بمعناه، وكذا أخرجه ابن سعد عن الواقدي بإسناد له مطول، وكذا ساقه البغوي بإسناد آخر عن شيبة، وفيه: فجئته من خلفه فدنوْتُ، ثم إذا لم يَبْقَ إلا أن أسوره[1] بالسيف، وقع / لي شهاب من نار كالبرق، فرجعت القهقرى، فالتفت إليّ فقال: [٣٢٧] «تعال يا شيبة». ووضع يده على صدري، فرفعت إليه بصري، وهو أحب إليّ من سمعي وبصري. الحديث.

وروى ابن سعد[2] عن هوذة عن عوف عن رجل من أهل المدينة قال: دعا النبي ﷺ شيبة، ابن عثمان، فأعطاه مفتاح الكعبة، فقال: «دونك هذا فأنت أمين الله على بيته». قال مصعب الزبيري[3]: دفع إليه وإلى عثمان بن طلحة، وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة، لا يأخذها منكم إلا ظالم». وذكر الواقدي: أن النبي ﷺ أعطاها يوم الفتح لعثمان، وأن عثمان ولي الحجابة إلى أن مات، فوليها شيبة، فاستمرت في ولده.

وروى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال: أسلم العباس وشيبة ولم يهاجرا، أقام العباس على سقايته، وشيبة على حجابته. وقال يعقوب بن سفيان: أقام شيبة للناس الحج سنة تسع وثلاثين.

---

(١) في الأصل «أتره» والتصحيح من المصادر.

(٢) ابن سعد - الطبقات: الطبقة الرابعة، ج١ ص ٢٥٦، تحقيق د/ عبدالعزيز السلومي - الطائف - مكتبة الصديق - ط ١٤١٦هـ.

(٣) الزبيري - نسب قريش ص ٢٥٤.

قال خليفة[1] : وكان السبب في ذلك ، أن علياً -رضي اللّه عنه- بعث قثم ابن عباس[2] ليقيم للناس الحج ، وبعث معاوية -رضي اللّه عنه- يزيد بن شجرة[3] ، فتنازعا فسعى بينهما أبو سعيد الخدري رضي اللّه عنه وغيره فاصطلحا ، على أن يقيم الحج شيبة بن عثمان ويصلي بالناس .

وقد روى شيبة عن النبي ﷺ ، وعن أبي بكر ، وعمر رضي اللّه عنهما ، وروى عنه أبو وائل ، وابنه مصعب بن شيبة ، وحفيده مسافع بن عبداللّه بن شيبة ، وعبدالرحمن بن الزجاج وآخرون . قال خليفة وغير واحد ، مات سنة ٥٩ .

وقال ابن سعد[4] : عاش إلى خلافة يزيد بن معاوية ، / وأوصى إلى عبداللّه بن الزبير رضي الله عنهما . ووقع عند ابن مندة أنه مات سنة ثمان وخمسين وهو ابن ثمان وخمسين وهو غلط ، وكذا وقع له في سياق نسبه غلط فاحش » . اهـ . [٣٢٨]

ويظهر من سياق التاريخ أن القاعدة[5] التي صار عليها آل عبدالدار ، أنّ يكون المفتاح بيد أكبر العائلة سنّاً ، ومما يدلّ على ذلك ما ورد في القصة ، أنّ قصي بن كلاب لما قسم مواد الشرف بين ابْنَيْه عبدالدار ، وعبد مناف ، أعطى السدانة وهو مفتاح الكعبة لأكبر أولاده عبدالدار ، ثم صارت من بعده في أكبر أولاده . ثم لما هاجر عثمان بن طلحة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ،

---

(١) خليفة بن خياط - تاريخ ص ١٩٨ ، تحقيق أكرم العمري ، الرياض : دار الوطنية ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ .

(٢) قثم بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، ولي لعلي -رضي اللّه عنه- مكة . غزا خراسان واستشهد بسمرقند . انظر : ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ٦٧ - ٧٤ .

(٣) يزيد بن شجرة الرّهاوي - أحد قادة معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنهما . انظر : ابن الأثير - الكامل ج ٣ ص ١٦٤ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، الطبقة الرابعة ، ج١ ، ص ٢٥٩ .

(٥) وهذا نقل عن السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ٧٢ .

أبقى المفتاح عند والدته ، ثم لما كان يوم الفتح ، أعطى رسول اللّه ﷺ المفتاح بأمر اللّه تعالى إلى عثمان بن طلحة ، لأنه أكبر أولاد أبي طلحة ، ثم لـمّا هاجر عثمان إلى المدينة هجرته الثانية ، أعطى المفتاح لابن عمه شيبة ، لكونه أصبح صاحب الحق في الرئاسة(١) على آل أبي طلحة بعده ، فلما رجع عثمان إلى مكة أخذ المفتاح من شيبة ، وبقيت سدانة الكعبة المعظمة بيده إلى أن توفي سنة ٤٢ من الهجرة ، ثم بعد وفاته صار شيبة بن عثمان هو رئيس السدنة ، ولكون عثمان مات عقيماً على ما رواه القسطلاني(٢) وغيره ، انحصرت السدانة في أولاد شيبة من بعده ، فلما توفي شيبة بن عثمان سنة ٥٩ على أصح الروايات ، تولى رئاسة(١) السدنة بعده أكبر أولاده ، وهكذا جرى العمل في
[٣٢٩] أن يكون رئيس السدنة أكبر أولاد شيبة سناً ، من ذلك التاريخ / إلى العصر الحاضر . وقد ذكر بعض المؤرخين والفقهاء ما يؤيد ما ذكرناه في ذلك، فقال الكازروني(٣) في فتاويه ، والسنجاري في تاريخه(٤) : « أن تقديم السدانة لأكبرهم سناً من فعله ﷺ ؛ لأنه دفع المفتاح يوم الفتح إلى عثمان ، لأنه أكبرهم سناً ، مع وجود شيبة بن عثمان بن أبي طلحة . فلما هاجر عثمان إلى المدينة المنورة دفع المفتاح إلى ابن عمه شيبة ، فلما رجع عثمان مكة أخذ المفتاح منه ، وبقي في يده إلى أن مات سنة ٤٢ ، فتولى السدانة بعده ابن عمه شيبة إلى أن توفي سنة ٥٩ » . اهـ .

---

(١) في الأصل « الرآسة » .

(٢) القسطلاني - المواهب بشرح الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٨ .

(٣) الكازروني : منصور بن الحسن بن علي ، العماد القرشي العدوي العمري الكازروني عالم بالتفسير والحديث والعقليات ، من فقهاء الشافعية - جاور بمكة سنة ٨٥٨ هـ وتوفي بها سنة ٨٦٠هـ . السخاوي - الضوء اللامع ١٠/ ١٧٠ ، ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٩٧ ، الزركلي - الأعلام ج ٧ ص ٢٩٨ .

(٤) السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ٧٢ .

وقد وقفتُ على بعض فتاوى للعلماء ، بتقديم أكبر[1] السدنة سناً في الرئاسة[2] على الحجبة ، وأن يكون المفتاح بيده ولو كان غير مرضي الحال ، منهم الشيخ محمد بن يحيى الحطاب المالكي[3] قال : « إذا اختلفوا حجبة البيت فيما جرت به عادتهم من تقديم الأكبر فالأكبر ، يقضى لهم بذلك ؛ لأنه لا شكّ أن القضاء بالمعروف والعادة أمر معمول به [في][4] الشريعة في أبواب متعددة من أبواب الفتوى » . اهـ .

ومنهم القاضي ابن ظهيرة قال في فتاويه ونصه[5] : « إذا اختلفوا حجبة البيت مما جرت به العادة ، هل يقضي لهم من تقديم أكبرهم سناً ، وربما كان غير مرضي الحال ، نعم يقضى للأكبر وإن كان غير مرضي الحال ، وإنما يُجعل معه مشرفاً منهم ، والقضاء بما جرت به العادة تشهد له مسائل كثيرة » . اهـ .

[٣٣٠] / وقد رأيتُ في بعض الكتب عبارات ، تدل على أن أصحابها من الذين يضمرون لبني شيبة سوءاً[6] ، أو حسداً ، أو بغضاً ، فمنها قول بعضهم : « إنه ليس لبني عبدالدار عقب ، وإنه قد درج عقبهم في زمن هشام بن عبدالملك »[7] .

وخدمة للحقيقة ، أذكر هنا ما وقفتُ عليه من الأدلّة الصحيحة الصريحة ،

---

(١) في الأصل « كبر » .

(٢) في الأصل « الرآسة » .

(٣) محمد حطاب المالكي : الشيخ محمد بن يحيى بن هاشم الحطاب المالكي المكي توفي بمكة سنة١١٥٨هـ . ابن مرداد - نشر النور والزهر ج ٢ ص ٣٧١ .

(٤) إضافة من المعلّق يقتضيها السياق .

(٥) ابن ظهيرة - المقصود به : إبراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي صاحب الفتاوى ، ولد بمكة سنة ٨٢٥ هـ وتوفي بها سنة ٨٩١ هـ . وولي قضاءها مدة ٣٠ سنة . انظر : السخاوي - الضوء اللامع ج ١ ص ٨٨ - ٩٩ . وانظر : الفتوى عند - محمد صالح الشيبي - الأعلام ص ٢٦٢ .

(٦) في الأصل « سوأ » .

(٧) انظر ما قاله أبو جعفر النسابة في ذلك . السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ٧٢ .

على بقاء نسل بني أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار إلى يوم القيامة . منها : الحديث الصحيح الصريح ، الذي أورده كثير من الحفاظ كما تقدم ذكره ، وهو قوله ﷺ : « خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة » .

ومنها : حديث جبريل عليه السلام ، أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال له : (ما دام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة ، فإن المفتاح والسدانة بيد أولاد عثمان) . يعني عثمان بن أبي طلحة الذي هو والد شيبة بن عثمان (١) .

وقال الحافظ ابن العربي في شرح الترمذي تعليقاً على الحديث المتقدم : «علم ﷺ أن ولاية الكعبة في بني شيبة إلى يوم القيامة ، ويشهد إلى هذا الحديث بقاء عقبهم إلى اليوم » .

فكلّ ما تقدم يدحض فرية القائل بفناء عقب آل عبدالدار في زمن هشام ابن عبدالملك وما بعده . وقد أثبت وجودهم معظم العلماء من مفسرين ، ومحدثين ، ومؤرخين ، وفقهاء ، ولغويين ، وغيرهم في مؤلفاتهم الصحيحة وإليك بعض ما وقفت عليه في ذلك :

قال الإمام مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - في «المدونة»(٢) يشير إلى وجودهم في عصره : « لا يشرك مع الحجبة أحد؛ لأنها ولاية منه ﷺ » . اهـ .

/ وقد ولد الإمام مالك -رضي الله عنه- سنة ٩٣ ، وعاش إلى سنة ١٧٩ ، [٣٣١]
وذلك أنه توفي بعد خلافة هشام بن عبدالملك بأربع وخمسين سنة ؛ لأن هشاماً (٣) توفي سنة ١٢٥ هـ ، فقد أدرك زمن هشام وما بعده إلى أن زالت خلافة

---

(١) الصحيح أن شيبة ابن عم عثمان بن طلحة وليس أخاه كما ذهب المؤلف بإسلامة متابعاً ابن حزم . انظر ص ٣٨٢ من الكتاب في تفسير الحافظ ابن كثير للآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ .

(٢) الإمام مالك - المدونة .

(٣) في الأصل « هشام ما » .

بني أمية من الشرق[1] ، فلو أدرج عقب آل عبدالدار في زمن هشام كما زعم ذلك القائل ، لما خفي على الإمام مالك الذي قد قضى حياته بالمدينة المنورة ، وبنو عبدالدار سدنة الكعبة المعظمة هم في جواره بمكة المكرمة ، وهم أشهر من نار على علم ، فلو كان الأمر صحيحاً - على كما زعم القائل - لصرّح بذلك في كتبه التي نقلت عنه ، أو أنه لم يذكر الحجبة إنْ علم بفنائهم من الدنيا ؛ لأنه لا يعزب عنه مثل ذلك . فإن قال قائل : إن الإمام مالك ذكر الحجبة ، وهم حجبة البيت ، ولم يصرح بأنهم من بني عبد الدار ، ويجوز أنه تعيّن حجبة آخرون بعد انقراض بني عبدالدار . فالجواب على هذا القول صريح في قول الإمام مالك ، حيث يقول : « لا يشرك مع الحجبة أحد ؛ لأنها ولاية منه ﷺ كانت لبني عبدالدار » . وهم المقصودون بالذات في قول الإمام مالك رضي اللّه عنه. فلو كان المقصود غيرهم لما قال : « لأنها ولاية منه ﷺ » . لأن ولاية السدانة التي كانت من النبي ﷺ هي لعثمان بن طلحة الحجبي ، وفي بعض الروايات لعثمان ولشيبة معاً، وكلاهما من بني طلحة الحجبي .

وقد ورد ذكر بني شيبة سدنة الكعبة المعظمة في كثير من كتب التفسير عند ذكر قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [2] / فتجد [٣٣٢]
هناك المفسّر يذكر شيئاً[3] من الروايات الواردة عن النبي ﷺ يوم فتح مكة ، في كيفية أخذه المفتاح من عثمان بن طلحة ، وإرجاعه إليه ، ثم يختم بحثه بقوله : « وهم سدنة الكعبة إلى اليوم » .

(١) حيث تجددت الدولة الأموية في الأندلس على يد عبدالرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ . وسمّوا بالخلفاء في زمن عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ . أما إعلان الخلافة الرسمي فقد سبق ذلك في ٢٨ ذي القعدة عام ١٣١٦هـ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٣) في الأصل « شيأ » .

وهذا أعظم دليل على إثبات وجودهم ، في ذلك العصر الذي صرح به ذلك المؤلف في كتابه .

وكذلك جاء ذكرهم بصراحة في كثير من التواريخ العمومية ، وتواريخ مكة الخصوصية ، فلا يخلو منها ذكرهم طبقة بعد طبقة ، وقد تقدم كثير من ذلك في هذا الكتاب .

وقد ذكرهم الأزرقي في تاريخه[1] في عدة مواضع ، وقد عاش إلى سنة ٢٥٠ ، فلو أن نسلهم انقطع في خلافة هشام بن عبدالملك - كما يقول ذلك المفتري - لَذَكَره الأزرقي ، وبيّن الحقيقة في ذلك ، وكيف كان انتقال المفتاح إلى مَنْ تولى السدانة بعدهم ، ومن أيّ قبيلة أولئك السدنة الذين تولوا السدانة بعد بني عبدالدار ، كما بين في تاريخه كيفية انتقال السدانة من ولد إسماعيل عليه السلام إلى جرهم ، ومنهم إلى خزاعة ، ثم عادت إلى قصي ابن كلاب ، إلى أن صارت في بني شيبة بن عثمان .

وكذلك ذكرهم الزبير بن بكار[2] القرشي صاحب كتاب «النسب» فقال : فبنوا أبي طلحة هم الذين يلون سدانة الكعبة إلى اليوم دون سائر بني عبدالدار. وعاش الزبير بن بكار إلى سنة ٢٥٦ ، فلو انقرض نسلهم في خلافة هشام لما قال : « إنهم هم الذين يلون سدانة الكعبة إلى اليوم » .

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ٢ ص ص ١١٠ ، ٢٥٣ .

(٢) الزبير بن بكار ت سنة ٢٥٦ هـ وكتابه جمهرة نسب قريش وأخبارها ، طبع جزء منه بتحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة مكتبة المعارف سنة ١٣٨١ هـ .

أما النص ففي كتاب نسب قريش ، للمصعب الزبيري أبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري ت سنة ٢٣٦ هـ . نشره ليفي بروفنسال - دار المعارف بمصر . ذخائر العرب رقم ١١ بدون تاريخ ص ٢٥٢ .

وكذلك قد ذكر الفاكهي[1] وجودهم في عصره ، كما تقدم ، وعاش إلى سنة ٢٨٠ .

هذا ما كان من شهادة أهل الصدر الأول من / أئمة ومؤرخين[2] . [٣٣٣]

وأما ما كان من شهادة الطبقة الثانية من الأئمة والحفاظ المحدثين ، فقال ابن حزم الظاهري في «جمهرة النسب»[3] : « فبنو أبي طلحة إلى اليوم ولاة البيت » . وعاش إلى سنة ٤٥٦ .

وقال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»[4] : « شيبة هذا هو جد بني شيبة حجبة الكعبة إلى اليوم دون سائر الناس أجمعين » . وقد تقدم ذلك قريباً ، وعاش إلى سنة ٤٦٩ .

وقال المحب الطبري[5] المكي ، بعد أن روى الحديث الذي فيه «خالدة تالدة» : « ويشهد لهذا الحديث بقاء عقبهم » . وعاش إلى سنة ٦٠٣ .

وكذلك قال الحافظ البغوي في تفسيره[6] «معالم التنزيل» : « وكان المفتاح معه -يعني عثمان بن طلحة- فلمّا مات ، دفعه إلى ابن أخيه شيبة ، فالمفتاح

---

(١) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٣٥ (الملحق) .

(٢) انظر : محمد صالح - إعلام الأنام ص ص ٢٨٥ - ٢٨٨ ويبدو أن المؤلف -رحمه الله- نقل كل ما يتعلق ببني شيبة من هذا الكتاب دون أن يشير إلى ذلك مع العلم أنه ذكر الشيخ محمد صالح أكثر من مرة وترجم له . انظر مثلاً ص ٣٤٣ من أصل الكتاب و ص ٣٨٧ من التحقيق .

(٣) ابن حزم - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ - جمهرة النسب -دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ١٢٧ .

(٤) ابن عبد البر - الاستيعاب ج ٢ ص ١٥٨ .

(٥) المحب الطبري - القرى لقاصد أم القرى ص ٥٠٤ .

(٦) البغوي - معالم التنزيل ج ١ ص ٤٥٧ .

والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة » . وتوفي البغوي سنة ٥١٦ .

وأما ما كان من شهادة علماء القرون الوسطى ، فقال أحمد القلقشندي في كتابه « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب »[١] : « هم حجبة الكعبة ، المعروفون ببني شيبة إلى الآن » ، ثم قال ، بعد قصة عثمان بن طلحة : «فردها النبي ﷺ على عثمان ، وجعلها في عقبه إلى يوم القيامة » . وعاش إلى بعد سنة ٧٢١ .

وقال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي في «القاموس المحيط»[٢] : « وشيبة ابن عثمان الحجبي مفتاح الكعبة مسلّم إلى أولاده » . وتوفي سنة ٨١٧ .

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره [٣] في ترجمة عثمان بن طلحة : « وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم » . وقد تقدم ذلك بإسهاب ، وتوفي ابن كثير سنة ٧٧٤ .

[٣٣٤] وذكرهم الحافظ ابن حجر[٤] في كثير / من كتبه كما تقدم ، ثم قال في كتابه «تبصرة المنتبه في تحرير المشتبه»[٥] : « وهم إلى اليوم ولا يلتبسون » . وتوفي سنة ٨٥٢ .

---

(١) القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت سنة ٨٢١ هـ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - تحقيق ابراهيم الأبياري - مصر ط١ ص ٣١٠ .

(٢) الفيروزآبادي - القاموس المحيط ج ١ ص ٩٤ .

(٣) ابن كثير - تفسير ج ١ ص ٥١٦ .

(٤) ابن حجر العسقلاني في مثل كتبه : الإصابة ، وإنباء الغمر ، وفتح الباري ، وتبصرة المنتبه في تحرير المشتبه .

(٥) ابن حجر العسقلاني - تبصرة المنتبه في تحرير المشتبه - تحقيق علي البجاوي ومحمد النجار - المؤسسة المصرية للتأليف والنشر - مصر ج ٢ ص ٧١٦ .

وقال الخطيب[1] في تفسيره «السراج المنير» : « وهم إلى اليوم وإلى يوم القيامة » . وعاش إلى سنة ٩٦٨ .

وقال القسطلاني[2] في ترجمة عثمان بن طلحة : « ويُعرفون الآن بالشيبين ، نسبة إلى شيبة بن عثمان » . كما تقدم في هذا الباب . وقد توفي سنة ٩٢٣ .

وأما شهادة المتأخرين من العلماء فقال حقي أفندي في تفسيره «روح البيان»[3] : « وهم إلى اليوم وإلى يوم القيامة » . وعاش إلى سنة ١١٠٠ .

وقال الشيخ سليمان الجمل[4] في حاشيته على الجلالين : « وهم إلى اليوم ولاة البيت وإلى يوم القيامة » . وعاش إلى آخر القرن الثاني عشر .

وقال الشيخ الأمير المالكي في المجموع[5] : « لا يشرك مع الحجبة أحداً ، لأنه ولاية منه ﷺ » . وعاش إلى بعد القرن الثاني عشر .

وقد ورد ذكرهم في تواريخ مكة ، فذكرهم الحافظ نجم الدين بن فهد القرشي[6] في تاريخه في عدة مواضع ، وذكرهم قطب الدين الحنفي في كتابه

---

(١) الخطيب محمد بن أحمد الشربيني - فقيه شافعي ، مفسر ، من القاهرة ، ومن كتبه : السراج المنير مطبوع في أربعة مجلدات في تفسير القرآن ، ومغني المحتاج مطبوع في أربعة أجزاء في شرح منهاج الطالبين للنووي في الفقه . ومناسك الحج مطبوع ، وغيرها . الزركلي - الأعلام ج ٦ ص ٦ .

(٢) القسطلاني - أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني المصري ت سنة ٩٢٣هـ - المواهب اللدنية في المنح المحمدية بشرح الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٨ .

(٣) حقي أفندي البرسوي - ت سنة ١١٣٧ هـ - روح البيان - دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ ج ٢ ص ٢٦٦ تفسير الآية ٥٨ من سورة النساء .

(٤) سليمان الجمل - سليمان بن عمر بن منصر العجيلي المشهور بالجمل ت سنة ١٢٠٤هـ . حاشية على تفسير الجلالين .

(٥) نقل المؤلف كلّ ذلك عن محمد صالح في كتابه إعلام الأنام كما سبق وذكرنا . ص ٣٧٥ .

(٦) ابن فهد النجم في كتابه إتحاف الورى بأخبار أم القرى .

«الإعلام»[١] في عدة مواضع ، وذكرهم علي بن عبدالقادر الطبري في كتابه «الأرج المسكي»[٢] في عدة مواضع ، وذكرهم السنجاري[٣] في تاريخه في عدة مواضع ، وغيرهم[٤] من مؤرخي مكة ، كما تقدم بيانه في هذا الكتاب .

فهذا بعض ما وقفت عليه في ذلك ، ومنه يُعلم أن النبي ﷺ قد صرح ببقاء نسل بني أبي طلحة إلى يوم القيامة ، كما دلت الأحاديث المتقدمة على ذلك ، وهي من أعظم المعجزات الخالدة للنبي ﷺ ، وكذلك شهد كثير / من [٣٣٥] العلماء في مختلف العصور ، ببقاء نسلهم جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر ، إلى العصر الذي نحرّر فيه هذه الأسطر ، ولا يجهل ذلك إلا مَنْ أعماه الغرض والحسد ، ثم إن هناك قضايا تجعلنا نجزم ببقاء نسلهم ، منها : أن سدانة الكعبة المعظمة من أجلّ وأعظم الوظائف التي يتنافس المتنافسون عليها ، بل أشدّ المتنافسين عليها هم الملوك والسلاطين ، فلو أن الأمر كما قاله ذلك المفتري[٥] بأن نسلهم قد انقطع من زمن هشام بن عبدالملك ، فلماذا ترك المُنافسون هذه الوظيفة للمنتسبين لآل الشيبي بدون أن يستلبوها مَنهم كما استلبوا كثيراً من الوظائف التي هي أقل منها مكانة ، وسؤددا ، وفخارا ، هل هنا قوة قاهرة تمنعهم ، غير قوة القاهر فوق عباده الذي بيده ملكوت السموات والأرض ؟ وسر قوله ﷺ : « خالدة تالدة » . فلا وربك ، لم يكن هناك ما يمنع المنافسين غير ما ذكرنا ، فلله الأمر من قبل ومن بعد ، قاتل اللّه تعالى الحسدة الذين يشوهون الحقيقة لشفاء غليلهم .

---

(١) قطب الدين الحنفي في كتابه الإعلام – التاريخ القطبي .

(٢) علي بن عبدالقادر في كتابه الأرج المسكي في التاريخ المكي .

(٣) السنجاري تقي الدين علي – في كتابه منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم .

(٤) كالجزيري في كتابه درر الفرائد مثلاً ج ٢ ص ٩٦٢ . والذهبي في سير أعلام النبلاء مثلاً ج ٣ ص١٢ .

(٥) انظر في ذلك : السنجاري – منائح الكرم ج ٢ ص ٧٢ .

نسب آل الشيبي سدنة الكعبة :

هذه سلسلة آل الشيبي ، أسردها كما وجدتها في دار المفتاح[١] ، الذي جُعِلَ في هذا العصر مسكناً لرئيس السدنة ، على لوحة مكتوبة بخط بديع بماء الذهب .

ابتدأت هذه السلسلة من صاحب الفضيلة مولانا المرحوم ، الشيخ عبدالقادر بن علي الشيبي ، المتوفي في اليوم العاشر من شهر رمضان / سنة [٣٣٦]
١٣٥١ هـ ، وإليك سلسلة النسب : عبدالقادر بن علي بن محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبدالمعطي[٢] بن عبد الواحد[٣] بن محمد جمال الدين ابن القاسم بن أبي السعود بن أبي بكر فخر الدين بن محمد جمال الدين ابن عمر بن سراج الدين بن محمد بن علي بن غانم بن محمد بن مفرج بن محمد بن يحيى بن عبيدة بن حمزة بن بركات بن شيبة بن عبدالله بن شعيب بن جبير بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي بن كلاب القرشي .

هذه سلسلة النسب ومنها يُعلم أن آل الشيبي يجتمعون مع رسول الله ﷺ في قصي بن كلاب .

وقد تولى رئاسة[٤] السدانة للكعبة المعظمة كثير من آل شيبة ، ممن لم يذكر اسمهم في سلسلة النسب المتقدم ذكره ، منهم غانم ، وعلي ، من أبناء غانم بن محمد بن مفرج ، ومحمد بن علي ، وأبيه علي ، ينتمي نسبهما إلى يحيى بن

---

(١) دار المفتاح التي يسكنها السادن ، وسيأتي ذكرها بالتفصيل في « سدانة الكعبة المعظمة في العصر الحاضر » .

(٢) تولى السدانة سنة ١١٠٤ هـ . قاله السنجاري في منائح الكرم ، ج ٣ ، ص ٣١١ .

(٣) تولى السدانة سنة ١٠٨٠هـ .

(٤) في الأصل « رآسة » .

عبيدة بن حمزة ، وأحمد الطيب من أولاد سراج الدين بن محمد بن علي . وهؤلاء الذين يمت إليهم نسبَ مَنْ ذكرنا أسماءهم هنا ، وقد ذكرت أسماؤهم في سلسلة النسب المذكور .

وقد ذكر التقي الفاسي في كتابه « العقد الثمين »[١] أسماء أناس من آل شيبة ، قد تولوا السدانة غير ما ذكرنا أسماء هم فيما تقدم فقال : « ممَّن تولى السدانة محمد بن أبي بكر بن ناصر بن أحمد العبدري الشيبي ، الملقب / [٣٣٧]
بالجمال ، ولي السدانة بعد محمد بن يوسف الشيبي في أوائل جمادى الأولى عام ٧٤٩ ، وتوفي في عام ٧٧٠ ، وهو في عشرة السبعين . قال[٢] : وكان ذا مروء ة وإقدام وهمة عالية ، سمع من القاضي عز الدين بن جماعة والفخر النويري ، ومولده فيما بلغني ببلاد (مقدشوه)[٣] ، وكان يتردد إليها وله فيها بعض أولاده » .

ثم ذكر التقي الفاسي في ترجمة من اسمه محمد ، بعض آل شيبة ، فقال[٤] : « محمد بن عبدالرحمن بن طلحة بن الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي ، أبو عبدالله أخو منصور بن عبدالرحمن الحجبي ، روى عن أخيه منصور ، وصفية بنت شيبة ، وهي أمه ، وقيل : جدته ، وروى عن شعبة بن الحجاج ، وأبو عاصم ،

---

(١) الفاسي - تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي ت سنة ٨٣٢ هـ . العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - دون تاريخ ج ٢ ص ص ١٠١ ، ١١٩ ، ٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مقدشوه : هي مقديشو عاصمة الصومال اليوم . وضبطها مَقْدَشُو كما ضبطها ياقوت - مدينة في أول بلاد الزنج بجنوب اليمن . كان يجلب منها الصندل والآبنوس والعنبر والعاج . انظر : ياقوت - معجم البلدان ج ٥ ص ١٧٣ .

(٤) الفاسي - العقد الثمين ج ٢ ص ١٠١ ترجمة رقم ٢٥٣ .

وأبو جعفر ، وابن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، وروى عنه أبو داود ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ذكره صاحب الكمال[1] وتهذيبه ، وصرح بأنه مكي» .

ومحمد بن علي بن أبي راجح بن محمد إدريس العبدري الشيبي الحجبي المكي ، جمال الدين بن نور الدين شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة[2] ، ولي فتح الكعبة بعد موت قريبه فخر الدين أبي بكر محمد بن أبي بكر الشيبي ، في صفر أو ربيع الأول سنة ٨١٧ ، ولم يزل متولّياً لذلك حتى مات ، وكان فيه خير ، وسكون ، وجود الكتابة ، وسكن زبيد[3] مدة سنين ، وصار يتردد منها إلى مكة ، ثم استقر بها من حين ولي فتح الكعبة إلى حين وفاته ، وكانت وفاته يوم الخميس ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٢٧ بمكة ، وبلغ الستين ، وصار مفتاح الكعبة بعده لقريبه نور الدين علي بن أحمد الشيبي ، المعروف / [٣٣٨] بالعراقي .

ومحمد بن يوسف بن إدريس بن مفرج بن غانم الشيبي شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة ، ولي السدانة بعد يحيى بن علي بن يحيى الشيبي ، وتوفي سنة ٧٤٩هـ .

(١) أي المزّي .

(٢) الفاسي - العقد الثمين ج ٢ ص ١١٩ ترجمة رقم ٣٢٣ .

(٣) زَبيد : من مدن اليمن المشهورة مصّرت زمن المأمون الخليفة العباسي نسب إليها جمع من العلماء - ياقوت - معجم البلدان ج ٣ ص ١٣٢ لها تاريخ مشهور منها ما كتبه ابن الديبع في كتابه : بغية المستفيد في أخبار زبيد .

سدانة الكعبة المعظمة في العصر الحاضر :

وأما محمد بن زين العابدين بن محمد بن عبد المعطي الشيبي ، الذي هو جد آل شيبة الحاليين المعاصرين لنا ، فقد توفي والده زين العابدين في أواخر القرن الثاني عشر من الهجرة ، وهو طفل ، وتولى سدانة الكعبة بعد زين العابدين عبدالقادر الشيبي ابن عم محمد المشار إليه ، وفي سنة ١٢١٠هـ توفي عبد القادر عقيماً ، وبذلك آلت السدانة إلى محمد بن زين العابدين ، وهو يومئذ حدث السن ولم يوجد في آل شيبة ولداً ذكراً غيره ، وكان أمير مكة في ذلك العصر الشريف غالب بن مساعد[1] ، فأخذ الشيخ محمد بن زين العابدين إلى داره ، وكفله ، واعتنى بتربيته كأولاده وأكرمه ، إلى أن كبرَ ، وتولى أمر السدانة ثلاثاً وأربعين سنة ، وكان عالماً فاضلاً ، وله رسالة في مناسك الحج على مذهب الإمام الشافعي نظماً ، وتوفي سنة ١٢٥٣ ، وخلف من الذكور ستة أولاد وهم : عبدالقادر، وسليمان، وجعفر، وأحمد، وعبدالله، وعلي .

فتولى بعد وفاته رئاسة[2] السدنة أكبر أولاده الشيخ عبدالقادر بن محمد سنة ١٢٥٣ ومكثت بيده الشيخة ومفتاح الكعبة سبع سنين ، وتوفي سنة ١٢٦٠ ، فتولى بعده أخوه الشيخ سليمان بن محمد في السنة المذكورة ، / وتوفي سنة ١٢٦١ ، ولم يمكث في الرئاسة إلا سنة واحدة . [٣٣٩]

فتولى بعده أخوه الشيخ جعفر بن محمد في السنة المذكورة ، ولم يمكث في الرئاسة غير سنة واحدة ، وتوفي سنة ١٢٦٢ .

(١) غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نميّ . ولي شرافة مكة سنة ١٢٠٥هـ . إلى أن قبض عليه محمد علي باشا والي مصر وولي مكانه الشريف يحيى بن سرور شرافة مكة سنة ١٢٢٨هـ . وتوفي بسلانيك سنة ١٢٣١هـ ، أحمد الدحلان : خلاصة الكلام ص ٢٩٨ .

(٢) في الأصل « رآسة » .

ثم تولى السدانة بعده أخوه الشيخ أحمد بن محمد في السنة المذكورة ، وكان أمير مكة في ذلك العصر الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون(١) ، وفي أثناء رئاسة الشيخ أحمد بن محمد الشيبي ، سافر أخوه الشيخ علي بن محمد إلى القسطنطينية ، في سلطنة السلطان عبدالمجيد خان ابن السلطان محمود خان العثماني(٢) ، فأكرمه السلطان المشار إليه ، وأحسن عليه ، وأكرم مثواه ، ومنحه مبلغاً من المال بقصد عمارة دار خاصة لمفتاح الكعبة المعظمة ، يضع فيها مفتاح الكعبة دواماً ، ويسكنها مع المفتاح كل من تولى رئاسة السدنة ، فلما رجع الشيخ علي الشيبي إلى مكة المكرمة ، بنى الدار المذكورة الشهيرة في العصر الحاضر بدار المفتاح(٣) في الصفا ، وأنشأها على أرض تابعة لآل شيبة، الذين هم سدنة الكعبة المعظمة ، وعند تمام بناء الدار المذكورة ، توفي

---

(١) محمد بن عبدالمعين بن عون : عينه محمد علي باشا - والي مصر - شريفاً على مكة سنة ١٢٤٣هـ وتوجه إلى إستانبول سنة ١٢٦٧هـ وتولى الشرافة عبدالمطلب ، ثم عاد سنة ١٢٧٢هـ إلى وفاته سنة ١٢٧٤هـ . زيني دحلان - خلاصة الكلام ص ٣٢٠ .

(٢) السلطان عبدالمجيد ت سنة ١٢٧٧هـ ، زيني دحلان - خلاصة الكلام ص ٣٢٤ .

(٣) دار المفتاح : هي سكن السادن في العصر العثماني ، وبقيت هذه الدار إلى أن هدمت في الزيادات وتوسعة الحرم المكي سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م ، فعوّض عنها بنو شيبة ٤٧٢٫٠٠٠ ريالاً . ثم أمر الملك خالد بن عبدالعزيز بتخصيص دار من مال الدولة يسكنها السادن وأهله ويستقبل بها ضيوفه، دون أن يحق له بيعها أو تأجيرها أو استغلالها .

جريدة «الجزيرة» - الجمعة ١٥ صفر سنة ١٤٠٢هـ العدد ٣٣٨٦ ص ٦ .

وأما مفتاح الكعبة : فله نسخة واحدة فقط ، تقتصر على شخص واحد من آل الشيبي هو السادن حسب قاعدة السن والأولية . فلا سن للتقاعد من السدانة إلاّ الموت . و في أثناء غياب السادن أو مرضه أو عجزه عن القيام بمهمته يوكل أحد أفراد بيت الشيبي بذلك . ويبلغ وزن المفتاح الحالي نصف كيلوغرام ذهب . وطوله حوالي ٥٠ سم . ويحفظ في صندوق حديدي قديم منذ سنة ١٣٧٠هـ في بيت السادن . وهو مبني من الطوب من الداخل وكتب عليه الأفضل ضد الحريق .

جريدة «الجزيرة» العدد السابق .

كما أن للمفتاح كيساً يصنع من الأطلس الساسي الأخضر ، ومقاسه ذراع وثمن . وكان يوضع عليه قميش فضة ملبس بالذهب البندقي الأصفر ، يبلغ وزنه ٤٥ مثقالاً . =

رئيس السدنة الشيخ أحمد بن محمد الشيبي سنة ١٢٧٤ ، قبل أن يسكنها ، وإنما غسلوه فيها ، وكانت مدة رئاسة الشيخ أحمد اثنتي عشرة سنة .

ثم تولى رئاسة السدنة بعده الشيخ عبدالله بن محمد الشيبي ، في السنة المذكورة ، وهو أول مَنْ سكن دار المفتاح بعد عمارتها ومكثت السدانة بيده اثنتين[1] وعشرين سنة ، وتوفي سنة ١٢٩٦ ، وكان هو آخر مَنْ تولّى سدانة [٣٤٠] الكعبة المعظمة من أولاد الشيخ محمد بن زين العابدين / الشيبي ؛ وذلك لأن الشيخ علي بن محمد توفي في حياة أخيه ، الشيخ عبدالله المشار إليه ، ولم يَلِ السدانة . فهؤلاء الطبقة الأولى من أولاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبي .

وأما الطبقة ، الذين هم أحفاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبي ، أو بعبارة أخرى أبناء الأبناء : فأول مَنْ تولّى رئاسة السدنة منهم ، وصار صاحب مفتاح الكعبة المعظمة ، كما هي عادتهم من أن المفتاح يكون بيد رئيس السدنة ، هو الشيخ عمر بن جعفر بن محمد الشيبي ، فقد تولى الرئاسة بعد وفاة عمه الشيخ عبدالله بن محمد سنة ١٢٩٦ ، وذلك أنه لما توفي الشيخ عبدالله الشيبي ، كان الشيخ عمر غائباً في بلاد جاوا[1] ، فأرسل إليه ابن عمه

= وفي عصر الدولة السعودية تغيّر النص الكتابي على كيس مفتاح الكعبة فكتب على النحو التالي : « أمر بصنعه خادم الحرمين الشريفين خالد بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٤٠٠هـ » داخل شكل بيضاوي يحتل وجه الكيس .

وعلى ظهر الكيس كتبت الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ .

انظر : عبد العزيز مؤذن - كسوة الكعبة ص ٤١٢ ، ٤١٣ .

(١) في الأصل « اثنين » .

الشيخ عبدالقادر بن علي الشيبي رسولاً خاصاً إلى بلاد جاوا، يخبره الخبر، فلما بلغه ذلك حضر من بلاد جاوا، وتولى أمر السدانة، ومكث صاحب المفتاح ورئيس السدنة ثماني سنين، إلى أن توفي سنة ١٣٠٤.

ثم تولى بعده ابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الشيبي بن محمد بن زين العابدين الشيبي رئاسة السدنة سنة ١٣٠٤، ومكث رئيساً على سدنة الكعبة المعظمة إلى سنة ١٣١١، فأخذ منه المفتاح، وعُزل من رئاسة السدنة في تلك السنة.

وتولّى بعده ابن عمه الشيخ محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبي[٢]، وسبب ذلك: أنه وقع بين أمير مكة الشريف عون الرفيق بن محمد بن عبدالمعين بن عون، وبين والي ولاية الحجاز وقومندانها في ذلك العصر عثمان نوري باشا نزاع، ومشاحنات، في / السلطة، ودخل في ذلك النزاع [٣٤١]
الشيخ عبدالرحمن الشيبي المشار إليه، وانضم إلى حزب والي الحجاز عثمان نوري باشا، كما انضم إلى حزبه أيضاً مفاتي[٣] مكة، ورئيس السادة العلوية، ونائب الحرم، وبعض مَنْ لهم شخصية بارزة من الأشراف، ورفع كلٌّ[٤] من الشريف عون الرفيق، وعثمان نوري باشا، الأمر إلى السلطان عبدالحميد خان العثماني بن عبدالمجيد خان، صاحب الولاية والسلطنة على الممالك العثمانية والحجاز في ذلك العصر: واستعان عثمان نوري باشا على الشريف عون الرفيق بمضبطة من الذوات المتقدمة أسماؤهم أعلاه، ضد

---

(١) جاوا: أشهر جزر أندونيسيا وأغناها. فيطلق اسم جاوى على سكان آسيا الجنوبية الشرقية. وخاصة الجزر الأندونيسية. جميل المصري - حاضر العالم الإسلامي ج ٢ ص ٤٥٥.

(٢) محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبي ت سنة ١٣٣٥ هـ. انظر ترجمته كاملة لمحقق كتابه إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، إسماعيل أحمد إسماعيل ص ٣٩-٤٢.

(٣) في الأصل «مفاتي» وهي صحيحة حيث كان يوجد لمكة أكثر من مفتي للمذاهب الأربعة.

(٤) في الأصل «كلاً».

الشريف عون الرفيق ، فانجلت المعركة بفوز الشريف عون الرفيق على أخصامه ، فكان النصر حليفه في ذلك . فصدر أمر السلطان عبدالحميد خان بعزل والي الحجاز عثمان نوري باشا ، وبعزل الذوات الموقعين في تلك المضبطة ، ونفيهم جميعاً من الحجاز ، ونفذ الأمر ، وعزل الجميع من وظائفهم ، ونفوا من الحجاز ، غير أن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الشيبي قد لطف به ، ولم يُنْفَ من الحجاز ، وإنما بارح مكة المكرمة ، وسكن (الهدا)[1] وهي قرية صغيرة واقعة بسطح جبل (كرا)[2] ، الذي هو بشرق مكة، وواقع بين مكة والطائف ، وهو من سلسلة جبال السراة ، ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٢٢٠٠ متر ، ويبعد عن مكة نحو ٣٥ ميلاً ، وبينه وبين الطائف نحو ٨ أميال ، ومكث الشيخ عبدالرحمن الشيبي في (الهدا) إلى أن توفي سنة ١٣٢٠ ودفن بها . وكان شهماً كريماً محباً للخير ، وهو أول رئيس من السدنة الذين أدركْتُ رئاستهم[3] وعرفتهم شخصياً .

[٣٤٢] / ثم تولى سدانة الكعبة ورئاسة[4] السدنة بعده ، الشيخ محمد صالح ابن أحمد بن محمد الشيبي سنة ١٣١١ ، بعد عزل ابن عمه الشيخ عبدالرحمن الشيبي المتقدم ذكره ، وكان شهماً همامًا ، فقد تولى رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الملك الشريف الحسين بن علي سنة ١٣٣٥ ، وكان ذا رأي ثاقب ، وفكر واسع ، وقد مكث رئيساً للسدنة ٢٤ سنة إلى أن توفي بمكة المكرمة يوم عيد النحر ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ ، وكانت ولادته في أول

(١) الهدا : موضع في نواحي الطائف - ياقوت ج ٥ ص ٣٩٤ . وهي تقع على طريق مكة الطائف على ارتفاع شاهق ويصطاف بها الكثير من أهالي مدينتي مكة وجدة .

(٢) كرا : ثنية بين مكة والطائف - ياقوت - معجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٢ .

(٣) في الأصل « رآستهم » .

(٤) في الأصل « ورآسة » .

عام ١٢٧١هـ ، وقد بلغ من العمر ٦٤ سنة .

ثم تولى بعده الشيخ عبدالقادر بن علي بن محمد الشيبي رئاسة السدنة سنة ١٣٣٥ ، وكان شهماً ، هماماً ، وديعاً ، سموحاً له إقبال على الناس ، محباً للخير ، وجيهاً ، وقد باشر عدة وظائف ، منها رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الملك الشريف الحسين بن علي ، وترأس عدة مجالس في حكومة جلالة ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن[1] الفيصل آل السعود ، وكانت له عند جلالة الملك عبد العزيز [آل][2] السعود المعظم منزلة عالية ، ومكث رئيساً للسدنة ١٦ سنة ، إلى أن توفي بمكة المكرمة في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ١٣٥١ ، وكانت ولادته في منتصف سنة ١٢٧١هـ ، وقد بلغ من العمر ثمانين سنة ، وبوفاته انتهت الطبقة الثانية ، الذين هم أحفاد الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبي .

/ وأما الطبقة الثالثة ، من السدنة آل الشيبي ، الذين هم أبناء الأحفاد ؛ فهم : [٣٤٣]

رئيس السدنة الحالي الشيخ محمد بن محمد صالح بن أحمد بن محمد بن زين العابدين الشيبي ، ولد سنة ١٢٩٣ ، وتولى رئاسة[3] السدنة في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان سنة ١٣٥١ هـ ، بعد وفاة المرحوم صاحب الفضيلة مولانا الشيخ عبدالقادر بن علي الشيبي المتقدم ذكره ، وهو لا يزال في رئاسة السدنة إلى اليوم .

---

(١) في الأصل « عدالرحمن » .

(٢) سقطت من الأصل .

(٣) في الأصل « رآسة » .



صاحب الفضيلة رئيس سدنة الكعبة المعظمة السابق المرحوم الشيخ
عبدالقادر بن علي الشيبي المتوفى ١٠ رمضان سنة ١٣٥١هـ
وقد بلغ من العمر ثمانين عاماً

صورة رقم (٢٢)



صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالقادر الشيبي

السادن الثاني للكعبة المعظمة

صورة رقم (٢٣)

وقد أدركتُ كثيراً من آل الشيبي ، ممَّنْ لم يتولوا رئاسة السدنة ، فمنهم مَنْ أدركَتْهُ المنية قبل أن تصل إليه رئاسة السدنة ، ومنهم مَنْ هو على قيد الحياة . أما مَنْ أدركتهُم وعرفتهُم بالذات ممن لم تصل إليهم رئاسة السدنة، وقد أدركتهم الوفاة ، فهم : الشيخ زين العابدين بن عبدالله بن محمد الشيبي ، توفي في بلاد المغرب سنة ١٣١٤ . ثم الشيخ محمد سعيد بن عبدالله بن محمد الشيبي ، توفي سنة ١٣٤٠ . ثم الشيخ عبدالغني بن عبدالله ابن محمد الشيبي ، توفي سنة ١٣٤٢ . ثم الشيخ جعفر بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد الشيبي ، توفي بالطائف سنة ١٣٤٣ . ثم الشيخ حسن بن عبدالقادر بن علي الشيبي ، توفي سنة ١٣٤٣ بالطائف .

وأما الموجودون من آل الشيبي في العصر الحاضر ، الذين هم سدنة الكعبة المعظمة ، فهم : رئيس السدنة الحالي الشيخ محمد المتقدم ذكره .

ومن الطبقة الثالثة : فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالقادر بن محمد بن زين
العابدين / الشيبي ، ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٩٧ هـ ، وهو السادن الثاني بعد [٣٤٤]
رئيس السدنة الحالي ، وقد تقلد عدة وظائف في حكومة جلالة الملك عبدالعزيز المعظم وهو الآن حين تحرير هذا المؤلف ، نائب رئيس مجلس الشورى الثاني ، ورئيس هيئة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين ، ورئيس هيئة الإسعاف الطبي ، وهو صاحب جاه ، وإقبال ، ومكارم أخلاق ، وهمة في الأعمال ، وسخاء ، وله حرمة ومكانة في البلاد .

وله من الأولاد الذكور : الشيخ محمد أمين ، ولد سنة ١٣٢٥ هـ والشيخ طه ، ولد سنة ١٣٣٣ ، والشيخ عاصم ، ولد سنة ١٣٣٧ ، والشيخ زين العابدين، ولد سنة ١٣٣٩ . والشيخ سراج الدين ، ولد سنة ١٣٤٤ . والشيخ عبدالعزيز، ولد سنة ١٣٤٨ . أبناء الشيخ عبدالله بن عبد القادر الشيبي رئيس



حضرة الشيخ محمد الأمين بن عبدالله بن عبدالقادر الشيبي
السادن الثالث للكعبة المعظمة

صورة رقم (٢٤)

السدنة ، الذي قد ابتدأنا به سلسلة نسب آل شيبة بن عثمان الحجبي فيما تقدم .

وهؤلاء أبناء الشيخ عبدالله الشيبي المشار إليهم ، هم من الطبقة الرابعة ، بالنسبة إلى جدهم الشيخ محمد بن زين العابدين الشيبي .

ومن الطبقة الرابعة أيضاً : الشيخ عمر بن جعفر بن عبدالرحمن بن عبدالله الشيبي ، ولد سنة ١٣٣١ . والشيخ طلحة بن حسن بن عبدالقادر الشيبي ، المتقدم ذكره ، ولد سنة ١٣٤٠ .

ومن الطبقة الخامسة : الشيخ فيصل بن محمد أمين بن عبدالله بن عبدالقادر ابن علي بن محمد الشيبي ، فقد ولد في نهاية شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٣ وهو المولود الوحيد من الطبقة الخامسة[١] .

[٣٤٥] / فهؤلاء السدنة آل شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الحجبي ، المثبوت نسبهم ، المعروفون عند أهل مكة خاصة ، وعند المسلمين عامة ، بأنهم سدنة الكعبة المعظمة جاهلية وإسلاماً ، من عهد عبدالدار بن قصيّ ، إلى عهد شيبة ابن عثمان ، إلى هذا العصر الذي نحرر فيه هذا المؤلف ، وهم محل تجلّة واحترام ، وإكرام ، وسؤدد ، وفخار ، جاهلية وإسلاماً ، كما دلت على ذلك الأخبار الواردة في حقهم من أصح المصادر ، وهم لا يزالون أصحاب وجاهة في هذا العصر عند عموم الملوك والسلاطين والأمراء ، وبالأخص عند كلّ مَنْ تولّى خدمة الحرمين الشريفين ، أو أمارة مكة المكرمة ، وعند عموم المسلمين ، حيث إن بيتهم من أشرف بيوت قريش ، ووظيفتهم من أعظم الوظائف الإسلامية ، ولا يزال وجودهم من معجزات رسول الله ﷺ التي أخبر أمته

---

(١) بلغ عدد أبناء العائلة الشيبية سنة ١٣٨٤ هـ اثنين وثمانين شخصاً نصفهم من الذكور تقريباً ، وأصبح عددهم سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١م ١٢٨ شخصاً من الذكور والإناث .
جريدة الجزيرة - الجمعة ١٥ صفر سنة ١٤٠٢هـ العدد ٣٣٨٦ ص ٦ .

بها بقوله : « خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم» .

فبقاء آل شيبة ، وخلود سدانة الكعبة المعظمة بأيديهم ، وعدم نزعها منهم وإسنادها إلى غيرهم طيلة هذه القرون ، مع تبادل الولاة والحكام على هذه البلاد ، من عهد رسول اللّه ﷺ ، والخلفاء الراشدين المهديين ، وخلفاء بني أمية ، وعبداللّه بن الزبير ، وخلفاء بني العباس ، والفاطميين ، وملوك الجراكسة ، وسلاطين آل عثمان ، وأمراء مكة من الأشراف من عهد الشريف قتادة ، وأبي نمي ، إلى الملك الشريف الحسين بن علي ، وحكم الملك سعود الأول ، إلى جلالة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن / الفيصل آل السعود [٣٤٦] في العصر الحاضر ، بل وفي حكم المتغلّبين من قرامطة ويمنيين ، وغيرهم ، فلا شك ولا شبهة أنها معجزة من أعظم المعجزات الخالدة لرسول اللّه ﷺ المحسوسة ، الظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار ، فإن اللّه تعالى قد حفظ بقدرته هذه العائلة الكريمة ، كما حفظ بيته المقدس من تعدّي المعتدين ، وسيحفظهما بمشيئته تعالى إلى يوم القيامة ، فإن أمور الدنيا تجري بمشيئته سبحانه وتعالى ، حيث هو القاهر فوق عباده ، وهو المتصرف في الكون بحكمته ، وهو الذي يدبره بقدرته ، فله الأمر من قبل ومن بعد ، وهو العليم الخبير .

دخول الكعبة المعظمة :

اعلم أن دخول الكعبة المعظمة، والصلاة فيها من فضائل الأعمال، والسنن المستحبة؛ لأنها من فعل رسول اللّه ﷺ، فقد دخل رسول اللّه ﷺ الكعبة المعظمة وصلّى فيها. ودخلها أجلاّء أصحابه -رضي اللّه عنهم- وصلّوا فيها، كما دلّت السنة الصحيحة على ذلك.

فروى الإمام البخاري في صحيحه[1] أحاديث صحيحة في دخول النبي ﷺ الكعبة، وأنه صلى فيها، وبوَّب لذلك أربعة أبواب. فقال: باب إغلاق البيت، ويصلي في أيّ نواحي البيت شاء. وقال: باب الصلاة في الكعبة. وقال: باب مَنْ لم يدخل الكعبة. وقال: باب مَنْ كبّر في نواحي الكعبة.

[٣٤٧] فروى في الباب الأول[2] : « عن سالم عن أبيه / - أي سالم بن عبداللّه ابن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما - قال: دخل رسول اللّه ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة، فأغلقوا عليهم الباب، فلما فتحوا كنتُ أوّل مَنْ ولج، فلقيتُ بلالاً فسألته: هل صلى فيه رسول اللّه ﷺ ؟ قال: نعم، بين العامودين اليمانيين ».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[3] في شرح هذا الحديث: « في رواية جويرية بين العامودين المقدمين، وفي رواية مالك عن نافع، جعل عاموداً عن يمينه وعاموداً عن يساره. وفي رواية عنه: عامودين عن يمينه »، إلى أن قال: «وكان البيت على ستة أعمدة سطرين، صلّى بين العامودين من السطر

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ص ١٦٠ - ١٦١ الأبواب ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، وانظر ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ص ٢٥٥ - ٢٦٢ .

(٢) صحيح البخاري ج ص ١٦٠ باب ٥١ إغلاق البيت .

(٣) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٥ .

المقدم، وجعل باب البيت خلف ظهره » ، وقال : « في آخر رواية فليح ، وعند المكان الذي صلّى فيه مرمرة حمراء » .

قال الحافظ ابن حجر[1] : « وكلّ هذه أخبار[2] عما كان عليه البيت قبل أن يُهدم ويُبنى في زمن ابن الزبير ، فأما الآن فقد بيّن موسى بن عقبة في روايته[3] عن نافع : أن بين موقفه ﷺ وبين الجدار الذي استقبله قريباً من ثلاثة أذرع . وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع ، فيما أخرجه أبو داود من طريق عبدالرحمن بن مهدي . والدارقطني في الغرائب، من طريقه ، وطريق عبداللّه ابن وهب وغيرهما عنه ، ولفظه : وصلّى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع» .

فقال الحافظ [4] : « فعلى هذا ينبغي مَنْ أراد الاتّباع في ذلك ، أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع ، فإنه تقع قدماه في مكان قدميه ﷺ ، إن كانت ثلاثة أذرع سواء ، وتقع ركبتاه أو يداه ووجهه إن كان أقلّ من ثلاثة أذرع ، واللّه أعلم » .

/ وروى البخاري في الباب الثاني[5] ، بسنده « عن ابن عمر -رضي اللّه عنهما- انه كان إذا دخل الكعبة مشى قِبَل الوجه حين يدخل ، ويجعل الباب قِبَل الظهر ، يمشي حتى يكون بينه وبينَ الجدار قريبًا من ثلاثة أذرع ، فيصلي يَتوخى المكان الذي أخبره بلال أن رسول اللّه ﷺ صلّى فيه ، وليس على أحد بأس أن يصلي في أيّ نواحي البيت شاء » . [٣٤٨]

---

(١) نفسه ج ٧ ص ٢٥٨ .
(٢) في الأصل « الأخبار » والتصحيح من فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٨ .
(٣) غير مقروءة في الأصل . والإثبات من فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٨ .
(٤) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٨ .
(٥) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٠ باب ٥٢ الصلاة في الكعبة . . ابن حجر فتح الباري ج ٧ ص ٢٥٩ حديث رقم ١٥٩٩ .

وروى في الباب الثالث[1] : « عن عبدالله بن أبي أوفى قال : اعتمر رسول الله ﷺ ، فطاف بالبيت ، وصلّى خلف المقام ركعتين ، ومعه مَنْ يستره من الناس . فقال له رجل : أدَخَلَ رسول الله ﷺ الكعبة ؟ قال : لا » . فنقل الحافظ ابن حجر عن النووي في «الفتح» ، أنه قال النووي[2] : « قال العلماء : سبب ترك دخوله ما كان في البيت من الأصنام والصور ، ولم يكن المشركون يتركونها ، فلما كان في الفتح أمر بإزالة الصّور ثم دخلها . يعني كما في حديث ابن عباس الذي بعده » .

قال الحافظ ابن حجر[3] : « فيُحتمل أن يكون دخول البيت لم يقع في الشرط -أي في شرط صلح الحديبية- وهذه العمرة التي لم يدخل فيها رسول الله ﷺ الكعبة هي عمرة القضاء قبل فتح مكة بسنة ؛ لأنها كانت في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة ، فلو أراد دخوله لمنعوه كما منعوه من الإقامة بمكة زيادة على ثلاثة أيام ، فلم يقصد دخوله لئلا يمنعوه » . اهـ .

وروى البخاري في الباب الرابع[4] : « عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- أن رسول الله ﷺ لمّا قدم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأُخْرِجَت ، / فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام ، فقال رسولَ الله ﷺ : « قاتلهم اللّه ، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها [٣٤٩]
قط » ، فدخل البيت فكبَّر في نواحيه ، ولم يصلّ فيه » . انتهى .

---

(١) صحيح البخاري باب ٥٣ من لم يدخل الكعبة . فتح الباري ج ٧ ص ٢٦٠ حديث رقم ١٦٠٠ .

(٢) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٦٠ .

(٣) نفسه ج ٧ ص ٢٦٠ .

(٤) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٠ باب ٥٤ من كبر في نواحي الكعبة . ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٦١ حديث رقم ١٦٠١ .

فظهر من قول ابن عباس رضي اللّه عنهما : «ولم يصل فيه» ما يعارض حديث ابن عمر -رضي اللّه عنهما- الذي ذكره البخاري في الباب الأول المتقدم. حيث لمّا سُئل بلال : هل صلّى رسول اللّه ﷺ في البيت ؟ قال : نعم .

وقد جمع الحافظ بن حجر[1] بين الروايتين ، وإليك ما قاله ملخصًا : قال : « أورد فيه حديث ابن عباس أنه ﷺ كبّر في البيت ولم يصلِّ فيه ، وصححه المصنف - يعني البخاري - واحتج به مع كونه يرى تقديم حديث بلال في إثباته الصلاة فيه عنه ، ولا معارضة في ذلك بالنسبة إلى الترجمة ؛ لأن ابن عباس أثبت التكبير ولم يتعرّض له بلال ، وبلال أثبت الصلاة ونفاها ابن عباس ، فاحتج المصنف بزيادة ابن عباس ، وقد يقدم إثبات بلال على نفي غيره لأمرين ، أحدهما : أنه لم يكن مع النبي ﷺ يومئذ - يعني ابن عباس - وإنما أسند نفيه تارة لأسامة ، وتارة لأخيه الفضل[2] ، مع أنه لم يثبت أن الفضل كان معهم إلا في رواية شاذة ، وقد وقع إثبات صلاته فيها عن أسامة في رواية ابن عمر عن أسامة عند أحمد وغيره ، فتعارضت الرواية في ذلك عنده ، فتترجح رواية بلال من جهة أنه مثبت وغيره ناف ، ومن جهة أنه لم يختلف عليه في الإثبات ، واختلف على مَنْ نفى ، وقال النووي وغيره : يجمع بين إثبات بلال ونفي أسامة بأنهم لـمّا دخلوا الكعبة اشتغلوا بالدعاء ، / فرأى أسامة النبي ﷺ يدعو ، فاشتغل أسامة بالدعاء في ناحية والنبي ﷺ [٣٥٠] في ناحية ، ثم صلّى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ، ولم يره أسامة لبعده واشتغاله ، ولأنه بإغلاق الباب تكون الظلمة ، مع احتمال أن يحجبه عنه بعض الأعمدة ، فنفاها عملاً بظنه » . انتهى .

---

(١) ابن حجر العسقلاني - فتح الباري ج ٧ ص ٢٦١ .

(٢) الفضل بن العباس بن عبد المطلب -رضي اللّه عنه- كان أسنّ ولد العباس رضي اللّه عنه . ابن سعد - الطبقات ج ٤ ص ٥٤ ج ٧ ص ٣٩٩ .

وكل ما تقدم يثبت ثبوتًا قطعيًا أن النبي ﷺ صلّى في الكعبة وبذلك صارت الصلاة في الكعبة سنة مستحبة .

وروى الأزرقي[1] : « أن أمير المؤمنين معاوية -رضي اللّه عنه- استدعى ابن عمر -رضي اللّه عنهما-، وهو في الكعبة فقال : يا أبا عبدالرحمن، أين صلّى رسول اللّه ﷺ عام دخلها ؟ قال : بين العمودين المقدمين ، اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة » .

وروى التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[2]، عن الحافظ العراقي في تعيين مصلى النبي ﷺ في الكعبة : « أن مصلّى النبي ﷺ من البيت أن الداخل من الباب يسير تلقاء وجهه حين يدخل ، إلى أن يجعل بينه وبين الحائط ثلاثة أذرع أو ذراعين ، وأما بينهما لاختلاف الطرق فيه ، قال العراقي : وينبغي ألا يجعل بينه وبين الجدار أقلّ من ثلاثة أذرع ، فإن كان الواقع أنه ثلاثة ، قد صادف مصلاّه، وإن كان ذراعين فقد وقع وجه المصلّي وذراعاه في مكان قدمي النبي ﷺ ، فهذا أولى من التقديم عنه » .

وقال النووي في «الإيضاح»[3] : « ويُسْتَحَبّ دخول البيت حافيًا ، وأن يصلّي فيه ، والأفضل أن يقصد مصلّى رسول اللّه ﷺ ، فإذا دخل البيت مشى ، حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قِبَل وجهه قريبًا من ثلاثة أذرع ،

---

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٧١ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٣٩ .

(٣) النووي - يحيى بن شرف - الإيضاح . . وهذا النص بعينه في صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٨٤ .

فيصلي / - ثبت ذلك في صحيح البخاري[1] - ، ويدعو في جوانبه ، وهذا بحيث لا يؤذي أحدًا ولا يتأذَّى هو ، فإن آذى أو تأذى لم يدخل ، وهذا مما يغلط فيه كثير من الناس فيتزاحمون زحمة شديدة ، بحيث يؤذي بعضهم بعضًا ، وربما انكشفت عورة بعضهم أو كثير منهم ، وربما زاحم المرأة وهي مكشوفة الوجه واليد ، وهذا كله خطأ يفعله جهلة الناس ، ويغترّ بعضهم ببعض ، وكيف ينبغي لعاقل أن يرتكب الأذى المحرم ليحصل أمرًا لو سلم من الأذى لكان سنةً ، وأما الأذى فليس بسنة ، بل هو حرام والله المستعان » . [٣٥١]

أما قول الإمام النووي في تزاحم بعض العوام ، فهو صحيح ، وقد رأيتُ تزاحم التكارنة والسليمانية ، وبعض الأعراب ، والعوام ، في العصر الحاضر ، ما يؤدي إلى الأذى ، فيضطر سدنة الكعبة في بعض الأحايين إلى قفل باب الكعبة دفعًا للضرر الذي يقع من ذلك الازدحام ، ويصعب تفهيم أمثال هؤلاء أنه ينشأ من تزاحمهم حين الدخول ضرر على الناس وعلى بعضهم بعضًا ، والله الهادي إلى صراطه المستقيم .

وأما قدر صلاة النبي ﷺ في الكعبة : فقال التقي الفاسي[2] : « قدر ركعتين على ما رويناه عن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وعن بلال -رضي الله عنهم- من رواية ابن عمر ، وعن جابر بن عبدالله كما روينا في شرح معاني الآثار للطحاوي[3] ، وعن عمر أيضاً ، كما رويناه فيه عن عبدالرحمن بن

(١) حديث رقم ١٥٩٩ ونصه بعد الإسناد إلى ابن عمر رضي الله عنهما : « أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حين يدخل ، ويجعل الباب قبل الظهر ، يمشي حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريباً من ثلاث أذرع فيصلي ، يتوخىّ المكان الذي أخبره بلال . فتح الباري ٧/ ٢٥٩ ، صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٠ .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج١ ص ١٤٠ .

(٣) الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، ت سنة ٣٢١ هـ من كتبه شرح معاني الآثار مطبوع - في الحديث مجلدان - ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ١ ص ٢١٩ ، الزركلي - الأعلام ج١ ص ٢٠٦ .

صفوان عن عمر ، وجماعة ممن كان مع النبي ﷺ حينئذ ، وعن عثمان بن
[٣٥٢] طلحة أيضاً، كما / رويناه فيه ، وهو مقتضى حديث شيبة بن عثمان
الحجبي، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين » .

ثم أسند الفاسي[١] هذه الروايات إلى الإمام أحمد ، والبخاري ، والنسائي، ومسلم ، والدارقطني ، وغيرهم .

وقد تقدم في الباب ، من حديث ابن عمر -رضي اللّه عنهما- من رواية البخاري ، أنه نسي أن يسأل بلالاً عن قدر صلاة رسول اللّه ﷺ .

وقد روى البخاري[٢] في صحيحه في كتاب الصلاة، عن مجاهد أنه قال : «أتى ابن عمر ، فقيل له : هذا رسول اللّه ﷺ دخل الكعبة . فقال ابن عمر : فأقبلتُ والنبي ﷺ قد خرج ، فأجدُ بلالاً قائماً بين الناس ، فسألتُ بلالاً فقلت : هل صلّى رسول اللّه ﷺ في الكعبة ؟ قال : نعم ، ركعتين بين الساريتين اللتين عن يسارك إذا دخلت ، ثم خرج فصلّى في وجه الكعبة ركعتين » .

فيُحتمل أن يكون ابن عمر -رضي اللّه عنهما- سأل بلالاً أوّلاً أين صلّى رسول اللّه ﷺ ، كما جاء في الرواية الأولى ، ونسي أن يسأله كم صلّى ، ثم استدرك ما فاته فوجد بلالاً قائماً بين الناس ، كما جاء في الرواية الثانية، فسأله عن الصلاة ، فأخبره أنه صلى بين الساريتين ركعتين ، وعند الباب ركعتين . واللّه أعلم .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٠ باب ٨١ الأبواب والغلق للكعبة والمساجد ونصه بعد الإسناد عن ابن عمر : « أن النبي ﷺ قدم مكة ، فدعا عثمان بن طلحة ففتح الباب، فدخل النبي ﷺ وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة ، ففتح الباب فدخل النبي ﷺ وبلال وأسامة بن زيد وعثمان ابن طلحة ، ثم أُغلق الباب فلبث فيه ساعة ثم خرجوا .

قال ابن عمر : فبدرت فسألت بلالاً، فقال: صلى فيه . فقلت : و في أيٍّ؟ قال : بين الأسطوانتين. قال ابن عمر : فذهب عليّ أن أسأله كم صلّى » .

وذكر التقي الفاسي أسماء الصحابة[1] الذين روى عنهم صلاة النبي ﷺ في الكعبة يوم الفتح ، وهو بلال ، وجابر بن عبدالله ، وشيبة بن عثمان الحجبي ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن عباس على ما قيل ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وأبو هريرة ، وعائشة ، وعبدالرحمن بن صفوان القرشي ، وعثمان / بن طلحة الحجبي ، وعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم . ثم ذكر [٣٥٣]
أسماء من نفاها وهم ، أسامة على المعروف عنه ، والفضل بن عباس ، وأخوه عبدالله بن عباس على ما صح عنه .

ثم قال الفاسي[2] : « وليس في حديث أكثر الصحابة المثبتين لهذه الصلاة ، والنافين لها في أن ذلك وقع يوم فتح مكة ، وإنما ذلك مبين في حديث ابن عمر السابق ، وحديث جابر وغيره ، فيحمل على ذلك حديث مَنْ لم يقع في حديثه بيان زمن الصلاة المشار إليها ؛ لأن الأحاديث تفسر بعضها بعضًا ، والمجمل منها يردّ إلى المبين ، وقد أشار إلى ذلك النووي في شرح مسلم[3] لـمّا تكلّم على قوله في حديث ابن عمر : قَدِمَ رسول الله ﷺ يوم الفتح ونزل بفناء الكعبة ، هذا دليل على أن المذكور في أحاديث الباب من دخوله ﷺ الكعبة وصلاته فيها كان يوم الفتح ، وهذا لا خلاف فيه ولم يكن يوم حجة الوداع » .

وروى الفاسي[4] عن الحافظ ابن عبد البر أنه قال : « رواية ابن عمر عن بلال أن النبي ﷺ صلى في الكعبة ، أَوْلى من رواية ابن عباس عن أسامة أنه لم يصلِّ لأنها زيادة مقبولة ، وليس قول مَنْ قال : (لم يفعل) بشهادة » .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ١٤١ - ١٤٣ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٤١ .
(٣) النووي - صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٨٤ .
(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٦ .

وقال السهيلي في «الروض الأنف»[1] : « وأما دخوله ﷺ الكعبة وصلاته فيها، فحديث بلال أنه صلّى فيها ، وحديث ابن عباس أنه لم يصلِّ فيها ، وأخذ الناس بحديث بلال؛ لأنه أثبت الصلاة ، وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة المنفي ، وَمَنْ تأوّل قول بلال أنه صلّى - أي دعا -
[٣٥٤] فليس بشيء ؛ لأن في حديث ابن عمر أنه صلّى فيها ركعتين ، ولكن / رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان ، لأنه -عليه الصلاة والسلام- دخلها يوم النحر فلم يصلّ ، ودخلها من الغد فصلّى فيها ، وذلك في حجة الوداع ، وهو حديث مروي عن ابن عمر بإسناد حسن ، خرجه الدارقطني وهو من فوائده » .

وقال النووي[2] : « أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال؛ لأنه مثبت ، فمعه زيادة علم ، فوجب ترجيحه » .

وقال : « وأما نفي أسامة فيشبه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب ، واشتغلوا بالدعاء ، فرأى أسامة النبي ﷺ يدعو ، ثم اشتغل أسامة في ناحية من نواحي البيت ، والنبي ﷺ في ناحية أخرى ، وبلال قريب منه ، ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ، ولم يره أسامة لبعده واشتغاله بالدعاء ، وكانت صلاته خفيفة فلم يرَها أسامة لإغلاق الباب مع بُعْده واشتغاله بالدعاء ، وجاز له نفيها عملاً بظنه ، وأما بلال فحقّقها وأخبر بها، والله أعلم » .

هذا ما قاله النووي في شرح مسلم . وقال في شرح المهذب[3] : « قال

(١) السهيلي - الروض الأنف ج ٤ ص ١٠٤ ، الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٦ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٨٤ ، الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٦ .
(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٦ .

العلماء : والأخذ برواية بلال في إثبات الصلاة أوْلى ؛ لأنه مثبت وقدم على النافي ، فإنّ بلالاً كان قريباً من النبي ﷺ حين صلى وراقبه في ذلك فرآه يصلّي ، وكان أسامة متباعداً مشتغلاً بالدعاء والباب مغلق فلم يَرَ الصلاة ، فوجب[1] الأخذ برواية بلال ؛ لأنه معه زيادة علم » .

وقال المحب الطبري[2] : « وقد اختلف بلال وأسامة في صلاة النبي ﷺ في البيت ، وحكم العلماء ترجيح حديث بلال ؛ لأنه أثبت وضبط ما لم يضبطه أسامة والمثبت مقدم على النافي » .

ثم قال[3] : « ويحتمل أن يكون أسامة غاب عنه / بعد دخوله لحاجة فلم [٣٥٥]
يشهد صلاته ، وقد روى ابن المنذر عن أسامة : أن النبي ﷺ رأى صوراً في الكعبة ، فكُنْتُ آتيه بماء في الدلو يضرب به الصور ، فأخبر أنه كان يخرج لنقل الماء ، وكان ذلك في يوم الفتح ، وصلاته ﷺ في الكعبة إنما كانت يوم الفتح لا في حجة الوداع » .

وقال أبو حاتم ابن حبان[4] : « والأشبه عندي أن يُحمل الخبران على دخولين متغايرين ، أحدهما يوم الفتح وصلّى فيه ، والآخر في حجة الوداع ولم يصلّ فيه ، من غير أن يكون بينهما تضاد » . قال القاضي عز الدين بن جماعة في حديث أحمد بن حنبل المروي بسنده عن عطاء قال[5] : « قال أسامة ابن زيد : دخلتُ مع رسول اللّه ﷺ البيت ، فجلس فحمد اللّه وأثنى عليه

(١) في الأصل « فوجد » .

(٢) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٦ ، والمحب الطبري ت سنة ٦٩٤ هـ وكتابه القرى لقاصد أم القرى تحقيق مصطفى السقا .

(٣) أي المحب الطبري والخبر في الفاسي ج ١ ص ١٤٦ .

(٤) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٦ .

(٥) نفسه ج ١ ص ١٤٦ .

وكبر وهلل ، وخرج ولم يصلّ ، ثم دخلت معه في اليوم الثاني فقام ودعا ، ثم صلّى ركعتين ، ثم خرج فصلّى ركعتين خارجًا من البيت مستقبل وجه الكعبة ثم انصرف ، وقال : هذه القبلة . قال : وكذلك رواه أحمد بن منيع في مسنده والدارقطني وغيرهم ، وهو كلام شاف ، كاف ، في الجمع بين الأحاديث ، فنحمد اللّه على التوفيق للجمع به فإن ذلكَ من أجلّ الوفاق » . اهـ .

ونقل التقي الفاسي[1] عن الطحاوي أنه قال في شرح معاني الآثار : « فإن كان هذا الباب يؤخذ من طريق صحيح متواتر الأخبار ، فإن الأخبار قد تواترت أن رسول اللّه ﷺ قد صلّى في الكعبة ما لم يتواتر بمثله أنه لم يصلّ ، [٣٥٦] وإن كان يؤخذ بأن أسامة بن زيد الذي حكى عنه ابن عباس / أن رسول اللّه ﷺ حين دخل الكعبة خرج منها ولم يصلّ ، فقد روى عن ابن عمر ، وبلال ، وجابر ، وشيبة بن عثمان ، وعثمان بن طلحة ما يوافق ما رواه ابن عمر عن أسامة ، فذلك أوْلى مما تفرد به ابن عباس عن أسامة » .

وقال الطحاوي[2] أيضًا : « فكان ينبغي لما تضاددت الروايات عن أسامة وتكافأت ، أن يرفع ويثبت ما روي عن بلال إذا كان لم يختلف عنه في ذلك ، هذا ما رأيته للناس من ترجيح حديث بلال في إثبات صلاة النبي ﷺ في الكعبة على حديث مَنْ خالفه في ذلك ، وما قيل في الجمع بين هذا الاختلاف وما ذكروه من الترجيح يتجه ، ومما لعلّه أن يكون مرجحًا لذلك أيضًا من حيث المعنى على ما ظهر لي أن الكعبة المعظمة كالمسجد الحرام في استحباب التحية لمَن دخلها ، والتحية للمسجد الحرام الطواف لمريده أو الصلاة فيه ،

---

(١) نفسه ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٤٧ .

والطواف بالكعبة من داخلها غير مشروع ، فلم يبق لها تحية إلا الصلاة فيها كتحية سائر المساجد ، فكيف يدخلها رسول اللّه ﷺ ولا يصلي فيها مع بُعْد عهده من دخولها؟ فإنه من حين هاجر إلى المدينة لم يدخلها ، وبين الهجرة ودخوله هذا ثمان سنين » . اهـ .

وقد أسهب التقي الفاسي في «شفاء الغرام»(١) في سرد الأدلّة على ثبوت صلاة النبي ﷺ ، ونقل عن البخاري والنووي وغيرهما ما تقدم ذكره ، واكتفينا على صحة صلاة رسول اللّه ﷺ في الكعبة بما ذكر .

وقد أورد التقي الفاسي(٢) : « أن النبي ﷺ دخل الكعبة أربع مرات بعد الهجرة ، وهو يوم الفتح ، / وثاني يوم الفتح ، وفي حجة الوداع ، وفي [٣٥٧] عمرة القضاء » .

ثم قال(٣) : « وفي كلٍّ من هذه الدخولات خلاف ، إلا الدخول الذي في يوم الفتح » .

وشرح الخلاف الوارد في ذلك وحاصله : « أن النبي ﷺ دخل يوم الفتح، وقد تقدم ثبوته . وثاني يوم الفتح قد تقدم في رواية الإمام أحمد بن حنبل عن أسامة بن زيد ، وفي حجة الوداع ، رواه أبو داود ، وابن ماجة ، والترمذي ، والحاكم في المستدرك ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها ، وفي عمرة القضية ذكره المحب الطبري في القرى عن عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب فروى عن هشام بن عروة عن أبيه أن خراش بن أمية حلق

---

(١) نفسه ج ١ ص ص ١٤٦ – ١٥٥ .
(٢) نفسه ج ١ ص ١٥٥ .
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٥٥ .

رأس النبي ﷺ عند المروة ثم دخل البيت . وعن سعيد بن المسيب أن رسول اللّه ﷺ لما قضى نسكه دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذّن بلال بالظّهر على ظهر الكعبة ، وأقام رسول اللّه ﷺ بمكة ثلاثاً ، فلما كان ظهر اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو » . وذكر القصة .

وقد جزم شيخ الاسلام ابن تيمية [(١)]: أن النبي ﷺ لم يدخل الكعبة إلا في عام الفتح فقط ، فقال في كتابه «مناسك الحج» : « ودخول الكعبة ليس بفرض ولا سنة مؤكدة ، بل دخولها حسن ، والنبي ﷺ لم يدخلها في الحج . ولا في العمرة ، لا عمرة الجعرانة ، ولا عمرة القضية ، وإنما دخلها عام فتح مكة ، ومن دخلها يُستحب له أن يصلي فيها ويكبّر اللّه ويدعوه ويذكره ، فإذا دخل مع الباب تقدم حتى يصير بينه وبين الحائط ثلاثة أذرع والباب خلفه ، فذلك هو المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ ، ولا يدخلها إلاّ حافياً » . اهـ .

[٣٥٨] / وقال ابن القيم في «زاد المعاد»[(٢)] : « زعم كثير من الفقهاء وغيرهم أنه - يعني رسول اللّه ﷺ - دخل البيت في حجته ، ويرى كثير من الناس أن دخول البيت من سنن الحج اقتداء بالنبي ﷺ ، والذي تدل عليه سنته أنه لم يدخل البيت في حجته ولا في عمرته ، وإنما دخله عام الفتح» . وذكر حديث ابن عمر الذي في الصحيحين المتقدم عن بلال .

ثم قال : « فقيل : كان ذلك دخولين صلى في أحدهما ولم يصلّ في الآخر ، وهذه طريقة ضعفاء النقد ، كلما أرادوا اختلاف لفظ جعلوه قصة أخرى ، كما جعلوا الإسراء مراراً لاختلاف ألفاظه ، وجعلوا اشتراءه من

---

(١) ابن تيمية - الفتاوى ج ٢٦ ص ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢) ابن القيم الجوزية ت سنة ٧٥١ هـ ، زاد المعاد في هدي خير العباد - تحقيق شعيب الأرناؤوط ط ١ ١٣٩٩هـ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ج ١ ص ٢٤٠ .

جابر بعيره مراراً لاختلاف ألفاظه ، وجعلوا طواف الوداع مرتين لاختلاف سياقه ، ونظائر ذلك » .

ثم قال[1] : « قال البخاري وغيره من الأئمة : والقول قول بلال ؛ لأنه مثبت ، شاهد صلاته بخلاف ابن عباس ، والمقصود أن دخوله إنما كان في غزوة الفتح لا في حجة ولا عمرة ، وفي صحيح البخاري[2] عن إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبدالله بن أبي : أوفى أَدَخَلَ النبي ﷺ في عمرته البيت ؟ قال : لا . وقالت عائشة : خرج رسول الله ﷺ من عندي وهو قرير العين طيب النفس ، ثم رجع إليّ وهو حزين القلب ، فقلت : يا رسول الله ، خرجتَ من عندي وأنت كذا وكذا ، فقال : « إني دخلتُ الكعبة ، ووددتُ أني لم أكن فعلتُ ، إني أخاف أن أكون قد أتعبتُ أمتي من بعدي» ، فهذا ليس فيه أنه كان في حجته ، بل إذا تأملته حق التأمل أطلعك التأمل على أنه كان في غزوة الفتح ، والله أعلم »[3] . اهـ .

[٣٥٩] / أما حديث عائشة الذي ذكره ابن القيم ، فهو يدل على أن النبي ﷺ دخل الكعبة في حجة الوداع ؛ لأن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- لم تكن مع النبي ﷺ في غزوة الفتح ، وإنما كانت معه في حجة الوداع ، وربما وقع تحريف في النقل أو النسخ أو الطبع ؛ لأن مثل الحافظ ابن القيم لا يجهل مثل ذلك بل هو من أئمة التحقيق في أمثال ذلك . والله أعلم .

فحاصل ما تقدم من اختلاف الروايات والأقوال ، يدل على أن دخول الكعبة المشرفة ، والصلاة فيها ، والتكبير ، والتهليل ، سنة مستحبة سنّها

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٠ .

(٣) أي انتهى ما ذكره ابن القيم في زاد المعاد ج ١ ص ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

رسـول اللّه ﷺ وهي من أفعـاله وأعـمـاله ﷺ ، ولا خـلاف بين العلمـاء في استحباب دخول الكعبة والصلاة فيها بدون ازدحام مضرّ . واللّه أعلم .

ثواب دخول الكعبة المعظمة :

أورد التقي الفاسي في «شفاء الغرام»(١) جملة روايات مرفوعة وموقوفة في ثواب دخول الكعبة المعظمة ، وإليك حاصلها :

فروى بسنده (٢) المتصل إلى الطبراني عن عطاء عن ابن عباس قال : « قال رسول اللّه ﷺ : « من دخل البيت فصلى فيه دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفوراً له » . وفي لفظ : « من دخل البيت خرج مغفوراً له » .

وروى الفاكهي(٣) عن مجاهد عن ابن عمر في دخول البيت : « دخول في حسنة وخروج من سيئة ، خرج مغفوراً له » .

[٣٦٠] وروي عن مجاهد(٤) أنه قال : دخول البيت حسنة ، وخروجه خروج / من سيئة مغفوراً له » .

وروى الفـاكـهي(٥) عن هند بن أوس قال : « حـجـجتُ فلقـيتُ ابن عـمـر فقلت : إني أقبلتُ من الفجّ العميق ، أردت البيت العتيق ، وإنه ذكر لي أن مَنْ أتى بيت المقدس يصلي فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . فقال ابن عمر : رأيت البيت مَنْ دخله فصلى فيه ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ص ١٥٨ - ١٦٢ .
(٢) نفسه ج ١ ص ١٥٨ .
(٣) نفسه ج ١ ص ١٥٨ ولا يوجد في المطبوع من الفاكهي .
(٤) نفسه ج ١ ص ١٥٨ .
وعن ابن عباس : « من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفوراً له » . ذكره المحب الطبري وقال : وهو حديث حسن غريب من حديث عطاء بن أبي رباح . القرى لقاصد أم القرى ص ٤٩٤ .
(٥) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٥٨ .

وروى الفاكهي[1] عن عطاء قال : « لأن أصلي ركعتين في البيت أحب إليّ من أن أصلّي أربعاً في المسجد الحرام » .

وروى الفاكهي [2] عن الحسن قال : « الصلاة في الكعبة تعدل مائة ألف صلاة » .

وروى الفاسي[3] بسنده عن الحسن البصري[4] في رسالته المشهورة ، قال : « قال رسول اللّه ﷺ : من دخل الكعبة دخل في رحمة اللّه عز وجل ، وفي حمى اللّه تعالى ، وفي أمن اللّه عز وجل ، وَمَنْ خرج خرج مغفوراً له » .

ثم قال الفاسي[5] : « وقد اتفق الأئمة الأربعة على استحباب دخول البيت، واستحسن مالك كثرة دخوله » . انتهى .

وأما كثرة الدخول والتردّد عليها ، فقد استحسنه بعض الصحابة والتابعين، فروى الأزرقي[6] عن جدّه عن مسلم بن خالد الزنجي - أحد فقهاء مكة - قال : « رأيت صدقة بن يسار يدخل البيت كلما فتح ، فقلت له : ما أكثر دخولك البيت يا أبا عبداللّه ، قال : واللّه إني لأجدُ في نفسي أن أراه مفتوحًا ثم لا أصلي فيه »[7] .

---

(١) نفسه ج ١ ص ١٥٨ .

(٢) نفسه ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) نفسه ج ١ ص ١٥٨ .

(٤) الحسن البصري - أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري من سادات التابعين وكبرائهم ، اشتهر بالفصاحة ت سنة ١١٠ هـ ، ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٢ ص ص ٦٩ - ٧٣ .

(٥) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٥٩ .

(٦) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٧٣ .

(٧) في الأصل « لاصلى » والصحيح : لا أصلّي .

وروى الأزرقي[١] عن جده عن مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة قال: « طفت مع سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله / عنهما، [٣٦١] أحد الفقهاء السبعة بالمدينة - خمسة أسابيع، كلما طفنا سبعًا دخلنا الكعبة فصلّينا فيها ركعتين ».

وروى الأزرقي[٢] عن جده عن داود بن عبدالرحمن المعطار عن ابن جريج عن نافع - مولى ابن عمر - قال: « كان ابن عمر إذا قدم مكة حاجاً أو معتمراً، فوجد البيت مفتوحاً لم يبدأ بشيء أول من أن يدخله ». اهـ.

هذا بعض ما ورد في فضل دخول الكعبة المشرفة، والصلاة فيها، والتردد إليها، ولا شك في ذلك بعد أن ثبت أن النبي ﷺ دخلها، وصلى فيها، وكبّر، وسبّح، وهلل واستغفر، فينبغي على داخل الكعبة المشرفة أن يترك البدع، ويقتدي بأعمال النبي ﷺ وأفعاله من الصلاة، والاستغفار، والتكبير والتهليل، والتسبيح، ولا يشتغل بغير ذكر الله تعالى، كما تقدم تفصيل أعمال النبي ﷺ في الكعبة المعظمة حين دخلها بإسهاب وتحقيق، وقد روى النسائي في سننه[٣]: « عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- أنه دخل مع النبي ﷺ البيت، فمضى -يعني النبي ﷺ- حتى إذا كان بين الأسطوانتين اللذين يليا باب الكعبة، جلس فحمد الله، وأثنى عليه، وسأله، واستغفره، ثم قام حتى أتى ما استقبل من دبر البيت، فوضع وجهه وخدّه عليه، فحمد الله، وأثنى عليه، وسأله، واستغفره، ثم انصرف إلى كلّ ركن من أركان الكعبة، فاستقبله بالتكبير، والتهليل، والتسبيح، والثناء على الله، والمسألة،

---

(١) الأزرقي ج ١ ص ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٣.

(٣) النسائي - سنن النسائي، جـ٥ ص ص ١٧٣ - ١٧٤ في باب الذكر والدعاء في البيت.

والاستغفار ثم خرج » . انتهى باختصار . وفّق اللّه سبحانه وتعالى عموم المسلمين إلى متابعة النبي ﷺ في جميع أعماله ، وأقواله ، وأفعاله ، آمين .

[٣٦٢]

/ **تطييب الكعبة :**

نقل التقي الفاسي في كتابه «شفاء الغرام»[١] عن الأزرقي أنه روى عن أم المؤمنين عائشة -رضي اللّه عنها- أنها قالت : « طيّبوا البيت ، فإن ذلك تطهيره» .

وروي عنها أيضاً أنها قالت : « لأن أطيّب الكعبة أحب إليّ من أن أهدي لها ذهباً وفضة » .

وروي أيضاً[٢] عن أبي نجيح : « أن معاوية بن أبي سفيان -رضي اللّه عنه- أجْرى للكعبة وظيفة الطيّب لكل صلاة ، وكان يبعث لها بالمجمر والخلوق في الموسم ، في رجب ، وأخدمها العبيد ، ثم اتبعت ذلك الولاة » .

وروي عنه أيضاً[٣] : « أن عبداللّه بن الزبير -رضي اللّه عنهما- كان يجمِّر الكعبة كل يوم رطل من مجمر ، ويجمر الكعبة كل جمعة برطلين من مجمر» .

قال المحب الطبري[٤] : « المجمر ما يتجمر به ، وهو عود الرّطب . وبالضم ما يُتجمر فيه . والخلوق طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، ويغلب عليه الصفرة والحمرة » .

وقال المحب الطبري أيضاً : « قال الإمام أبو عبداللّه الحليمي : روى سعيد ابن جبير ، أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يستشفى به » .

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٦ .
(٢) نفسه ج ١ ص ١٢٦ .
(٣) نفسه ج ١ ص ١٢٦ .
(٤) نفسه ج ١ ص ١٢٦ عن المحب الطبري في القرى لقاصد أم القرى .

وقال عطاء : « كان أحدنا إذا أراد أن يستشفي به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر ثم أخذه ، ذكره ابن الصلاح في منسكه » . انتهى[1] .

[٢٦٣] وذكر النووي[2] : « بأنه لا يجوز أخذ شيء من / طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره ، ومَنْ أخذ شيئاً من ذلك لزمه ردّه ، فإن أراد التبرك أتى بطيبٍ من عنده فمسحها به ثم أخذه » . اهـ .

هذا ما ذكره التقي الفاسي عن تطييب الكعبة وعن أخدامها ، وقد تقدم أن محمد المهدي العباسي طيّبها بالغالية والمسك والعنبر ، ثم صار ذلك الطيب يُهْدى لها من سائر الملوك ، والسلاطين ، والأمراء ، إلى أن صارت ولاية الحرمين الشريفين تابعة لسلاطين آل عثمان ، فصار الطيب والبخور يأتي سنوياً من القسطنطينية من ضمن المرتبات التي خصصت للحرمين الشريفين ، واستمر ذلك إلى نهضة الشريف الحسين ، ثم صار لرئيس السدنة من صندوق المالية شيئاً من النقود مع مخصص غسيل الكعبة المعظمة برسم الطيب ، والعمل جارٍ على ذلك إلى العصر الحاضر .

خدام الكعبة وأغوات الحرم :

وأما خدام الكعبة المعظمة فظهر من سياق الحديث أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من أخدمها العبيد[3] ، ثم اتبعه الولاة ، وقد استمر إخدامها بالعبيد

---

(١) أي قول المحب الطبري عن الفاسي ج ١ ص ١٢٦ .

(٢) الفاسي ج ١ ص ١٢٦ .

(٣) كما سبق في رواية عن أبي نجيح - انظر الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٦ .
والظاهر أنهم كانوا عبيداً أرقاء لا خصياناً في عهده رضي الله عنه . انظر : الكردي - التاريخ القويم ج ٤ ص ٢٣٧ .

من ذلك العهد إلى العصر الحاضر ، والقائمون بخدمة الكعبة الآن هم الأغوات[1] وليسوا مماليك لأحد بل هم أحرار قد أُعتقوا من قبَل أوليائهم ، ولهم مرتبات شهرية تصرف من صندوق المالية ، ولهم إدارة خاصة ورئيسهم منهم ، وقد جرت العادة أن يكون الرئيس عليهم أقدمهم خدمة ، / ولهم [٣٦٤] بيت مال خاص بهم ، ويتوارثون بعضهم بعضاً ، وخدمتهم منحصرة في تنظيف المطاف وحجْر إسماعيل ومقام إبراهيم ، والفرش الحجري المحيط بمدار المطاف الذي عليه مقامات الأئمة ولهم وظائف أخرى مثل وضع الشماعدين على باب الكعبة من الغروب إلى بعد صلاة العشاء ومن طلوع الفجر إلى الإسفار ، وكانوا قبل دخول الكهرباء بالمسجد الحرام يضيئون القناديل التي على الأساطين المحاطة بصحن المطاف والمقامات الأربعة ولهم في كل ذلك نظام خاص بهم حسب عادتهم القديمة ، وأما وظائفهم وترتيباتهم وقواعدهم في الترقِّي والخدمة فهي أول ما يدخل الأغاة في الخدمة يسمى نفر ، وله الخدمة . ثم يترقّى بعد ذلك بالتسلسل حتى يبلغ وظيفة شيخ المفتاح ، وهذه الوظيفة هي أمانة مفاتيح غرف الأدوات من شماعدين وأواني تنظيف مدار المطاف ، والحجْر ، وأطراف الكعبة ، وغير ذلك . ثم يترقّى بعد ذلك إلى وظيفة (دُورْوَرَى) ، وهي مراقبة الأغوات حال قيامهم بتنظيف الصحن وما حوله ، ثم يترقى إلى مرتبة[2] ضابط ، ويسمى ضابط أول ويدخل في سلك (البطالين) ، ووظيفة البطالين كنس مدار المطاف وما يتبعه من حجْر إسماعيل ، وتنظيم صفوف المصلين داخل الصحن ، وفرش[3] الحجر المَحيط بالصحن

(١) الأغوات : أي طواشية المسجد الحرام ، الكردي - نفسه ج ٤ ص ٢٣٧ .
(٢) في الأصل « رتبت » .
(٣) في الأصل « والفرش » .

الذي عليه مقامات الأئمة فقط . ثم يترقى إلى رتبة (خبزي) وهؤلاء الخبزية لا يتجاوز عددهم أحد عشر نفراً على الدوام ، فإذا مات أحدهم ارتقى إلى [٣٦٥] وظيفته أقدم البطالين خدمة ، ثم يترقى من الخبزية فيبلغ / وظيفة (بيت المال) الخاص لهم ، ثم يترقى إلى (نقيب) ، ثم يترقى من نقيب إلى شيخ طائفة الأغوات ، وشيخهم الحالي هو الشيخ حسن هِبة . هذا ما عليه أغوات الحرم في العصر الحاضر[١] .

غسل داخل الكعبة :

جرت العادة بغسل داخل الكعبة المعظمة من عهد بعيد ، وكان أول من ابتدأ غسل الكعبة رسول الله ﷺ ، وذلك يوم فتح مكة ، فبعد أن كسر الأصنام وأزال عنها معالم الشرك أمر بغسلها .

وقد روى السنجاري[٢] في «منائح الكرم» ذلك وهذا نصه ، قال : « إنّ النبي ﷺ أمر بغسل الكعبة بعدما كسر الأصنام وطمس التصاوير ، فتجرَّد المسلمون في الأزُر ، وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم ، وغسلوا الكعبة ظاهرها وباطنها فلم يَدَعوا أثراً من آثار المشركين إلاّ غسلوه ومحوه » .

وهذه الرواية نقلها عن التقي الفاسي[٣] رواها عن الفاكهي[٤] .

(١) ذكر الكردي ما يلي : « عدد أغوات المسجد الحرام في عصرنا هذا ٢٤ شخصاً عليهم شيخ ونقيب . فمن أعمالهم القيام بتنظيف دائرة المطاف وما يليها فقط ليلاً ونهاراً ، والقيام بخدمة الخطيب حال الخطبة على المنبر ، ولهم لباس خاص يعرفون به . كما لهم نظام يشتغلون به . وكل منهم له لقب خاص اصطلحوا عليه فيما بينهم . يحترمون شيخهم ولا يخرجون عن أمره مطلقاً ، التاريخ القويم ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٢) السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ١١٢ .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٣٠ .

(٤) الفاكهي - ج ٥ ص ٢٢١ (الملحق) .

ثم صار غسيل الكعبة المعظمة بعد ذلك عادة تجري وسنة متبعة ، من عهد رسول الله ﷺ إلى العصر الحاضر ، أما غسل الكعبة في العصر الحاضر فهو يجري في العام مرتين : مرة قبل الحج ، ومرة بعد سفر الحجاج من مكة ، وغالباً يكون الغسل في المرة الأولى في أواخر شهر ذي القعدة ، / وربما كان [٣٦٦] في أول ذي الحجة من كل سنة ، والمرة الثانية : غالباً يكون غسل الكعبة في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول .

أما كيفية الغسل فإليك تفصيله : وهو أنه في صباح اليوم المعين لغسل الكعبة المعظمة ، يحضر رئيس سدنة الكعبة المعظمة إلى الحطيم ، بعد شروق الشمس بلحظة ، ومعه السدنة آل الشيبي ، فيفتح باب الكعبة المعظمة . ثم يأتي أتباع السدنة بغلال فيها ماء الورد ، وقوارير فيها عطر الورد ، وبالمباخر والعنبر ، والعود ، والندّ ، ويؤتى بالأُزُر وهي تكون غالباً من النوع الذي يسمى (بالشال الكشميري) لأجل الاتزار بها حال غسل الكعبة المعظمة .

وقد جرت العادة أن يدعو رئيس السدنة ولاة الأمر ، من ملوك ، أو أمراء ، أو ولاة ، ووزراء الدولة ، والقاضي ، ورؤساء الدوائر ، إلى غسل الكعبة ، وقبل حضورهم بلحظة يكون كل مواد الغسل حاضرة ، وتحضر مديرية الأوقاف عادة المكانس ، ويحضر شيخ الزمازمة الموكلين بسقاية الحاج ماء زمزم ، سطولاً مملوءة من ماء زمزم إلى الكعبة ، فيستلمها منهم السدنة وأتباعهم ويدخلونها الكعبة المعظمة .

وبعد استكمال كل ذلك بداخل الكعبة المعظمة ، يحضر المدعوون لغسل الكعبة بداخل الكعبة ، ويأخذ كل واحد منهم إزاراً فيرتدي به ، ثم يحمل المكنسة ، ويباشر الجميع غسل الكعبة المعظمة بماء زمزم مضافاً إليه ماء الورد ، ثم بعد إتمام غسل أرض الكعبة وبعض أطراف جدارها / السفلي ، يباشرون [٣٦٧]

مسح جدارها إلى ارتفاع قامة الإنسان بماء الورد أولاً ، ثم يطيبونها بعطر الورد، ويوضع ذلك في طاسات من معدن أبيض أو بلور ، وبعد انتهاء عمل الطيب بالعطر يضعون العنبر ، والعود ، والند ، في مباخر بديعة فاخرة ، وتبخر بها عموم أطراف الكعبة ، وجميع جوانبها بعد تجفيف أرضها بالإسفنج، وبعد إتمام غسل الكعبة المعظمة وتطييبها، يقسمون السدنة تلك المكانس على الناس المجتمعين عند باب الكعبة .

وقد حضر جلالة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود غسل الكعبة المعظمة بنفسه عدة مرات ، وباشر غسلها بيده الميمونة ، وحضر معه في كثير من المرات غسل الكعبة ولي عهد المملكة العربية السعودية ، صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز ، ونائبه العام صاحب السمو الملكي رئيس مجلس الوكلاء الأمير فيصل بن عبد العزيز ، وأصحاب السمو إخوان جلالته الفخام ، وبعض أنجاله المباركين ، وبعض الأسرة الكريمة ، ورجال الدولة ، وقضاتها.

وقد حضرتُ غسل الكعبة المعظمة ، وباشرتُ الغسل بنفسي عدة مرات ، وأول مرة حضرتُ غسل الكعبة سنة ١٣٢٦هـ وذلك في عصر رئاسة[١] صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ محمد صالح بن أحمد الشيبي ، ولا يزال الأمر في غسل الكعبة جارياً حسبما وصفتُ إلى هذه السنة التي حررت فيها هذا المؤلف .

---

(١) في الأصل « رآسة » .

[٣٦٨] / **حكم التصرف في كنز الكعبة وكسوتها :**

روى البخاري في صحيحه [(١)] عن أبي وائل قال : « جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر -رضي اللّه عنه- فقال : لقد هممت ألا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته . قلت : إن صاحبيك لم يفعلا . قال : هما المرآن أقتدي بهما » . اهـ .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»[(٢)] : « وفي رواية الإسماعيلي والمحاربي : فقام كما هو وخرج . يعني عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- أنه لما أخبره شيبة بن عثمان الحجبي أن صاحبيه وهما رسول اللّه ﷺ، وأبو بكر الصديق -رضي اللّه عنه- لم يفعلا ، أي : لم يستوليا على كنز الكعبة ، ولم يقسّماه على أحد ، بل إنهما تركاه ، قال عمر رضي اللّه عنه : هما المرآن أقتدي بهما . فقام كما هو وخرج ولم يفعل شيئاً .

ثم قال الحافظ بن حجر[(٣)] : « ودار نحو هذه القصة بين عمر أيضا وأبيّ بن كعب ، أخرجه عبدالرزاق ، وعمر بن أبي شيبة من طريق الحسن ، أن عمر أراد أن يأخذ كنز الكعبة فينفقه في سبيل اللّه ، فقال له أبيٌّ بن كعب : قد سبقك صاحباك فلو كان فضلاً لفعلاه » . انتهى .

[٣٦٩] / وروى الأزرقي في تاريخه[(٤)] «أخبار مكة» : « أن النبي ﷺ وجد في الجبّ الذي في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب ، مما كان يُهدى إلى البيت ،

---

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٥٩ باب كسوة الكعبة .

(٢) ابن حجر - فتح الباري - ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٣) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢٤٧ .

وأنَّ عليّ بن أبي طالب -كرم اللّه وجهه- قال : يا رسول اللّه ، لو استعنت بهذا المال على حربك ؟ فلم يحركه » .

وروى الأزرقي[1] عن الحسين بن علي ، « أن عمر -رضي اللّه- عنه قال لعليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه : لقد هممتُ أن أقسم هذا المال - يعني كنز الكعبة - فقال له علي : إن استطعتَ ذلك. فقال عمر : وما لي لا أستطيع ذلك ، أوَلا تعينني على ذلك ؟ فقال علي : إن استطعتُ ذلك . فردّها عمر ثلاثاً ، فقال علي رضي اللّه عنه : ليس ذلك إليك . فقال عمر : صدقتَ » . انتهى .

قال ابن بطال[2] : « أراد عمر لكثرته ، إنفاقه في منافع المسلمين ، ثم لما ذكر بأن النبي ﷺ لم يتعرض له أمسك ، وإنما ترك ذلك - واللّه أعلم - لأن ما جُعل في الكعبة وسبّل لها يجري مجرى الأوقاف ، فلا يجوز تغييره عن وجهه ، وفي ذلك تعظيم الإسلام وترهيب العدو »[3] .

وروى الفاكهي[4] : «أنه ﷺ وجد فيه يوم الفتح ستين أوقية ، فقيل له : لو استعنْتَ بها في حربك ، فلم يحركه» .

قال الحافظ ابن حجر[5] : « وقع عند مسلم في بعض طرق الحديث

(١) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ٢٤٦ .
(٢) نفسه ج١ ص ٢٤٦ .
(٣) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٧ .
أضاف ابن حجر : « قلت : أما التعليل الأول فليس بظاهر من الحديث، بل يُحتمل أن يكون تركه النبي ﷺ لذلك رعاية لقلوب قريش كما ترك مكان الكعبة على قواعد إبراهيم » .
(٤) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ٢٣٥ (الملحق) .
(٥) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٧ .

«ولأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله»[1] وهذا التعليل معتمَد، وعلى هذا فإنفاقه جائز ، كما جاز لابن الزبير بناؤها على قواعد إبراهيم » . انتهى .

[٣٧٠] / وقد ترجم البخاري في صحيحه لكسوة الكعبة[2] المعظمة ، ولم يذكر غير الحديث المتقدم في أول الباب ، ولم يشمل ذلك الحديث إلا كنز الكعبة .

قال ابن بطال[3] : « معنى الترجمة صحيح ، ووجهها أنه معلوم أن الملوك في كل زمان كانوا يتفاخرون بكسوة الكعبة برفيع الثياب المنسوجة بالذهب وغيره ، كما يتفاخرون بتسبيل الأموال لها ، فأراد البخاري أن عمر لما رأى قسمة الذهب والفضة صواباً كان حكم الكسوة حكم المال يجوز قسمتها ، بل ما فضل من كسوتها أوْلى بالقسمة » .

قال الحافظ ابن حجر[4] : « إنه روى الفاكهي[5] في كتاب مكة من طريق علقمة بن أبي علقمة عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت : دخل عليّ شيبة الحجبي فقال : يا أمّ المؤمنين ، إن ثياب الكعبة تجتمع عندنا فتكثر ، فننزعها ، ونحفر بياراً[6] فنعمقها ، وندفنها؛ لكي لا تلبسها الحائض والجنب. قالت : بئسما صنعت ، ولكن بعْها، فاجعل ثمنها في سبيل الله وفي المساكين ، فإنها إذا نُزعت عنها لم يضرّ مَنْ لبسها من حائض أو جنب .

---

(١) ولفظ الحديث عند مسلم : « لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال بكفر - لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ، ولجعلت بابها بالأرض ، ولأدخلت فيها من الحِجْر » . صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٥٩ باب ٤٨ كسوة الكعبة . ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٣) ابن حجر - فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢٤٩ .

(٥) الفاكهي - أخبار مكة ج ٥ ص ص ٢٣١ - ٢٣٢ (في الملحق) .

(٦) في فتح الباري « أبياراً » ج ٧ ص ٢٤٩ .

فكان شيبة يبعث بها إلى اليمن فتباع له ، فيضعها حيث أَمَرَتْهُ » [١] . انتهى .

فظهر من عموم ما تقدم ، جواز إنفاق كنز الكعبة في سبيل اللّه ، وعدم الجواز ، وأدلة المنع أقوى من أدلة الجواز .

وأما التصرف في كسوة الكعبة بالبيع وما في معناه ، فقد أجازت أم المؤمنين عائشة -رضي اللّه عنها- شيبة بن عثمان الحجبي -رضي اللّه عنه- بيعها ولبسها حتى للحائض والجنب .

وأما / كنز الكعبة ، فليس له أثر من عهد بنائها الأخير الذي وقع سنة [٣٧١]
١٠٤٠هـ [٢] ، وقد أخذ مراراً .

فروى نجم بن فهد القرشي [٣] في تاريخه «إتحاف الورى» في حوادث سنة ٢٠٠ قال : « إن الحسين بن الحسن الأفطس أخذ ما في خزانة الكعبة ، وكان مالاً عظيماً وانتقله إليه ، وقال : ما تصنع الكعبة بهذا المال ، موضوعاً لا ينتفع به؟ نحن أحقّ به نستعين به ، فقسمه مع كسوتها على أصحابه » .

وذكر [٤] في حوادث سنة ٢٠٢ قال : « وفيها جاء إبراهيم بن موسى

---

(١) أضاف ابن حجر قوله : « وأخرجه البيهقي من هذا الوجه ، لكن في إسناده راوٍ ضعيف ، وإسناد الفاكهي سالم منه » فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٩ .

(٢) وقد علق الكردي على ذلك بقوله :

« ونحن نرى في هذه المسألة - أي أنه ذهب في عمارة عام ١٠٤٠هـ - غير ما رآه - أي باسلامة ، ونذهب إلى غير ما ذهب إليه ، فإنه لا يخفى على من اطلع في التاريخ أن سلاطين آل عثمان كانوا يعظمون الكعبة المشرفة وجميع المشاعر غاية التعظيم ، وكانوا يهدون إليها مختلف الهدايا الثمينة ، فلا يعقل أن يذهب ما في الكعبة من الأموال والهدايا في عمارة السلطان مراد خان الرابع التي كانت سنة ١٠٤٠ هـ » . ثم أيد كلامه بما ذكره باسلامة نفسه في حديثه عن بناء الكعبة سنة ١٠٤٠هـ. التاريخ القويم ج ٤ ص ١٤٩ .

(٣) ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٧٨ .

الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي إلى مكة ، مقبلاً من اليمن ، فسمع به يزيد بن محمد - وكيل أمير مكة - فخندق على مكة وشبكها بالبنيان من أنقابها ، وأرسل إلى الحجبة - آل شيبة سدنة الكعبة - فأخذ منهم السرير الذي بعث به المأمون [1] وما عليه ، فاستعان به على حربه ، وقال : أمير المؤمنين يخلفه لها ، وضربه دنانير ، ودراهم » .

وذكر[2] في حوادث سنة ٢٥١ : « وفيها قطعت بنو عقيل طريق جدة ، فحاربهم أمير مكة جعفر بن الفضل[3] ، فقتل من أهل مكة نحو ثلاثمائة رجل ، فغلت الأسعار بمكة ، وأغارت الأعراب على القرى .

وفيها [خرج][4] بمكة إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فهرب عنها عاملها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العباسي ، ونهب إسماعيل منزله ومنازل السلطان ، وقتل الجند ، وجماعة من أهل مكة ، نحواً من ثلاثمائة رجل ، وفعل أفعالاً قبيحة من القتل والنهب والإحراق ، وبلغ به الحال / في النهب [٣٧٢] إلى أن أخذ ما كان حُمِلَ لإصلاح العين[5] من المال ، وما في الكعبة من الذهب ، وما في خزانتها من الذهب ، والفضة ، والطيب ، وكسوة الكعبة ،

---

(١) السرير الذي بعثه المأمون سنة ٢٠١ هـ كان لأحد ملوك التبت أسلم . وكان السرير من فضة مربع مرتفع عن الأرض على قوائم ، وعلى السرير فرشة الديباج ، وعلى أطراف الفراش أزرار من ذهب وفضة مرخاة . انظر : ابن فهد النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ص ٢٧١ - ٢٧٨ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٩ .

(٣) جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد العباسي أمير مكة ، المعروف بشاشات . انظر : الفاسي - العقد الثمين ج ٣ ص ٤٢٧ ، ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ٤٣٣ .

(٤) سقطت كلمة [خرج] من الأصل . والإثبات من إتحاف الورى ج٢ ص ٣٢٩ .

(٥) أي عين حنين - زبيدة - المشهورة .

وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار ، وخرج من مكة بعد أن نهبها وأحرق بعضها ، في ربيع الأول ، بعد خمسين يوماً »[1] .

وذكر ابن فهد في حوادث سنة ٢٦٦[2] : « أنه في يوم التروية ، قدم محمد ابن أبي الساج[3] مكة ، فحاربه المخزومي[4] فهزمه محمد واستباح ماله .

وفيها وثب الأعراب على كسوة الكعبة وانتهبوها ، فصار بعضها إلى صاحب الزنج[5] ، وأصاب الحاج فيها شدة » .

وذكر التقي الفاسي في «شفاء الغرام»[6] في حوادث سنة ٤٠٢ : « أن الوزير أبا القاسم المغربي لما قتل الحاكم أباه، هرب منه إلى آل الجراح ، واستجار بهم، فبعث الحاكم إليهم مَنْ حاربهم ، فكان الظفر لآل الجراح ، فحسَّن لهم الوزير المغربي عزل الحاكم ومبايعة أبي الفتوح ، وقصد أبا الفتوح بمكة ، وحسّن له طلب الخلافة ، فاعتذر له بقلة المال ، فحسّن له أخذ مال الكعبة ، ولم يزل به حتى أخذ مال الكعبة ، وأموالاً للتجار من جدة ،

---

(١) وانظر تفاصيل هذه الفتنة عند ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ص ٣٢٩ - ٣٣١ ، محمد ابن جرير الطبري - تاريخ ج ١١ ص ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ابن الأثير - الكامل ج ٧ ص ٥٨ ، ابن فهد - عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ص ٤٣٤ - ٤٣٧ .

(٢) ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٣٤١ .

(٣) محمد بن أبي الساج الملقب بالأفشين - أمير مكة . انظر : الفاسي - العقد الثمين ج ٢ ص ٢٥ ، ابن فهد - عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٤) المخزومي : هو محمد بن عيسى بن محمد أبو المغيرة المخزومي - أمير مكة . انظر : الفاسي - العقد الثمين ج ٢ ص ٢٤٦ ، ابن فهد - عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ٤٥٨ .

(٥) صاحب الزنج : هو الدعيّ علي بن أحمد الذي أكثر في الأرض الفساد في حركته بالزنج والتي استمرت فترة طويلة ، من ٢٥٦ هـ إلى مقتله على يد الموفق أحمد طلحة سنة ٢٧٠هـ . فصل في ذلك ابن الأثير - الكامل ج ٥ ص ص ٣٥٨ - ٣٧٣ ، ج ٦ ص ص ٢ - ٥٤ .

(٦) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١١٩ وفيه تفصيل حركة أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن الحسني المكي وخروجه على طاعة الحاكم بأمر الله العبيدي . وانظر - ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ص ٤٣٦ - ٤٤١ .

وخطب لنفسه بمكة ، وبايعه شيوخ بني حسن وغيرهم من سكان الحرمين ، وتلقب بالراشد» .

وذكر ابن فهد في حوادث[1] سنة ٤٦٢ : « أنه قطع أمير مكة أبو هاشم محمد بن جعفر ، المعروف بابن أبي هاشم الحسني ، خطبة المستنصر العبيدي ، صاحب مصر ، وأخذ قناديل الكعبة ، وستورها ، وصفايح الباب ، لما لم يصله شيء من جهة / المستنصر العبيدي صاحب مصر ، لاشتغاله عنه بما هو [٣٧٣] فيه من القحط المفرط ، والوباء الذي لم يُسمع بمثله في الدهر ، وأعاد الخطبة العباسية بعد قطعها نحو مائة سنة ، وخطب للخليفة القائم بأمر اللّه أبي جعفر عبداللّه بن عبدالقادر أحمد بن إسحاق بن المقتدر العباسي ، ثم للسلطان عضد الدولة ألب أرسلان ، وترك الأذان بـ(حيّ على خير العمل) » .

وذكر في حوادث[2] سنة ٥٨٦ : « أنه أخذ أمير مكة داود[3] بن عيسى بن فليتة ما في الكعبة من الأموال ، وطوقاً كان يمسك الحجر الأسود » .

هذا ما ذكره ابن فهد القرشي في تاريخه عن نهب كنز الكعبة وحليها ، وغير ذلك ، وقد قلنا غير مرة : إنّ معظم مصائب الإسلام من بعض المسلمين ، فلا حول ولا قوة إلاّ باللّه ، ولذلك لم يوجد في العصر الحاضر شيء يسمى كنز الكعبة ، غير بعض قناديل معلقة في سقف الكعبة لا يعلم حقيقتها ، ولو فيها خير لما بقيت إلى اليوم .

---

(١) ابن فهد - النجم - إتحاف الورى ج ٢ ص ٤٧٢ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٥٩ .

(٣) داود بن عيسى بن فليتة بن قاسم الحسني المكي أمير مكة . انظر : الفاسي - العقد الثمين ج ٤ ص ٣٥٤ ، ابن فهد - عز الدين - غاية المرام ج ١ ص ٥٣٤ .

[٣٧٤] / جواز بيع كسوة الكعبة :

قد تقدم في الباب الذي قبل هذا ، حديث عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنها أجازت شيبة بن عثمان الحجبي -رضي الله عنه- بيع كسوة الكعبة العتيقة .

وروى التقي الفاسي في «شفاء الغرام» [١]، عن كثير من العلماء القائلين بجواز بيع كسوة الكعبة ، فقال : « إن العلماء اختلفوا في جواز بيع كسوة الكعبة ، فنقل جواز ذلك عن عائشة ، وابن عباس ، وجماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم ، ومنع من ذلك ابن القاضي وابن عبدان من الشافعية ، وذكر الحافظ صلاح الدين خليل بن كَيْكَلْدي [٢] العلائي الشافعي في قواعده : أنه لا يتردد في جواز ذلك الآن ؛ لأجل وقف الإمام ضيعة[٣] معينة على أن يصرف ريعها في كسوة الكعبة ، والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها ، فيتنزل لفظ الواقف عليها ، قال : وهذا ظاهر لا يعارضه المنقول المتقدم » . اهـ .

وقال الفاسي [٤] : « وكان أمراء مكة يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة ، وجانباً كبيراً من كسوتها ، أوْ ستّ آلاف درهم كاملة عوضاً عن ذلك ، فسمح لهم بذلك الشريف عنان[٥] بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي لما

---

(١) الفاسي - شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٥ .

(٢) في الأصل « ابن صلاح الدين خليل بن كيكلندي » ، وهو صلاح الدين العلائي خليل بن كَيكلديّ بن عبدالله العلائي الدمشقي ، أقام في القدس مدرساً في الصلاحية سنة ٧٣١ هـ ؛ محدث ، بحاثة ، من كتبه « المجموع المذهب في قواعد المذهب » في فقه الشافعية وغيره كثير . الزركلي - الأعلام ج ٢ ص ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٣) في الأصل « ضعية » .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٦ .

(٥) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نميّ الحسنيّ أمير مكة ت سنة ٨٠٥ هـ . الفاسي - العقد الثمين ج ٦ ص ٤٣٠ ، ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج ٢ ص ٢٠١ .

ولي إمـرة مكة في أواخـر سنة ٧٨٨ ، وجـرى على ذلك الأمـراء بعـده في الغالب، ثم إن السَّيد حسن بن عجلان [1] بعد سنين من ولايته لمكة ، صار / [٣٧٥] يأخذ منهم ستارة باب الكعبة ، وكسوة مقام إبراهيم ، ويهدي ذلك لمن يرجوه من الملوك وغيرهم » . اهـ .

وقال القاضي ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف» [2] : « يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا[3] إذا استغنت عنه . وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم ، ويجوز الشراء من بني شيبة ؛ لأن الأمر مفوّض إليهم من قِبَل الإمام ، نصَّ عليه الطرسوسي من أصحابنا في شرح منظومته [4]، ووافقه السبكي من الشافعية ، ثم قال[5] : وعليه عمل الناس ، والمنقول عن ابن الصلاح أن الأمر فيها للإمام، يصرفها في بعض مصاريف بيت المال بيعاً وعطاءً ، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، واستحسن النووي الجواز » . اهـ .

وقال قطب الدين الحنفي في «الإعلام»[6] : « ومذهب علمائنا[7] في ذلك رجوع أمره إلى السلطان ، قال الإمام فخر الدين قاضي خان في كتاب الوقف

---

(١) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني أمير مكة ت سنة ٨٢٩ هـ . الفاسي - العقد الثمين ج ٤ ص ٢٨٦ ، ابن فهد عز الدين - غاية المرام ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٢) ابن ظهيرة - الجامع اللطيف ص ص ٦٩ - ٧٠ .

(٣) أي: الأحناف ، فابن ظهيرة على المذهب الحنفي .

(٤) قال الإمام نجم الدين الطرسوسي في منظومته :

وما على الكعبة من لباس ... إن جاز بيعه للناس

ولا يجوز أخذه بلا شـرا ... للاغنياء إلا ولا للفقرا

قطب الدين الحنفي - الإعلام ص ٧٢ .

(٥) أي: السبكي - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٦٩ .

(٦) القطب الحنفي - الإعلام ص ٧٢ .

(٧) أي: الأحناف، فالقطب حنفي المذهب .

من فتاواه ، ديباج الكعبة إذا صار خلقاً يبيعه السلطان ، وليستعين به في أمر الكعبة ؛ لأن الولاية فيه للسلطان لا لغيره » .

وقال ابن الصلاح[1] : « مفوض إلى رأي الامام ، والذي يقتضيه القياس ، أن العادة استمرت قديماً بأنها تُبَدّل كل سنة ، وتأخذ بنو شيبة تلك العتيقة ، فيتصرفون فيها بالبيع وغيره ، والذي يظهر لي أن كسوة الكعبة الشريفة إن كانت من قِبَل السلطان من بيت مال المسلمين ، فأمرها راجع له ، يعطيها لمن شاء من الشَيبيين وغيرهم ، وإن كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم ، فأمرها راجع إلى شرط الواقف فيها ، فهي لِمَنْ / عيّنها له ، وإن جهل شرط [٣٧٦] الواقف فيها ، عمل فيها بما جرت العوائد السابقة فيها ، كما هو الحكم في سائر الأوقاف ، وكسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين ، ولم يُعلم شرط الواقف فيها ، وقد جرت عادة بني شيبة أنهم يأخذون لأنفسهم الكسوة العتيقة ، بعد وصول الكسوة الجديدة ، فيبقون على عادتهم فيها ، والله أعلم» . اهـ .

هذا حاصل ما وقفتُ عليه من أمر جواز تصرف آل الشيبي في كسوة الكعبة المعظمة ، من بيع ، وإهداء ، وغير ذلك .

وأما ما كان يأخذه أمراء مكة من كسوة الكعبة ، فالذي أعلمُه في العصر الحاضر ، أن أمراء مكة كانوا يأخذون ستارة باب الكعبة ، والحزام ، وثوب مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وآل الشيبي يأخذون كسوة الكعبة ، وستارة باب التوبة ، الذي هو باب الدرجة التي في داخل الكعبة المصعدة إلى سطحها ، وستارة باب مقام إبراهيم الخليل ﷺ ، وذلك

---

(١) القطب الحنفي - الإعلام ص ٧٣ .

كان في أمارة الشريف عون الرفيق ، والشريف علي بن عبدالله[1] ، والشريف الحسين[2] في إمارته ، واستقلاله وربما كان الأمر كذلك في إمارة من تقدم قبل إمارة مَنْ أدركتهم من الأمراء مثل الشريف عبدالمطلب ، والشريف الحسين بن محمد بن عون ، والشريف عبدالله بن محمد ، والشريف محمد بن عبدالمعين بن عون ، والشريف يحيى بن سرور ، والشريف غالب وغيرهم من أمراء مكة إلى الذي ذكره التقي الفاسي فيما تقدم في هذا الباب .

[٣٧٧] ثم لما استولى جلالة الملك / عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود ملك المملكة العربية السعودية - حفظه الله تعالى - على الحجاز ، أنعم على آل الشيبي بجميع كسوة الكعبة من ستارة ، وحزام ، وغير ذلك ، سواء حال مجيء الكسوة من مصر ، أو الكسوة التي أمر جلالته بعملها في المعمل الذي أنشأه في أجياد كما تقدم تفصيله . وبعمله هذا زال كلّ إشْكال عند بعض الفقهاء القائلين بأن أمر بيع كسوة الكعبة وتصرف آل الشيبي راجع إلى شرط الواقف ، أو أمر السلطان ، وعليه صارت الكسوة حقًا من حقوق آل الشيبي يتصرفون فيها كيف شاؤوا ، وذلك وفقاً لإرادة جلالة الملك المعظم ، ورأي معظم الفقهاء القائلين بجواز البيع .

وأما تقسيم الكسوة بين آل الشيبي ، فكلهم فيها سواء الشيخ ، والشاب ، والطفل ، والذكر ، والأنثى ، تقسم بينهم بالسوية ما عدا رئيسهم صاحب

---

(١) الشريف علي بن عبدالله - ولي الشرافة بعد عون الرفيق سنة ١٣٢٣ هـ وعزل سنة ١٣٢٦هـ . الكردي - التاريخ القويم ج ٤ ص ٢٢٨ .

(٢) الشريف الحسين بن علي - ولي شرافة مكة سنة ١٣٢٦هـ ، وقام بثورته على الدولة العثمانية سنة ١٣٣٤ هـ واستمر إلى سنة ١٣٤٣ هـ بدخول الملك عبد العزيز آل السعود الحجاز . التاريخ القويم ج ٤ ص ٢٢٨ .

المفتاح، فله سهمان ، وذلك باتفاقهم جميعاً ، وهذه قاعدتهم من قديم الزمان إلى العصر الحاضر على ما علمت[1] ، والله أعلم .

[٣٧٨] / **حوادث تتعلق بالكعبة والسدنة :**

قال السنجاري[2] : « حكى الفاسي[3] ، أن خالد بن عبدالله القسري[4] - كان أميراً على مكة من قِبَل سليمان بن عبدالملك بن مروان الأموي - أخاف عبدالله بن شيبة الحَجبي ، فهرب منه إلى سليمان بن عبدالملك ، مستجيراً به منه . فكتب إليه سليمان كتاباً يأمره فيه سأن لا تهيِّجْه» ، فجاء عبدالله بن شيبة بن عثمان بالكتاب ، فلما أعطاه لخالد أخذه ، ووضعه ، ولم يقرأه ، وأمر بعبدالله بن شيبة فجُلد ، ثم فتح الكتاب وقرأه ، وقال : لو قرأتُه قبلُ لَمْ أجلدك . فرجع عبدالله إلى سليمان فأخبره بذلك ، فأمر سليمان بالكتابة في خالد ، وأن تُقطع يده . فكلّمه فيه يزيد بن المهلب[5] وشفع فيه ، فكتب له أن تقيده ، فأقيد منه عبدالله » .

قال الفاسي : « ولعلّ هذا الفعل سبب عزله ، فإنه عزله ، وولي مكة طلحة ابن داود الحضرمي » . انتهى .

---

(١) ولما رأت الحكومة السعودية أن الحجاج يعتقدون في الكسوة القديمة البركة وغيرها مما لا يقره الدين الحنيف ، قامت بالاحتفاظ بالكسوة القديمة ، وتعويض آل الشيبي عنها بمبلغ من المال سنوياً يقسم بينهم بالسوية عدا صاحب المفتاح فله سهمان .
جريدة الجزيرة - الجمعة ١٥ صفر ١٤٠٢هـ العدد ٣٣٨٦ ص ٧ .
وكان ذلك منذ سنة ١٣٧٨هـ . التاريخ القويم ج ٤ ص ٢٢٨ .

(٢) السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) الفاسي - شفاء الغرام ٢/ ١٧٣ .

(٤) خالد بن عبدالله القسري البجلي ، ولي مكة للوليد بن عبدالملك ولسليمان ، ثم العراقين لهشام ابن عبدالملك ت سنة ١٢٦ هـ . الذهبي - سير ج ٥ ص ص ٤٢٥ - ٤٣٢ .

(٥) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، أبو خالد الأزدي ، والي المشرق للأمويين ، قتل سنة ١٠٢ هـ ، الذهبي - سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ص ٥٠٣ - ٥٠٦ .

فهذا يدل على كرامة آل شيبة عند أمراء المؤمنين ، حيث لما اعتدى خالد القسري بصفته أمير مكة على عبدالله بن شيبة ، أمر أمير المؤمنين سليمان بن عبدالملك بقطع يده ، ثم بقوده - أي أخذ القصاص منه - بعد شفاعة يزيد بن المهلب ، ثم بعد أن اقتص منه عزله ، وقد حدث من خالد القسري جملة أمور بمكة تدل على تطرُّفه الشنيع في ابتداء ولايته ، ثم لـمّا تولى العراق صلح أمره ثم امتحن ، وكل / ذلك قد أوضحته في الجزء الثالث من القسم الثالث من [٣٧٩] «تاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية» في قسم خلفاء[١] بني أمية .

وروى السنجاري في تاريخه[٢] قال : « ذكر الشيخ محيي الدين بن عربي في كتابه «المسامرة» أن المهدي لما حج سنة ١٦٠ دخل الكعبة ومعه منصور الحجبي فقال له المهدي في جوف الكعبة : أذكر حاجتك ، فقال منصور : إني أستحي من اللّه أن أسأل في بيته غيره ، فسكت المهدي فلما خرج بعث إليه بعشرة آلاف دينار » .

وروى[٣] أيضاً : « أن السلطان قايتباي أمر في سنة ٨٨٤ بغسل الكعبة ، وتطييبها ظاهراً باطناً ، فحضر شريف مكة الشريف محمد بن بركات ، وقاضي مكة برهان الدين بن ظهيرة ، وجُرِّدت الكعبة ، وغُسلت ظاهراً وباطناً ، وطُيِّبت بماء الورد والمسك ، ثم أُعيد ثوبها » .

ونقل[٤] عن الجزيري[٥] في تاريخه : « أنه في سنة ٩٥٤ يوم السابع من

---

(١) في الأصل « خلافاء » .

(٢) السنجاري - منائح الكرم ج ١ ص ١٦٢ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ١٣٨ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ١٦٠ .

(٥) الجزيري - الدرر الفرائد ج ٢ ص ٨٩١ .

ذي الحجة ، رأى الطائفون وقت السحر دخاناً صاعداً من جهة الكعبة ، فوصل الخبر إلى الشريف[1] ، فنزل بنفسه ومعه أكابر الدولة ، ففتحت الكعبة فوجدوا[2] ناراً في عقب الدرفة اليمنى من باب الكعبة ، فعزلوا الباب المذكور، وأطفؤوا[3] النار وأعادوه على حاله » .

وذكر[4] في حوادث سنة ٩٧٦ : « أنه لثلاث بقين من رمضان ، فتح الشيخ عبدالواحد الشيبي الكعبة المشرفة للنساء على جري العادة ، فَسُرِق من حجره مفتاح الكعبة ، وهو مصفح بالذهب ، فوقعت الضجّة وأُغلقت أبواب الحرم ، وفُتشت الناس ، فلم يظفروا به، ثم وجده سنان باشا[5] باليمن ، مع [٣٨٠] رجل / أعجمي ، فأخذه وقرَّره وكبس داره ، فوُجد عنده المفتاح وغيره من سرقات أقرّبها ، فَقُطِع رأسه وأعاد المفتاح إلى الشيخ عبد الواحد » . انتهى .

وروى السنجاري[6] في حوادث سنة ١٠٨٧ : « أنه لما كان يوم الخميس ٨ شوال من السنة المذكورة ، قد أصبح الناس ، فإذا الكعبة المشرفة ملطخة بعذرة، أو بما يشبه العذرة ، مع جميع جوانبها ، وكذلك الحجر الأسود ، والركن اليماني ، فاتهم بهذا الفعل الشيعة ، فاشتدت حمية الأتراك المجاورين، فأخذوا من الحرم خمسة أنفس من العجم بعد شروق الشمس ، وأوقعوا فيهم بالضرب والرجم بالحجارة وضربًا بالسيوف ، وألقوهم على بعضهم ، ولم يطالب فيهم أحد ، وكان يوماً أغبر على الشيعة بمكة » .

---

(١) كان الشريف أبو نمي هو شريف مكة آنذاك .
(٢) في الأصل « فوجد ونار » .
(٣) في الأصل « واطفؤا » .
(٤) أي: السنجاري ٢/١٧٦ .
(٥) سنان باشا : أشهر المهندسين المعماريين العثمانيين ، صاحب ورشة معمارية ، خدم سليمان القانوني وبنى عشرات المساجد . المنجد - الأعلام ص ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
(٦) السنجاري - منائح الكرم ج ٢ ص ٢٤٧ .

وذكر[1] في سنة ١٠٩٩ : « أنه في يوم الخميس غرة ربيع الثاني ، عمر محمد بك شيئاً من أخشاب الكعبة ، وطلعوا أرسال من جدة جعلوها حول الكعبة من خارج ، وركبوا الكسوة لتغيير إفريز السطح من التي تربط فيها الكسوة؛ لأنه استأكل » .

وذكر[2] في حوادث سنة ١١٠٠ : « أنه في يوم الجمعة ٢٩ المحرم ، طلع أمير مكة الشريف أحمد بن غالب سطح الكعبة المشرفة ، للإشراف على إفريز الكعبة التي تربط فيه الكسوة ، لإخبار المعلمين له بأنه استأكل ويحتاج إلى التغيير ، وجاءه أمر من السلطان بعمارة ما يحتاج إليه من الكعبة ، وتعريف جهة السلطنة بما صرف في ذلك ، فاتفق أنْ وجبت الجمعة ، ودخل الخطيب وهو في الكعبة ، فصلى الجمعة وهو في جوفها . ولما أن فرغ العمل ، أخلع-أي : ألبس- الشيخ عبد الواحد الشيبي ، وولده الشيخ عبد المعطي ، والمهندسين» . اهـ.

/ هذا ما وقفتُ عليه من تاريخ الكعبة المعظمة مما دوّنه جهابذة العلماء في كتبهم ، على اختلاف أنواعها من تفاسير ، ومتون حديث ، وشروحها ، وكتب فقه، ومناسك حج ، وتاريخ ، ومعاجم ودواوين اللغة ، وما في معنى ذلك من شروح ، وحواشي . وقد أتيتُ في هذا الكتاب عموم ما يتعلق بالكعبة المعظمة ، وعموم ما علمته شخصياً منذ أربعين سنة مما وقع في الكعبة، ومتعلقاتها مثل الحجر الأسود ، وحجْر إسماعيل ، وبابها ، وسقفها، وداخلها ، وخارجها ، وكسوتها ، وسدانتها ، وغير ذلك في العصر الحاضر ، من عهد السلطان عبدالحميد خان الثاني ، وأمارة الشريف عون ، والشريف علي بن عبدالله ، والشريف الحسين بن علي ، إلى عصر جلالة الملك [٣٨١]

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٣ .

(٢) نفسه ج ٣ ص ٢٩١ .



مؤلف هذا الكتاب حسين عبدالله با سلامة المكي الحضرمي

صورة رقم (٢٥)

عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل السعود ، وقد أوصلتُ الحوادث ببعضها، من عهد بناء الملائكة -عليهم السلام- للكعبة المعظمة إلى البعثة النبوية، وإلى العصر الحاضر .

وإتماماً للبحث أذكر الحادث العظيم الذي وقع للكعبة المعظمة في نهضة الشريف الحسين بن علي فأقول :

إنه في عصر يوم السبت الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٣٣٤ أثناء الحرب المشتعلة بين الشريف الحسين بن علي والجنود العثمانية حين حصاره لقلعة أجياد ، أطلق أحد الجنود التركية المحصورة في قلعة أجياد قنبلة من مدفعه على جهة المسجد الحرام ، فوقعت شظية من شظايا القنبلة المقذوفة على الكعبة المعظمة من الجهة الجنوبية ، قريباً من سطح / الكعبة ، فأشعلت النار في ثوب [٣٨٢]
الكعبة، من أعلاها في تلك الجهة وبقرب الحجر الأسود ، فلما رأى ذلك الناس فزعوا فزعاً شديداً ، واجتمع أهل البلاد من كل أطرافها، واحتشدوا في المسجد الحرام ، وبعث رئيس السدنة المرحوم الشيخ محمد صالح بن أحمد الشيبي ابنه الشيخ محمد، الذي هو رئيس السدنة الآن ، ففتح باب الكعبة وصعد الناس فأطفؤوا[1] النار في لحظة ، والحمد لله .

وقد وقع من تلك المقذوفات التي كانت تقذف من قلعة أجياد إصابات كثيرة في قباب المسجد الحرام ، وأغلبها كانت تقع في قباب باب الزيادة وبعض الجهة الشمالية من المسجد الحرام ، وباب أم هانىء وبعض الجهة الجنوبية ، وسبب ذلك أن الشريف الحسين وضع من رجاله أناساً في بعض الدور المجاورة للمسجد الحرام ، وصعد منهم أناس في بعض منائر المسجد الحرام ، وصاروا يطلقون بنادقهم على القلعة المذكورة ، فقابلوهم بإطلاق

(١) في الأصل « فأطفوًا » .

المدافع التي وقعت مقذوفاتها على بعض قباب المسجد الحرام ، واحترق من شظاياها ثوب الكعبة ، وقد أبقى الشريف الحسين بعد نهاية الحرب تلك الإصابات والخراب الذي وقع من مقذوفات الجنود التركية من قلعة أجياد بالمسجد الحرام على حالتها مدة من الزمن ؛ لأجل أن يشاهد ذلك الوافدون من حجاج بيت الله الحرام من كل فج عميق ، ثم بعد انقضاء ذلك الموسم ، أمر بإصلاح كلّ خراب .

قاتل الله الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وكم قد وقع في المسجد الحرام من سفك دم ، وقتل ، ونهب ، وسلب ، في العصور المتقدمة / بأسباب الفتن [٣٨٣] من الأمراء والمتغلبين من الكفرة ، والفجرة ، والمشركين ، بل ومن المسلمين أنفسهم مع بعضهم بعضاً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ألهم الله المسلمين رشدهم وألّف بين قلوبهم ، وجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن ، إنه بالإجابة جدير ولما يشاء قدير .

تم بحمد الله تعالى تأليف هذا الجزء بمكة المكرمة ، المشتمل على تاريخ الكعبة المعظمة وما يتعلق بها من بناء ، وكسوة ، وسدانة ، ومرمة ، وما يتبعها من الحجر الأسود ، وحجْر إسماعيل ، والمعجن في ليلة الجمعة الموافقة ٢٢ من شهر المحرم سنة ١٣٥٤ هـ و ٢٦ إبريل سنة ١٩٣٥م ، وتحرر بقلم مؤلفه الراجي من الله في الدارين السلامة حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامة آل باداس الكندي الحضرمي المكي ، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، ويقرنه بالتوفيق والنجاح والصواب آمين ، ٢٢ محرم سنة ١٣٥٤ هـ

حسين عبدالله باسلامة

/ ## مصادر تاريخ الكعبة المعظمة: [٣٨٤]

قد راجعتُ كثيراً من كتب التفسير والحديث والسِّيَر والفقه والمناسك والمعاجم واللغة والتاريخ؛ بُغْية الوصول إلى أي فائدة علمية أو تاريخية، تتعلق بشؤون[1] الكعبة المعظمة، محتوياتها، ومتعلقاتها، مما يربو على مائتي مؤلف؛ لأنه لم يؤلف كتاب خاص بتاريخ الكعبة المعظمة لا قديماً ولا حديثاً على ما علمتُ، وإنما من حيث إن الكعبة المعظمة مذكورة في معظم كتب الإسلام، فكل مؤلف لا يخلو من بحث عن الكعبة المعظمة، وقد ذكرتُ هنا أسماء الكتب التي نقلت منها جملاً صالحة بهذا المؤلَّف، وهي ما تسمّى بمصادر الكتاب، وتركت ذكر أسماء كثير من الكتب التي راجعتها لعدم الإطالة، وباللّه التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عدد		
١	القرآن المجيد	
٢	تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري	المتوفى سنة٣١٠
٣	تفسير القرآن، للإمام أبي محمد البغوي	المتوفى سنة٥١٦
٤	تفسير القرآن، لعماد الدين الحافظ بن كثير	المتوفى سنة٧٧٧
٥	تفسير القرآن، للإمام فخر الدين الرازي	المتوفى سنة٦٠٦
٦	/ تفسير القرآن، لعلاء الدين علي بن محمد الخازن. [٣٨٥]	
	قال في «كشف الظنون»: تم تأليفه سنة ٧٢٥	

(١) في الأصل «بشؤن».

٧	تفسير القرآن، للقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي	المتوفى سنة ٦٨٥
٨	تفسير القرآن، السراج المنير للخطيب	المتوفى سنة ٩٦٧
٩	تفسير القرآن روح البيان، لحقي أفندي	المتوفى سنة ١١٠٠
١٠	كتاب الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي	المتوفى سنة ٢٠٤
١١	مسند الإمام أحمد بن حنبل	المتوفى سنة ٢٤١
١٢	صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري	المتوفى سنة ٢٥٦
١٣	صحيح الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري	المتوفى سنة ٢٦١
١٤	سنن الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني	المتوفى سنة ٢٧٥
١٥	سنن الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي	المتوفى سنة ٢٧٩
١٦	سنن الحافظ ابن ماجة أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني	المتوفى سنة ٢٧٣
١٧	سنن الحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي	المتوفى سنة ٣٠٣
١٨	المدونة، للإمام مالك بن أنس الحميري الأصبحي	المتوفى سنة ١٧٩
١٩	شرح معاني الآثار، للطحاوي الحافظ الفقيه	المتوفى سنة ٣٢١
٢٠	سنن الدارقطني الحافظ الحجة	المتوفى سنة ٣٨٥
٢١	فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني	المتوفى سنة ٨٥٢
[٣٨٦] ٢٢	/ ارشاد الساري شرح صحيح البخاري، للعلامة القسطلاني	المتوفى سنة ٩٢٣
٢٣	شرح صحيح مسلم، للإمام محيي الدين بن شرف النووي	المتوفى سنة ٦٧٦

٢٤ سيرة إمام أهل السير ابن إسحاق — المتوفى سنة ١٥١

رواية ابن هشام عبدالملك بن هشام المعافري — المتوفى سنة ٢١٨

٢٥ الاستيعاب، للحافظ ابن عبد البر الأندلسي — المتوفى سنة ٤٦٣

٢٦ الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني — المتوفى سنة ٨٥٢

٢٧ مناسك الحج، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية — المتوفى سنة ٧٢٨

٢٨ مناسك الحج (الإيضاح)، للإمام النووي

٢٩ زاد المعاد، للحافظ ابن القيم الجوزية — المتوفى سنة ٧٥١

٣٠ شرح الإيضاح، للعلامة ابن حجر الهيتمي — المتوفى سنة ٩٧٩

٣١ الجامع الصغير، للسيوطي — المتوفى سنة ٩١١

٣٢ الأوائل، للحافظ السيوطي

٣٣ كنوز الحقائق، لعبدالرؤوف المناوي — المتوفى سنة ١٠٣١

٣٤ كتاب غاية البيان شرح الهداية، لقوام الدين الحنفي — المتوفى سنة ٧٥٨ خط

٣٥ كتاب البحر العميق لأبي البقاء العمري القرشي المكي الحنفي — المتوفى سنة ٨٥٤ خط

٣٦ حاشية رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين

٣٧ / تاريخ الإمام ابن جرير الطبري — المتوفى سنة ٣١٠ [٣٨٧]

٣٨ تاريخ مروج الذهب، للمسعودي — المتوفى سنة ٣٤٦

٣٩ تاريخ العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي — المتوفى سنة ٣٢٨

٤٠ تاريخ ابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠

٤١ تاريخ مسالك الأبصار، لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩

٤٢ تاريخ البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤

٤٣ تاريخ أبو الوليد الأزرقي في أخبار مكة المتوفى سنة ٢٢٣

٤٤ تاريخ القرى، للمحب الطبري المكي المتوفى سنة ٦٩٤ خط

٤٥ تاريخ العقد الثمين، لتقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ خط

٤٦ تاريخ شفاء الغرام، للتقي الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ خط

٤٧ تاريخ إتحاف الورى، للحافظ نجم الدين بن فهد القرشي المكي المتوفى سنة ٨٨٥ خط

٤٨ تاريخ بلوغ القرى، لعبدالعزيز بن نجم الدين بن فهد القرشي المتوفى سنة ٩٢٢ خط

٤٩ تاريخ الجامع اللطيف، للقاضي ابن ظهيرة المخزومي المكي المتوفى سنة ٩٥٠

٥٠ تاريخ الإعلام، لقطب الدين الحنفي المكي المتوفى سنة ٩٨٨

٥١ تاريخ ذيل الأعلام، لعبدالكريم بن محب الدين المتوفى سنة ٩٩٠ خط

[٣٨٨] ٥٢ / تاريخ الأرج المسكي، لعلي بن عبدالقادر الطبري المكي المتوفى سنة ١٠٧٠ خط

٥٣ تاريخ إتحاف فضلاء الزمن، للطبري المكي المتوفى سنة ١١٦٣ خط

٥٤ تاريخ منائح الكرم، للسنجاري المكي المتوفى سنة ١١٢٥ خط

٥٥ تاريخ تحصيل[١] المرام، للصباغ المكي المتوفى سنة ١٣٢١ خط

---

(١) في الأصل «تحيصل».

٥٦ تاريخ إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام، للشيخ عبداللّه ابن محمد غازي المكي — خط لم يطبع

٥٧ الروض الأنف، للعلامة السهيلي المغربي — المتوفى سنة٥٨١

٥٨ رحلة ابن جبير الأندلسي

٥٩ رحلة ابن بطوطة المغربي

٦٠ معجم البلدان، لياقوت الحموي — المتوفى سنة٦٢٦

٦١ كتاب تهذيب الأسماء واللغات، للإمام النووي

٦٢ النهاية، لابن الأثير الجزري

٦٣ القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي — المتوفى سنة٨١٧

٦٤ نهاية الأرب في أنساب العرب، للقلقشندي — المتوفى سنة٨٢١

٦٥ لقطة العجلان، للنواب صديق حسن خان

٦٦ الفتوحات الإسلامية، للسيد أحمد الدحلان

٦٧ مرآة الحرمين، لإبراهيم رفعت باشا المصري

٦٨ الرحلة الحجازية، لمحمد لبيب البتنوني المصري

القسم الثالث

١- الملاحق.

٢- المصادر والمراجع.

٣ - الفهارس العامة.

أولاً: الملاحق

الملحـــق الأول: تغيير سقف الكعبة وترميمها في سنة ١٣٧٧هـ.

الملحـــق الثـاني: عنـاية خـادم الحـرمين الشـريفين الملك فـهـد بن عـبـدالعـزيز حـفظه اللّه بالكعبـة الشـريفـة عـام ١٤١٧هـ:

أ -الترميمات التي نُفّذت في عـهده حـفظه اللّه في عام١٤١٧هـ.

ب - كسوة الكعبة الداخلية والخارجية في عام ١٤١٧هـ.

الملحق الأول [1]

تغيير سقف الكعبة وترميمها في سنة ١٣٧٧هـ [2]

هذا التغيير والترميم في سقف الكعبة الشريفة حضره محمد طاهر الكردي وشارك فيه، وكان شاهد عيان لجميع مراحله؛ بصفته عضو اللجنة التنفيذية لتغيير سقف الكعبة وتجديده ولتوسعة المسجد الحرام، ممّا جعله يسجل أحداث تلك الإصلاحات في كتابه « التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم »، وكأنه يذكِّرنا في ذلك بيوميّات ابن علان في بناء الكعبة المعظمة في سنة ١٠٤٠هـ.

ولهذا رأيت أنه من الأهمية بمكان اختصار هذه المعلومات القيّمة، وتصحيح أخطائها، وإثباتها في ملحق خاص؛ تعميمًا للفائدة.

في أواخر شهر محرم سنة ١٣٧٧هـ، صدر أمر الملك سعود بن عبدالعزيز -رحمه الله- القاضي بعمارة سقفي الكعبة وترميمهما وإصلاحهما. وبدأ العمل الفعلي عندما قام سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ولي عهد المملكة العربية السعودية آنذاك في الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٧هـ بزيارة المسجد الحرام والإيذان ببدء العمل.

بدأ المهندسون في اليوم التاسع عشر من شهر رجب، برفع الأنقاض وكشف السّقف، ثم تم تركيب الميدات على الحيطان الأربعة، في كل جانب ميدة واحدة، وشُرع في عمل وزن السّقف بآلة هندسيّة خاصة؛ لتكون جهة ميزاب الكعبة منخفضة عن الجهات الأخرى لنزول مياه الأمطار.

وفي العشرين من شهر رجب عام ١٣٧٧هـ، رُكِّبَت أعوادٌ جديدة للسّقف

---

(١) من عمل المعلّق.

(٢) محمد طاهر الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٤، ص ٦٨ - ٨٩.

بلغت ثلاثةوعشرين عوداً ، وفُرِشَت بألواحٍ من الأخشاب الطويلة .

وفي اليوم الثاني والعشرين من رجب من العام نفسه شُـرع في بناء الحائط القصير المحيط بالسطح المسمّى بالإفريز ، واستُخدم في بنائه الطوب الأحمر الذي جيء به من مصنع العاقول بالمدينة المنورة .

وبعد أسبوع من بناء الحائط ، تمَّ وضع حجارات الرخام - المرمر الأبيض - فوق سطح الكعبة المعظمة ، وعددها حوالي مائتين واثنين وثمانين رخامة ، ولكيلا تتسرّب مياه الأمطار بين الأحجار تم صبّ مادة الرصاص بين فجوات رخام السطح .

وأجاد المهندسون في ترميم وإصلاح الدرج الذي في باطن الكعبة ، المؤدية إلى سطحها ، وذلك من نفس خشب الكعبة القديم الذي لم يتأثر بالسوس والأرْضَة ، كما قاموا بتجديد أخشاب السقف الثاني ، ووَضْع الألواح الخشبية الجديدة اللازمة عليها .

ولحفظ الأعواد والأخشاب من السوس والأرضة ، تم دهن الأعواد والأخشاب بالقطران الأسود .

ومن الأعمال التي نُفِّذت في داخل الكعبة : إخراج الجبس والنَّوْرَة القديمة من أعلى جدران الكعبة إلى أسفل ، ثم إصلاحها ، وإخراج الرخامات المحيطة بجدرانها إلى ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف المتر ، ثم وضعها في أماكنها بعد تنظيفها وإصلاحها ، كما تم إصلاح الدرج الذي بداخل الكعبة الموصل إلى سطحها ، وإصلاح عتبة الكعبة من داخلها .

أما خارج الكعبة ، فتمَّ تجديد الخشب الذي تحت الميزاب لتلفه ، وتم إصلاح الجدار الذي وراء مصراعي باب الكعبة ، كما جُدّد تجليد العتبة العليا التي فوق

الباب من داخل الكعبة بخشب من النوع الجيد والسميك ، وكذلك تم عمل عتبة باب الكعبة السفلية ، التي عند مدخل الباب ، وفُرشت بالرخام الأبيض الذي أُخرج من جدار داخل الكعبة ، ووُضع فوق هذا الرخام قضيبان من الحديد على شكل نصف دائرة لتمشي عليها عجلتا مصراعي الباب ، ليسهل فتحهما وقفلهما .

الملحق الثاني (١)

عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه اللّه بالكعبة الشريفة عام ١٤١٧هـ

أ - الترميمات التي نُفِّذت في عهده حفظه اللّه في عام ١٤١٧هـ :

أوْلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه اللّه- جُلّ اهتمامه لرعاية وصيانة وتوسعة الحرمين الشريفين ، وحظيت الكعبة الشريفة باهتمام خاص ، حيث أمر -حفظه اللّه- في سنة ١٤١٧هـ بإعادة ترميمها على أسس معمارية مُتميّزة ، استُخدمت فيها أحدث التقنيات ، ونفّذها مهندسون متخصصون في فن العمارة الإسلامية، حافظوا على الأثر الإسلامي وزادوا من قوته ومتانته ضد عوامل الطبيعة .

وقد كُلِّفت شركة مجموعة (بن لادن) بإصلاح وترميم الكعبة المشرفة بالإصلاحات التالية (٢) :

١ - إصلاح الجدران الخارجية :

تم إزالة المونة الموجودة في الفواصل الخارجية ما بين الحجارة ، وتنظيف هذه الفواصل بأعماق تتراوح ما بين ٢ إلى ٥ سم . وبعد ذلك تم تعبئة هذه الفواصل بمونة عالية القوة ، وتم تنفيذها بشكل بارز وبخطوط مستقيمة طولية وعرضية .

---

(١) من عمل المعلِّق .

(٢) كان الباحث يطمح في الحصول على معلومات موسعة من قبل الشركة المنفذة للمشروع وهي شركة بن لادن ، ولكنه لم يحصل إلاّ على معلومات مختصرة جداً من قبل مكتب دار الهندسة بالشركة المذكورة بواسطة المهندس طلال نُعماني .

٢ - إصلاح الجدران الداخلية :

- تمت إزالة سقف الكعبة والأعمدة الخشبية الحاملة له ، بسبب ما تعرَّضت لـه من تآكل وتلف شديدين ، بفعـل حشـرات الأرضـة ، وبفعل الرطوبة والفطـريات .

- تمت إزالة البياض والكساوي من جميع الأوجه الداخلية لحوائط الكعبة المشرفة ، وأيضاً كشف المونة الرابطة بين البلوكات الحجرية للحوائط من الداخل (النورة) المكونة من الجيـر المخلوط بالطين والرمل ، والتي فَقَدَتْ تماسُكها بفعل الزمن ، وبفعل التجاويف التي تركتها حشرات الأرضة بها ، وبمعاينتها تبين ضرورة فك البلوكات الحجرية المكونة للبدن الداخلي للحوائط وإعادة تركيبها ، مع الملء بينها بمونة اسمنتية مناسبة .

- تبين خلال المعاينة عدم وجود أية عيوب إنشائية في الحوائط قد تكون بسبب هبوط في التربة أسفل الحوائط ، أو بسبب عدم رأسية الحوائط .

- تبين التلف الكامل للشدات الخشبية الموجودة بالحوائط بفعل حشرات الأرضة والرطوبة والفطريات .

- وتم اعتماد أعمال الإصلاح للجدران الداخلية على أربع مراحل :

- المرحلة الأولى : إصلاح المداميك الأربعة العليا من جدران الكعبة المشرفة .

- المرحلة الثانية : إصلاح ما يلي المداميك الأربعة السابقة إلى منسوب الأرضية الداخلية للكعبة .

- المرحلة الثالثة : إصلاح ما بعد منسوب الأرضية الداخلية للكعبة إلى منسوب المطاف الحالي ، وأقل منه بعمق ٤٠ إلى ٧٠ سنتمتراً .

ـ المرحلة الرابعة والأخيرة : تمَّ الكشف عن الأساسات أسفل المطاف للتأكد من سلامتها .

٣ ـ سقف الكعبة وقواعده :

ـ تم تركيب أعمدة خشبية جديدة ، وأسقف خشبية جديدة ، بدلاً من التالف . وذلك باختيار أفضل أنواع الأخشاب التي تحقق المتطلبات الخاصة للأحمال ، وأجواء مكة المكرمة ، وبحيث تكون مماثلة لأكبر الأحجام التي كانت موجودة سابقاً .

ـ تم استبدال القواعد الصخرية القديمة بقواعد خرسانية مسلحة ، صممت بحيث يتم حمايتها من تأثير الرطوبة .

ـ تم تغطية السقف الخشبي بمواد عازلة وطبقة من الخرسانة الخفيفة ، لحمايتها ، وتأمين الميول لتصريف المياه عن السطح . كما تم ترخيم كامل سطح الكعبة المشرفة وجوانبه بالرخام المتميّز المعدّ خصيصاً لذلك .

٤ ـ الميزاب :

تم استبدال الميزاب بميزاب جديد ، بنفس المقاسات والكتابات التي كانت في الميزاب السابق . وصنع بطريقة خاصة من حديد لا يصدأ ولا يتأثر بالعوامل الجوية .

٥ ـ الشاذروان :

تم استبدال الحجارة القديمة للشاذروان برخام جديد ، مع المحافظة على الرخامات الصغيرة القديمة الموجودة عند باب الكعبة .

٦ ـ حِجْر اسماعيل :

تم إزالة الرخام القديم لجدران وأرضية الحِجْر ، واستبدلت برخام جديد . كما تم تنظيف الفوانيس الموجودة على الجَدران ، وإعادتها إلى موقعها السابق . وتم عمل حاجز من الحبال لمدخل الحِجْر .

ب - كسوة الكعبة الداخلية والخارجية في سنة ١٤١٧هـ :

أما ما يتعلق بكسوة الكعبة الداخلية والخارجية في سنة ١٤١٧هـ فقد ذكر الأستاذ زياد محيي الدين خوجة(١) ، مدير عام مصنع الكسوة : أن حكومة خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبد العزيز -حفظه اللّه- وفّرت كافة الوسائل لإنتاج الكسوة الداخلية والخارجية بالمصنع ؛ لكي تظهر الكسوة بالصورة التي تتلاء م مع قُدسية بيت اللّه العظيم .

ففي سنة ١٤١٧هـ قام مصنع الكسوة في مكة بعمل ثوب داخلي جديد ، لونه أخضر ، مصنوع من الحرير الخالص مائة بالمائة ، ومبطن بحرير ، ومنقوش عليه بطريقة الجاكار(٢) عبارات : « سبحان اللّه وبحمده » ، «سبحان اللّه العظيم » ، « يا حنّان » ، « يا منّان » ، « ذو الجلال والإكرام » . وكتب عليها أيضاً قوله تعالى : ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ (٣) .

---

(١) قمت بزيارة لمصنع الكسوة في أم الجود . والتقيت بالأستاذ زياد محيي الدين خوجة ، في مكتبه ، وزوّدني بالمعلومات اللازمة ، وكان حريصاً على أن تكون المعلومات عن الكسوة في سنة ١٤١٧هـ كافية ومحققة للهدف المنشود ، فجزاه اللّه خير الجزاء .

(٢) عرّف مدير عام المصنع «الجاكار» بأنه عملية الكتابة الطابعة على القماش عن طريق خطوط السيدا الطولية واللحمة ، مما ينتج عن تلك العملية ظهور الكتابات الموضحة على القماش .

(٣) سورة البقرة ، آية رقم ١٤٤ .

وكُتب أيضاً قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [1].

وذكر المصدر نفسه : أنّ الفنيين الذين شاركوا في العمل كان عددهم اثني عشر عاملاً ، كلهم سعوديون ممّن حصلوا على تدريبات مكثفة بالمصنع . أما تكاليف العمل فقد كان من ضمن ميزانية المصنع البالغة سبعة عشر مليون ريال .

كما أشار المصدر إلى أنه في سنة ١٤١٧ هـ تم تغيير ثوب الكعبة الخارجي ؛ جرياً على العادة التي تقوم بها حكومة خادم الحرمين الشريفين كل عام .

وكانت الكسوة الخارجية مصنوعة من الحرير الخالص المصبوغ باللون الأسود، وارتفاعها حوالي ١٤ متراً ، وفي الثلث الأعلى منها يقع حزام الكسوة المطلية خيوطه بالفضة بنسبة ٩٩٪ ثم بعد ذلك بالذهب . ويبلغ طوله ٤٧ متراً، وعرضه ٩٥ سم ، ويتألف من ١٦ قطعة .

وكانت الستارة التي على الباب مصنوعة من الحرير الخالص ، وارتفاعها سبعة أمتار ونصف ، وعرضها أربعة أمتار ، ومكتوب عليها بعض الآيات القرآنية ، وحُلّيت بزخارف إسلامية مطرّزة ومغطاة بالفضة المطلية بالذهب .

وكتب على حزام الكعبة وما تحت الحزام آيات قرآنية وبعض العبارات على النحو التالي :

---

(١) سورة آل عمران ، آية رقم ٩٦ .

- من جهة باب الملتزم :

١ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (١)

٢ ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٢)

٣ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣)

٤ ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤)

ثم كُتب عبارة :

٥ « صُنِعَتْ هَذه الكسْوة في مكة المكرمة وأهدَاها إلى الكعبة المشرفة خادم الحَرَمَيْن الشَّريفين جَلالة الملك فهد بن عبدالعزيز آل سُعُودْ تَقَبَّل اللّه منْهُ » (٥)

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥ ، بمقدار ٢٩٠ سم .
(٢) سورة البقرة : ١٢٥ ، بمقدار ٣١٩ سم .
(٣) سورة البقرة : ١٢٧ ، بمقدار ٣٢٣ سم .
(٤) سورة البقرة : ١٢٨ ، بمقدار ٣٤٣ سم .
(٥) قطعة الإهداء بمقدار ٤٨٧ سم .

- من جهة حِجْر إسماعيل عليه السلام :

١ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (١)

٢ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (٢)

٣ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (٣)

٤ ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ (٤)

٥ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥)

٦ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٦)

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧ ، بمقدار ٣١٨ سم .
(٢) سورة البقرة : ١٩٧ ، بمقدار ٢٥٦ سم .
(٣) سورة البقرة : ١٩٨ ، بمقدار ٢٧٨ سم .
(٤) سورة البقرة : ١٩٨/ ١٩٩ ، بمقدار ١٩٢ سم .
(٥) سورة الحجر : ٤٩ ، بمقدار ٢٤٨ سم .
(٦) سورة البقرة : ١٨٦ ، بمقدار ٢٣٦ سم .

- من الجهة الموالية لباب إبراهيم :

١ بسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١)

٢ ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢)

٣ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا﴾ (٣)

٤ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٤) صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيم .

٥ بسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾ (٥)

٦ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٦)

---

(١) سورة الحج : ٢٦، بمقدار ٣٥٥ سم .

(٢) سورة الحج : ٢٧، بمقدار ٢٦٧ سم .

(٣) سورة الحج : ٢٨، بمقدار ٣٣٠ سم .

(٤) سورة الحج : ٢٨/٢٩ ، بمقدار ٣٠٤ سم .

(٥) سورة الأحزاب : ٤٧، بمقدار ٢٥٥ سم .

(٦) سورة النساء : ١١٠، بمقدار ٢٤٦ سم .

- فيما بين الركنين :

١ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)

٢ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

٣ ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (٣)

٤ ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤)

٥ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٥)

٦ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٦)

- القناديل التي بين آيات ما تحت الحزام :

١ يَاحَيُّ يَا قَيُّوم	٢ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيم	٣ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ
[٤٥×٦٥سم]	[٤٥×٦٥سم]	[٥٥×٧٥سم]

(١) سورة آل عمران : ٩٥ ، بمقدار ٢٥٥ سم .
(٢) سورة آل عمران : ٩٦ ، بمقدار ٢٦٥ سم .
(٣) سورة آل عمران : ٩٧ ، بمقدار ٢١٠ سم .
(٤) سورة آل عمران : ٩٦ ، بمقدار ٣٠٤ سم .
(٥) سورة الحج : ٣٢ ، بمقدار ٢٤٠ سم .
(٦) سورة طه : ٨٢ ، بمقدار ٢٣٤ .

- الصمدية وهي على كل ضلع من أضلاع الكعبة المشرفة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

[٩٠×٨٨سم]

- على ستارة باب الكعبة المشرّفة :

١ فاتحة الكتاب .

٢ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (١)

٢ آية الكرسي (٢)

٤ ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٣)

٥ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٤)

٦ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ (٥)

٧ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ (٦)

٨ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٧)

٩ سورة الإخلاص « الصّمديّة » .

---

(١) سورة البقرة : ١٤٤ .
(٢) سورة البقرة : ٢٥٤ .
(٣) سورة آل عمران : ١٣٣ .
(٤) سورة النور : ٣٥ .
(٥) سورة الفتح : ٢٧ .
(٦) سورة الفتح : ٢٩ .
(٧) سورة الزمر : ٥٣ .

ثانياً : المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- إبراهيم رفعت باشا

- مرآة الحرمين، أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ دون تاريخ.

- ابن الأثير ـ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ت سنة ٦٣٠ هـ

- الكامل في التاريخ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط ٤ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- ابن الأثير ـ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت سنة ٦٠٦ هـ

- النهاية في غريب الحديث والأثر ـ تحقيق محمود محمد الطناحي ـ دار إحياء التراث ـ لبنان ـ بدون تاريخ.

- أحمد بن حنبل الشيباني ـ الإمام ت سنة ٢٤٠ هـ

- المسند ـ نشر المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ دون تاريخ.

- أحمد الدحلان ـ أحمد بن زيني دحلان ت سنة ١٣٠٤هـ

- الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ـ البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. وبهامشه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للقطبي.

- أحمد علي

- آل سعود ـ دار الشبل للطباعة والنشر ـ ط٢ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- الأزرقي ـ أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ـ تحقيق رشدي صالح ملحس ـ مكتبة الثقافة ـ مكة المكرمة ـ ط٧ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- **الأصفهاني - أبو الفرج ت سنة ٣٥٦ هـ**
- الأغاني - دار الفكر - بيروت - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .
- **الإلباني - الشيخ ناصر**
- سلسلة الأحاديث الصحيحة- ج٢- بيروت- المكتب الإسلامي- ط٢ ١٣٩٩هـ .
- **باسلامة - حسين عبدالله باسلامة المكي الحضرمي**
- تاريخ عمارة المسجد الحرام - جدة - تهامة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
- تاريخ الكعبة المعظمة - عمارتها وكسوتها وسدانتها - الكتاب العربي السعودي ٤٧ ط٢ جدة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية - ط٢ مكة المكرمة - عمر عبدالجبار ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .
- **البتنوني - محمد لبيب**
الرحلة الحجازية - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - بدون تاريخ .
- **البخاري - الإمام أبو عبدالله اسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري ت سنة ٢٥٦هـ**
- التاريخ الكبير - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
- صحيح البخاري - المكتبة الإسلامية - إستانبول - تركيا ١٩٨١م - توزيع مكتبة العلم بالسعودية - جدة .
- **بروكلمان - كارل**
- تاريخ الشعوب الإسلامية- ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي- بيروت- دار العلم- ط١ ١٩٧٤ م .
- **ابن بشر**
- عنوان المجد في تاريخ نجد . جزءان - الرياض - منشورات مكتبة الرياض - بدون تاريخ .

- **ابن بطوطة - محمد بن عبدالله اللواتي**

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار - تحقيق د. علي المنتصر الكتاني - مؤسسة الرسالة ط٤ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

- **البغوي - أبو محمد الحسين الفراء البغوي الشافعي . ت سنة ٥١٦ هـ**

- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل بهامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل - المكتبة التجارية - توزيع دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ .

- شرح السنة - تحقيق زهير الشاويش ، وشعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي - بيروت - ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- **أبو البقاء - محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء العمري الصاغاني القرشي المكي ت سنة ٨٥٤هـ**

- البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق - تاريخ مكة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف - مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ٤٠/ فقه حنفي .

- **البكري - عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي**

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع -تحقيق السقا - عالم الكتب - بيروت- بدون تاريخ

- **البلادي - عاتق غيث**

- قلب الحجاز - دار مكة - ط١/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

- معالم مكة التاريخية والأثرية - دار مكة - ط١ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- **البلاذري - أحمد بن يحيى بن جابر ت سنة ٢٧٩هـ**

- أنساب الأشراف - تحقيق سهيل زكار وزميله - دار الفكر - بيروت - ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

- **البيهقي - أبو بكر أحمد بن الحسين ت سنة ٤٥٨ هـ**
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - تحقيق السيد أحمد صقر- لجنة إحياء أمهات كتب السنة بمصر ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م .
- **السنن الكبرى** - بيروت - دار الفكر - بدون تاريخ .
- **الترمذي - محمد بن عيسى بن سَوْرة**
- الجامع الصحيح - تحقيق أحمد شاكر وآخرين - دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون تاريخ
- **ابن تغري بردي - جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت سنة ٨٧٤هـ**
- الدليل الشافي على المنهل الصافي - تحقيق فهيم محمد شلتوت - الكتاب الحادي والعشرون من مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى - بدون تاريخ .
- **ابن تيمية - شيخ الإسلام أحمد**
- مجموع الفتاوى - جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي - طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين - دون تاريخ .
- **ابن جُبير - أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير**
- الرحلة - دار مكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨١م .
- **الجُزيري - عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري الحنبلي - من أهل القرن العاشر الهجري.**
- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة - أعده للنشر حمد الجاسر - الرياض - ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- **جميل المصري - جميل عبدالله محمد المصري**
- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة - دار أم القرى - عمان - ط٣ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

- **ابن الجوزي - أبو الفرج عبدالرحمن ت سنة ٥٩٧ هـ**
- مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن - دار الراية - الرياض وجدة - ط١ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .
- زاد المسير في علم التفسير - المكتب الإسلامي - بيروت - ط٣ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- **حامد عباس**
- قصة التوسعة الكبرى - مجموعة ابن لادن السعودية - جدة - ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .
- **ابن حجر العسقلاني - شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي**
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م . وطبعة دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ .
- تقريب التهذيب - تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف - دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ .
- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ - دار الكتب العلمية - بيروت ط٢ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
- تبصرة المنتبه في تحرير المشتبه - تحقيق علي البجاوي ومحمد النجار - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - مصر . بدون تاريخ .
- الإصابة في تمييز الصحابة - ومعه الاستيعاب في أسماء الأصحاب ليوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر - المكتبة التجارية الكبرى بمصر - ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م .
- **ابن حجر الهيتمي - أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي شهاب الدين ت سنة ٩٧٤ هـ**
- المناهل العذبة في إصلاح ما وهى وتشعّب من الكعبة - مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض - رقم ٦٣٣٩ .

ـ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت سنة ٤٥٦هـ.

ـ جمهرة أنساب العرب ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ـ حقي أفندي البرسوي ت سنة ١١٣٧ هـ

ـ روح البيان ـ تفسير ـ دار الفكر ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

ـ الحلبي ـ علي بن برهان الدين ت سنة ١٠٤٤ هـ

ـ السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون ـ إنسان العيون ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ دون تاريخ .

ـ الخطيب البغدادي ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ت سنة ٤٦٣هـ

ـ تاريخ بغداد، أو مدينة السلام ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

ـ ابن خلكان ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت سنة ٦٨١ هـ

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ دون تاريخ .

ـ خليفة بن خياط العصفري ت سنة ٢٤٠هـ

ـ تاريخ خليفة ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـ دار طيبة للنشر ـ الرياض ـ ط٢ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ـ أبو الخير الجزري الدمشقي محمد بن محمد

ـ مختصر عدة الحصن الحصين ـ شرحه يحيى بن محمد بن عبدالله الأرياني بعنوان هداية المستبصرين بشرح عدة الحصن الحصين ـ مكتبة الحرم المكي ـ دون تاريخ ومكان .

ـ الدارقطني ـ علي بن عمر الدارقطني
ـ سنن الدارقطني ـ تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني ـ دار المحاسن ـ القاهرة ـ ودار المعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ .
ـ أبو داود ـ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي
ـ سنن أبي داود ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ ط٢ ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠م .
ـ ابن دقماق ـ إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي ت سنة ٨٠٩هـ
ـ الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ـ تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور ـ نشر جامعة أم القرى ـ من التراث الإسلامي ـ الكتاب الرابع والأربعون .
ـ الذهبي ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت سنة ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م .
ـ سير أعلام النبلاء ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٢ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
ـ العبر في خبر من غبر ـ تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
ـ الزبير بن بكار ت سنة ٢٥٦ هـ
ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ مطبعة مكتبة المعارف ـ ١٣٨١هـ .
ـ الزبيري – أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري ت سنة ٢٣٦هـ
ـ نسب قريش ـ نشره ليفي بروفنسال ـ دار المعارف بمصر ـ ذخائر العرب رقم ١١ ـ بدون تاريخ .
ـ الزركلي ـ خير الدين
ـ الأعلام قاموس تراجم ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٦ ١٩٨٤م .

- **السباعي ـ أحمد**

ـ تاريخ مكة ـ جزءان ـ مطابع قريش بمكة ـ ١٣٨٠ هـ .

- **السخاوي**

ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ مكتبة القدسي بالقاهرة ـ ١٣٥٣هـ .

- **سرهنك ـ اسماعيل**

ـ تاريخ الدولة العثمانية ـ بيروت ـ دار الفكر ـ ١٤٠٨هـ .

- **ابن سعد ـ محمد ت سنة ٢٣٠ هـ**

ـ الطبقات الكبرى ـ دار بيروت ودار صادر ـ بيروت ـ ١٣٧٦هـ .

ـ الطبقات الكبرى ـ الطبقة الرابعة من الصحابة ـ تحقيق د . عبدالعزيز عبدالله السلومي ـ مكتبة الصديق ، الطائف ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

- **السنجاري ـ علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري ت سنة ١١٢٥هـ.**

ـ منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ـ مخطوط في ثلاثة أجزاء بخط عبد الستار الصديق الدهلوي ـ بمكتبة الحرم المكي ٣٠ دهلوي ـ وقد حقق الكتاب ولم ينشر بعد كلٌ من الدكتور جميل عبدالله المصري ، والدكتورة ماجدة فيصل زكريا ، والدكتورة ملك خياط .

- **السهيلي - أحمد بن أبي الحسن السهيلي**

ـ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعيد ـ مؤسسة منبع الفكر العربي ـ مصر ـ بدون تاريخ .

- **السيوطي ـ جلال الدين عبدالرحمن ت سنة ٩١١هـ**

ـ تاريخ الخلفاء ـ المكتبة التجارية بمصر ـ ط ٤ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ بيروت ـ دار الفكر ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- **الشافعي - الإمام محمد بن إدريس - أبو عبدالله ت سنة ٢٠٤ هـ**
- الأم - دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ .
- **الشامخ - محمد عبدالرحمن**
- التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني - الرياض - ط١ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- **أبو شامة - عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي .**
- الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية - بيروت - دار الجيل - بدون تاريخ .
- ذيل الروضتين - تراجم رجال القرنين السادس والسابع . بيروت - دار الجيل ط ٢ ١٩٧٤م .
- **ابن أبي شيبة - أبو بكر عبدالله بن محمد ت سنة ٢٣٥ هـ**
- المصنف - تحقيق عبدالخالق الأفغاني - نشر الدار السلفية - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م .
- **الصباغ - محمد بن أحمد بن سالم المكي الصباغ ت سنة ١٣٢١هـ**
- تحصيل المرام - مخطوط بمكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة - رقم ١١/ تاريخ دهلوي .
- **الصنعاني - أبو بكر عبدالرّزاق بن همام الصنعاني ت سنة ٢١١ هـ**
- المصنف - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - منشورات المجلس العلمي - ط١ ١٣٩٠هـ .
- **الطبري - أبو جعفر محمد بن جرير ت سنة ٣١٠هـ**
- تفسير الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر - ج ٧ ص ١٩ .
- تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٧٠م - مطبعة دار الفكر - بيروت - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

- **الطبري المكي - محمد بن علي بن فضل بن محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد الحسيني الطبري الملقب بالجمال الأخير**
- اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن - مخطوط - نسخة كلكتا- رقم ١٢٨١ .

- **الطبري المكي - محيي الدين علي بن عبدالقادر الطبري الحسيني ت سنة ١٠٧٠هـ.**
- الأرج المسكي في التاريخ المكي - مخطوط بمكتبة الحرم المكي ٣/ تاريخ دهلوي والمطبوع بتحقيق أشرف أحمد الجمال - المكتبة التجارية - مكة - ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

- **ابن ظهيرة - جمال الدين محمد جار الله بن محمد القرشي المخزومي ت سنة ٩٨٦ هـ .**
- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف - المكتبة الشعبية - بيروت - ط٥ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

- **ابن عابدين - الشيخ محمد أمين**
- ردّ المحتار على الدرّ المختار - شرح تنوير الأبصار في فقه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

- **ابن عبد البر - يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ت سنة ٤٦٣هـ**
- الاستيعاب - دار العلوم الحديثة بهامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني .

- **ابن عبد ربه الأندلسي - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت سنة ٣٢٨هـ**
- العقد الفريد - تحقيق د. مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م .

- **ابن عبدالظاهر محيي الدين**
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر - تحقيق عبدالعزيز الخويطر - الرياض - ط١ ١٩٧٦م .
- **عبدالله غازي - عبدالله بن محمد الغازي الهندي المكي ت سنة ١٣٥٠هـ**
- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام - مخطوط على ميكروفيلم بمكتبة الحرم الشريف بمكة - ٤ أجزاء - بأرقام من ٢٧٤٣ إلى ٢٧٤٦ .
- **العسكري - أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري**
- الأوائل - بيروت - دار الكتب العلمية - ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
- **ابن علان - محمد علي بن محمد علان البكري الصديقي المكي ت سنة١٠٥٧هـ**
- إنباء المؤيد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد - حققه خالد عزام - جامعة الملك سعود - الرياض - ١٤٠٦هـ/ ماجستير . (غير منشور) .
- العلم المفرد في فضل الحجر الأسود - مخطوط - رسالة ضمن مجموع برقم ١٦٤٥ بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة .
- **العليمي - مجير الدين العليمي الحنبلي**
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - مكتبة المحتسب - عمان - ١٩٧٣م .
- **ابن العماد الحنبلي - أبو الفلاح عبد الحي ت سنة ١٠٨٩ هـ**
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .
- **العيدروسي - محيي الدين عبد القادر**
- النور السافر بأخبار القرن العاشر - بغداد - المكتبة العربية - ١٩٣٤م .

- **الفاسي - تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي ت سنة ٨٣٢ هـ**
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - البابي الحلبي - مصر - سنة١٩٥٦م .
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - دون تاريخ .
- **الفاكهي - أبو عبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي**
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه - دراسة وتحقيق د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش - دار خضر - بيروت - ط٢ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
- **الفخر الرازي - محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري**
- تفسير الرازي - دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ .
- **فشر - سدني**
- تاريخ الشرق الأوسط [باللغة الإنجليزية] نيويورك - الناشر الفريد - ط٢ ١٩٦٩م .
- **ابن فهد النجم - عمر بن فهد محمد بن محمد بن فهد ت سنة ٨٨٥هـ**
- اتحاف الورى بأخبار أم القرى - مركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى - التراث الاسلامي الكتاب العشرون - دار المدني - جدة - ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م .
- **ابن فهد عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن فهد القرشي ت سنة ٩٢٢هـ**
- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام - تحقيق فهيم محمد شلتوت - جامعة أم القرى - ط١ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
- بلوغ القرى - في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى - مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم١/ دهلوي تاريخ .

- **الفيروزأبادي ـ مجد الدين محمد بن يعقوب ت سنة ٨١٧هـ**

- القاموس المحيط ـ البابي الحلبي بمصر ـ ط٢ ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

- **أبو القاسم زين العابدين**

- الكعبة والحج في العصور المختلفة ـ مطابع المنار بالقصيم ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

- **ابن قتيبة الدينوري ت سنة ٢٧٦ هـ**

- المعارف ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٢ - بدون تاريخ .

- **القرطبي ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي**

- الجامع لأحكام القرآن ـ دار الكتاب العربي ـ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

- **القسطلاني ـ أحمد بن محمد ت سنة ٩٢٣ هـ**

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية مع شرح الزرقاني ـ بيروت ـ ١٣٩٣هـ .

- **القضاعي ـ محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي أبو عبدالله القضاعي ت سنة ٤٥٤ هـ**

- تاريخ القضاعي ـ عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ـ دراسة وتحقيق د. جميل عبدالله محمد المصري ـ نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

- **القطبي ـ قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد النهروالي**

- الاعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكة المشرفة ـ تاريخ القطبي ـ المكتبة العلمية بمكة المشرفة ـ وطبعة أخرى تحقيق هشام عبد العزيز عطا ـ المكتبة التجارية- مكة ـ ط١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

- **القلقشندي ـ أبو العباس أحمد بن علي**

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ المؤسسة المصرية العامة ـ نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ـ القاهرة .

- **ابن القيم الجوزية ت سنة ٧٥١ هـ**
- زاد المعاد في هدي خير العباد - دار الكتب العلمية - بيروت - دون تاريخ .
- **ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت سنة ٧٧٤هـ**
- تفسير القرآن العظيم - دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- البداية والنهاية - دار الفكر العربي - دار نهر النيل للطباعة - الجيزة - بدون تاريخ .
- **الكردي - محمد طاهر الكردي**
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - مكة المكرمة - نشر مكتبة النهضة الحديثة - ط ١ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- **ابن ماجة - أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ت سنة ٢٧٥ هـ .**
- سنن ابن ماجة - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - إستانبول - المكتبة الإسلامية - بدون تاريخ .
- **مالك بن أنس - الإمام**
- المدوّنة الكبرى - رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبدالرحمن بن القاسم العتقي - دار صادر - بيروت - تصوير عن طبعة مطبعة السعادة بمصر - ١٣٢٣هـ .
- **الماوردي - أبو الحسن علي بن محمد البصري**
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط٢ ١٩٦٦م .
- **المحب الطبري - أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي ت سنة ٦٩٤ هـ**
- القرى لقاصد أم القرى - تحقيق مصطفى السقا - مصر - سنة ١٤٠٣هـ .

ـ محمد الحبيب الهيلة
ـ التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ـ مؤسسة الفرقان ـ فرع مكة ـ ط ١ ١٩٩٤م .
ـ محمد السيد الدقن
ـ كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ـ مطبعة الجبلاوي ـ ط ١ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
ـ محمد صالح العبدري الحجبي ت سنة ١٣٣٥ هـ
ـ إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام ـ تحقيق إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ ـ مطبوعات نادي مكة الثقافي ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
ـ محمد فريد بك
ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ بيروت ـ دار الجيل ـ ١٣٩٧هـ .
ـ محمد مختار باشا ـ اللواء المصري ت سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م
ـ التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية ـ المطبعة الميرية ببولاق ـ ط ١ ١٣١١هـ .
ـ مرداد ـ أبو الخير عبدالله بن أحمد المكي ت سنة ١٣٤٣هـ
ـ المختصر من نشر النَّور والزَّهْر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ـ اختصار وترتيب محمد سعيد الغامدي وأحمد علي ـ عالم المعرفة جدة ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
ـ المسعودي ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت سنة ٣٤٦هـ
ـ مروج الذهب ومعان الجوهر ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ المكتبة التجارية بمصر ـ ط ٤ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
ـ المقريزي ـ أحمد بن علي تقي الدين ت سنة ٨٤٥ هـ
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، والمعروف بالخطط المقريزية ـ جزءان ـ بيروت ـ دار صادر .

- **الملطي - عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي ت سنة ٩٢٠هـ**
- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين - تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
- **ابن منظور - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري**
- لسان العرب - دار صادر - بيروت - بدون تاريخ .
- **النسائي - أبو عبدالرحمن أحمد بن سعيد النسائي ت سنة ٣٠٣ هـ**
- سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- **النووي - محيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا ت سنة ٦٧٦ هـ**
- صحيح مسلم بشرح النووي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م .
- تهذيب الأسماء واللغات - القاهرة - شركة العلماء - بدون تاريخ .
- **ابن هشام - أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري**
- السيرة النبوية - حققها مصطفى السقا ورفاقه - تراث الإسلام - بدون تاريخ .
- **الهيثمي - علي بن أبي بكر**
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - دار الكتاب العربي - بيروت - ط٣ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- **الواقدي - محمد بن عمر ت سنة ٢٠٧ هـ**
- المغازي - تحقيق مارسدن جونس - عالم الكتب - بيروت - بدون تاريخ .
- **ياقوت الحموي - شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي**
- معجم البلدان - دار صادر وبيروت - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
- **يحيى بن محمد بن عبدالله الأرياني**
- هداية المستبصرين بشرح عمدة الحصن الحصين بمكتبة الحرم المكي - دون مكان أو تاريخ .

ثالثاً : الفهارس العامة

١ - فهرس بالصور الواردة في الكتاب الأصل .

٢ - فهرس المحتويات .

١ - فهرس بالصور الواردة في الكتاب الأصل

صورة ٢٣- صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالقادر الشيبي السادن الثاني للكعبة المعظمة (ص ٤١١)

صورة ٢٤- حضرة الشيخ محمد الأمين بن عبدالله بن عبدالقادر الشيبي السادن الثالث للكعبة المعظمة (ص ٤١٣)

صورة ٢٥- مؤلف هذا الكتاب حسين عبدالله باسلامة المكي الحضرمي (ص ٤٥٤)

٢- فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة